



جامعة قاصدي مرباح - ورقلة  
كلية الحقوق و العلوم السياسية  
قسم العلوم السياسية



## إدارة المسألة الطائفية في دول مجلس التعاون الخليجي: جدلية العلاقة بين الدولة والطائفة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في العلوم السياسية  
تخصص : علاقات دولية واستراتيجية

إشراف الأستاذ:  
أ.د/ بوحنية قوي

إعداد الطالب :  
شنين محمد المهدي

### لجنة المناقشة

الصفة	المؤسسة	الرتبة	الإسم واللقب
رئيسا	جامعة قاصدي مرباح - ورقلة	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ مجدوب عبد المومن
مشرفا ومقررا	جامعة قاصدي مرباح - ورقلة	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ بوحنية قوي
مناقشا	جامعة قاصدي مرباح - ورقلة	أستاذ محاضر "أ"	د/ حشود نور الدين
مناقشا	جامعة محمد خيضر - بسكرة	أستاذ محاضر "أ"	د/ فوزي نور الدين
مناقشا	جامعة الحاج موسى آق أخموك - تمنراست	أستاذ محاضر "أ"	د/ حفيان عبد الوهاب
مناقشا	جامعة غرداية	أستاذ محاضر "أ"	د/ جيدرور حاج بشير

السنة الجامعية : 1442هـ-1443هـ الموافق ل 2020م - 2021م

# بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

إِنَّ وَلِيَّيَ اللّٰهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ

الأعراف 196

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ  
إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ

هود: 118-119

هذا كتابٌ من محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين،  
والمسلمين من قريش، «وأهل يثرب»، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم .  
إنهم أمةٌ واحدةٌ من أمة الناس... وإنه لا يعول هذا الكتاب من ظالم،  
أو آثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وآثم، وإن  
الله جار لمن برّ واتقى ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وثيقة المدينة

# إهداء

أمي .. لهفة الحب، كفاية روعي، وطني وجنتي، إن كان هناك ما جعلني أقاتل الظروف لأتم هذا العمل، فهو فرحة قلبك، وبسمة وجهك، ففبك زيادة عن النساء لأن فيك وحدك نفسي ...

أبي .. عز الأحبة، والقلب الكبير، أبي هو العطاء، تفاصيل وجهه حكاية نعيم عشته أنا وإخوتي.

ودين الناس يوما سوف يقضى      ودين أبيك لن تقوى عليه  
اللهم حرم على والدي حزن الحياة، اللهم إني أستودعك بسمة والدي، وفرحة قلبيهما ،  
وصحتهما ومقامها تحت عرشك .

إخوتي حروف السعادة في حياتي، مخالبي ورباط قلبي، بريق أعينكم، وحسن ظنكم وأملكم  
شد على يدي حتى تم العمل، عائلتي الكبيرة إليكم كذلك ، امتنانا لدعمكم وتشجيعكم.

إبن العم أنس شنين رحيلك ترك فينا فراغا مؤلما، شاركتني لحظات المناقشة في  
الماجستير، وقاسمتني سعادة اللحظة، إلى روحك في مقام كريم أهدي هذا العمل

ابنة أختي الصغيرة تقوى، التي من الله بها علينا عوضا وجبرا وريا بعد ظمأ، اللهم  
أنبتها منبتا مباركا واجعلها من أهل العلم .

معلمي وأساتدتي في كل مراحل الدراسة، من بذروا أحلامنا، وسقوها بعرق جبينهم.

أصدقائي وإخوتي الذين أنجبتهم المواقف والأيام. إلى كل من تمنى لنا الخير وأحاطنا  
بدعواته

إليكم جميعا أهدي هذا العمل آملا أن يليق بمقامكم .

شنين محمد المهدي

## شكر وعرفان

الشكر لله على منه وفضله، ولطفه وكرمه أن قدرني على إتمام هذا العمل، فالحمد لله رب العالمين حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه عدد خلقه ورضا نفسه ومداد كلماته .

الشكر لوطني الجزائر .

الشكر وجزيل العرفان والتقدير لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور: بوحينة قوي ، الذي شرفني بتأطير هذا العمل وغمرني بلطفه وملاحظاته ودعمه الدائم.

الشكر الجزيل للأستاذة الأكارم الذين شرفوني بمناقشة وإجازة الدراسة، وتفضلوا بملاحظاتهم .

الشكر الجزيل للدكتور عبد الله باعبود، والدكتور توفيق السيف، والدكتور عبد الرحمن المري، على لطفهم الجم وكريم تواصلهم وشجاعتهم واهتمامهم .

الشكر للأستاذ الدكتور شنين بلخير على تكرمه بالتدقيق اللغوي للعمل، وجهده في تنقيح عباراته.

الشكر لكل الإطارات الساهرة على جامعة ورقلة، وخصوصا كلية الحقوق والعلوم السياسية ، امتنانا لفضلكم ولطفكم واحترافيتكم .

# مقدمة

إن الظاهرة الإنسانية رغم تبايناتها، تبقى مترابطة، لأنها تعكس جوهر الإنسان وتفاعله في محيطه. فمن الصعب دراسة ظاهرة إنسانية من بعد واحد، كما أن الظاهرة الإنسانية وليدة سياقها الزمني والجغرافي، فلكل مجتمع أو منطقة بصمة تطبع تفاعله مع الظواهر المجتمعية، ورغم امتداد الظواهر عبر المجتمعات إلا أن لكل تفاعل خصوصيات تميز البيئة التي يُعبر عنها، وكل مرحلة تاريخية لها متغيراتها وتأثيراتها في صياغة الواقع. يزداد التعقيد في تناول الظواهر الاجتماعية إذا كانت محل خلاف، وتحمل تأويلات متباينة، ولعل مسائل الهوية تُعبر عن هذه الإشكالية، إذ تُعدُّ الهوية مساحةً للمغايرة، ثم الصراع داخل بنية الهوية ذاتها، وكذلك مع الهويات الأخرى، وهذا ما يتجلى في الهوية الطائفية .

تُعبّر المسألة الطائفية عن تعقيد الظاهرة الاجتماعية، فهي ذات أبعاد متعددة يشترك فيها الدين بالسياسة، والإدراك بالثقافة. والطائفية ظاهرة اجتماعية حديثة رغم قدم الطوائف، فهي نتيجة لتفاعل التعدد المجتمعي والثقافي مع بنية الدولة الوطنية المفروضة من أعلى، والتي لم تسع إلى استيعاب المكونات، بقدر ما حاولت صهرها لتُعبّر عن مكون واحد. دخل نموذج الدولة العربية في تنافس مع المكونات المجتمعية والطائفية على السيطرة، وبالرغم من تمكّن النموذج الشمولي في تخفيف التعدديات، إلا أن الأزمات تكشف تجذرها وقوتها، وعجز الدولة عن استيعابها، يزداد مآزق الإدماج والاستيعاب ضمن مؤسسات الدولة في النظم التقليدية ومجتمعاتها، حيث تُعبر السلطة عن امتداد لعلاقات القبيلة، وتقوم على إدارة التوازن بين التشكيلات المجتمعية بمنطق الغلبة والغنيمة والولاء. في هذا الواقع السيسولوجي تبقى الانتماءات الأولية حاضرة وقوية رغم تحولات وظائف السلطة .

للطوائف امتداد تاريخي في ظهور الفرق والمذاهب، والتي ما فتئت تتذرر تبعاً للاجتهادات الدينية، وما يعاصرها من تنافس اجتماعي وصراع سياسي، رغم أنه لم توجد الطائفية بالتجلي المعاصر الذي يمثل أحد عوارض الدولة الوطنية غير المكتملة، إلا أن التاريخ شهد على توظيف سياسات الهوية من أجل حشد العُصب في التنافس على السلطة، أو في إطار التنافس بين الدول .

تجد الطائفية موردها في روافد عدة، منها التاريخ والتأويلات المتباينة لأحداث التراث، والقراءات المتميزة للنص الديني، لكن الأهم هي الصراعات حول الدور الاجتماعي، والتي تثيرها الظروف

السياسية، والأزمات الاقتصادية، والتدخلات الخارجية. الفعل الطائفي حالة تراكمية تعتمل لتتحول ثقافة مجتمعية وفكرا سياسيا، عبر سلسلة من الأفعال وردودها بين الطوائف والسلطة .

تتميز دول مجلس التعاون الخليجي بتركيبه مجتمعية فسيفسائية تشطرها ثنائيات متقابلة عرقيا وطائفيا ومذهبيا وقبليا ومناطقيا، في ظل بنية سلطوية تقليدية قائمة على مَشِيخَات تمثل امتدادا لسلطة القبيلة، ساهم الربع النفطي في تثبيت نموذجها. رغم التنوع العرقي والطائفي - الأصيل منه والدخيل - إلا أن دوله لا تعرف نفس المستوى من الأزيمة الطائفية، ولا تُمَثَل الظاهرة ذات التهديد بين أقطارها، فتتعدد مسبباتها بين علآت مشتركة تجدها في أغلب دول المجلس، كما تجدها في كل مجتمع متعدد بإدارة تقليدية، وسطوة لتراث الماضي وتقسيماته، وثقافة التفوق والأفضلية، وبين مسببات تختص بها أقطار دون غيرها .

تتقاسم دول الخليج الواقع الطائفي والتعددية المجتمعية، وأيضا البنية التقليدية للسلطة المشيخية، وكذلك تحمل خصائص مشتركة في مقاربة المسألة الطائفية وتوظيفها في إدارة مشهد انقسامي يجعل السلطة الطرف الأقوى بين المكونات المتنافرة، كما يكبح مطالب الإصلاح المتنامية، ويغطي على الأزمات الاقتصادية، ويفرض بقاء السلطة الحالية كمصلحة لبقاء الجميع، وخوفا من النهايات المفتوحة لأي تحول قد يفضي إلى حالة فوضوية .

شهدت تركيبه السلطة وفلسفة الحكم في دول الخليج، تغيرات فرضها تحول الأدوار بعد الطفرة النفطية، وترابط التحالفات الدولية والمصالح الطاقوية. منح هذا التحول سلطة أكبر للمشيخات الحاكمة، واستغناء عن باقي المكونات، بعيدا عن نموذج الندية القبلية. كما عرفت الحركة الشيعية بذاتها تحولات في فكرها، وابتعادا عن سلبية الانتظار إلى التفاعل مع الواقع السياسي، والتأثر بالبيئة الخارجية وأفكارها، في ظل وضع اجتماعي استبعادي. فرض هذا التحول تغيرات على مستوى الأدوار الطبقيّة داخل الطائفة، وظهور تنظيمات من خارج العوائل التجارية التاريخية، متأثرة بالخارج، ومتفاعلة مع واقعها الاجتماعي والسياسي .

هناك حساسية شديدة للواقع الخليجي تجاه المؤثرات الخارجية في المحيط الإقليمي والعربي، وهو ما عبرت عنه تأثيرات الثورة الإيرانية، ورهانات العلاقة مع إيران بعد احتلال العراق، وأيضا التحديات التي

فرضتها الثورات العربية، وما نجم عنها من تصدّر للهوية الطائفية، والسعي نحو تطييف التحالفات والتوجهات السياسية، فظهرت الطائفية كإستراتيجية سياسية في إدارة العلاقات الدولية والإقليمية لأغراض داخلية ولمقتضيات التنافس الاستراتيجي بين الأدوار في إقليم مستقطب طائفيًا .

تفرض الأزمة الطائفية نفسها كتحدٍ لواقع الأمن المجتمعي، وكابح أمام تشكّل هوية وطنية جامعة، مع نشاط الحوافز التي تثير الهويات الفرعية، وتستدعي خطاب التطرف. إن عدم السيطرة على تداعيات المسألة الطائفية، والاستمرار في توظيف الهويات، قد يحيل إلى مآلات يستحيل معها ضبط الانفجار الهوياتي، في ظل المشاريع والدراسات التي تستشرف مستقبل التفكك، لإعادة تأسيس كيانات متجانسة طائفيًا، مستغلة إمكانات الحاضر وعلاقاته المضطربة، وإدراك الطوائف والتشكيلات الاجتماعية بعدم الانتماء لمشروع الدولة الراهنة. إن مواجهة هذه التهديدات تقتضي الشروع في تسويات وطنية تُحدّد إمكانية توظيف الهوية الطائفية داخليا وخارجيا، وتؤسس لمشروع وطني جامع متجاوز للهويات الفرعية .

### أ/ أسباب اختيار الموضوع :

تضافرت جملة أسباب ذاتية وموضوعية دفعت لاختيار الموضوع محل البحث :

### أ-1/ الأسباب الذاتية :

مبعثها الرغبة في العمل على موضوع بحثي يشمل أكبر قدر من أبعاد الظاهرة السياسية، ويعكس تركيبها المعقدة، وتمس آثاره الفرد والمجتمع والدولة، ويشمل التاريخ والحاضر، ويستشرف المستقبل، ويمكنه تفسير التفاعل بين المجتمعات.

اهتمام الباحث بالأبعاد السياسية للتحديات المجتمعية، ومنها الظاهرة الطائفية باعتبارها تمثل خصائص البحث المرجو، وهذا بعد امتداد آثارها وقدراتها التوظيفية، وانعكاساتها .

### أ-2/ الأسباب الموضوعية :

التسييس المتنامي للهوية الطائفية، وتوظيفها في العملية السياسية، وفي إدارة العلاقات الإقليمية، والأبعاد الخطيرة للأزمة الطائفية على الأمن المجتمعي.



الأهمية الإستراتيجية لمنطقة الخليج العربي ودول مجلس التعاون، والسعي لفهم تفاعلاتها الداخلية مجتمعياً وسياسياً، بغرض التعرف على التحديات التي تهددها، واستشراف مآلاتها، مع الانقسام الطائفي الذي تشهده بعض الأقطار.

سياسات الهندسة الطائفية-الجغرافية التي أعقبت الثورات العربية، وكيف ساهمت القوى الإقليمية والدولية وتحالفاتها مع الكتل الطائفية في توظيفها .

تطور الدراسات البحثية في قضايا الهوية وآثرها في سياسات الدول الكبرى، وأهمية توظيفها في تشكيل الوحدات الدولية .

### ب/ الأهمية العلمية والعملية :

يكتسي هذا البحث أهميته من الأهداف العلمية والعملية التي يسعى لتحقيقها.

### ب-1/ الأهمية العلمية :

تعمل الدراسة على رصد المسألة الطائفية، تاريخياً عبر المراحل التي أسهمت في تشكيلها، وكذلك في التحولات على مستوى بنية الهوية الطائفية وتجلياتها المعاصرة كظاهرة حديثة، واستنطاق المقاربات النظرية، وتفكيك حمولتها المعرفية لتفسير متغيراتها، وتقديم طرح علمي، يساعد على البحث في سياسات الهوية، ويستشرف نتائجها. كما يسعى للبحث في المؤشرات التي تتيح فهم توظيفها المتباين في إدارة المجتمعات الانقسامية .

### ب-2/ الأهمية العملية :

يحاول البحث تتبع الظاهرة الطائفية في دول مجلس التعاون الخليجي، أين تجد مواردها؟ وكيف تطورت، وأين توظف؟ خاصة مع التنامي الملحوظ للانقسامات الطائفية، وظهور الطائفية كهوية منافسة وبديلة عن القومية، قادرة على تفكيك المجتمعات واختراقها، وتشكيل تحالفات ومناطق نفوذ. كما تسعى الدراسة لرصد الحلول الممكنة لمعالجة الظاهرة وتداعياتها، وتُوقّر الإمكانية لتقديم استشراف مستقبلي لموقع المسألة الطائفية من مآلات الدولة والمجتمع في الخليج العربي .

### ج/ حدود الدراسة :

تتأطر الدراسة بحدود مكانية وزمانية تركز عليها، إلا أن مقتضيات البحث تستلزم العودة لبعض المراحل التاريخية، كما تفرض مسارات الدراسة التطرق للامتدادات الجغرافية لتأثير الطائفية.

### ج-1/ الحدود الزمانية :

دول الخليج رغم حداثة ككيانات مستقلة إلا أن بنيتها السيسولوجية قديمة ومستقرة، ولم تأخذ شكلها الحالي إلا بعد مراحل زمنية طويلة، عرفت فيها هجرات وموجات استيطانية. وعليه فرغم أن الدراسة تبحث حول المسألة الطائفية منذ احتلال العراق في أبريل 2003، كمؤشر زمني يرجع اختياره للانبعث الطائفي الذي خلفه، وما نجم عنه من تداعيات إستراتيجية، كانت الهوية الطائفية في مركزها، وامتدت لدول الخليج، إلا أن مسارات البحث تفرض الرجوع لمراحل زمنية فاصلة، تسبق احتلال العراق، نظرا لأهميتها في الدراسة كمتغيرات مؤثرة ومؤشرات يمكن البناء عليها. كما تحاول الدراسة تغطية المرحلة الزمنية من 2003 إلى عام انتهاء البحث في أواخر 2020، لتتبع الأحداث المؤثرة على المسألة الطائفية في الخليج العربي، ومن أهمها تداعيات الاستقطاب الطائفي خلال الربيع العربي، والتحولت التي مست أجيال السلطة في الخليج .

### ج-2/ الحدود المكانية :

يعالج الموضوع الظاهرة الطائفية في دول مجلس التعاون، ما يجعل الحدود المكانية مرتبطة بتركز متغيرات البحث داخل الجغرافيا الخليجية. مجلس التعاون هو اتحاد لستة دول خليجية عربية هي السعودية والبحرين وقطر وعمان والإمارات. لكن البحث لا يأخذ ذات التركيز في تناول الظاهرة الطائفية بين الدول الستة، لأنها ليست بذات التأثير، حيث تبرز بقوة في البحرين والكويت والسعودية، وتراجع في بقية الدول. وبحكم الموقع الجغرافي والنقل التاريخي والحضاري والاقتصادي لدول المجلس، وما نشأ عنها من روابط إقليمية ودولية، يمتد البحث ليعالج تفاعلات الظاهرة الطائفية في الأقاليم المحيطة، خاصة في العراق وإيران وسوريا، وبقية الجوار العربي، نظرا للتأثير المتبادل بين الوحدات وروابطها الطائفية.

هـ/ إشكالية الدراسة :

أثار الانبعاث الطائفي تساؤلات كثيرة حول آليات عمل الظاهرة، وتأثيراتها المستقبلية، وطرائق الحد من تداعياتها على الواقع الخليجي خصوصا والعربي عموما، وهو ما يُحيلنا للبحث في القدرة التأثيرية للطائفية على تفاعلات العملية السياسية، وإدارة التوازنات في مجتمع تقليدي، تستقوي فيه انتماءات ما قبل الدولة، وأيضا من أجل تتبع أثرها على السياسة الخارجية والدور الإقليمي. كما يدفعنا للتساؤل عن المسألة الطائفية هل هي إستراتيجية سلطوية مقصودة، أم أنها تعبير طبيعي عن ديناميات العمل التقليدية للمجتمع والدولة، وذلك انطلاقا من الإشكالية التالية :

إلى أي مدى تؤثر المسألة الطائفية على صياغة السياسة الداخلية وتوجهات الإستراتيجية الخارجية لدول مجلس التعاون الخليجي ؟

ولفهم أكبر للمتغيرات النازمة لعمل الظاهرة، يتفرع عن الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية المساعدة على التحكم في الموضوع محل البحث :

هل الطائفية تعبير عن الخزين التاريخي وتراكم الصراعات الدينية، أم أنها تسخير للدين والتاريخ من أجل الحشد ضمن صراع الأدوار ؟

كيف تشكّل البناء المجتمعي في دول الخليج؟ وكيف تساهم بنيته تعزيز المسألة الطائفية؟

كيف ساهم الربيع والاستراتيجيات الدولية في تحولات المجتمع والسلطة؟ وكيف انعكس هذا التحول على الأدوار الاجتماعية؟ وما موقع الهوية الطائفية من هذا التحول؟

ما هي الخصائص المشتركة للنظم الخليجية في تعاطيها مع سياسات الهوية، وفي تعاملها مع المكونات المجتمعية؟ وفيما تختلف؟

كيف تؤثر الطائفية على الاستراتيجيات الإقليمية؟ وما انعكاساتها ؟

إلى أي مدى ساهم الدور الإيراني واحتلال العراق والربيع العربي في بعث المسألة الطائفية؟

ما هي الحلول الممكنة للخروج من الأزمة الطائفية؟ وهل ستعمل الطائفية على تقسيم

دول مجلس التعاون مستقبلا؟

#### د/ فرضيات الدراسة :

سعيًا للإجابة عن التساؤلات التي طرحتها الإشكالية المركزية، وما تفرّع عنها من أسئلة فرعية،

ينطلق البحث من الفرضيات التالية :

كلما تقلصت الآليات السياسية لتحقيق المصالح الاجتماعية، كلما زاد توظيف سياسات

الهوية .

كلما زادت مطالب الإصلاح والإدماج والمشاركة، كلما ساهم ذلك في تطيف السياسة.

كلما زاد تطيف الإدارة السياسية كلما دفع ذلك إلى تفكيك الجبهة الشعبية وكبح

تواصلها لتشكيل حراكٍ مطلبى موحد متجاوز للانتماءات الفرعية في الخليج .

تؤدي الأزمات الاقتصادية وانخفاض الربح والتمايز الجهوي والتباين في المستوى

المعيشي، إلى توظيف الهوية الطائفية كسياسة مقصودة من طرف السلطة أو كردة فعل

تجاه سياساتها الاستيعادية.

كلما توجهت حكومات مجلس التعاون الخليجي نحو السياسات الإصلاحية والإدماجية

لمكوناتها، كلما أدى ذلك إلى تجاوز التداخيات الخطيرة للمسألة الطائفية على حاضر

ومستقبل الدولة في الخليج.

#### و/ المقاربة المنهجية :

سعيًا لتأكيد الفرضيات أو نفيها، وبغرض اختبارها يعتمد البحث على جملة من المناهج والأساليب:

#### و-1/ المنهج المقارن :

ينبني المنهج المقارن على مقابلة المتغيرات بعضها ببعض، من أجل كشف أوجه الشبه ومكامن

الاختلاف في التعاطي مع الظاهرة محل البحث. تعتمد الدراسة على المنهج المقارن كمنهج مركزي،

بغرض متابعة مستويات المسألة الطائفية في دول مجلس التعاون، من حيث التأثير والتوظيف،

وانعكاسات الظاهرة وتداخياتها عبر أقطار المجلس، وعبر السياقات التاريخية المختلفة داخل كل بلد، كما

يُمكِن المنهج المقارن من عرض القواسم المشتركة في البنية السيسولوجية وترابطها، ويكشف أثر الخصوصيات المجتمعية لكل قُطر، في إدارة المسألة الطائفية. إن عرض أوجه الشبه ونقاط الاختلاف في التفاعل مع الطائفية، يمكّننا من الوصول للحلول الخاصة بكل وحدة، والرهانات التي تفرضها عليها سياسات الهوية .

### و-2/ المنهج الوصفي :

يرتكز هذا المنهج على وصف دقيق ومعمق للظاهرة محل البحث، يشمل أبعادها المتنوعة، وتحليل المتغيرات الأساسية الناظمة لعمل مكوناتها، أي أنه بحث في ماهية الظاهرة وجوهرها، يسعى لرصد المتغيرات والكشف عن مضمونها وطرائق عملها. بناء عليه استندت الدراسة على المنهج الوصفي في البحث حول مضمون الطائفية كمفهوم معرفي، وكظاهرة اجتماعية، بحثاً في جوهرها وفي مسارات تكونها، وآليات عملها. كما ساعد المنهج الوصفي في عرض البنية الديمغرافية والسلطوية لدول مجلس التعاون الخليجي، من أجل فهم وتحليل المتغيرات المؤثرة في توظيف سياسات الهوية .

### و-3/ أسلوب السيناريو:

يتأسس هذا الأسلوب - وهو جزء من الدراسات المستقبلية- على بناء تصور مستقبلي لتطور الظاهرة، يأخذ شكل السيناريوهات المحتملة، إذ تعتمد هذه المقاربة الاحتمالية على توقع مسارات معينة، بناء على قراءة متغيرات الواقع وحقائق التاريخ، ورهانات المستقبل، إضافة إلى متغيرات صنع القرار الناظمة للخيارات الإستراتيجية .

تستدعي الدراسة المقاربة الاحتمالية في التعاطي مع السيناريوهات المستقبلية لتفاعل المسألة الطائفية ضمن السياق الخليجي، وما هي المتغيرات المتكّمة في توجهات الدولة تجاه هذه الظاهرة، كما تسعى لقراءة المؤشرات التي تُوحي بالمآلات المستقبلية لكيانية الدولة في الخليج، إذا استمرت العملية السياسية وأبعادها الاجتماعية وخياراتها الاقتصادية بهذا النسق في بيئة دولية متغيرة .

### ز/ أدبيات الدراسة :

نظرا لتأثيرات الطائفية ودورها في التأسيس للاستراتيجيات الدولية، وللأزمات الداخلية منذ انهيار الخلافة العثمانية، وتصورها كأزمة مزمنة، وصراع ممتد داخل المجتمعات العربية، ظهرت العديد من

الدراسات التي سعت لمقاربة الظاهرة نظرياً، وللبحث في دينامياتها الانقسامية، سعياً للخروج من مأزقها الأمنية. وزادت هذه الدراسات وتركزت بعد الانبعاث الطائفي الذي لازم الثورات العربية، وعملية التطييف التي استهدفت تفكيك الحراك المطالب أو الإصلاح. بناءً عليه توفرت مادة علمية معتبرة اعتمدت عليها الدراسة نعرض لبعض منها كالتالي :

### ز-1/باللغة العربية :

برهان غليون في كتابه **نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة**<sup>1</sup>، تطرق فيه الكاتب لمفهوم الطائفية من حيث كونها سلطة اجتماعية وسياسية، ونظاماً اجتماعياً ينتج الأفكار ويصوغ العلاقات، كما قارب المجتمع العصبي وعوامل تشكله التي يجدها في الحيز الذي يجعل المكونات تعتصب لهوياتها، بسبب السياسات الاستيعابية. كما عالج الكاتب دور الاستعمار والمرحلة الكولونيالية في التأسيس للحالة الطائفية، وتفكيك البنى المجتمعية، وختم الكتاب بالفصل الرابع الذي حاول فيه تحسُّس المسارات المفضية لتجاوز الأزمة الطائفية، في ظل الواقع العربي. ركز غليون في كتابه على نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وفترة ما بعد الكولونيالية المباشرة، كما عالج البحث تفاعلات الحالة الطائفية في المشرق العربي، ولم يتطرق إلى الحالة الخليجية، ربما لأن الأزمة كانت أكثر تجلياً في الحالة اللبنانية واستقطاباتها .

كتاب **عزمي بشارة المعنون بـ الطائفة، الطائفية، الطوائف المتخيلة**<sup>2</sup> والذي حاول فيه مقاربة الظاهرة نظرياً، ومتابعة دلالاتها المعرفية في المدارس البحثية الكلاسيكية والحديثة، كما سعى بشارة للتطرق إلى جانب الإدراك ودوره في صناعة الحيز المُتخيل للجماعات، ورسم الحدود الفاصلة بينها، إضافة إلى البحث في مسار التمذهب والتطييف كعملية مقصودة وتراكمية. ناقش بشارة فكرة توظيف المقاربة الخلدونية في دراسة الظاهرة الطائفية،

<sup>1</sup> - برهان غليون ، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة ،المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1990 . 212 صفحة.

<sup>2</sup> - بدر الابراهيم ومحمد الصادق، الحراك الشيعي في السعودية تسييس المذهب ومذهبة السياسة، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، ط1 ،

معتبراً أن العصبية لا تُعبر عن آلية عمل الطائفية، فإذا كانت العصبية - حسب رأيه- وسيلة للوصول للحكم، فإن الطائفية - كما أثبتت التجربة العربية الحديثة- وسيلة لتثبيت الحكم. في الأخير عرض المؤلف لتجارب عالمية في تجاوز الطائفية، ومنها التجربة الأيرلندية، وناقش إمكانية تطبيق نموذج الديمقراطية التوافقية على الحالة العراقية .

الباحثان بدر الإبراهيم ومحمد الصادق في دراستهما **الحراك الشيعي في السعودية: تسييس المذهب ومذهبة السياسة**، تناولتا تطورات المسألة الطائفية في السعودية وتشابكاتها الداخلية والإقليمية، من حيث آليات إنتاج الطائفية، واقتران ظهورها بسردية نشأة الدولة وعلاقتها بالحركة الوهابية. كما عرض الكتاب تطور الحركة الشيعية والتحويلات التي مست المجتمع الشيعي اقتصادياً وطبقياً وفكرياً، وتأثيرات الخارج في ظهور الحركات الشيعية، ثم قارب المؤلفان تطورات العلاقة بين السلطة والحركة الشيعية بين المواجهة وأسبابها، والانفتاح وسياقه، وصولاً لحالة الجمود التي تُعيد إنتاج الأزمة الطائفية. وختم الكاتبان مؤلفهما بالبحث عن آليات الخروج الآمن من الطائفية عبر الاندماج الوطني. اقتصرت الدراسة على الحالة السعودية وتفاعلاتها، لكنها تناولت روابطها الخليجية والإقليمية، وعبرت عن وضع مشابه للحالة الطائفية في بعض الأقطار الخليجية .

شحاتة محمد ناصر في مؤلفه **سياسات النظم الحاكمة في البحرين والكويت والسعودية في التعامل مع المطالب الشيعية (2003-2008) دراسة مقارنة<sup>1</sup>**، تطرق الكاتب للواقع الشيعي في الدول الثلاثة، مقارناً أوجه الشبه والاختلاف في الوزن الديمغرافي والتأثير والحالة الاقتصادية والاجتماعية. ومن ثم انطلق الكاتب في عرض التوجهات السياسية للأسر الحاكمة في البلدان الثلاثة مع الحالة الشيعية وتحدياتها، حيث صنف البحرين باعتبارها نمط القمع والانفتاح الحذر، والكويت نموذج الاحتواء والمشاركة، بينما العربية السعودية عيّرت عن نمط الإقصاء والتهميش. حاول الباحث دراسة الحالات الثلاثة

1- شحاتة محمد ناصر، سياسات النظم الحاكمة في البحرين والكويت والعربية السعودية في التعامل مع المطالب الشيعية (2003-2008): دراسة مقارنة ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011. 433 صفحة .

انطلاقاً من الأسباب الموضوعية التي دفعت إلى تنامي الظاهرة الشيعية وتداعياتها، ومآلات التوجهات السلطوية تجاهها. انحصرت دراسة شحاتة محمد ناصر، في ثلاثة من بلدان مجلس التعاون الخليجي، وهي البلدان التي تشهد أكثر حالات التآزم الطائفي، والحضور الواضح ديمغرافيا وعمليا للحالة الشيعية .

الدراسة المعنونة بـ **المسألة الطائفية بحث عن تفسير خارج الصندوق المذهبي**<sup>1</sup> للباحث **توفيق السيف** تجادل الورقة -التي قُدمت لمؤتمر الوحدة الإسلامية وديعة محمد صلى الله عليه وسلم- أن الصراعات الطائفية هي في حقيقتها توترات اجتماعية وإثنية وسياسية، ترجع أسبابها لمتغيرات اقتصادية ومجتمعية، وتتلبس بالمذهب أو الدين أو الطبقة أو القومية. والحلول لتجاوز المسألة الطائفية يجب أن تتمثل في الإصلاح السياسي والدستوري، وفي التوزيع العادل للثروة، وفي التأسيس لثقافة اجتماعية وسياسية تعايشية. طرحت الورقة الظاهرة الطائفية وتحدياتها من الجانب العام دون التعرض لحالة معينة، باعتبارها ظاهرة ملحّة في الراهن العربي، كما ركزت على البحث عن مسارات الانعتاق من المآزق الطائفي .

ز-2/ باللغة الأجنبية :

كتاب الخليج الطائفي : البحرين والسعودية والربيع العربي الذي لم يكتمل **Sectarian Gulf : Bahrain and Saudi Arabia, and the Arab spring that wasn't**<sup>2</sup> تناول الكاتب توبي ماتيسن Toby Matthison في كتابه توظيفات الطائفية في السياق الخليجي، لمواجهة تحديات الربيع العربي على الأسر الحاكمة، حيث عملت الأخيرة على تجزئة الحراك المطلي الذي خرج في مظاهرات، أو تجلى في بيانات وعرائض تطالب بالإصلاح والانفتاح، تأثراً بالجو العام الذي رافق بدايات الثورات العربية. أدت عملية التطييف التي

1- توفيق السيف ، المسألة الطائفية بحث عن تفسير خارج الصندوق المذهبي ،مؤتمر الوحدة الإسلامية وديعة محمد صلى الله عليه و سلم ، مملكة البحرين ، 28 إلى 30 ديسمبر 2007 . 20 صفحة .

2 - Toby Matthiesen, Sectarian Gulf: Bahrain, Saudi Arabia and the Arab Spring That Wasn't, Stanford University Press , 2013 .P 191 .



انتهجتها السُّلط الخليجية إلى تفكيك الحراك الشعبي، وأعدت إنتاج النظام السياسي وآلياته الاجتماعية. يُركز الكتاب على البحرين والسعودية، لكنه يقارب كل دول مجلس التعاون في بقية فصوله، سواء في سياقها السياسي الذي أحدثه الربيع العربي، أو في تعاملها مع ضغوطات الداخل والخارج، عبر سياسات الهوية الطائفية. يقتصر البحث على إدارة الطائفية في مرحلة الانتفاضات العربية، أين برزت العوائد الإستراتيجية لعملية التطييف، على مستوى السياسة الداخلية، وأيضاً على التوجهات الخارجية .

مضاوي الرشيد **Madawi Al-Rasheed** في دراستها الموسومة بـ الطائفية كثورة

مضادة: الاستجابة السعودية للربيع العربي : **Sectarianism as Counter revolution** :  
**Saudi Reponses to the Arab spring**<sup>1</sup> رصدت تطويع المسألة الطائفية في مواجهة الموجة الشعبية المتجاوزة للانتماءات الفرعية، ومطالب الإصلاح التي لم تقتصر على المكون الشيعي، مثلت الطائفية حسب الدكتورة مضاوي فرصة للنظام من أجل اتهام الحركة المطالبة بأنها نتيجة لمؤامرة تستهدف السعودية، وأن المكوّن الشيعي هو امتداد للدور الإيراني. كما اعتمدت السلطة عملية التطييف كرسالة للمكون السنّي أن الوضع لا يسمح بمزيد من الإصلاح في ظل الاستهداف الطائفي للمملكة. لم تقتصر عملية التطييف على الجانب السياسي، بل استُخدمت للتغطية على التراجع الاقتصادي والأزمة المتعاضمة، في ظل تقلص الفوائض الربيعية. رغم أن دراسة مضاوي الرشيد تستهدف الوضع السعودي وطرائق تسخير الطائفية مع مثال الربيع العربي، إلا أن البحث يمكن إسقاطه على بعض أقطار المجلس، التي اعتمدت تحريك الانتماءات الأولية لمواجهة الربيع العربي .

### ح/ صعوبات الدراسة :

رغم توفر مادة علمية معتبرة، تناولت الطائفية من مختلف جوانبها، باعتبارها ظاهرة لازمت الدولة العربية المعاصرة، إلا أن إعداد البحث واجهته صعوبات لعل أهمها :

<sup>1</sup> - Madawi Al-Rasheed, Sectarianism as Counter Revolution: Saudi Reponses to the arab spring, Studies in Ethnicity and Nationalism: Vol. 11, No. 3, 2011.(P513-P526).

تفُلت متغيرات الظاهرة، نظرا لجورها السائل والمتشابه مع مفاهيم وحقول معرفية عديدة، وهذا راجع لكون الطائفية تجد روافدها من مباحث شتى، وتعكس ظواهر مختلفة .

أغلب الدراسات تناولت المسألة الطائفية في المشرق العربي، أو كانت مقارنة الظاهرة عامة يطغى عليها الجانب النظري، فالمواضيع التي تستهدف الواقع الخليجي وتفاعلاته الطائفية تضيق نوعا ما .

كان الامتداد الجغرافي لميدان البحث من أهم الصعوبات التي اعترت الدراسة، مع العلم أن الطائفية لا تأخذ ذات التأثير، ورغم أهمية هذه المقاربة الشاملة للواقع الخليجي، والتي تتيح التعرف على تنوعات الطائفية وتأثيراتها المتباينة، ومقارنتها بغرض الوصول لنتائج تناسب الحالة الخليجية، إلا أن هذا شنت البحث، وأبعده عن التركيز والتعمق في خصوصية كل سياق خليجي، والبحث في جزئياته الدقيقة.

الوصول إلى الإحصائيات والنسب الصادقة لديموغرافيا الطوائف والتشكيلات الاجتماعية، والمؤشرات التي تُدلل على وضعها السيسيو-سياسي، ككتلتها العددية، والاستفادة من مقدرات الدولة، ونسب التمثيل السياسي والإداري.. إلخ، مثلت تحدي كبير أمام انجاز الدراسة، إذ أن الهيئات الحكومية الإحصائية لا تُقدم تفاصيل عن هذه المتغيرات، إضافة إلى ندرة الدراسات التي تتناولها، رغم محاولة الباحث الاتصال بالهيئات الحكومية المعنية، من أجل تحديث المؤشرات، لكن دون استجابة .

يمكن اعتبار المسألة الطائفية أحد الطابوهات في الكثير من الأقطار الخليجية، وهذا الواقع كان من المشاق التي لازمت البحث في الموضوع. إذ إن هذا الإدراك ناجم عن حالة النكران في التعاطي مع المسألة الطائفية، وعدم الاعتراف بكونها أزمة تستلزم البحث، وما يزيد توعُر هذه التحديات، البيئة السياسية المغلقة، حيث يُعامل مع تناول البنية الطائفية وواقع مكوناتها على أنه تثوير للسياق الداخلي، ومشروع فتنة تكرر السلم الأهلي.

ح- هيكلة الدراسة:

تتهيكّل الدراسة في مقدمة وأربعة فصول تليها خاتمة :

**الفصل الأول :** يسعى لتقديم مقارنة مفاهيمية وتاريخية ونظرية للمسألة الطائفية، وينقسم بدوره إلى أربعة مباحث يتناول الأول الطائفية كمفهوم بحثاً في أصل المصطلح. بينما يسعى المبحث الثاني لتتبع مسارات تشكل الظاهرة الطائفية، كيف تنشأ ومما تتشكل؟. يتناول الثالث المراحل التاريخية التي ساهمت في تشكل الطوائف، كما يتناول القراءات الاستشراقية للتاريخ الإسلامي باعتباره تاريخ طوائف ، وكيف انعكست هذه القراءات في السياسات التي تستهدف العالم العربي والإسلامي وإشكالاته. أما الرابع فيحاول عرض المقاربات النظرية التي تحاول تفسير بعض جوانب الظاهرة الطائفية.

**أما الفصل الثاني** فيسعى لفهم البنية الديمغرافية والسياسية في دول مجلس التعاون الخليجي : قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم. في مبحثين، فالأول يحاول أن يقارب البناء الاجتماعي والانتشار الجغرافي للطوائف ونسبها في كل قطر خليجي، بينما يتعرض الثاني لتناول الفكر السياسي السائد في مشيخات الخليج وآليات عمل دولها .

**أما الفصل الثالث:** الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف: قراءة في التوجهات المشتركة والتمايز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون، حيث يسعى هذا الفصل في مبحثه الأول لعرض القواسم المشتركة لتوجهات سياسات الهوية، بينما يعرض في المباحث الأربعة الموالية لمعالجة كل حالة على حدة .

**وفي الفصل الرابع:** يكشف البحث التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في آثارها على مستقبل دول الخليج. من خلال مبحثين يحاول الفصل في أولهما أن يقارب التفاعلات الإقليمية للاستراتيجيات الطائفية في الخليج والمشرق العربي، في حين يعرض الثاني للحلول الممكنة للخروج من المأزق الطائفي، وإمكانات تطبيقها، والمآلات المحتملة للدولة والهويات في الخليج العربي.

الفصل الأول :

مقاربة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

### توطئة :

الطائفية ظاهرة تختزن دلالات مفاهيمية تحمل تأويلات عدة، ما يجعلها ساحة لتقاطع حقول معرفية متميزة، تشتبك أدواتها، سعياً لتقديم فهم لمكونات هذه الظاهرة المركبة التي تشكلت عبر مسارات تاريخية متشعبة، كان للسياقات الاجتماعية - السياسية التي ولّدتها أثر في تمثّلاتها. بناء عليه يسعى هذا الفصل للبحث في الإطار المفاهيمي للظاهرة الطائفية، وجذوره اللغوية، ودلالاته الاصطلاحية، وتحليلاته المتنوعة. إضافة إلى رصد مراحل تخلُّق الظاهرة، من خلال استنطاق المتغيرات الفاعلة في تشكيلها، ومسارات تطورها كهوية فاعلة.

يسعى الفصل كذلك لاستقراء المراحل التاريخية المفصلية في تشكل الطائفية، كظاهرة وممارسة، عبر النظر في سياق نشوء الفرق والنحل والجماعات ذات المنزع الطائفي. كما ينظر في اتجاهات المستشرقين في تناول المسألة الطائفية وتوظيفاتها الكولنيالية، باعتبارها ظاهرة جوهرية أصلية في المجتمعات المسلمة.

وأخيراً يعرض الفصل لبعض المقاربات النظرية، التي تملك إمكانات تفسيرية، قادرة على تقديم طرح نظري يفكك الظاهرة، ويوضح آليات عملها من خلال منظومات نظرية ذات خلفيات معرفية، وسياقات زمنية متنوعة، تحاول كل واحدة منها لمعالجة أحد أبعاد الظاهرة. وهذا من أجل استدعاء أدواتها التحليلية في التعاطي مع الحالة الخليجية، ومقاربتها نظرياً. ويتضمن الفصل المباحث الآتية :

**المبحث الأول/ الإطار المفاهيمي للمسألة الطائفية.**

**المبحث الثاني/ مسارات التشكل: من الافتراق الاعتقادي إلى سرديات المؤسسة الطائفية .**

**المبحث الثالث/ تاريخ المسألة الطائفية: من تراكمات المسار المدرسي للفرق الكلامية إلى البنى**

**الطائفية المستقلة**

**المبحث الرابع/ المقاربات النظرية وقراءاتها المعرفية للظاهرة الطائفية**

### المبحث الأول/ الإطار المفاهيمي للمسألة الطائفية

إن التأصيل المفاهيمي للظواهر، يُمكن من توضيح حمولتها المعرفية، وتفكيك مضامينها، ويساعد على فهم أكبر لآليات عملها وتطورها، وعليه يهدف هذا المبحث للحفر في أصل مفهوم الطائفية لغة واصطلاحاً، بغية تقديم فهم يحصر الظاهرة، ويحد من تشعباتها، وتشابكها مع المفاهيم المقاربة.

### المطلب الأول : الطائفة والطائفية .. في استقصاء الجذر اللغوي .

اشتقت الطائفية من الطائفة. ولا يسعنا فهم الأولى دون البحث في الثانية، باعتبارها مسوغ الممارسة الطائفية، ولانتفاء الأخيرة بانتفاء مكون الطائفة، كحيز اجتماعي يدل على كيان مميز. إن فهم الجذر اللغوي للمصطلح يحيلنا إلى القراءات المتنوعة للمفهوم، ويساعدنا على استقراء التطور التاريخي لاستعمالاته ودلالاته.

اشتق مفهوم الطائفية من الجذر طاف، وهو فعل متحرك تجتمع معانيه حول الدوران، ثم تحول للدلالة على العدد القليل من البشر، حيث تدل اللفظة في مفهومها على العدد الذي يقل عن الألف شخص<sup>1</sup>. فهي مفهوم يشير إلى عدد قليل من البشر، إذ لا يتجاوز لغة الألف من الأفراد. ومن ثم فإن هذا المفهوم في جوهره يتضمن فكرة الأقلية العددية الصغيرة المتحركة في إطار الكل المشدودة إليه بغض النظر عن دينها أو عرقها أو لغتها<sup>2</sup>. وعليه يشتمل المصطلح في دلالاته اللغوية على الجماعة المحدودة عدداً، المتمركزة حول ذاتها، كما يحيل إلى الجزئية .

الطائفة في اللغة تعني الجزء، ورد في لسان العرب الطائفة من الشيء جزء منه، والجماعة والفرقة. جاء في المعجم الوسيط: الطائفة الجماعة والفرقة. وفي التنزيل **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا** " (الحجرات الآية 09). والطائفة جماعة من الناس يجمعهم مذهب أو رأي يمتازون به، يقول تعالى **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّنَّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ** " (القصص الآية 04)<sup>3</sup>. تحيل المعاني المعجمية إلى أن الطائفة رغم اكتفاءها بذاتها، وانكفاءها على رعاياها، تبقى جزء من كل متصلة به وتمايزة عنه في الوقت نفسه .

1 - يوسف الديني، الطائفية صحوة الفتنة النائمة، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الإمارات، ط3، 2011، ص 10.

2 - سناء سليمان، الطائفية المفهوم وإشكالاته ومخاطره، مجلة شؤون خليجية، العدد 47، خريف 2006، ص 61.

3 - ناصر الغزالي ، النزعة الطائفية تجلياتها و دورها في المجتمع السوري، متوفر على الرابط التالي :

<http://www.achr.eu/naser.tafeh.pdf>.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

قال مجاهد بن جبر: الطائفة الرجل إلى الألف، وقيل الرجل الواحد فما فوقه، وروي عنه أنه قال أقله رجل، وقال عطاء: أقله رجلان، يقال طائفة من الناس، وطائفة من الليل، وفي الحديث " لا تزال طائفة من أمتي على الحق "، وسئل إسحاق بن راهويه عنه فقال: الطائفة دون الألف، وفي حديث عمران بن حصين وغلामه الأبق لأقطعن منه طائفا أي بعض أطرافه<sup>1</sup>. مصطلح الطائفية مشتق من جذر متحرك فهو مأخوذ من طاف يطوف طوافا فهو طائف، فالبناء اللفظي يحمل معنى تحرك الجزء من الكل، دون أن ينفصل عنه، بل يتحرك في إطاره، ومثال ذلك قوله تعالى " فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ " التوبة 122.<sup>2</sup>

كما وردت في التنزيل " وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِأَنبِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا " (الإنسان 15). والطائف مدينة في الغور يقال إنما سميت طائفا للحائط الذي كان بني حولها في الجاهلية. ويقال أطاف به أو حوله: طرقه ليلا. و يقول سبحانه وتعالى " فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون " (القلم 19) ، ويقول أيضا " طوافون عليكم بعضكم على بعض " (النور 58) ، وقد وردت اللفظة في القرآن مفردة و مائة وعشرين مرة\*<sup>3</sup>. يلاحظ في الدلالة القرآنية للفظ الطائفة أنها دلالة وصفية لا معيارية لفئة هي جزء من كل، كما تظهر الآيات التي ترد فيها كلها<sup>4</sup>. حملت الدلالة القرآنية للفظ أغلب معانيه اللغوية، من حيث كون الطائفة جماعة متميزة، لكنها تطوف حول المركز الذي انفصلت عنه. ويكون المصطلح يدل على الحدود الطائفة على الحيز الذي يميز الجماعة، ويفصل بين الأنا والآخر، والداخل والخارج .

1 - يوسف الديني ، المرجع السابق ، ص 10

2 - طه جابر العلواني ، العراق الحديث بين الثوابت والمتغيرات ، القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ، 2004، ص 61.

3 - أحمد بيبسون، مصطلحا طائفة و طائفية: ترسيم لنسبهما الدلالي على نية المترجمين، مجلة بدايات ، العددان 3 و 4 خريف 2012، شتاء 2013 ، ص ص، 2-3.

4 - عزمي بشارة، مدخل لفهم المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في المشرق الكبير، مجلة عمران، العدد 11، شتاء 2015، ص 08.  
\* الآيات: " وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكُفِرُوا آخَرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ " آل عمران الآية 72 " إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ " آل عمران 122 .  
" ثُمَّ أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ النِّعَمِ أَمَنَةٌ نَّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ " النساء 81 الآية .

" وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ " النساء الآية 102 .

" وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضَلُّوكَ وَمَا يُضَلُّونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا " النساء الآية 113 .

" وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ " الأعراف الآية 87 " فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُواكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تُخْرَجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْفُجُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ " التوبة 83 .

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

وعلى الرغم من مثول معنى الافتراق في الطائفة، أي التمايز بحال من الأحوال، أو بفعل من الأفعال، فإن هذا الاسم لم يفرض نفسه في التراث الإسلامي اسما اصطلاحيا للفرق التي يتفرق بينها أهل الملل، بما فيه الإسلام نفسه، وإنما بقي غالبا على اللفظة في هذا الحقل الدلالي معناها اللغوي، أو المعنى المراد في الآية والحديث<sup>1</sup>. حيث يحمل كل سياق تاريخي دلالاته المميزة، خاصة وأن اللفظة حمالة معاني .

يلاحظ أن المادة المعجمية طُوف تكشف عن استعمال عام يتمحور حول ثلاثة معان رئيسة مرتبطة بالدلالات الاصطلاحية لمفهوم الطائفية :<sup>2</sup>

- 1- الحركة الدائرية: التي تقابل بفعل التضامن والتفافر والالتحام، كما تحيل إلى معاني الانغلاق على ما هو داخل الدائرة، وتمايزا عن ما يقع خارجها.
- 2- جماعة من الناس أو فرقة.
- 3- القطعة من الشيء .

الطائفة في الفرنسية Communauté وفي الانجليزية Community وفي اللاتينية Communitas، الطائفة هي الجماعة وتطلق على جماعة من الناس، يجمعهم مذهب واحد، أو رأي واحد، أو مصلحة مشتركة، أو معتقد واحد، كالطوائف الدينية، وتطلق الطائفة أيضا على الفرقة. والطائفية هي التعصب لطائفة معينة<sup>3</sup>. فالسياق الدلالي الذي احتضن مصطلح الطائفية في الثقافة العربية اختلف عن سياقه الغربي الأوربي. ففي اللغة العربية ليس لمصطلح "طائفة" معنى سلبي، فهي تعني الجماعة من الناس فحسب، ويتقاطع هذا المصطلح مع مصطلحات أخرى من قبيل نحلة، فرقة، جماعة، عُصبة، عشيرة، ملة، قبيلة. أما في الثقافة الغربية فمصطلح SECTA اللاتيني المشتق من SEQUI يحيل على معنى التبعية، ومنه اشتق المصطلح الفرنسي SECTARISME والانجليزي SECTARIANISM، وأخذ المصطلح دلالات سلبية، إذ إن كلا المصطلحين لهما معنى سلبي تحقيري، للتدبير بمواقف لا تقبلها الحضارة المعاصرة<sup>4</sup>. لم يحمل السياق العربي لفظ الطائفة دلالاته السلبية، لأنه دل على كتلة اجتماعية،

1 - أحمد بيضون ، المرجع السابق ، ص 03.

2 - أمبارك حامدي ، الطائفية في اللغة والاصطلاح ،سلسلة ملفات بحثية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، الرباط ، يوليو 2016 ، ص 87.

3 - جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، ج 2 ، بيروت ، 1982 ، ص 7.

4 - علي بن مبارك ، الطائفية ومقومات الخطاب الطائفي : تأملات واستشرافات ، سلسلة ملفات بحثية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، الرباط ، يوليو 2016 ، ص 47.



## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

ولم يكن يحيل إلى ممارسة سلوكية محورها الجماعة التي تُنتج الطائفية. أما في السياق الغربي فكان تصنيفا يعكس صراعات اجتماعية ودينية .

أصل SECT في اللاتينية من SECTA من القرن الثالث قبل الميلاد، وكان استخدامها حياديا، وتعلق بإتباع فكرة فلسفية أو دينية أو غيرها، أما في اليونانية HAIREISIS، فتعني الاختيار، ثم أصبحت تعني تيارا فكريا أو دينيا مرادفة لـ SECTA، فأصبحت تحمل معاني سلبية من منظور الكنيسة، و منها الهرطقة<sup>1</sup>. كما ينسب الأصل الإيتيمولوجي لكلمة طائفة للمفردة اللاتينية SECARE والتي تعني قطع أو فصل، أو من كلمة SEQUI التي تعني المتابعة، ولعل مضمون اللفظتين يعبر عن جوهر الطائفة، بما هي منفصلة عن مجموعة أكبر، والتابعة لسيد أو قائد روحي<sup>2</sup>. والمعاني الغربية للمفهوم عكست تصنيفات الكنيسة، وما تركته من حمولات سلبية تصم المنتسب إلى هذه الجماعة/ الجماعات المختلفة. كما عكس المعنى علاقة الكنيسة بمخالفها المنشقين عن حيزها .

تُشكّل الطائفة حسب غوستاف لوبون Gustave Le Bon المرحلة الأولى من مراحل تشكل الجماهير المتجانسة، فهي تحتوي على أفراد من ثقافات ومهن وأوساط مختلفة جدا أحيانا، وليس بينها رابطة إلا العقيدة والإيمان، كالتوائف الدينية والسياسية<sup>3</sup>. وعليه تتأسس الجماعة على فكرة تكون قطبا تتمحور حوله جماعات وطبقات وأعراف، لتشكل الكتلة الجديدة، مع ما للفكرة الدينية من قوة حشد.

تبنت الصوفية لفظ الطائفة في وصف الجماعة، وكان الجُنيد\* (ت 298هـ) يكنى بسيد الطائفة، وبهذا المعنى استخدمه ابن عربي في الفتوحات المكية. كانت الطائفة بـ " ال " التعريف، من حيث تخصصها أما من دون "ال" فقد ظلت تعني "قئة من.."<sup>4</sup>. يلاحظ أن لفظة طائفة تتميز بجملة سمات منها:<sup>5</sup>

- غياب الأحكام المعيارية (مؤمن، غير مؤمن).

1 - عزمي بشارة ، الطائفة و الطائفية: من اللفظ و دلالاته المتبدلة إلى المصطلح السيسولوجي التحليلي ، مجلة عمران ، العدد23 ، شتاء 2018 ، ص 14.

2 - Antoine Thiard , Le Phénomène Sectaire - Mal de Fin de Siècle , Bulletin La Jaune et la rouge , Mai 1996 , "P 33 .

3 - غوستاف لوبون ، سيكولوجيا الجماهير، (ترجمة : هاشم صالح) ، دار الساقى، بيروت، الطبعة الأولى ، 1991، ص 160.

4 - عزمي بشارة، الطائفة و الطائفية: من اللفظ ودلالاته المتبدلة إلى المصطلح السيسولوجي التحليلي ، المرجع السابق، ص 09

\* - الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي القواريري الخزاز أبو القاسم (221هـ - 298هـ) ، وصفه ابن تيمية في كتابه مجموع الفتاوى بأنه " سيد الطائفة إمام هدى " أنظر : ربيعة سحنون ، سيد الطائفة الجنيد البغدادي ، متوفر على الرابط التالي :

<http://www.aljounaid.ma/Article.aspx?C=5583>

5 - أمبارك حامدي ، مرجع سابق ، ص 87.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

- غياب التحديد ( عالم الإنسان، الحيوان، الظواهر الطبيعية ).
- دلالتها لطابع الجزئية .

بعد هذا العرض للدلالات المعجمية للفظ الطائفة وتطورها، والتي هي الأصل اللغوي لمفردة الطائفية محل البحث. نخلص إلى أنها تعني الجزء من الكل المرتبط به، والتمايز عنه في ذات السياق. وأنها لم تحمل دلالات سلبية أو قيمية إلا باقترانها بالممارسة الطائفية التي نعرض لاستكناه مفهومها في العنصر الموالي .

### المطلب الثاني : إيتيمولوجيا الطائفية : في تحسس الدلالة المعرفية للمفهوم

تنوع روافد الطائفية يعكس دلالة مفهومها كظاهرة إنسانية، بحيث لا يمكن حصر قراءة المفهوم من خلال أدبيات حقل معرفي واحد، نظرا لتشعباتها الناتجة عن بواعثها المختلفة، وبفعل تداعياتها المركبة. وعليه يحاول هذا العنصر - قدر المستطاع - عرض القراءات المتنوعة لدلالة المفهوم، بما يُمكن من فهم أشمل للظاهرة الطائفية .

تتجاذب مصطلح الطائفية حقول معرفية متعددة، منها حقل المباحث النفسية، حيث للسلوك الطائفي دوافع دفينية، وردود أفعال فردية وجماعية نمطية. وحقل العلوم السياسية، بما هو آلية من آليات التنافس السياسي والحزبي للاستئثار بالسلطة. وحقل البحث الديني بوصفه فهما مخصوصا للدين به يتميز أصحابه في عقائدهم، وعباداتهم ورموزهم عن غيرهم من المذاهب والنحل<sup>1</sup>. إن الاستسلام لقراءة حقل معرفي للظاهرة، يحد من الفهم الأشمل لها، وينعكس سلبا على طرائق مواجهتها. فالطائفية نتاج تفاعل ظواهر عدة داخل البناء الاجتماعي .

مُزج مفهوم الطائفة ذات المكون العددي مع مفاهيم أخرى ذات مضمون فكري أو فلسفي أو عرقي أو مذهبي أو ديني، فتحوّل إلى ما يشبه "المصدر الصناعي" في لغتنا ليفيد معنى الفاعلية الخاصة بالأقلية العددية، والمنفصلة عن فاعلية الأمة، وبذلك أصبح مفهوم الطائفة يستخدم بديلا لمفاهيم الملة والعرق والدين، واختلطت هذه المفاهيم جميعا في بيئة متأزمة فكريا وسياسيا، فأنتجت مفهوم "الطائفية" كتعبير عن حالة أزمة، حيث تحول الجزء إلى كل، والبعض إلى كيان مستقل، وأصبحت الطائفية مذهبا

<sup>1</sup> - امبارك الحامدي ، مرجع سابق ، ص 85.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

وأيدولوجية وهوية، حلت محل الهويات الأخرى والانتماءات الأعلى، بل وبدأت تتعالى عليها، وقد تبدي الاستعداد للتقاطع معها، وأخذ موقعها<sup>1</sup>.

مصدر الخلط النظري حول مفهوم الطائفية مرده أن الفكرة القومية المنقولة إلى الثقافة العربية من الأدبيات الغربية ارتبطت بفكرة التجانس الاجتماعي، مما جعل القوميون ينظرون لفكرة التعددية والإثنية، عقبة أمام تشكل وعي قومي يتجاوز الانتماءات الفرعية<sup>2</sup>. إن هذه الفكرة نتاج لصدمة الدولة العربية في مرحلة ما بعد الإمبراطورية العثمانية، وبفعل التوازنات التي أسستها الكولنيالية في تقسيم مناطق النفوذ، عبر تحويل الطوائف والإثنيات إلى وكلاء. هذه الخبرة التاريخية انعكست على تعاطي النخب الحاكمة مع الطوائف، والسعي نحو خيار البونقة الصاهرة .

فهي عملية نشطة أنتجها فاعلون سياسيون في سياقات محدودة، بغية تحقيق أهداف سياسية، تتضمن التعبئة الجماهيرية حول هوية معينة. كما تُمثل التناقضات الطبقية، وفشل الدولة، والمنافسات الجيوسياسية محفزات لعملية التطييف<sup>3</sup>. استثمرت في جعل التشكيلات الطائفية قوى تفكيك ضد الدولة والمجتمع، واستنزافهما في الصراعات الممتدة .

الطائفية مفهوم يرتبط بالعلاقات الخاصة لجماعة معينة تستند في اجتماعها وارتباطها على أساس ديني أو ثقافي أو مذهبي معين، وتبرز فيها المصالح المشتركة، والقيم الخاصة والهوية والانتماء لهذه الجماعة، وتتصاعد فيها فكرة الطائفية إلى حالة من التقسيم الاجتماعي حسب المذهب<sup>4</sup>. يقارب هذا الطرح مفهوم الطائفية باعتبارها نتاجا لتنافس الجماعات حول الموارد، والمصالح، ومساحة الحيز والنفوذ.

### 1/ الطائفية كبنية شعورية ..مقاربة نفسية للظاهرة

الطائفية ممارسة، وكل ممارسة هي نتاج لإدراك يُوّطرها، والإدراك تصنعه الاستعدادات والتجربة والخلفية، وتفاعلها مع الواقع. لذلك، فإن مقارنة المفهوم من الجانب النفسي، تمكن من الكشف عن أبعاد أعمق، قد تحيلنا إلى فهم السلوك الطائفي على مستوى الفرد والجماعة.

1 - طه جابر العلواني ، الانقسامات الطائفية و آثارها المستقبلية ، متوفر على الرابط التالي :

<http://www.alhiwartoday.net/node/3452>

2 - برهان غليون، نقد مفهوم الطائفية ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/3JU9k>

3 - Nader Hashemi and Danny Postel, Sectarianization: Mapping the new politics of the middle east, The review of Faith and international affairs, V15, N°03, Fall 2017, P03.

4 - حميد فاضل حسن ، إشكالية الطائفية السياسية في العراق بين الاستمرارية والانكفائية، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد 32، 2006، ص 184.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

ترتكز الكثير من التعريفات لمفهوم الطائفية حول الذهنية الطائفية، أو الممارسة الاجتماعية للأفراد والجماعات الذين ينتمون للطوائف<sup>1</sup>، والطائفية نموذج من الاتجاهات النفسية التعصبية، تتخذ كل سمات الاتجاه، من حيث تكونها ونشأتها، وقوة تأثيرها على السلوك، حيال الذات والآخرين<sup>2</sup>. ففي بعض معانيها تمثل بنية ذهنية عُصبوية، لأن مبنائها على فكرة أن الطائفية هي ابتداءً رابطة روحية تولد تضامناً، أو علاقات تضامنية بين من ينتسبون إليها<sup>3</sup>. وعليه فهذه التعريفات تقارب الطائفية باعتبارها وعياً جمعياً يطبع إدراك الأفراد وتعصبهم للجماعة .

الطائفية ميل فردي أو اجتماعي إلى تفضيل مدرسة فقهية، أو تفسير محدد لدين أو مذهب. يأخذ - بتأثير ظروف اقتصادية وسياسية- صفة تعصبية، تتداخل مع مفهوم اعتبار الذات في تفضيل أبناء المذهب أو الدين نفسه على غيرهم. وقد تتصاعد هذه الميول أحياناً إلى حد تتخذ فيه أشكالاً عدوانية، ويكون هناك ميل إلى النبذ والرفض، وحتى العزلة، أي هي نتاج تفاعل عوامل سياسية اقتصادية اجتماعية، ذات مساس مباشر بحياة الفرد اليومية، امتزجت مع تهديدات أمنية للهوية الثقافية للمجتمع، لتشكل توجهات اجتماعية تعصبية نحو الآخرين، الذين يختلف معهم الطائفي في تفسير الشريعة أو المعتقدات الدينية<sup>4</sup>. يقارب هذا المفهوم الطائفية كسلوك تعسبي، مبعثه حالة ذهنية متأتية من فهم خاص للدين، أو تفضيلات مذهبية معينة وتفاعلها مع الواقع، وما قد ينجر عنها من عدوانية واستبعاد أو احتراب مع الآخر الطائفي " المختلف " والمنافس .

الطائفية حالة نفسية قوامها شعور الفرد أنه ابن طائفته قبل أن يكون مواطناً، وشعوره بالتضامن مع أبناء طائفته، والتباعد عن باقي مواطنيه<sup>5</sup>. فالانتماء عنصر مهم في الممارسة الطائفية، حيث أنه كشعور يمثل لحمة الطائفة، ويجمع أفرادها حول فكرة ينتمون إليها، ويتراكم هذا الشعور عبر التنشئة التي قد تعزز الذات عبر نفي الآخر .

1 - عبد المجيد سويلم، الطائفية من منظور مختلف، مجلة تسامح، مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، العدد 5، مارس 2007، 107.  
2 - موسى الحسيني، الطائفية في الوطن العربي أسبابها ومظاهرها العراق نموذجاً، القاهرة، شمس للنشر، 2017، ص ، ص 34.  
3 - عبد الإله بلقزيز وآخرون، الطائفية والتسامح والعدالة الانتقالية من الفتننة إلى دولة القانون، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، 2013 ، ص 09.  
4 - موسى الحسيني ، مرجع سابق ، ص 195.  
5 - حسام كصاي ، إشكالية الطائفية في الفكر العربي المعاصر : أليات الخروج الأمن للعرب من نفق التطرف ،صفحات للنشر والتوزيع ، دمشق، 2016 ، ص 20.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

الطائفية هي الجانب الانفعالي لمصدر التسمية الطائفية، الذي يشير للانحياز في الولاء إلى الجماعة، أي الطائفة التي ينتمي إليها المعني، والسير مع من فيها، والتعصب بالضد من الأخرى<sup>1</sup>. تولّد هذه العصبية رابطة اجتماعية سيكولوجية شعورية ولا شعورية، قائمة على القرابة، تربط أفراد جماعة ما ربطاً مستمراً، يبرز و يشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد كأفراد، أو كجماعة<sup>2</sup>. لا يمكن تجاهل أهمية المقاربة النفسية للظاهرة الطائفية، حيث أن السلوك الطائفي يتجلى في ممارسات الأفراد والجماعات مع الآخر. وهذه الممارسة تضبطها الحالة الذهنية والنفسية، التي تشكلت بفعل تراكمات التنشئة والموروث والسرديات المؤسسة للجماعة، والتي تصوغ وعي أفرادها تجاه الطائفة وتجاه مخالفيها. وتتحكم الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية في إبراز مستويات التفاعل سلبي أو إيجاباً.

### 2/ مفهوم الطائفية كنظام

إن عملية تشكل الطائفة لا تقتصر عن كونها تعبيراً عن قراءة مختلفة للنص الديني تجمع المؤمنين بها، بل تمتد لتكون مؤسسة شاملة، ونظاماً يؤطر رعاياها. تسعى الطائفة من خلال هذا التجلي للحفاظ على كينونتها في مقابل البنى الاجتماعية المنافسة، وهو ما يستدعي منها أن تكون مُنتجاً للطائفية عبر الفعل الخطابي، للحفاظ على نفوذها الاجتماعي.

الطائفة مؤسسة، وليست بنية ذهنية فحسب، إذ إنها تميل إلى مأسسة أنشطتها، وعلاقاتها كافة، من الأحوال الشخصية إلى التمثيل السياسي، مروراً بالنشاطات التربوية والاقتصادية، وبالحيات الروحية، وهذه المأسسة Institutionnalisation تجعل منها ما يشبه مجتمعا خاصا داخل المجتمع الوطني، تهدف إلى إعادة إنتاج الطائفة ككيان، ومؤسسة بالدين والتعليم والمصالح الاقتصادية، وصولاً إلى تحقيق مصالحها في السلطة والدولة<sup>3</sup>. هذا التشكل المؤسسي يستدعي خطاباً وتنشئة طائفية تختزل الفرد في نظام الطائفة، عبر التأكيد على الخصوصية، والسعي لحماية مصالح الطائفة.

الطائفة بنية، أما الطائفية فهي نظام سياسي واجتماعي يركز على معاملة الفرد كجزء من فئة دينية تنوب عنه في مواقفه السياسية، ويستتبع ذلك أن تتحكم الطائفة ب حياة الفرد الشخصية، وتحكمه وفق

1 - سعد العبيدي، دوامات المحنة، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2007، ص 137.

2- معتز سيد عبد الله، الاتجاهات التعصبية، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1989، ص 11.

3 - عبد الإله بلقزيز و آخرون، مرجع سابق، ص 10.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية لنظرية للمسألة الطائفية

قوانينها وشرائعها الدينية، والتي يقوم فيها رجال الدين بوظيفة الوسيط والحكم في آن معا، ومثل هذا النظام الطائفي يحرم الفرد من حقه في المساواة، ومن تعامله مع الدولة والمجتمع على أساس ديمقراطي<sup>1</sup>.

وسعيها منها للحفاظ على الروابط الاجتماعية وإعادة إنتاجها باستمرار، وتعظيم فوائدها المادية والرمزية. تميل الطوائف إلى مأسسة كياناتها الاجتماعية، بغية تجديد روابطها العصبوية، وقد تذهب المأسسة إلى قيام الطوائف بوظائف اقتصادية موازية لما تنهض به الدولة، بفعل سيطرتها على الموارد الضريبية الشرعية، حيث إن سلطة الطائفة الاجتماعية تتعزز بسلطتها الاقتصادية<sup>2</sup>. بهذا تصبح الطائفة ملاذا يترد إليه الأفراد لسد حاجاتهم، ولتوفير الحماية في ظل الحالة الهوبزية التي تستتبع فشل الدولة. في هذا الواقع يسحب النفوذ من الدولة لصالح الطائفة، ويعوض القانون بالمحاصصة الطائفية .

### 3/القراءات الاجتماعية للظاهرة الطائفية

إن المجتمع هو ساحة الطائفية، باعتباره البنية التي تتفاعل ضمنها المكونات المجتمعية. كما أنه المتأثر الأكبر بتداعياتها المركبة، على اعتبار أن الطائفية تستثمر في الانقسامات المجتمعية، وتسعى لتأكيد ديمومتها .

الطائفة في مستوى أول منها، رابطة ثقافية، عقديّة، روحية، تتأسس على الاعتقاد بانتماء جماعة إلى فكرة دينية أو مذهبية واحدة، تصهر أفرادها جميعا في بنية جمعية مشتركة، وتميزهم عن غيرهم من الجماعات الملتزمة على فكرة روحية مخالفة<sup>3</sup>. وكما أن الطائفة هي الكيان الذي يجمع رعاياها ومصالحهم وتنوعاتهم. فالمجتمع هو الحاضنة التي تتفاعل ضمنها الطوائف وتتنافس لتأكيد ذاتها ومصالحها، وقد تنوب عن أفرادها .

تذهب الكثير من هذه التعريفات إلى اعتبار الطائفية نوعا من التجمع الذي ينخرط أفرادها في علاقات يكون في أساسها تفرع ديني أو مقدّس، والطائفية بهذا المعنى تعتبر شكلا من أشكال التنظيم الاجتماعي، الذي ينشأ ويتطور في سياق الصراع بين الجماعات الدينية، وما يتولد عن هذا الصراع من ممارسات خصامية أو عدائية أو تناحرية تنطوي على درجات متفاوتة من الظلم والاضطهاد والتعسف<sup>4</sup>.

1 - ناصر الغزالي ، مرجع سابق.

2 - عبد الإله بلقزيز و آخرون ، مرجع سابق ، ص ص ، 79 ، 80.

3 - المرجع نفسه ، ص 79.

4 - عبد المجيد سويلم ، مرجع سابق ، ص 107.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

يحلينا هذا الطرح إلى اعتبار الطائفية نظاما اجتماعيا تولّده السياقات الخصامية، وما ينشأ عنها من استبعاد، يفرض على الطوائف خطابا انكفائيا يحفظ لحمتها الداخلية. وهذا ما توفره الطائفية .

المجتمع الطائفي هو المجتمع الذي يعاني نقصا فادحا في الاندماج الاجتماعي، والذي يقوم فيه نظام سياسي تقليدي يتكون نتيجة اختصاص أهلي طائفي ومذهبي للسلطة. أو الذي يتعايش مع بنى ومؤسسات عصبوية لا يستطيع مغالبتها أو إخضاعها لسلطة الدولة، لضعفه كنظام هش قائم على توازنات أهلية قلقية، أو مخافة اصطدامه بمجتمع أهلي مموّس على قواعد عصبوية، فهو مجتمع يغلب فيه الولاء للطائفة والمذهب على الولاء للوطن والدولة<sup>1</sup>.

### المطلب الثالث : الطائفية والمفاهيم المكافئة . .فرز للدلالات المعرفية

تشتبك الطائفية مع عدة مفاهيم، بحيث يصعب فرز الظاهرة في تداخلاتها، دون تحسس حدودها المعرفية، وتسليط الضوء على خصائصها المميزة عن باقي الظواهر التي تتقاطع معها. هذا العنصر يُمكن من فهم أعمق للمفهوم وللمفاهيم المقاربة .

يمكن تعريف الطائفية تعريفا تصاعديا متعددًا، من حيث هي ظاهرة مركبة من تكوينات ومستويات متعددة، بما هي ظاهرة ثقافية - أيديولوجية ابتداءً، وظاهرة اجتماعية - اقتصادية تالياً، ثم بما هي ظاهرة سياسية أخيراً. على أن ما تنطوي عليه من تركيب وتشابك في التكوين لا يقبل التبيين إلا متى أعدنا البنية المتمفصلة العناصر إلى وحداتها التكوينية الأولى<sup>2</sup>.

### 1 / العلاقة بين الطائفة والطائفية

يتداخل مفهومي الطائفة والطائفية بصورة يصعب معها تناول أي منهما دون التعرض للآخر، باعتبار الطائفية وليدة الطائفة ونتاج تفاعلها مع سياقها الاجتماعي والسياسي المحيط. لكن لا محالة من السعي نحو الفرز المعرفي بين الظاهرتين، بغرض فهم أشمل لكل مفهوم .

الفرقة أو الطائفة مجموعة من الناس وجدت نفسها في موقف معين يفصلها عن المحضن الأم، لكنها تظل تشترك مع الجسم الأكبر الذي انسلخت عنه في الرأي والاعتقاد، فالفرقة أو الطائفة جزء من

1 - عبد الإله بلقزيز ، مرجع سابق ، ص 11.

2 - المرجع نفسه ، ص 79.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

الجماعة، لها المرجع العقدي ذاته، ولكنها تنفرد بمقالة تخالف ما تواضع عليه الضمير الجمعي، دون القطع مع الجسم الأصلي<sup>1</sup>.

الطائفية مصدر مشتق من الطائفة التي تعني في الأساس مجموعة من الناس تربط بينها رابطة ما، كالنسب أو الدين أو المذهب الاعتقادي، أي كالقومية نسبة إلى القوم، والطائفية هي تمسك الجماعة أو الطائفة بمصالحها، ومنظومة قيمها المشتركة وتعصبها في الحق والباطل، وهنا يتقاطع مصطلح الطائفية مع مصطلح الأقلية وإلى حد ما مع الفتوية، والقبلية والعشائرية<sup>2</sup>. فالطائفة تُحيل إلى كيانية الجماعة، باعتبارها كتلة اجتماعية لها خصائصها المميزة، والطائفية ممارسة سلوكية تجاه باقي الطوائف، انطلاقاً من منظومة قيم تصوغ الوعي الجمعي لرعايا الطائفة .

يجب علينا أن نميز بين مفهومي الطائفة والطائفية، كما بين القبيلة والقبيلة، فالطائفة والقبيلة مفهومان يطابقان كينونة اجتماعية، تتميز بحضورها الاجتماعي، و تؤدي أدواراً ووظائف اجتماعية سابقة لتكوينات الدولة الحديثة، أما الطائفية فهي نزعة تعصبية، تجعل الفرد يقدم ولاءه الكلي أو الجزئي للقيم و التصورات الطائفية<sup>3</sup>. وهذه النزعة لا تخص الطوائف كمكونات اجتماعية فقط، بل هي لصيقة بكل البنى المجتمعية، من عرق أو دين أو مذهب أو قبيلة ..إلخ.

تشير الطائفية إلى استخدام التنوع الديني لتحقيق أهداف سياسية، أو اقتصادية، أو ثقافية، وعادة ما تصبح الطائفة بهذا المعنى تستخدم الدين كوسيلة لتحقيق أهداف دنيوية<sup>4</sup>. بغية الحشد الداخلي وتسيو السياسات الاستيعادية تجاه الآخرين، حيث تُحوّل الطائفة إلى جماعة وظيفية باستغلالها لتحقيق أهداف سلطوية، أو استعمالها كسلاح في الصراع الاجتماعي- السياسي .

بناء على التعريفات السابقة، والتي حاولت التعرض لمختلف جوانب الظاهرة الطائفية، ومسار تحويلها للتعدد المجتمعي للطوائف إلى سلوك طائفي. نستنتج أن الطائفة هي جماعة تنتمي إلى سياق حضاري ومجتمعي، لكنها تتميز عنه بخصوصيات اعتقادية. أما الطائفية فهي ممارسة الاختلاف، والاستثمار

1 - حزام عبد الواحد، البهائية هل هي فرقة أم طائفة أم عقيدة، سلسلة ملفات بحثية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، يوليو 2016، ص27.

2 - يوسف الديني، المرجع السابق، ص 11.

3 - علي أسعد وطفة، و آخرون، إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة، في الهوية وقضاياها المعاصرة في الوعي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، 2013، ص 170.

4 - فرهاد إبراهيم، الطائفية والسياسة في العالم العربي: نموذج الشيعة في العراق، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996، ص 24.



## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

في التمايزات الطائفية، إما بغرض التكبُّب سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا، أو نتيجة لتراكمات تاريخية، فالطائفة بنية سيولوجية تعددية، أما الطائفية فممارسة توظف هذه البنية .

### 2/ في العلاقة بين الطائفية والدين

يعتبر الدين الخامة الأولى لتشكّل الطوائف، عبر تبني سرديات دينية تخالف السائد، أو تقدم فهما مختلفا عن فهم الكتلة الأكبر، وبهذا التفسير يحدث الانشقاق المجتمعي، وتتشكل البنية للمكون الطائفي الجديد المتميز عن الأصل .

الطائفة الدينية قد تكون جماعة وربما تكون جماعة متخيلة، والمهم أنها جماعة هوية، تميز نفسها عبر الانتساب إلى العقيدة والمذهب، إذ تعدّه محددًا اجتماعيا وسياسيا ذا أهمية. وهي تتحول في المجتمعات المتدينة، والمتعددة الديانات في الوقت ذاته، إلى كيان اجتماعي وسياسي له دوره في المجال العمومي<sup>1</sup>. مستفيدة من ثقل الفكرة الدينية وأثرها، خاصة في المجتمعات التقليدية.

الطائفية عكس الدين، فبدل أن توظف السلطة والثروة من أجل تدعيم الروابط والتكافل بين الأفراد- وهي القيم التي تشكل جوهر الدعوة والقيم الدينية- تقوم بالعكس على استغلال اللحم الروحية من أجل زيادة السلطة وتحسين التقاسم الديني<sup>2</sup>. فالطائفية هي عملية توظيف للنص الديني بما يخدم النزعة الشقاقية، ويغذي الصراع من أجل مصالح الطائفة أو وكلائها، حيث توظف السردية الدينية لحفظ اللحمة داخل الجماعة، وأيضا لتبرير المواقف تجاه الآخر .

تستخدم أحيانا النزاعات الطائفية التي تطورت داخل الأديان لإثبات أن الدين غير متسامح دوما. ورغم أن هذه العداوات كانت لها انعكاسات سامة، إلا أنها هي الأخرى كانت مرتبطة دوما بأبعاد سياسية<sup>3</sup>. لأن الطائفية انتماء عسبوي إلى جماعة تجمعها رابطة العقيدة ( وليس بالضرورة الإيمان بهذه العقيدة وممارستها). ففي الطائفية عموما يتغلب التعصب للجماعة على التعصب للدين، وفي المذهبية والتدين يتغلب التعصب للمذهب أو للدين على التعصب للجماعة. ولكن غالبا ما يتقاطع التعصبان<sup>4</sup>.

1 - عزمي بشارة ، الطائفة والطائفية: من اللفظ و دلالاته المتبدلة إلى المصطلح السيسولوجي التحليلي ، مرجع سابق ، ص 23 .

2 - سناء سليمان ، المرجع السابق ، ص 66 .

3- كارين ارمسترونغ، حقول الدم: الدين وتاريخ العنف،(ترجمة: أسامة غاوجي)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2016، ص90.

4 - عزمي بشارة ، الطائفة والطائفية: من اللفظ ودلالاته المتبدلة إلى المصطلح السيسولوجي التحليلي ، مرجع سابق ، ص 8 .

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

تعرف الموسوعة السياسية التعصب الديني بأنه: التزمت والغلو في الحماس، والتمسك ضيق الأفق بعقيدة، أو فكرة دينية، مما يؤدي إلى الاستخفاف بآراء ومعتقدات الآخرين، ومحاربتها، والصراع ضدها وضد الذين يحملونها<sup>1</sup>. وهو ما تمارسه الطائفية عبر الفعل الخطابى في عملية التنشئة ضد المخالف، بغرض تحقير الآخر، وإثارة الانتماء التعصبى داخل الجماعة، خاصة إذا كانت محل تهديد .

الطائفية هي دعاوى دينية، تم تحريفها لتشكّل غطاءً زُهدياً وروحياً على مطامع ورغبات دنيوية. أي أن الظاهرة يجب أن ينظر لها -وتعالج- كحالات إحباط وفشل ومشاعر إحساس بالضعف<sup>2</sup>. حيث تقارب الطائفية كحالة ذهنية وموقف سيكولوجي، ينحو إلى إقصاء الآخر بتوظيف التباينات الطائفية أو الدينية للتورية على الموقف النفسى، والانفعالات التعصبية التي تسيطر على الأفراد.

ورغم أنها تعتمد في التعبئة على الدين فهي تشكل النفي المطلق للقيم الدينية، كما أنها تنوب عن الطائفة وكأنها كتلة واحدة، فالطائفة ليست بحاجة إلى الدين حتى تعمل على توظيف المجتمع المدني السياسى، بسبب بنيتها نفسها، فهي ظاهرة سياسية بالجوهر، ولا علاقة لها بالتمايز الثقافى، أو الفسيفسائى. وبالتالي الجوهر هو السياق أو النسق الذي توضع فيه هذه التمايزات الثقافية<sup>3</sup>. تعمل الطبقة السياسية على تطويع التمايزات ذات العوائد السلطوية، بغض النظر عن طبيعتها أو مآلات توظيفها، لذلك ففهم السياق يساعد على فهم أسباب التأزم والصراع، دون الاستسلام للتبريرات التي تربط الطائفية بالدين .

وبقدر ما تعكس فترة ظهور الأديان توسع الحضارة وتقدمها وانطلاقها، بانطلاق هذه الاندفاعة المعنوية المجردة والصارفية في مثالياتها، تعكس الطائفية تدهور الحضارة، وتترجم انحطاط الأخلاق واندثار المعنى<sup>4</sup>. الطائفية هي التوظيف السلبي للقيم الدينية، واعتمادها كآلية للشحن والتعصب بغية تحقيق مصالح ظرفية ، وهي في جوهرها تخالف القيم الدينية التي تُؤسّس على الأخوة والتآلف والتعارف، عبر تأكيدها على مسألة الحدود الاجتماعية بين الفرق والمذاهب، وتمييز ذاتها بنفي الآخر .

1 - عبد الوهاب الكيالى ، الموسوعة السياسية ، ج1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1979 ، ص768.

2 - موسى الحسيني ، مرجع سابق ، ص 200.

3 - سناء سليمان ، مرجع سابق ، ص 66.

4 - برهان غليون ، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة ، المركز الثقافى العربى ، بيروت ، ط1 ، 1990 ، ص 111.

### 3/ في العلاقة بين المذهبية والطائفية .

المذهب هو تمثل لحالة تذرر الكتلة الدينية من خلال تعدد المدارس والرؤى المعرفية، في تأويلها للنص الديني، وقد تمتد متلازمة التذرر، ليشهد المذهب بحد ذاته حالة التشطي والانشقاق إلى طوائف جديدة. يمثل المذهب الحالة المدرسية التي تقدم قراءات جديدة للنص، قد تنشأ عنها جماعات جديدة تتبنى هذه القراءة، لكنها تحافظ على تواصلها مع الحالة الجامعة .

توجد فروق كبيرة بين المذهبية والطائفية، فالأولى تعنى بالمذهب وفكرته وتصوراتهِ. أما الثانية فتعني من يدعو إلى تفضيل جماعة ومصالحها وموقعها، الأول يختص بالفكرة والنظرية، والثاني يختص بالواقع وبالجماعة، وبالتالي فالمذهبية اكتساب فكري مشاع، بينما الطائفية لا تكتسب بسهولة، فلا يكون المرء طائفيًا إلا إذا امتلك القدرة على إيقاع الأذى بطائفة معينة<sup>1</sup>. فالواضح أن مسألة "الجماعة" وحيزها ونفوذها وشعور الانتماء لها، تميز الطائفية أكثر من المذهب، الذي يخص اجتهادات مدرسية قد تعرف تعصبا لها، لكن إمكانية الحشد أقل مقارنة بالطائفية .

المذهبية ليست إلا الصورة، والبنية المصغرة للطائفية، إنها انشقاق داخل الانشقاق، وتذرر داخل بنية متذررة أصلا، فهي تتولد من الذهاب بعيدا في البحث عن عوامل التمايز، سعيا وراء ماهيات أكثر صفاء. إنها لا تختلف في النوع عن الطائفية، فللتين الديناميات الانقسامية والتفكيكية عينها، وإن كان الاختلاف في حجم التدايعات وامتدادها<sup>2</sup>. لا تحول الوحدة اسمية كانت أم مركبة دون نشوء التنازع والانقسام في صفوف الطائفة، وقد تتبع خطوط الشقاق خطوط التشكيلات الطبيعية أو التقليدية في الطائفة، من جهوية وعائلية أو عشائرية وما شابه، وقد تكون خارجة عن نطاق هذه العصبيات، فتحدث فيها صدوعا، فضلا عن تصديعها الجماعة الطائفية بأسرها<sup>3</sup>.

الانتماء المذهبي لا يعني الطائفية بالضرورة، لذلك يجدر بنا القول إن الطائفية هي استثمار للانتماء المذهبي على الصعيد الفكري والروحي، وبالتالي فهي لا تختلف عن التكوينات العشائرية والقبلية، إلا في

1 - حميد فاضل حسن ، مرجع سابق ، ص 185.

2 - عبد الإله بلقزيز ، مرجع سابق ، ص 11.

3 - أحمد بيضون ، للطائفية تاريخ في تشكل الطوائف وحدات سياسية ، في المسألة الطائفية و صناعة الأقليات في الوطن العربي ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، ط1 ، 2017 ، ص 68.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

عنوانها العام، الذي يتخذ من الانتماء المذهبي شعارا جامعا لأفراد الجماعة<sup>1</sup>. فالدينامية التي تُفَعِّل الانقسامية في الظاهرة الطائفية، بالإمكان تفعيلها في ما يخص المذهبية.

يشكل المذهب حالة تراكم الأفكار وتغير الاجتهادات الدينية الناتجة عن تفاعل النص مع ضرورات الحياة وتحولاتها، قد يتحول المذهب إلى دافع للتعصب والمذهبية، لكن هذا التحول محدود مقارنة بالطائفية، والتي تتأسس على فكرة الأنا الجمعي (الطائفي) في مواجهة الآخر .

### 4/ في العلاقة بين الطائفية والإثنية

أول من استخدم مصطلح الإثنية في العلوم الاجتماعية كان العالم السوسيولوجي ديفيد وايزمان عام 1935 وهو تاريخ متأخر نسبيا، ولهذا لم يعرف مصطلح الإثنية طريقه إلى القواميس قبل أواخر الستينات، وأوائل السبعينات، وإبان الحرب العالمية الثانية، تم استخدام هذا المصطلح في الولايات المتحدة الأمريكية كمصطلح مهذب يشير إلى اليهود والايطاليين والاييرلنديين، وغيرهم من الشعوب التي كانت تعد أقل وأدنى من أولئك المنحدرين من أصول بريطانية<sup>2</sup>.

الإثنية ظاهرة تاريخية تعبر عن هوية اجتماعية تستند إلى ممارسات ثقافية معينة، ومعتقدات منفردة، والاعتقاد بأصل وتاريخ مشترك، وشعور الانتماء إلى جماعة تؤكد هوية أفرادها في تفاعلهم مع بعضهم، ومع الآخرين<sup>3</sup>. فالمصطلح يشير إلى جماعة من الناس تعيش في مجتمع، وتعتقد بوجود روابط مشتركة تربط أفرادها، بعضهم ببعض، وتتمثل هذه الروابط في الاعتقاد بانحدارهم من أصل مشترك، أو اشتراكهم في خصائص ثقافية، كاللغة أو الدين أو التقاليد<sup>4</sup>. أي مجمل العناصر اللامادية التي تميزهم عن باقي تشكيلات المجتمع .

تتشابه الإثنية مع الطائفية في كونهما تثيران الاختلاف في العناصر الثقافية والسوسيولوجية، كمحدد لهوية الجماعة عن غيرها من الجماعات، لكن الفارق الأساسي بين الطائفية والإثنية هي الهيمنة والإخضاع، حيث أن نظام الطائفة يتضمن نوعا من الإخضاع الاجتماعي، وإدراكا لعلو شرف الطائفة<sup>5</sup>

1 - بدر الابراهيم، النزاعات الطائفية في منطقة الخليج، منتدى العلاقات العربية والدولية، متوفر على الرابط التالي :

<https://cutt.us/Bkvp3>

2 - بشير ناظم حميد ، الأزمة الطائفية : دراسة في علم الاجتماع : الأردن ، دار دجلة ، ط1 ، 2017 ، ص 81.

3 - محمد مهدي عاشور ، التعددية الإثنية إدارة الصراعات و استراتيجيات التسوية ،المركز العلمي للدراسات السياسية ، الأردن، 2002، ص 34.

4 - محمد أبو العنين، إدارة الصراعات العرقية في إفريقيا ، معهد البحوث و الدراسات الإفريقية ، القاهرة ، 2000 ، ص 6 .

5 - عبد اللطيف فاروق، الطائفية قراءة في المفهوم ودلالاته، متوفر على الرابط التالي : <http://fekr->

[online.com/index.php/article](http://online.com/index.php/article)

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

تتشارك الطائفية مع الإثنية في كون الظاهرتين تمثلان جزءا من دوائر الانتماء التي تحيط بالفرد، وعلى الرغم من التمايز في متغير الانتماء بين الظاهرتين، حيث تعتمد الإثنية على العوامل الطبيعية البيولوجية - في التعريفات التي تحصرها في هذا المفهوم - مما يجعلها جماعة هوية مغلقة، تعتمد الطائفية في الكثير من حالاتها على منطق التبشير بغية اعتناق أفكار الطائفة، باعتبارها جماعة تتأسس على اعتناق أفكار بعينها من أجل الانضمام لها. إلا أن الظاهرتين تشتركان في إمكانية توظيفهما، عبر إثارة قيم التعصب، وجعلهما آلية للتمييز، والحشد والتعبئة، انطلاقا من فكرة الانتماء لهذا المكون .

ما يمكن ملاحظته أن القدرة التأثيرية للظاهر الطائفية تتشابك مع عناصر الهوية مثل الطائفة والمذهب والدين والإثنية، والتي تتأسس على فكرة تخالف السائد، وتميزها عن باقي الجماعات. كما تلتقي الطائفية مع هذه المفاهيم في فكرة الانتماء لجماعة بشرية، وإمكانية توظيفه في إطار التدافع الاجتماعي والصراع السياسي. بناء على ما سبق نلاحظ الطبيعة العائمة لمفهوم الطائفية، وتشابكه مع العديد من المفاهيم التي تُحمّله دلالات عدة، وهذا بقدر ما يعبر عن صعوبة البحث في تحديد مفهوم واضح للطائفية، بقدر ما يوضح الطبيعة المركبة والمعقدة والمتعددة الأبعاد والمجالات للمسألة الطائفية، وقدرتها التأثيرية .

### المطلب الرابع : تجليات الطائفية .. بحث في الأشكال والسمات .

تتجلى الطائفية في صور شتى، تعكس موقعها أو توظيفها في الدولة والمجتمع، ولكل نوع خصائصه المميزة، ولكن له صلته المشتركة مع الظاهرة العامة. من خلال الخصائص الجامعة للظاهرة الطائفية، بمختلف أشكالها. يسمح لنا عرض أنواع الطائفية بمعرفة امتداداتها وانعكاساتها وقدراتها التوظيفية كظاهرة مركبة، لها خصائصها المميزة عن باقي الظواهر السيسولوجية.

#### 1/ تمثلات الظاهرة الطائفية :

##### أ/ الطائفية السياسية وتسييس الهوية :

من العسير فصل الظاهرة الطائفية عن الحياة السياسية، باعتبارها نتيجة لتفاعل الهوية والجماعة البشرية مع المصالح السياسية، عبر توظيف التباينات بما يعرف بسياسات الهوية، في إطار الصراع والتنافس على الموارد الرمزية والمادية بين الجماعات .

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

الطائفة كما هي رابطة ثقافية واجتماعية هي أيضا رابطة سياسية تتولد من اشتداد عصبيتها الجماعية، ومن رغبتها في تعظيم مكانتها في الدولة والنظام السياسي، وتتحو الطائفة نحو التماس السياسي، إما عن طريق قيام زعمائها بأدوار سياسية باسم الجماعة الطائفية التي يمثلونها، أو عن طريق تشكيل أحزاب سياسية ناطقة باسمها، والمشاركة في الحياة السياسية، قصد حيازة مكانة للطائفة في النظام السياسي، ومن هذه اللحظة تنتقل الطائفة من تضامن يولده شعور جمعي بالانتماء لدين أو مذهب، إلى كيان مغلق يبحث لنفسه عن حصة من السلطة والدولة<sup>1</sup>. لتصبح التشكيلات الطائفية بدائل عن مؤسسات الممارسة السياسية، وتتحول العملية السياسية إلى ساحة تنافس سيولوجي يستدعي الانتماءات الفرعية .

الطائفية السياسية هي التعبيرات السياسية للدين والتدين، أي الوجود السياسي للطوائف، وهذا التجلي الطائفي ليس مصطنعا ولا آتيا من عدم، بل يرتكز على أرضية ثقافية واجتماعية ونفسية، تمثل وعياً طائفاً اجتماعياً يومياً<sup>2</sup>. فهي انتقال الطائفية بمفهومها العام من تواجدها على مستوى الأفراد داخل المجتمع الواحد، إلى التمثيل السياسي للطوائف التي ينتمي إليها هؤلاء الأفراد، وتجسيدها في مستوى الدولة الحاضرة للجميع<sup>3</sup>. فتستخدم العصبية الطبيعية الدينية، والإثنية، والزبائنية المرتبطة بظاهرة المحسوبة، من أجل الالتفاف على قانون السياسة العمومية، وتحويل الدولة من إطار لتوليد مصلحة كلية، إلى أداة لتحقيق مصالح جزئية<sup>4</sup>. إن هذا النظام الطائفي يختزل الفرد في طائفته، بحيث تتحول العملية السياسية إلى تنافس صفري حول النفوذ بين كتل اجتماعية، وليس حول برامج يحق للأفراد قبولها أو رفضها، هذا الواقع يحول الدولة ومؤسساتها إلى غنيمة وساحة تنافس .

السلطة الطائفية هي التي توظف قضية الانتماء في مشروع سياسي مجتمعي، ويعد هذا الانتماء من مقومات بناء هذا النظام، وتكوينات مؤسساته ترسخ البنية الاجتماعية الثقافية لهذا المشروع في المجتمع، أو على الأقل في صفوف طائفة من طوائفه<sup>5</sup>. وبفعل هذا التوظيف تصبح الطائفية محرك العملية السياسية، وضامنا لاستمرار السلطة وشرعيتها، وتظهر السلطة بصفتها حامي الطائفة ومصالحها. إن

1 - عبد الإله بلقزيز و آخرون ، مرجع سابق ، ص 80.

2 - عزام أمين ، الطائفية الاجتماعية والطائفية السياسية في سوريا ، متوفر على الرابط التالي : <http://cutt.us/FxA5G>

3 - بدر الدين هوشاتي ، انعكاسات الطائفية السياسية على الاستقرار السياسي ، سلسلة ملفات بحثية ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، الرباط ، يوليو 2016 ، ص 76.

4 - برهان غليون ، نقد مفهوم الطائفية ، مرجع سابق.

5 - فوليب داغر ، الطائفية و حقوق الإنسان، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان ، القاهرة ، 1995 ، ص 21 .

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

هذا الواقع تعبير عن فشل الدولة في أن تكون حاضنة للجميع، وهو ما يجعل أي استقرار حالة خادعة، تغطي على بنية هشّة، سرعان ما تكشفها الأزمات، حيث تظهر التناقضات الاجتماعية بصورة أعمق. الطائفية السياسية هي توظيف الطوائف لأغراض سلطوية، واستدعاء التنوع الاجتماعي لميدان التنافس السياسي، حيث تتحول الطائفة إلى حزب، والانتماء لها معيارا للاستفادة من مزايا، أو للحرمان من حقوق. إن الطائفية السياسية مؤشر على الفشل السياسي، حيث تعجز المنظومة السياسية عن استيعاب تفاعلات المكونات المجتمعية وتنافسها، وحصره في إطار آليات التنافس التقليدية، وهذا دليل على أزمات معقدة تبدأ بأزمة الانتماء، ولا تنتهي بمأزق شرعية .

### ب/الطائفية الدينية :

السردية الدينية ركيزة مهمة للممارسة الطائفية، وغالبا ما تكون الدافع الأول لتشكيل الطائفة. يتضمن الدين حمولة رمزية بالإمكان توظيفها في الصراع الاجتماعي، بحجة حماية الدين والمقدسات. تعرف الطائفية في بعدها الديني المذهبي بأنها ميل فردي أو اجتماعي نحو تفضيل تفسير محدد، أو مدرسة فقهية محددة لدين أو مذهب، وقد تتصاعد هذه الميول أحيانا إلى حد تتخذ فيه أشكالاً عدوانية، ويكون هناك ميل إلى النبذ والرفض، وحتى العزلة عن الآخرين<sup>1</sup>. غالبا ما تستند هذه الممارسات إلى تأويلات للنص الديني، حيث توظف هذه القراءة لتبرر حالة تعصبية لجماعة، وتزداد خطورة هذه الممارسة إذا اقترنت بأمننة السلوك الطائفي بغطاء ديني.

للعاطفة الدينية خصائص منها عبادة إنسان يعتبر خارقا للعادة، والخوف من القوة التي تُعزى إليه، والخضوع الأعمى لأوامره، واستحالة أي مناقشة لعقائده، والرغبة في نشر هذه العقائد، والميل لاعتبار كل من يرفضون تبنيها بمثابة أعداء، وسواء أسقطت هذه العاطفة على الإله الذي لا يرى، أو على صنم معبود، أو على بطل، أو تكون سياسة، فإنها تبقى ذات جوهر ديني<sup>2</sup>.

إن التعصب هو جوهر الطائفية الدينية، حيث يستغل التطرف الديني مسألة الإيمان، والخوف على الجماعة وتعاليمها. لذلك فهي في صورة أخرى تعبر عن حالة التنافس بين المكونات الدينية، إذ تسعى

1 - موسى الحسيني ، الطائفية في الوطن العربي : تعريفها وأسباب ظهورها، مجلة المستقبل العربي، السنة 35، العدد 408، فبراير 2013 ، ص 198 .

2 - غوستاف لوبون ، مرجع سابق ، ص 91.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

كل مجموعة إلى فرض قيمها وزيادة رعاياها، والتبشير بأفكارها، في مقابل تقليص المساحة الاجتماعية للآخر، مع ما تحمله هذه المنافسة من خطاب طائفي، وسلوك تعسبي.

### ج / الطائفية الاجتماعية :

الطائفة مكون اجتماعي تقابله بُنى اجتماعية، تتفاعل في بنية سيولوجية، وعليه تصبح الطائفية ممارسة اجتماعية، إذا توفر السياق الدافع لها، في ظل انعدام قنوات التنافس الديمقراطي، أو المؤسسات المستوعبة لمطالب الجماعات، فتصبح الطائفية لغة التنافس الاجتماعي .

يمكننا تعريف الطائفية الاجتماعية إما كأحد أشكال التصلب الفكري، أو كحكمٍ سلبي مسبق تجاه طائفة معينة، فهي اتجاهٌ (موقف) نفسيٌّ له ثلاثة مكونات: أولاً، المعرفي، ويتمثل في المعتقدات والأفكار والتصورات السلبية للأشخاص الطائفيين عن طائفة معينة، وهذا ما يُعرف بالقوالب النمطية. ثانياً، الانفعالي أو العاطفي، كمشاعر الكره والحب والحقد والخوف... إلخ. وثالثاً، السلوكي، حيث تتم ترجمة الأفكار النمطية والمشاعر السلبية سلوكاً طائفيًا<sup>1</sup>. إذ تبدأ من كونها فعل خطابي يترجم عبر التنشئة وصناعة الإدراك تجاه باقي الطوائف، ليتحول إلى ممارسة انفعالية.

الصراع على النفوذ الاجتماعي هو المحرك للنزاع، في هذه الحالة تمدد الجماعة في المجال الاجتماعي العام، يؤدي بالضرورة إلى تزاخم مع البقية. فكل مذهب أو جماعة دينية هي دائرة مصالح خاصة بأعضائها، ولا بد أن تتداخل أو تتزاحم مع دوائر المصالح المجاورة، من خلال اختراق أحد الطرفين للمجال الاجتماعي الخاص بالطرف الآخر، عبر التبشير أو الاستقطاب السياسي والثقافي<sup>2</sup>. إن الصراع على الموارد رمزية كانت أم مادية هو محرك الصراع الاجتماعي الطائفي، حيث تتحول الطوائف لأطراف في الصراع، معبرة عن مصالح رعاياها، أو وكلاء الطائفة.

النظام الطائفي هو نظامٌ بأيديولوجيا قطعية إقصائية لا تعترف إلا بالطائفة انتماءً حصرياً، يلغي باقي الانتماءات الاجتماعية ويتفوق عليها، وهو في تعصبه لهذه الفكرة يضخم مكون الانتماء الطائفي ويحارب بزوغ كل انتماء آخر. لذا يُحصر التنوع داخل الطائفة والعمل على جعلها جسماً واحداً متجانساً.

1 - عزام أمين ، مرجع سابق.

2 - توفيق السيف ، المسألة الطائفية في المملكة : دعونا نتجاوز الفشل ، في محمد حامد الأحمرى ، ندوة مستقبل التعدد المذهبي في منطقة الخليج العربي ، 30 أكتوبر 01 نوفمبر 2011 ، الدوحة ، الطبعة الأولى ، 2013 ، ص 87.



## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

إننا بصدد الحديث عن دينامية بمسارين اثنين: الأول يذهب إلى إبراز التجانس وإسكات التناقض داخل حدود الطائفة، أما الثاني فيضخم الفروق والاختلافات في العلاقة بالطوائف الأخرى<sup>1</sup>.

يمكن القول أن الطائفية الاجتماعية هي عملية الاشتباك الاجتماعي بين الكتل الطائفية، على اعتبار أنها جماعات متنافسة على رأس المال الرمزي والمادي، وتحمل إدراكا لبعضها كجماعات منافسة بغض النظر عن هويتها الطائفية، فقد تشترك هذه الجماعات في ذات المذهب أو الطائفة، وأيضا قد تختلف وهو ما يعزز التنافس ويحمل دلالات أعمق .

### 2/ خصائص الطائفية ومؤشرات التفكك المجتمعي :

تشتمل الظاهرة الطائفية باعتبارها ظاهرة إنسانية على جملة خصائص تميزها، ولعله يمكن اعتبارها مؤشرات لتشخيص العلاقة بين المكونات المجتمعية، إذا تحولت إلى المستوى الطائفي، مع ما يتضمنه من تفاعلات سلبية تجاه الآخر .

ادعاء كل طائفة التمثيل الصحيح والقيوم للدين، مما يؤسس في وعيها أنها وحدها تحتاز الحقيقة. تتحول الطائفة بفعل الاعتصاب إلى كيان مغلق، وتعيد إنتاج ثقافتها وعقائدها وأساطيرها، مما يترتب عنه انغلاق في عقلها الجمعي، وهو ما يجعلها تنزع للانكماش في المحيط المجتمعي والسياسي، والتصرف كأقلية مهددة من الآخرين<sup>2</sup>. مهما كان حجمها بفعل علاقة التخاوف الناتجة عن إغراق الإدراك بخطاب التهديد والكرهية، الدافع نحو التطرف، والمؤسس على الفوقية الاجتماعية.

تعمل الظاهرة الطائفية على ادعاء المظلومية واستمرار الاضطهاد، بما يدفع للانعزال الذاتي والحذر من الاختلاط، والخضوع لمسلمات الطائفة. علاوة على انعدام الرحمة تجاه الآخر الطائفي<sup>3</sup>. فالمجتمع الطائفي مشبع بثقافة الإنكار، إنكار حق الآخر في منازعتها تمثيل الحقيقة، أو سدانتها حين يكون لكل جماعة مسجدها، أو كنيستها وأوقافها، ومدارسها وتعليمها الخاص لمواقيت الأعياد الدينية، وأحزابها ومؤسساتها الطبية، وأحوالها الشخصية .. الخ<sup>4</sup>. إن الانكفاء وليد السياسات الأمنية التي ترافق النظم الشمولية، وغالبا ما تشتد في أزمنة الشح الاقتصادي، الذي يعمق المنافسة على الموارد. أما فيما يخص

1- زين الدين خرشي ، آليات إنتاج لنظام الطائفي وإعادة إنتاج النظام الطائفي، في المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2017، ص 240.

2 - عبد الإله بلقزيز وآخرون، مرجع سابق ، ص 10.

3 - جلال الدين محمد صالح ، الطائفية الدينية : بواعثها واقعا مكافحتها ، دار جامعة نايف للنشر ، الرياض ، 2016، ص 44.

4 - عبد الإله بلقزيز ، مرجع سابق ، ص 16.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

دور العبادة وتنوع الكنائس والمساجد والمدارس، فهذا واقع يصعب تغييره، بفعل تراكم الاجتهادات الفقهية والمذهبية، والاختلافات الدينية. بل إن عملية قصر هذه المؤسسات على اتجاه واحد بغية توحيدها، هو في جوهره ممارسة استبدادية، تعصف بالتنوع وتهدف للقمع بحجة الاندماج، لكن أن يمتد نشاط هذه المؤسسات ونفوذها، فهذا يعني هشاشة الدولة وفشلها لصالح الطوائف التي تراحمها في دورها. تنعكس الطائفية على الخطاب الاجتماعي الموجه للداخل والخارج، حيث تطبعه بجملة سمات وخصائص لعل منها :<sup>1</sup>

- لا يُعرف بنفسه إلا من خلال انتقاد بقية الجماعات والسخرية منها والتهكم عليها .
- ادعاء الأفضلية والريادة .
- الخط بين التاريخ والذاكرة، وزعم امتلاك الحقيقة والخلص الأبدي .
- التركيز على فكرة المظلومية .

الطائفية اتجاه انفعالي تعسفي تجاه الآخرين، تحيل إلى فشل الاندماج لصالح الاستبعاد الاجتماعي، تتراقق مع خطاب الكراهية، وتسعى لرسم الحدود الاجتماعية للجماعات، حيث تتوب الطائفة عن رعاياها، وتظهر كمؤسسة بديلة، يلجأ إليها الأفراد للحماية، وقضاء المصالح نظرا لعجز مؤسسات الدولة. الظاهرة الطائفية انشقاق في بنية المجتمع، تؤدي على انقسام الطبقات والقوميات والقبائل لصالح السردية الطائفية، وتعمل على تشكيل حدود اجتماعية جديدة تنافس باقي الجماعات. إن انتشار الممارسة الطائفية يؤثر على وجود مجتمع مفكك ولحمة مهترّة، وسلطة منفصلة عن مواطنيها. وهو ما يُحوّل التنوع الطبيعي في المجتمع البشري إلى تهديد أمني، وفرصة للتوظيف السياسي والتدخل الخارجي.

### المبحث الثاني: مسارات التشكل من الافتراق الاعتقادي إلى سرديات المؤسسة

#### الطائفية.

يسعى هذا العنصر لتتبع مسار تشكل الطائفية كظاهرة، بداية من لحظة الافتراق عن الكتلة الكبرى، وتشكيل السرديات الخاصة بالمكون الجديد، ورسم الحدود المجتمعية المقابلة للآخر، وصولا لممارسة الطائفية كإدراك وكتسوك عصبوي في مواجهة المكونات المقابلة، إذ يتتبع المراحل والآليات التي تفرز

<sup>1</sup> - علي بن مبارك ، مرجع سابق ، ص 61.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

في الأخير ظهور الطائفية، كما ويرصد تداعياتها المركبة ذات المستويات المتصاعدة، بدءاً من الفرد فالمجتمع وصولاً إلى الدولة .

### المطلب الأول : كيف تتشكل الطائفية ؟ .. بحث في الدواعي و الكيفيات .

الطائفية هي تعبير عن أحد أشكال الهوية، وعليه فهي تأخذ في تشكلها دروب نشأة الهوية، وإن كانت تتميز بصفات الخاصة التي تميزها كهوية طائفية، ذات امتداد عمودي في بنية المجتمع. يقسم مانويل كاستلز Manuel Castells الهويات من حيث النشأة إلى ثلاثة :<sup>1</sup>

1- الهوية المشرعنة: وهي التي تنتجها المؤسسات الاجتماعية المهيمنة، من أجل إدامة هيمنتها، إذ تخلو تلك الأنساق مما يعرف بنقاط التصادم، والتي ترتبط بالسلطة / القوة، وتحول الهوية لأيديولوجيا، وهي بذرة النوع الثاني من الهوية .

2- الهوية المقاومة: وهي الهوية المقابلة والمقاومة لمنطق الهيمنة الهوياتية، من خلال استنطاق الهوية حسب تعبير فرانس فانون، فهي ردة فعل معاكسة ورافضة لعملية فرض هوية .

3- الهوية المصممة: وهي نوع يقدمه الفاعلون وأصحاب الأفكار في المجتمع، بوضع تصور يفضي إلى هوية مبنية على الكثير من تفاصيل البنية الثقافية، فهي نتاج جهد فكري وفلسفي، يقدم الهوية بقوة المنطق .

و لعل هذا النموذج النظري يقدم الخلفية المعرفية لتفسير التعاطي مع الظاهرة الطائفية، سواء من حيث فشل الدولة في استيعاب مكوناتها وعملها على تجزئتهم طائفيًا، أو عبر مقاومة الهويات لعمليات التتميط والتمييز بمزيد من التوقع والانكفاء، وصولاً إلى ضرورة الخروج بكيان مشترك وهوية جديدة تسع الجميع.

تنازلت دراسات الهوية عن مفهوم البوتقة الصاهرة للهويات والمكونات الثقافية، وأن السعي من أجل تحقيق البوتقة الصاهرة لم ولن يتحقق<sup>2</sup>. بل يدفع فقط نحو مزيد من الانكفاء وردات الفعل المقاومة، وعليه فظهور النزعة الانشاقية يحتاج إلى عوامل مساعدة لعل من أبرزها :<sup>3</sup>

1- عبد الله البياري ، الهوية ، مجلة رمان ، العدد العاشر ، يونيو 2011، ص 21.

2- عبد الله الغدامي، الهويات الثقافية والهويات الجذرية، متوفر على الرابط التالي :

<https://www.youtube.com/watch?v=OheUcxJ9Os0>

3- توفيق السيف ، المسألة الطائفية بحث عن تفسير خارج الصندوق المذهبي ، مؤتمر الوحدة الإسلامية ودعوة محمد صلى الله عليه و سلم ، مملكة البحرين ، 28 إلى 30 ديسمبر 2007 ، ص 06.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

- انعدام العدالة : إذ غالبا ما يكون التنازع الطائفي مدفوعا بمشاعر السخط على انعدام العدالة، بما يمليه من أرضية للشقاق الداخلي .
  - إدراك الأفراد للسياق المحيط بهم، بأنه ثمرة لبنية النظام الاجتماعي أو السياسي المهيمن، وليس ظرفا عارضا، مما يستلزم فعلا سياسيا مضادا للتنظيم الاجتماعي أو السياسي الراهن.
  - توافر أرضية ثقافية تتقبل الانشقاق وتعتبره خيارا مشروعاً في حال انعدام وسائل أخرى أقل كلفة، فالمجتمعات التي تملك ثقافة عقلانية أكثر استعدادا لتقبل الانشقاق، بخلاف تلك التي تسودها مبررات وراء طبيعية لتفسير الظروف المختلفة، وهي أميل للمحافظة على الوضع السائد .
  - توافر الأمل بإمكانية معالجة الظرف عن طريق الانشقاق، وهو ما يوسع المساحة الاجتماعية للانشقاق.
- تدفع هذه العوامل لتشكيل كيان اجتماعي جديد متميز هوياتيا عن الكتلة الكبرى، له حدوده الاجتماعية والثقافية، وله خطابه الداخلي الموجه للأفراد، والخارجي الموجه للجماعات المقابلة، أو للنظام الحاكم، وعليه يمر التشكل العقدي المؤسس لمفهوم الفرقة عبر أربعة مراحل<sup>1</sup> :
- 1- المرجع: وما يمثله من سرديّة اعتقاديّة أو تأويل للنص .
  - 2- التشريعات : والأحكام الفقهية النازمة للفرقة ومنحائها التعبدية .
  - 3- التنظيم : وهو المنحى الذي تتخذه الفرقة لترويج عقيدتها، وقد يكون التنظيم سريا في بدايته، ثم يتخذ صبغة علنية .
  - 4- الاجتماع : ويقصد به انفصال أهل الفرقة عن بقية الجماعة، انفصالا يمليه الوضع الاجتماعي، لتؤسس عقيدة مستقلة تتموقع بها بين العقائد .
- هذا المسار يخص تكون الفرقة أو الطائفة كبنية اعتقادية ذات حدود اجتماعية، دون أن يعني هذا موقفا سياسيا تجاه النظام الحاكم، على الرغم من أن الفرق الاعتقادية في التاريخ الإسلامي انطلقت من كونها موقفا سياسيا، لتتحول بفعل تأثير السياق، والانكفاء على الذات إلى التحول إلى فرق اعتقادية، لها تأويلاتها العقدية التي تتمايز بها عن الجماعة .

<sup>1</sup>- المنصف عبد الجليل ، البهائية هل هي فرقة أم طائفة أم عقيدة ، سلسلة ملفات بحثية ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، الرباط ، يوليو 2016 ، ص 28 .

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

تشكلت الفرق والجماعات في مسار معقد، وأصبحت تحمل هما سياسا إضافة إلى سرديتها العقدية، وعليه أضحت لها دور سياسي يظهر ويختفي تبعا للسياق، وتتأسس هذه الوظيفية السياسية للهوية الطائفية باعتبارها هويات دينية جزئية على عدة ركائز :<sup>1</sup>

- تعيين الهوية الدينية أو المذهبية على أساس الجماعة أو الطائفة، لا على أساس هوية الأمة - الدولة.

- تسييس هذه الهوية كوحدة للفعل الجمعي، بديلا عن الهويات الاجتماعية (الطبقات) ،أو الهويات الإيديولوجية سواء بإزاء الجماعات الأخرى المغايرة، أو بإزاء الدولة .

- الهويات الدينية الجزئية تتشطر بتأثير التنظيمات الاجتماعية (قبائل / طبقات) أو هي التي تشطرها

تحدد هذه العناصر دورة حياة الطائفة كتنظيم اجتماعي، بدءا بانطلاقها كجماعة بخطاب جديد، وصولا لانشطارتها بفعل سطوة التنظيمات الاجتماعية التي تحتضنها، باعتبارها جماعة تحمل تنوعا بشريا.

تحدث عبد الله الغدامي في محاضراته الهويات الجذرية والهويات الثقافية عن المعاني القاتلة في الهويات، حيث تُعرّف الذات الهوياتية نفسها من خلال نفي الآخر، المعاني القاتلة هي الأفكار التي تجترحها المكونات الهوياتية، ومن ثم تُؤسّر داخلها بفعل التواتر والتكرار، لتصبح أسوارا هوياتية، تعبر عن هذا المكون المجتمعي، وقد تصوغ سلوكياته تجاه الآخر<sup>2</sup>. لأن الجماعات المتميزة، ولا سيما تلك التي تنشأ في سياق هروبي (خوفا من القمع مثلا) تطور خطابا داخليا يمارس وظيفة حامية، فهو يعظم من القيمة المعنوية للداخل، ويبالغ في تحقير القيمة المعنوية لكل ما هو خارج النظام<sup>3</sup>. وهو ما تصفه النظرية البنائية بالبين ذاتية inter-subjectivity، حيث تعتمد الهويات إلى تبني خطاب يصوغ علاقتها تجاه ذاتها وتجاه الآخرين، لتمسي في مسار التشكل أسيرة لهذا التصور الذي يضبط سلوكها .

في كتابه نظرية السلوك الجمعي Theory of collective behavior يتكلم سملزر Smlser عما يسميه structural conduciveness أو الكوامن البنائية التي تمثل نوعا من الخلايا الثقافية النائمة، المُعززة

1- فالج عبد الجبار، المشكلة الطائفية في الوطن العربي ، في الطائفية والتسامح والعدالة الانتقالية من الفتنة إلى دولة القانون ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2013 ، ص ص 23 - 24.

2- عبد الله الغدامي ، مرجع سابق.

3- توفيق السيف ، المسألة الطائفية بحث عن تفسير خارج الصندوق المذهبي ، مرجع سابق ، ص 05

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

بتجارب تتواتر بين مرحلة تاريخية وأخرى، تتميز تلك الكوامن بكونها قابلة للتحول من خبرة شبه مستقرة في اللاشعور الجمعي، إلى فعل تتناسب قوته طرديا مع شدة ومراة الخبرات السابقة، إلى جانب الخبرة القائمة، أو الممارسة على صعيد الواقع، أي أن تلك الكوامن النائمة ما إن تجد بيئة ذات خصائص معينة، حتى تتحول من خبرة ذات مضمون اجتماعي تاريخي، إلى فعل يعيد ترسيبها في العقل الجمعي، وفي الوقت ذاته يجدد تأثيرها على مستوى الواقع<sup>1</sup>. وهو ما تعتمد البنى الهوياتية- الطائفية في التأكيد على واقع التباين مع الآخر، وعلى حالة التمايز التي تغذيها الذاكرة السلبية تجاه الدولة أو الهويات المقابلة. هذه الذاكرة التي تستدعي التجارب التاريخية لتفسير الحاضر، خاصة في سياق الأزمات، بغية الحشد والتجيش من أجل حماية الهوية أو الطائفة باعتبارها كيانا مستهدفا .

هناك صعوبات كبيرة تقف في وجه تشكيل عقيدة إيمانية عامة، وإذا ما تشكلت ورُسخت نهائيا فإنه يصبح من العسير الإطاحة بها لمدة طويلة، ومهما يكن بطلانها الفلسفي فإنها تفرض نفسها على أكبر الشخصيات وأذكاهما، والسعي نحو ترسيخ أفكار هذه الكيانات لدى الجماهير التابعة لها يتم عبر أساليب ثلاثة هي: التأكيد والتكرار والعدوى. لا ريب في أن تأثيرها بطيء، لكنه دائم<sup>2</sup>. حيث تصبح وعاء اجتماعيا يفرض إكراهات تقمع المبادرة الفردية، التي قد تخالف السائد، في سبيل الحفاظ على نظام الطاعة داخل المجموعة، أين تعيد إنتاج ذاتها عبر عملية التنتشة، التي تصنع الوعي الجمعي الموجه. يرى أمارتيا صن أن الشعور القوي والمطلق بالانتماء لجماعة واحدة يحمل معه إدراكا لمسافة البعد والاختلاف عن الجماعات الأخرى، فالتضامن الداخلي لجماعة ما يمكن أن يغذي التنافر بينها وبين الجماعات الأخرى<sup>3</sup>. بحيث يصبح خطاب الكراهية تجاه الجماعات الأخرى وسيلة لتأكيد الذات الجماعية، وحماية الهوية الجديدة من التفكك، وكل ما زادت المسافة عن الآخر، كلما زاد ذلك من التضامن العضوي داخل الجماعة .

فسياق تشكل الجماعة السياسية / المذهبية، أو المذهبية البحتة سواء كانت أقلية أم أكثرية، تعود إلى إنشاء إطار ثقافي جديد، متميز بالضرورة، بل ومعارض لكل ما هو خارجها، وتتحوّل المكونات الثقافية

1- ميادة أحمد عبد الرحمن الجدة ، مظاهر الطائفية في العراق رؤية سيولوجية ، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات و العلوم الاجتماعية ، العدد السابع ، السنة السابعة ، 2015 ، ص 283.

2 - غوستاف لوبون ، مرجع سابق ، ص 147.

3- يوسف بن بزة ، الدولة و الطائفة في عصر العولمة : دراسة في بنية الدولة العربية الحديثة – لبنان أنموذجا- ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في العلوم السياسية ، تخصص تنظيمات سياسية و إدارية ، قسم العلوم السياسية ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر ، 2012 ، ص 123.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

لهذا الإطار إلى وسيلة لبناء خلفية ذهنية، خاصة تجمع بين أعضاء في الجماعة، في الوقت الذي تقيم فيه جداراً بينهم وبين من هم خارجها<sup>1</sup>. بحيث لا يقتصر الفصل على الحدود الاجتماعية بل لإقامة حواجز ذهنية تصوغ إدراك الرعايا، وتنظم سلوكهم .

بناء عليه يصبح التعصب أحد آليات الحفاظ على الهوية، عندما تكون كل حادثة طائفية بمثابة قيمة مضافة Aded value حسب سلملزر Smlser، حيث تفرز حالة عالية من التعصب، وقد طور نيل سملسر Niel Smlser هذه الظاهرة من خلال منظور الجرح الثقافي Cultural trauma. فعندما يشعر أعضاء الجماعة أنهم تعرضوا لحادثة مريعة، فإنها تترك علامات يتعذر محوها من وعي جماعتهم، وتدمغ ذاكرتهم إلى الأبد، وتغير هويتهم المستقبلية بطرق جوهرية<sup>2</sup>. ليست الوقائع هي التي تؤثر على المخيلة الشعبية، وإنما الطريقة التي تعرض بها هذه الوقائع، وينبغي على هذه الأحداث - عن طريق التكثف - أن تُؤلّد صورة مؤثرة. إن معرفة فن التأثير على مخيلة الجماهير يعني معرفة فن حكمها<sup>3</sup>. فاجترار الخبرة التاريخية المثقلة بالتنازع، يعمق النوازع الانقسامية، خاصة إذا كان الحاضر لا يدفع نحو التكامل والتصالح مع الذات المقابلة، ويوظف التباين من أجل تعزيز السلطة .

يحتاج أي نظام اجتماعي كي يستمر إلى حد أدنى من استبطان الأفراد مجموعة من الاستعدادات المسايمة لروحها، التي تضمن له إعادة إنتاج ذاته من الداخل. وفي ما يتعلق بالنظام الطائفي فإن هذا المطلب يتجسد في "الهابيتوس (habitus) \* الطائفي" الذي يقوم بدور الناقل للروح الطائفية، الأمر الذي يفسر وجود نزوع عند الأفراد والجماعات نحو التطييف. وعلى الرغم من اقتناع الفرد بسلبية الممارسات الطائفية وحاجته إلى الدولة، فإنه يعيش حالة "انصياح" وشعور بالحاجة إلى المظلة الطائفية<sup>4</sup>.

1- توفيق السيف ، المسألة الطائفية بحث عن تفسير خارج الصندوق المذهبي ، مرجع سابق ، ص 08.

2- فتحة طويل ، النظرية الوظيفية الجديدة و تحليل البناء الاجتماعي ، مجلة التغيير الاجتماعي ، العدد الأول، فيفري 2018 ، ص 221.

3- غوستاف لوبون ، مرجع سابق ، ص 89.

-\*\* الهابيتوس أو السمات أو العلامة أو التطبع أو السجية أو العقلية التي توجه السلوك توجيهاً عفويًا وتلقائيًا، وهو مجموع الاستعدادات الفطرية والمكتسبة والمتوارثة التي تعبر عن فاعلية الإنسان، في ظل شرط اجتماعي محدد، إنه مجموعة المواصفات التي تنوارثها بصفة مباشرة عن طريق التربية، أو بطريقة غير مباشرة، عن طريق الاستلها. يُعد مفهوم الهابيتوس من أهم المفاهيم التي نحتها عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو، وأكثرها إثارة للجدل، منذ أن طرحه لأول مرة في كتابه نظرية الممارسة. للمزيد أنظر : خزانة المعرفة ، يومية الخليج ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/aHdm1>

فهو مجموع الاستعدادات التي يكتسبها الفرد عبر تجاربه الشخصية لتتحول مع مرور الوقت إلى بنيات ناظمة للسلوك ومنظمة في نفس الوقت ، أي إلى مبدأ مولد للفعل ونتاج له . للمزيد أنظر : صلاح الدين لعريني ، مفهوم الهابيتوس عند بيير بورديو ، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد 09 ، نوفمبر 2014 ، ص 63.

4 - زين الدين خرشي ، آليات إنتاج لنظام الطائفي وإعادة في المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، ص 232.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

يرى دانييل ليرنر Daniel Lerner أن المجتمعات التقليدية عموماً، تعاني صعوبة في التكيف مع التغيرات الثقافية والاجتماعية، وأن هذا العجز يرجع في جوهره إلى عامل ثقافي خلاصته انعدام التعدد والتنوع، والميل الشديد إلى التشابه والتوحد، وهو ما يتبلور في صورة ذوبان كامل للهوية الفردية، وهيمنة تامة للهوية الجمعية. عملية التوحد هذه تدفع إلى ارتباط الفرد ببيئته الاجتماعية ارتباطاً يميل إلى تقديسها، واعتبارها إطاراً وحيداً للحق والاستقامة، واعتبار الأنساق الأخرى أدنى مرتبة عند المقارنة<sup>1</sup>. يزدهر هذا الخطاب في البيئة التي تتنافس فيها الانتماءات الفطرية، على غرار القومية أو القبلية أو حتى الجهوية، لتضعف من تأثير الحالة الانقسامية التي تفرزها الطائفية، وهو ما يجسده المجتمع الخليجي، باعتباره مجتمعاً تقليدياً، يستبطن بنية بدوية تحمل تقاليداً ثابته في العقل الجمعي .

لكن حتى الأمم شديدة الاندماج تحتفظ بالتقسيمات العمودية، وبالعصبية النامية في المجتمع المدني، التي لا تؤدي دوراً كبيراً ولا تظهر في الأوقات الطبيعية، ولكنها تهدد بالظهور في كل مرة تبرز فيها أزمة النظام عن طريق اهتزاز سلطة الدولة، أو تدهور التوازن المادي والاقتصادي<sup>2</sup>. يتبين من خلال علم الأديان المقارن أن تحول الجماعات الدينية إلى جماعات طائفية ذات منزع عنصري، خاصة كونية لم يسلم منها دين من الأديان، فالطائفية ظاهرة كونية تاريخية موجودة في مختلف الحضارات والأديان، فقوانينها كونية، وإن تباينت تجاربها العقيدة والسياسية<sup>3</sup>. غير أن الاستعدادات المحفزة لها تزدهر في المجتمع التقليدي، الذي تكون هويات ما قبل الدولة مؤثرة فيه. على أن التعصب ظاهرة إنسانية لا تقتصر بالحالة الدينية فقط، فقد تجدها حتى في تشجيع الفرق الرياضية، والأفكار الأيديولوجية، إذ هي استعداد نفسي يتفاعل مع الواقع . قد تكون المباشرة في الاعتقاد مؤثلاً للانبعاث الطائفي، لكنها ليست السبب الرئيسي، بقدر ما هي الحجة الجامعة والدافعة التي بإمكانها تكوين بيئة تحتضن أفكار الصراع. فقد يكون الدافع الرئيسي هو التنافس على الموارد، أو النفوذ، ويأخذ الرمزية الطائفية .

تبنى الهوية الضيقة / الخاصة بناء على وجود - أو حتى تخيل وجود طرف مقابل - ينظر إليه كمكون آخر، فوجود تمايزات طائفية يعني وجود نوع من علاقات "نحن" و "هم" صغرى، أي ثنائيات

1- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 05 .

2- برهان غليون ، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة ، ص 69.

3- علي بن مبارك ، مرجع سابق ، ص 52.



## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

جزئية تحت سقف كلي أعلى يربط هذه الثنائيات، التي مثلت رواسب تشكيل البنية المجتمعية للمكون الطائفي من خلال تراكم جملة عوامل منها :<sup>1</sup>

- تهديد الجزء الوجداني من الهوية .
- النظر إلى الطوائف كأقليات في الأمة، وليس كطوائف من الأمة .
- نمط الخطاب السياسي والاجتماعي .
- تغير شكل الفراغ مع ظهور الدولة الوطنية .
- ظهور الدولة ككيان إضافي، وليست كمظلة لجميع المواطنين .
- علاقات التنافس بين الدولة والكيانات العضوية .

ساهم النموذج المشوه للدولة الوطنية في ظهور الطائفية، إذ لم تغلح الدولة العربية في أن تكون فضاء جامعا يحتضن الجميع، بل أضحت كيانا منافسا للجماعات، وساحة للتنافس أيضا، واعتمدت مؤسساتها وأدواتها كآليات في الصراع الاجتماعي. حيث فشلت النظم العربية في صياغة كيانات تعاقدية جامعة ذات هوية مشتركة، وعملت كما الاستعمار الخارجي على العبث بالهويات الجزئية والعمل على توظيفها سياسيا، من أجل إشاعة جو الترقب، الذي يعطل المطالبة بالإصلاح السياسي.

إن المجتمع الطائفي والمذهبي هو بالتعريف مجتمع مغلق، تتكفى جماعته على داخلها الفئوي، لتمييز مع بعضها أولا، ولتقييم لنفسها بذاك الانغلاق حزام أمان يحميها من غائلة غيرها. الجماعات المغلقة من هذا النوع تتخاوف، لأنها تتبادل التهديد المضرر والمعلن بينها، فتدفع الواحدة منها الأخرى إلى التهيب والتحسس، وتمرين الاجتماع الأهلي الفئوي أو العصبوي الداخلي على الدفاع الذاتي، من طريق التربية والتكوين ووسائل المخاطبة المختلفة، الإعلامية والثقافية، المسجدية الكنسية الحزبية.. الخ<sup>2</sup>، والشعور بالنفور من شيء أو عدم استحسانه، يظل في حجمه الطبيعي لدى الشخص العادي، ولكنه يتحول مباشرة إلى حقد هائج لدى الفرد المنخرط في جمهور<sup>3</sup>.

تعتمد الطائفية ككيان في مرحلتي التكوين والبناء، وأيضا للاستمرارية في مواجهة الآخر، على الخطاب الموجه للداخل والخارج، إذ ينبني الخطاب الطائفي على دعامتين: أولاهما تتعلق بداخل

<sup>1</sup>- إيميل بدارين ، من الطائفية الاجتماعية إلى الطائفية السياسية ، الدورة الثالثة للمؤتمر السنوي الثالث في قضايا الديمقراطية ، المسألة الطائفية و صناعة الأقليات في المشرق العربي الكبير ، أيلول سبتمبر 2014 ، ص ص 03- 04.

<sup>2</sup>- عبد الإله بلقزيز ، مرجع سابق ، ص ص 15 - 16.

<sup>3</sup>- غوستاف لوبون ، مرجع سابق ، ص 74.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية لنظرية للمسألة الطائفية

الجماعة، وتتمثل في قدرة هذا الخطاب على التعبئة والحشد، وتوفير المشروعية، والثانية تتعلق بخارجها وقدرته على ترسيم الحدود الجغرافية أو الاجتماعية لموضوع المشكلة، فهو من هذه الناحية يسهم في إقامة دائرة مصالح جديدة، لها أعداء وأصدقاء محددون ومحتملون<sup>1</sup>. فحسب غوستاف لوبون فإن قوة الكلمات مرتبطة بالصور التي تثيرها، وهي مستقلة تماما عن معانيها الحقيقية، والكلمات التي يصعب تحديد معانيها بشكل دقيق، هي التي تملك أحيانا أكبر قدرة على التأثير والفعل<sup>2</sup>. إن الفعل الخطابى هو ركيزة الممارسة الطائفية، فكما يعمل على التنشئة الطائفية، وصناعة جماعة متخيلة، يعمل كذلك على القتل المعنوي للمخالف، عبر الخطاب الاستبعادي.

تعمل الأزمات على تصدر الجماعة الطائفية باعتبارها تمثل امتدادا أو تواصلًا تاريخيا، وذات حدود اجتماعية، ولها ناطقون باسمها يذودون عنها، ويصوغون مصالحتها، بلغة التعايش والخصومة مع جماعات أخرى، ويخلق هذا تصورا عن كيان له أسطورة منشأ، وسردية تتراوح بين صوغ مشاعر الغبن، ومشاعر الافتخار والكبرياء<sup>3</sup>. تظهر هذه التضامات المحلية أو الأقلية في أوقات الأزمة الاجتماعية بالدرجة الأولى، حيث يصبح الصراع على السلطة صراعا من أجل البقاء، بينما تبقى التمايزات بين الجماعات خافتة لا تحمل أي شحنة سياسية خطيرة في الظروف الطبيعي، وفي أوقات الازدهار<sup>4</sup>. لا تطرح العصبية مشكلاتها إلا في مجتمعات عصبوية تعاني نقصا فادحا في الاندماج الاجتماعي، ولم تتحقق فيها عملية صهر كافية للجماعات في كيان وطني جامع، على مثال ما هي عليه المجتمعات العربية الراهنة، هكذا تبدو الطائفية في هذه الحالة نقیضا للهوية الوطنية، ونقضا لها باسم الهوية والخصوصية<sup>5</sup>. فتسود العصبية المحلية الطائفية في المجتمع الحديث، كلما فقد وحدته السياسية أو الإجماع السياسي الذي يشكل قاعدة قيام سلطة شرعية ومستقرة وثابتة، وفي هذا الإطار تندفع الأغلبية الدينية إلى التصرف تصرف الأقلية<sup>6</sup>. هذا السياق يدخل المجتمع في دوامة تهديد وتآكل داخلي مستدامة، قد تدفع نحو تفكك الدولة، تسعى من خلاله الطوائف لتشكيل بنية سياسية جديدة تعبر عنها.

1- توفيق السيف ، المسألة الطائفية بحث عن تفسير خارج الصندوق المذهبي ، ص 08.

2 - غوستاف لوبون ، مرجع سابق ، ص 116.

3- عزمي بشارة، مدخل لفهم المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في المشرق العربي الكبير، مجلة عمران، المرجع السابق، ص 09.

4 - برهان غليون ، المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات ، المکز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط3، بيروت، 2012، ص 34 .

5- عبد الإله بلقزيز و آخرون ، مرجع سابق ، ص 80.

6- برهان غليون ، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة ، مرجع سابق ، ص 177.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

بالرغم من تحول الطائفية إلى إستراتيجية رئيسية عند بعض القوى الاجتماعية للدفاع عن مصالح وامتيازات استثنائية، فإنها ليست ظاهرة مستقلة، ولا يمكن دراستها بمعزل عن الأوضاع السياسية والاجتماعية. لذلك فلا يمكن فهمها بمعزل عن السياق الاجتماعي والسياسي الذي نشأت فيه<sup>1</sup>. لكن الثابت أنه كلما تقلصت الوسائل السياسية المتاحة لتحقيق المصالح الاجتماعية، كلما زاد الاستعمال السياسي للدين<sup>2</sup>. والواقع أن السياق هو الذي يحدد عناصر الهوية ذات العوائد الأكبر في توظيفها، فقد يستعمل الدين، كما قد تستدعى القومية أو المناطقية.. إلخ. فالعبرة أنه كلما تقلصت الوسائل السياسية لتحقيق المصالح الاجتماعية، كلما زاد توظيف سياسات الهوية .

إن اعتماد سياسات الهوية الطائفية في إدارة الدولة، توظف الطائفة باعتبارها حزبا سياسيا، تعاد فيه صياغة الهوية للتشديد على المركب الطائفي فيها. ومن ثم إعادة هندسة علاقات الطائفة مع الآخرين، لتتضمن طموحات وتصورات ذات أبعاد سياسية، ونوعا من العلاقات والتحالفات الدولية الخاصة بها<sup>3</sup>، من أجل التوظيف المتبادل، حيث تستعين بها الطائفة في مواجهة الطوائف المقابلة، وتعتمدها القوى الأجنبية لحماية مصالحها ومناطق نفوذها.

تنتشر الطائفية وتظهر بين الفقراء، حيث تصيح الطوائف كنائس المحرومين Churches of the disinherited، ينتشر هذا السلوك ويؤيده الواقع في الولايات المتحدة الأمريكية، لكنه ينخفض، وقد يخالف السائد في الكثير من المناطق، خاصة الطوائف الإسلامية<sup>4</sup>. يقدم مهدي عامل تفسيراً طبقياً لتشكل الطائفية عبر مقارنة أفقية، إذ يرى أن الطائفية علاقة سياسية بين الطبقة البرجوازية والطبقات الاجتماعية الشعبية، التي يقع عليها الاستتباع الأيديولوجي، وتعريفه للطائفية باعتبارها أثرا سياسيا تولدها عملية الإخضاع الأيديولوجي، وما يرافقها من تزوير وتضليل وعي الطبقات الشعبية<sup>5</sup>. حيث تسمح الطائفية للبرجوازية بالتحكم في الصراع الطبقي، وبإبقاء الطبقات الكادحة أسيرة علاقة تبعية طبقية، هي

1- برهان غليون ، الطائفية في الدولة و المجتمع ، مرجع سابق.

2- ايميل بدارين ، مرجع سابق ، ص 13.

3- المرجع نفسه ، ص 05.

4 - Peter .L.Berger, The Sociological Study of Sectarianism, Social Research, Vol 51, Spring/Summer 1984 ,P373.

5- مهدي عامل ، في الدولة الطائفية ، دار الفارابي ، بيروت ، ط3 ، 2003 ، ص ص 22 23 .

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

بالتحديد علاقة تمثيل طائفي ترتبط به هذه الطبقات بممثليها الطائفيين من البرجوازية ربطا تبعا، بما يؤمن لها ديمومة السيطرة الطبقية.<sup>1</sup>

لا يمكن تعميم هذا الطرح على كل الظواهر الطائفية، إذ أن الطائفية باعتبارها ظاهرة سيولوجية شديدة الالتصاق بسياقها الاجتماعي الذي يولدها، لكن الفكرة التي يعبر عنها عامل قد تكون ملائمة لمقاربة الحالة اللبنانية، والتي تمثل ظاهرة إقطاع طائفي، تقتن فيه البنية الإقطاعية الطبقية مع ما تحمله من شكل اقتصادي واجتماعي، بالحالة الطائفية، لتصبح الطائفة، وشرعية الدفاع عن مصالحها وكيونتها - كبنية متميزة - ميراثا سلاليا تتوارثه المشيخات الطائفية. وأي تهديد لهذا النظام يعد تهديدا لنفوذ هذه المشيخات، وارتباطاتها الدولية، وطعنا في شرعيتها السياسية التي تستمدتها من التلاحم الطائفي.

ليست الطائفية واقعا لا فكاك منه، وليست فكرة مغروسة للأبد في الأذهان. فقط عندما ظهر أن الدولة الحديثة لم تستطع تقديم أطر جديدة وجامعة، قادرة على أن تستبدل الأطر القديمة التي تضمن العصبية والتضامن الوطني، أي أنها تمثل مصالح أعلى من مصالح العصبية التي تهيمن على الدولة، حدث الانكفاء على الأطر التقليدية و التمسك بها.<sup>2</sup>

الطائفة ظاهرة سيولوجية تؤثر على حالة الدولة والمجتمع وتفاعلاتهما، تساهم في ظهورها سياقات عديدة، تعمل على تراكم المتغيرات المحفزة للفعل الطائفي، انطلاقا من عملية التنشئة القائمة على الفعل الخطابى الذي يعمق الخصوصية في مقابل الآخر، والتأكيد على تحقيره، واستدعاء التاريخ لإثبات الأفضلية عليه، وتوظيف الكوامن النزاعية في ذاكرة الجماعات للعبث بالهويات في إطار الصراع السياسى داخليا أو خارجيا. إن الطائفية نتيجة لفشل مؤسسات الدولة في سياسات الدمج والاستيعاب لشرائح المجتمع، ليتحول الانتماء الطائفي آلية استيعابية، ورأس مال رمزي اجتماعي، وتصبح الدولة كيانا منافسا للطائفة .

<sup>1</sup>- المرجع نفسه ، ص 356 .

<sup>2</sup>- برهان غليون ، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة ، مرجع سابق ، ص 201.

### المطلب الثاني: تداعيات الطائفية ..الانعكاسات المركبة للظاهرة على مستوى الفرد والمجتمع والدولة .

إن التنوع السيسولوجي بما يتضمنه من مكونات طائفية أو عرقية أو دينية، هو قدر إنساني، وقد يمثل ثراء اجتماعيا يدفع نحو التقدم، عبر إدارة التنوع، والتعايش مع فكرة الاختلاف، والحؤول دون تحويل التعدد إلى عبء. في المقابل فإن الاستثمار في الصدوع المجتمعية، وتثوير التباينات سيعمل على إفراز انعكاسات سلبية تجسدها الظاهرة الطائفية، مع كل ما تحمله من تداعيات مركبة على البنية الاجتماعية، وعلى فكرة الوطن والانتماء .

الطائفية بهذا المعنى المؤسسي (الاجتماعي - السياسي) تشكل انشقاقا جديدا عن المجتمع والدولة، وتقلتا أو محاولة تقلت من ضوابط العلاقات الوطنية الجامعة، وأحكامها، وتظهيرا للهوية الفرعية، في مواجهة الانتماء الوطني العام، وكما تكون بنية اعتقادية مغلقة على نفسها، كذلك تكون بنية مؤسسية مغلقة، وكما يقودها انغلاقها الفكري والنفسي إلى رفض الآخر ومفاصلته، كذلك يقودها انغلاقها السياسي إلى عدم الاعتراف لغيرها بمصالحه، وإلى تقديم مصلحتها العصبوية على المصلحة العامة<sup>1</sup>. إن تحول الطائفة إلى مؤسسة هو نتيجة لتراجع نفوذ الدولة لصالح مكونات ما قبل الدولة. وهو أيضا دافع نحو زوال الدولة لصالح هذه التشكيلات.

الطائفية ظاهرة حديثة، وهي أبعد ما تكون عن تحديد مصالح الأمة، بل تسعى إلى ضمان مصالح ضيقة للطائفة وأفرادها، وتؤدي إلى تهميش المصالح الوطنية والقومية<sup>2</sup>. تقوم على اعتماد سياسة التمييز الطائفي، وتشجيع حالات الصراع المذهبي لأغراض سياسية<sup>3</sup>. والخطاب الطائفي نوع من الخطاب الديني المتعصب، الذي يتسم برفضه للرأي المخالف لرأي الطائفة التي يتحدث باسمها، والمعبر عن قناعته بأنه مالك للحقيقة دون غيره، وبالتالي فهو غير قابل لأي توافق في الرأي أو الموقف، بل يتحول إلى سلطة

1 - عبد الإله بلقزيز ، مرجع سابق ، ص 10.

2 - عزمي بشارة ، الطائفية خطر يحرق ببناء الثورات العربية للديمقراطية ، أعمال ندوة الثورة العربية و الديمقراطية جذور النزاعات الطائفية و سبل مكافحتها ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة 28 يناير 2012، ص 7.

3 - حسن موسى الصفار ، الطائفية بين السياسة والدين ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2009 ص 7.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

دينية<sup>1</sup>، مقدسة لها سطوتها المحمية من النقد أو المنافسة. هذه الاتجاهات التعصبية بين الجماعات توفر المسوغ الشرعي للممارسات الطائفية، حتى وإن اتجهت نحو العنف .

تتعارض الطائفية مع المواطنة، بما يهدد تشكل الفضاء العام لمجتمع سياسي تتعالى فيه قيمه المميزة عن الخصوصيات الثقافية، وفي هذه الحالة إذا كانت بنية الطوائف قوى اجتماعية وسياسية يمكن أن تشكل تهديدا موجها للدولة. يمكن لهذه الأخيرة أن توظف هذه التهديدات لكي تُقوي وتضبط الوضع، من خلال شق القوميات لأجل الحكم، كأن توظف تهديدات هوياتية، بغرض زعزعة خصم سياسي. هذا النموذج من التوظيف يترجم إجمالاً ما يشبه طائفية الدولة<sup>2</sup>. وهو مثل أي توظيف لأي هوية، مسألة تحمل خطورة ونهايات مفتوحة، من العسير ضبطها، رغم عوائدها السلطوية السريعة .

المجتمعات المنقسمة تشيع فيها القوالب النمطية تجاه الآخر، وهذه القوالب الإدراكية تتسم بالتصلب المفرط عن جماعة معينة، يتم في ضوئها وصف وتصنيف الأشخاص الذين ينتمون إلى هذه الجماعة بناء على مجموعة من الخصائص المميزة. أو أنها تمثل تعميمات مفرطة عن خصائص مجموعة من الأشخاص الذين ينتمون إلى هذه الفئة<sup>3</sup>. هذه التعميمات توظف التاريخ والأسطورة والصراعات الاجتماعية من أجل إثبات أن الجماعات المنافسة كتلة واحدة، بخصائص واحدة، ولا تحمل أي تنوع أو اختلاف. وهذا بغرض تبرير الأحكام العامة. لكن هذا السلوك لا يشمل المجتمعات المنقسمة فقط.

يعتبر التعصب أساساً للعديد من الأزمات الاجتماعية حيث يشيع العديد من مشاعر الكراهية والعداء بين مختلف فئات المجتمع ويمنع التواصل بينها، كما يشكل ذلك أساساً للحروب الأهلية والطائفية والعرقية. تدخل هذه الظاهرة المجتمع في دوامة عنف و كراهية لا تنتهي، علاوة عما ينتج عنها من تخلف اقتصادي<sup>4</sup>. بفعل البيئة المضطربة، وطول الصراعات الهوياتية، واعتماد الاقتصاد على مبدأ التمييز، خلافاً للمنافسة الحرة. يصبح أمن المجتمع مهدداً بفعل تنافر مكوناته وتخاوفها، وتواطؤ الدولة أو عجزها عن الضبط الاجتماعي. إن جوهر الأمن المجتمعي حفظ مكونات الهوية وما يستتبعها من توفير للاحتياجات الأساسية Basic Needs، والبديل هو المأزق الأمني المجتمعي المزمّن والممتد .

1 - نصر الدين العياضي، الخطاب الطائفي في الفضائيات الدينية، سلسلة ملفات بحثية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، يوليو 2016 ، ص 47.

2 - كريستوفر جافرلو ، الدولة في مواجهة الطوائف ، ترجمة منتصر حمادة ، مؤمنون بلا حدود ، الرباط ، 2017 ، ص 95.

3 - معتز سيد عبد الله ، مرجع سابق ، ص 54.

4 - نبيل عبد الهادي ، تشكيل السلوك الاجتماعي ، دار البازوردي العلمية ، عمان ، 2016 ، ص 167.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

وإذا تجاوزت حدة التعصب المستوى المعقول والمقبول من التفاعل الاجتماعي، يصبح عاملا من عوامل تقويض وحدة المجتمع، وينم عن اضطراب في ميزان الصحة النفسية الاجتماعية، مما يفسد المجتمع، ويهدد كيانه، بفعل متغيرات عديدة تعمل على نشأة أشكال مختلفة من التحيز Biases<sup>1</sup>. المجتمع الطائفي مجتمع خال من ثقافة الاعتراف، ليس الاعتراف بحق المخالف في الرأي والاعتقاد، بل حتى بالحق في وجوده، إنه مجتمع يعاني فقرا فادحا في قيم الصبح والعمو والمساكنة، لذلك تراه مستغزا ضد بعضه. وعليه فهو مجتمع منقسم، عمودي العلاقات لا أفقيها، يفتقر إلى علاقات الاندماج الاجتماعي، وإلى الشعور بالانتماء المشترك، لذلك يكون هشاً ورخوا، وتبحث عصبياته عن الحماية من الخارج، فتكون كل واحدة منها تبعا لدولة أجنبية<sup>2</sup>. تمثل نفوذها ومصالحها. يتعقد الصراع في هذه الحالة وتزداد الأحقاد الاجتماعية، التي تدفع نحو التجزئة والانفصال لتأسيس توازنات جديدة بناء على التقسيمات الطائفية، يظهر هذا الواقع باعتباره خلاصا من معضلة الخوف المتبادل، لكنه امتداد للصراع بأدوات جديدة .

يعمل النظام الطائفي على إعادة إنتاج التمييز ونقله عبر الأجيال المتعاقبة، من خلال التنشئة الطائفية، حيث يمكن الحديث عن نوعين من التمييز Discrimination: التمييز الرسمي Official، والتمييز الخاص Private، فالأول (الرسمي) تقوم به سلطات المجتمع الذي يوجد فيه التعصب بصورة صريحة، ويطلق عليه العزل Segregation أو الفصل، وهذا التمييز الرسمي يشمل مختلف الجوانب السياسية والدينية والقانونية والاجتماعية والتعليمية في المجتمع<sup>3</sup>. وهو استبعاد اجتماعي تجاه مكونات مقصودة، بغرض منعها من المنافسة على الحقوق أو الوظائف أو الفرص الاقتصادية والتموية، حيث تصبح مؤسسات الدولة وثرواتها تدار بمنطق الغنيمة، باعتبارها مساحة صراع، تُحوّل لتصبح وسيلة توظف في ممارسة التحيز .

تعمل الطائفية، وما يرافقها من سلوك تمييزي إلى تعرية قيم الانتماء المشتركة، من خلال هدم الشعور بالوحدة الجامعة في الوطن الواحد، ما يؤدي إلى تنامي شعور المظلومية المجتمعية بفعل الخبرة التراكمية مع الإقصاء. ينتقل هذا الشعور بالانتماء، وإدراك الإقصاء والتمييز المجتمعي الناجم عن الفرز الطائفي،

1 - معتز سيد عبد الله ، مرجع سابق ، ص 13.

2 - عبد الإله بلقزيز ، مرجع سابق ، ص 16.

3 - معتز سيد عبد الله ، مرجع سابق ، ص 58.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

وتباينات الهويات الفرعية ليتحول إلى انقسام عمودي داخل البنية المجتمعية، ما يفتأ أن يتحول هذا التدرج إلى صراع سياسي، أو احتراب أهلي مسلح، ويُمكن من التدخلات الأجنبية .

وضع ألبرت Alport مقياساً متدرجاً من الأنشطة السلوكية التي يمكن أن تتولد نتيجة الخصومة بين الجماعات، وذلك على النحو التالي:<sup>1</sup>

- التجنب Avoidance: في هذه الحالة نجد أن الشخص المتعصب لا يواجه أذى مباشر للجماعة موضوع الكراهية، لكنه يأخذ على عاتقه عبء التكيف Accommodation والانسحاب بنفسه عن مواقف التعامل مع أعضاء هذه الجماعات.

- التمييز Discrimination : وتعد هذه المرحلة بداية أشكال التمييز الضارة، حيث يأخذ صاحب التعصب على عاتقه السعي إلى منع أعضاء الجماعات الخارجية من الحصول على التسهيلات والامتيازات، التي يتمتع بها الآخرون، كالوظائف والإقامة في أماكن معينة، إضافة إلى الحقوق السياسية، وكذلك فرص التعليم و الترقى و العلاج .. الخ .

- الهجوم الجسماني Physical Attack: تؤدي الكراهية بين الجماعات في ظل حالات الانفعال العميق، إلى مرحلة أخرى من سلوك العنف، أو شبه العنف، الذي يتمثل في العدوان الجسماني، على أعضاء الجماعة محل الكراهية .

- الإبادة Extermination: وهذه بالطبع هي المرحلة النهائية للعداوة والكراهية بين الجماعات، وتشمل الإبادة الجماعية، أو الإعدام دون محاكمة قانونية، أو أي شكل من أشكال العنف الجماعي . Mass Violence .

الطائفية ظاهرة خطيرة ومركبة وذات اتجاهات عمودية، تظهر بفعل تثير التباينات لأغراض سياسية، تعمل على قولبة الرعايا عبر التنشئة التي تصوغ إدراكهم، بأشكال من خطاب الخوف والكراهية، في إطار نظام يتمركز حول الطائفة. إن انعكاسات الطائفية لا تقتصر على الحاضر، بل تترد بعيداً لتعيد قراءة التاريخ قراءة منحازة، تبرر الفعل الطائفي، وبفعل الممارسات الاستيعادية فهي تصوغ مستقبل الجماعات، ككتل متنافرة، يدفعها واقعها للاحتراب والتصارع، ومن ثم الانفصال .

<sup>1</sup>- المرجع نفسه ، ص ص ، 57-58 - 59.



### المبحث الثالث: في تاريخ المسألة الطائفية: من تراكبات المسار المدرسي للفرق

#### الكلامية إلى الهويات المستقلة .

الخبرة الإنسانية ظاهرة تراكمية، وعليه فالبحث في الأصول التاريخية للظواهر ودروب تشكلها وتطورها، يمكن من فهم أكبر لها. بناء عليه يسعى هذا المبحث للحفر في الجذور التاريخية للظاهرة الطائفية، بغية رصد المراحل المفصلية التي أصّلت للمسألة، كما ويعمل على قراءة الخطاب الاستشراقي الذي صاغ السياسات الكولونيالية ماضيا، ويصوغ حاليا سياسات القوى الدولية المتنافسة، انطلاقا من قراءة تاريخ المجتمعات العربية والإسلامية كتاريخ طوائف متصارعة .

#### المطلب الأول: بين الدين والسياسة .. السياقات التاريخية لتبلور المسألة الطائفية.

الطائفية باعتبارها ظاهرة اجتماعية ليست صدفة وليدة الحاضر وتفاعلات الوحدات الاجتماعية، بقدر ما لها جذور تاريخية، وروافد فكرية تتأسس عليها، وتبني تصوراتها، بناء عليه يسعى هذا العنصر لاستقراء التطور التاريخي لتشكل الطائفية، سعيا لرصد المراحل المفصلية في تشكلها، كفكر وكمارسة تجاه الداخل والخارج، بحثا في التأصيل الفكري للانقسامات الكبرى داخل جماعة الإسلام .

هذه الانقسامات التي شهدت ظهور الفرق المنفصلة عن الجماعة الأم، وانكفاءها حول سردياتها الخاصة وطقوسها التي تشكلت عبر الزمن، لتدخل هذه الفرق أيضا في متلازمة التذرر والتفكك، بظهور طوائف جديدة بفهم مغاير. إن ظهور هذه الفرق والطوائف وتطورها لتصبح كيانات اجتماعية لها نظمها الخاصة ومريدوها وطقوسها، هو الذي يفضي لظهور الطائفية، في علاقة هذه الطوائف بالمكونات المقابلة، وبعلاقتها بالدولة، بفعل عمليات التنشئة والتخلق الفكري والسلوكي للعقل الجمعي لهذه الكيانات. للشقاقت السياسية والمذهبية جذورها التاريخية الضاربة في القدم، فرغم أن الإسلام حمل رسالة كونية، وألحَّ على أخوة الإيمان منذ البداية، فإن السياق الاجتماعي والثقافي في الجزيرة العربية لم يكن سياقًا توحيديا لا بالمعنى الاعتقادي، ولا بالمعنى الاجتماعي، فالعصبية القبلية السائدة آنذاك كانت تتأبى على أي تعريف كوني للأخوة الإيمانية أو الرابطة الإنسانية<sup>1</sup>. ولا زالت إلى الآن متغيرات فاعلة في البنى المجتمعية تنافس الطوائف والأديان، بأعرافها الحاكمة، والأخطر أنها تتراحم الولاء للدولة.

1- محمد بن المختار الشنقيطي، أثر الحروب الصليبية على العلاقات السنية الشيعية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2016، ص83.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

تُثل الدولة الإسلامية، أو المبادئ الإسلامية للسياسة كانت متقدمة على ما تستطيع الظروف الواقعية الاجتماعية والمادية أن تُوفره من إمكانيات عملية لتحقيقها. إن تطبيق هذه المبادئ يعني بالفعل تحقيق مجتمع العدالة والمساواة ونوع من الشورى والديمقراطية، وهذا ما صَعُب تحقيقه في إطار معطيات إمبراطورية كبرى متعددة الأقوام والأديان أيضا، وهو يفسر لماذا تحولت السياسة الإسلامية إلى يوتوبيا لا إلى برنامج عمل<sup>1</sup>. فعجز الواقع عن تجسيد هذه القيم، دفع إلى سيطرة القيم البديلة والحاضرة اجتماعيا، وذات العمق السيسولوجي المتجذر.

إن التأسيس الحقيقي لتاريخ الطائفية لا يمكن تحديده بشكل قطعي، لأن تاريخ النضال السياسي والاجتماعي والثقافي للإسلام لم يشر لمفهوم الطائفية بالمعنى النصي للكلمة، وأن هناك اختلاف بين الكُتّاب، والباحثين بخصوص أصليات الكلمة، وإن لم نجد لها تعبيراً قطعياً في التاريخ الإسلامي الأول، إلا أن هذا لا يمنعنا من القول أن هناك مفاهيم وألفاظ تُعطي نفس المعنى الوصفي للطائفية، وإن اختلف اللفظ<sup>2</sup>. ثمة ما يشبه الاتفاق على أن المذاهب الفقهية والعقدية، والطوائف الدينية بأشكالها التي نعرفها اليوم لم تكن موجودة في عصور الإسلام الأولى، وقد شهد التاريخ الطويل للأمة الإسلامية ظهور العديد من المدارس في الفقه والعقيدة والفلسفة، بعضها اندثر، في حين تحول بعضها الآخر، وتطور من مدرسة أو منهج إلى جماعة، أو بقي في إطاره المدرسي<sup>3</sup>. فالاهتمام كان بالفرق والطوائف عبر خطابها العقدي، وموقفها السياسي تجاه الطبقة الحاكمة.

عرف المسلمون منذ القرون الأولى مسمى الفرقة قبل الطائفة، كفرق الخوارج والشيعة، وذلك لأسباب تتعلق بالنصوص الدينية التي جاءت بالتنصيص على الافتراق، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لأن مصطلح الفرقة أخفّ وطناً، إذ يشير إلى الاختلاف العقائدي والتعبدي والمذهبي أكثر من إشارته إلى الافتراق الطائفي، الذي ارتبط لاحقاً بدور العبادة المستقلة، والطقوس الخاصة، عدا المقولات والأفكار المستقلة تماماً التي تميز طائفة ما عن نظيراتها<sup>4</sup>. حيث تصبح الطائفة سياجا اجتماعيا له مؤسساته وخطابه المستقل، أكثر من كونها حالة اجتهادية تجمع عددا من المريدين .

1- برهان غليون ، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة ، مرجع سابق ، ص 140

2- حسام كصاي، مرجع سابق ، ص 20.

3- توفيق السيف، المسألة الطائفية: بحثاً عن تفسير خارج الصندوق المذهبي، مرجع سابق ، ص 4.

4- يوسف الديني، مرجع سابق ، ص 11.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

انضاف إلى تلك التصدعات الكامنة، ذلك الانشطار المبكر حول موضوع الشرعية السياسية المعروف في التاريخ الإسلامي باسم الفتنة الكبرى، لقد بدأ الشقاق السياسي داخل الجماعة المسلمة الأولى في اليوم ذاته الذي توفي فيه النبي صلى الله عليه، وهو الشقاق الذي سيتحول في القرون اللاحقة إلى انشطار اعتقادي<sup>1</sup>. ويرجع عدد من المؤرخين ظهور الفرق الدينية في الإسلام إلى القمع السياسي، حيث أن التيارات التي بدأت موقفا سياسيا تحولت بالتدريج إلى فرق دينية فرارا من بطش الدولة<sup>2</sup>. فالاستهداف - خاصة إذا كان عنيفا- يدفع بالجماعات نحو الانزواء، وهو ما ينتج عنه قراءة منغلقة وقد تكون متطرفة للنص على ضوء الواقع، ما تفتأ لتتحول بتراكم الاجتهادات لمنظومة إيمانية تفسر الواقع. بخلاف لو كانت تتفاعل بشكل طبيعي وتتلاقح مع السياق العام دون استهداف أمني .

طبعت الفتنة في بدايات الحضارة الإسلامية الحياة الإسلامية إلى الأبد، وأضحت الأطراف المتنافسة تستفيد من هذه الأحداث المأساوية في صراعاتها لفهم رسالتها. حيث طوّرت الشيعة مذهباً للمعارضة الدينية، الذي يعظم من سلالة علي (رضي الله عنه) وآل البيت باعتبارهم القادة الحقيقيين للأمة. غير أن معظم المسلمين خوفاً من الانقسام ذهبوا إلى أن وحدة الأمة هي الأولوية<sup>3</sup>.

البعض يذهب بالطائفية إلى عصر الردة في خلافة سيدنا أبو بكر (رضي الله عنه). بينما يرجعها البعض إلى الفتنة الكبرى بين الصحابة، والتي أدت إلى مقتل سيدنا عثمان (رضي الله عنه)، وما تبعها. وهناك من يعتبرها ظاهرة لازمت الفكر الإسلامي منذ نهاية الخلافة الراشدة. وهناك من يرى فيها تعبيرا اصطلاحيا أطلق على فرق إسلامية تكونت في أغلبها إبان العصر العباسي، لتعبر ظاهريا على تحول تلك الفرق من ساحة العمل السياسي إلى العمل الديني<sup>4</sup>.

شهد عصر الراشدين وما بعده ظهور نماذج واضحة عن تيارات ذات قوامٍ محدد سياسي أو ثقافي، كما عرفت الفترات الأخيرة من العصر الأموي تحول عدد من التيارات السياسية إلى مذاهب في الفقه أو العقيدة. وتبلور هذا الاتجاه بصورة أوضح في العصر العباسي، رغم أن السمات السياسية بقيت أوضح من الدينية، فتصنيف المذاهب والفرق كان أقرب للسياسي منه للديني، واستمر هذا الحال حتى القرن العاشر الميلادي حين ظهر النموذج الأكثر اكتمالا للمذهب الديني الخالص، الذي يضم إضافة إلى

1- محمد بن المختار الشنقيطي ، مرجع سابق ، ص 84.

2- توفيق السيف، المسألة الطائفية: بحث عن تفسير خارج الصنف المذهبي، ص 02.

3- كارين أرمسترونغ، مرجع سابق ، ص 295.

4- حسام كصاي ، مرجع سابق ، ص ص 20-21.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

المدرسة الفقهية، منظومة من الآراء، خاصة في الاعتقاد، وقدر من التشكُّل الاجتماعي متمايزا عن الآخرين<sup>1</sup>.

جاء التحول الذي طرأ على المسألة الطائفية مرتبطا بعوامل سياسية بالدرجة الأولى، حين رفعت الفرق الكلامية شعاراتها التي كانت تحمل مضامين سياسية مضمرة، وإن كانت في ظاهرها شعارات دينية. فالطوائف الأولى في تاريخ الإسلام كانت تحمل همًّا سياسيا مباشرا، لكن الشأن السياسي آنذاك كان متماهيا مع الدين بشكل يصعب فرزه عنه<sup>2</sup>. إن ما يجعل من العسير تلمُّس بدايات الطائفية كظاهرة رغم الانقسامات الشديدة التي طبعت بدايات الحضارة الإسلامية، هو أنه رغم الخلافات السياسية التي تطورت لحروبٍ بمسوغ ديني. إلا أن الاختلافات العقدية والدينية لم تكن بذات القدر والحدة التي تدفع لتشكيل مكونات مستقلة، بدور عبادة وخطاب ديني ونظام فقهي واجتماعي مغاير.

لم يكتسب مفهوم الطائفة مضامين معيارية سلبية إلا في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي الذي يتعارف المؤرخون المعاصرون على وضعه في أساس تحقيهم للعصر العباسي الثاني، مع ما شهده من بروز إمارات الأطراف المتغلبة، وتآكل سلطة الخليفة في بغداد، وهو ما شكل أساس تبلور مصطلح ملوك الطوائف<sup>3</sup>. مثل هذا السياق المُتدَرِّج الذي يشهد تراجع سلطة المركز، مع ما يحمله هذا التقهقر من تآكل السردية العقدية للأمم، وتراجع السلطة الدينية الجامعة، فرصة لصالح جماعات الأطراف المتمردة أين كونت خطابها الفكري الخاص، وسعت للانتقال إلى مرحلة التأسيس السياسي على غرار الإسماعيلية والقرامطة. فوجدت في الخطاب الطائفي غطاء يوفر الشرعية والقدرة على الحشد والبناء الداخلي، ويضمن الانتماء للجماعة ويميزها عن باقي المجتمع.

إن وضع الشقاق السني الشيعي في سياقه التاريخي يستلزم الاعتراف أولا بأن التسنن والتشيع لم يتبلورا في صيغة مدرستين اعتقاديتين متوازيتين إلا في العصر العباسي، فقد كان من أهم الظواهر الثقافية التي ظهرت في العصر العباسي الأول أن تحوّل التشيع من رؤية سياسية إلى بنية اعتقادية، وتحول التسنن من فضاء مفتوح من الأفكار والقيم إلى نظام اعتقادي مغلق محدد المعالم والحدود<sup>4</sup>. وهنا

1- توفيق السيف ، المسألة الطائفية: بحث عن تفسير خارج الصندوق المذهبي، مرجع سابق ، ص 06.

2- يوسف الديني ، مرجع سابق ، ص 11.

3- ، المرجع نفسه ، ص 09.

4- محمد بن المختار الشنقيطي ، مرجع سابق ، ص 85.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

انتقل الاختلاف السياسي، إلى تباين اعتقادي، خط حدود الفرق والطوائف، التي لم تتوقف عن الظهور عبر مذاهب وتيارات و فرق في كل مرحلة زمنية .

ساهم نشوء الدولة الفاطمية في تبلور الظاهرة الطائفية، وتحول أهل السنة لملة مستنفرة ضدها، وتبلور المذهب الإثني عشري مقابل الفرق الشيعية الأخرى، وتأثره بالتغيرات السكانية والجغرافية من خلال استخدام المذهب كآلية للتطيف، أي تحويله إلى ممارسات يمكن لجماعة كبيرة الالتزام بها في خضم الصراع العثماني الصفوي على العراق<sup>1</sup>. كان لهذا الصراع دورا بارزا في بعث الظاهرة، مع ما حمله من رمزية مذهبية، مثلت حالة استقطاب حاد بين السنة والشيعية، وساهمت في عملية الجذب المذهبي، والحشد والتمدد باسم الدفاع عن المذهب والمعتقد .

كان نمط الاعتصاب القائم على الملة والنحلة، سمة مميزة للجماعات طيلة عهود العصر الوسيط، أو ما قبل الحديث، وكانت النظم الثقافية والاجتماعية والدولالية القديمة توفر له شروط الإمكان وتُبَرر وجوده، إذ لم يكن يمكن للانقسامات الاجتماعية أن تُعبّر عن نفسها في تلك الأوضاع المجتمعية، إلا في شكل تقاطبات عمودية يؤدي الثقافي والإيديولوجي دورا محدد (Determinant) فيها<sup>2</sup>. فالنمط الإمبراطوري الممتد المساحة، كان يخاطب الرعايا عبر جماعاتهم، ويتيح لهم في ذات الوقت تدبير شؤونهم الدينية بشكل لا مركزي. وعليه تصبح كل طائفة أو فرقة أو قبيلة بناء اجتماعيا له شيء من الاستقلالية. إذ ساهمت البنية الإمبراطورية للدولة الإسلامية في تجاوز الصراعات الطائفية، نظرا لأنها فسحت المجال لحرية الممارسات الطقوسية للأديان والمذاهب. رغم أن هذا لا يعني عدم وجود احتكاكات ذات صبغة هوياتية في مناطق التماس الطائفي أو المذهبي .

في الحالة السنية تأسست الحدود المذهبية الواضحة في حكم المماليك لبلاد الشام ومصر، وذلك من خلال إعادة صياغة الهوية المذهبية ضد الفرق الشيعية والعلوية في المشرق، في مرحلة الصراع مع المغول تحديدا. أما في الحالة الشيعية فبدأت هذه العملية في بغداد في ظل حكم البويهيين، واكتملت وتأسست في ظل حكم الصفويين<sup>3</sup>. السياق الزمني لهذه المؤسسة هو الذي شكل الحدود الجغرافية الحالية للطوائف وتوزعها المكاني بين الدول، وكان نتيجة لعملية تسييس المذهب، اعتماد التطيف

1- عزمي بشارة ، الطائفة و الطائفية: من اللفظ و دلالاته المتبدلة إلى المصطلح السيسولوجي التحليلي ، مرجع سابق ، ص 15.

2- عبد الإله بلقزيز و آخرون ، مرجع سابق ، ص 79.

3- عزمي بشارة ، الطائفة ، الطائفية ، الطوائف المتخيلة ، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات ، الدوحة ، 2018، ص 16.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

القسري كآلية امتداد سياسي، ضمن الصراع العثماني-الصفوي، الذي يمتد بفواعل جديدة. كما مثل تجسيدا لتوظيف الاختلافات الطائفية في الصراعات الإقليمية .

الطائفية السياسية ذات جذور تاريخية، لكنها بمعناها المعاصر وليدة تفاعل المنظومة الاجتماعية القائمة مع الاستعمار الحديث، وطريقة بنائه للدولة التي سترتها الدولة الوطنية المستقلة، أو ستصطدم بها بعده. لقد حوّل الاستعمار الملل العثمانية إلى طوائف سياسية تبرر تدخله، وواصل الهندسة الطائفية خلال مرحلة الانتداب<sup>1</sup>. فارتبط مفهوم الطائفية بمفهوم الأقليات والذي شكل في التاريخ العربي الحديث مشكلة حقيقية قومية ودولية منذ اللحظة التي أعطت فيها السلطات العثمانية التي كانت تدير شؤون الوطن العربي حق الإشراف على الأقليات الدينية إلى الدول الأجنبية، فيما يعرف بالامتيازات<sup>2</sup>. التي بقدر ما خطّت حدود المصالح الكولونيالية، بقدر ما رسخت الصدوع المجتمعية بين المكونات الداخلية، لأنها اعتمدت تقسيم مناطق النفوذ والمصالح، بناء على حدود الانتشار الجغرافي للتشكيلات الاجتماعية. بناء عليه عززت الأخيرة تحالفها مع القوى الجديدة، في إطار علاقة تخادمية لحفظ المصالح، لكن تداعياتها الطائفية والانقسامية بقيت ممتدة. تجلّى هذا النموذج بوضوح في بلاد الشام .

المسألة الشرقية انطوت على طرح امتيازات الطوائف في المنطقة العربية، في إطار السعي الأوربي لاقتسام الولايات الخاضعة للعثمانيين. وهذا يعني زيادة التدخلات الأوربية بدافع المصالح التجارية والإستراتيجية بالدرجة الأولى، وإن اقتضت هذه التدخلات تحريك الفتن الطائفية والمذهبية والإثنية، في ظل تراجع السلطة العثمانية وضعف إدارتها. مع الإشارة إلى وجود استعداد ذاتي عند بعض الجماعات الطائفية للاستقواء بالأجنبي وطلب الحماية منه. لذلك كثيرا ما انعكست الصراعات الدولية على العلاقات بين الطوائف والأقاليم العربية، فاتخذت أحيانا أشكال العنف والصراع، وسقطت بعض المجموعات الطائفية ضحية هذه الصراعات الدولية<sup>3</sup>.

كان من الممكن اعتبار أي تمايز داخل الجماعة السياسية التقليدية مؤشرا على وجود شعب متميز يستحق دولة مستقلة، وهو ما عملت عليه السياسة الاستعمارية في إفريقيا وآسيا والعالم العربي، والنتيجة أن القوى الكولونيالية استطاعت من خلال اللعب بحق تقرير المصير، وهيمنة مبدأ الدولة القومية أن تُقَطِّع

1- عزمي بشارة، مدخل لفهم المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في المشرق الكبير، مرجع سابق ، ص 12.

2- سناء سليمان ، الطائفية المفهوم و إشكالاته ومخاطره، مرجع سابق ، ص 62.

3 - عدنان السيد ، البيئة الإقليمية والدولية الضاغطة ، في النزاعات الأهلية العربية : العوامل الداخلية والخارجية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 1997.صص 91-92.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

هذه الجماعات ونُقَصِّلها حسب ما تشاء، في دول لا يمكن أن تعيش دون الاعتماد الدائم عليها، أي أن تُنفذ إستراتيجية السيطرة العالمية<sup>1</sup>. إن هذا السياق وما نتج عنه من دول قائمة على تناقضات خطيرة، هو أحد مظاهر الإمكانيات السلطوية والإستراتيجية لسياسات الهوية الطائفية، وكيف لها أن توفر مناطق نفوذ مستدام، بفضل العمل على تحريك الخوف المتبادل بين الجماعات .

فرضت الدول الاستعمارية على السلطة العثمانية في إطار ما سمي بامتيازات الحماية، حماية بعض الطوائف السورية، بموجب الاتفاقية المُبرمة بين هذه الدول والسلطة العثمانية، على أن يكون لروسيا حق حماية الروم الأرثوذكس، وفرنسا حماية الكاثوليك، وللمسا حماية اللاتين الكاثوليك. ولم تجد بريطانيا لقلة عدد البروتستانت سوى حماية الدروز، وبالرغم من أن كافة هذه الطوائف لم تطلب الحماية من هذه الدول، ولم يكن لها يد في هذه الاتفاقيات، لكنها مع الزمن أصبحت جزءا من هذه الاتفاقيات، وتفاعلت معها<sup>2</sup>.

فكانت بداية تحويل المكونات الدينية والطائفية إلى أقليات يتدخل الاستعمار لحمايتها، بداية من مؤسسة المحاصصة الطائفية في إدارة مجلس جبل لبنان إثر مذابح\* 1860<sup>3</sup>. جرى تحويل سييولوجي لموقع هذه المكونات وإدراكها لذاتها، من عناصر ضمن النسيج الاجتماعي المتنوع، إلى أقليات عبر الاستثمار في فكرة التباين مع المحيط الاجتماعي. وهذا نموذج يمكن تطبيقه في أي بيئة اجتماعية متنوعة.

في ظل التنافس الانجليزي الفرنسي على تركة الدولة العثمانية في الشرق، عملت فرنسا في تصديها للمشروع الانجليزي المرتكز على توحيد المنطقة إسلاميا ضمن خلافة أو دولة عربية، على الاهتمام بخصوصيات الطوائف، مع البحث عن أشكال تحالفات تلتقي فيها مصالح فرنسا والزعامات المحلية لهذه الطوائف<sup>4</sup>. فتم فصل الطوائف من كتلتها المجتمعية، ومن ثم ربط بقائها بالقوى الكولنيالية، لتصبح بعد

1- برهان غليون ، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة ، مرجع سابق ، ص 147.

2- عزمي بشارة الطائفية خطر يحرق ببناء الثورات العربية للديمقراطية، أعمال ندوة الثورة العربية والديمقراطية جذور النزاعات الطائفية وسبل مكافحتها، مرجع سابق ، ص 07.

\* أحداث عنف طائفي بين الماورنة والدروز، بدأت بما يعرف بثورة الفلاحين (الماورنة) على ملاك الأراضي من الدروز، وهي نتيجة لنوات من التوتر والتدخلات الأجنبية خاصة فرنسا التي دعمت الموارنة، وبريطانيا التي دعمت الدروز، ولم تفلح المحاولات العثمانية لإعادة النظام، بل استفادت من وضع الانقسام في كثير من الأحيان، نتج عن هذه الحرب قتل أكثر من 20 ألف وحرقت عشرات القرى وامتداد الفتنة الطائفية في الشام. وكان للأمير عبد القار الجزائري دور كبير في تهدئة الأوضاع وحماية المسيحيين .

3- عزمي بشارة، مدخل لفهم المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في المشرق الكبير، مرجع سابق ، ص 15.

4 - وجيه كوثراني ، بلاد الشام في مطلع القرن العشرين: السكان والاقتصاد وفلسطين والمشروع الصهيوني، قراءة في وثائق الدبلوماسية الفرنسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ط2، 2013، ص 211.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

ذلك حامية لمصالحها، في علاقة تخادمية، تسعى من خلالها القوى الغربية لتأكيد حالة التجزئة، ويسعى وكلاء الطوائف لزيادة النفوذ على حساب باقي المكونات.

فرنسا القومية التي دمجت بالقوة شعوبا تتكلم لغات مختلفة، وذات أصول وثقافات متميزة، جعلتها جميعا أحفادا لشعب الغال، اكتشفت في سورية الصغرى - التي وضعتها تحت وصايتها- خمسة شعوب، ومن ثم دول مستقلة بحاجة إلى البناء، ونفذت المشروع بالفعل. وإضافة على التمايز المذهبي اخترعت معيارا جديدا للتقسيم داخل إطار المذهب الواحد هو الجغرافيا<sup>1</sup>. فالهدف دائما هو البحث عن أي عنصر تمايز لجعله أساسا لتقسيم وصنع الكيانات الجديدة

سياق الطائفية السياسية بمعناها التحاصصي المحدد يرتبط بمرحلة تاريخية جديدة نشأت فيها الدولة الوطنية والجماعة القومية، وأصبح في الإمكان الحديث عن عصبية لقطاعات فيها تقوم على الدين والمذهب، وأصبح في الإمكان تصورهما والمطالبة بحصة في الدولة حتى حين لم تنشأ الدولة بعد، أي قبل الاستقلال. تختلف الطائفية السياسية المعاصرة عن الطائفية الثاوية في نظام الملل العثماني، في أنها تقوم على المحاصصة السياسية المؤسسية أو شبه المؤسسية للطوائف، بينما كان نظام الملل إطارا تنظيميا قد ينطوي على التهميش، لكنه لا ينطوي أبدا على المحاصصة وترسيمها<sup>2</sup>. فطبيعة البنية الإمبراطورية كانت تساوي في الحرمان من الحقوق السياسية بين الجميع، كما أنها شهدت تولي أصحاب المذاهب والأديان لمختلفة لوظائف سامية في الدولة. إضافة لتركها المجال للطوائف الدينية في إدارة شؤونها التعبدية وقضايا الأحوال الشخصية.

في التمثل المعاصر للظاهرة الطائفية، نجد أن المقدس فيها هو الجماعة وليس المذهب. تُعد الجماعة طائفة أصلا، أي جزءا من كل، لكن الطائفية ناتجة من أن الكل الجديد مختلف تاريخيا وينافس الجماعات المحلية في مد خطوط الانتماء إليه، ومساراته التي تمكنه الحداثة منها، مثل التعليم الرسمي والخدمة العسكرية وخدمات الدولة. أما في الماضي فلم يتسن للكيانية السياسية الإمبراطورية التواصل مباشرة مع القواعد البشرية المشكلة للجماعات الأهلية، ولا حتى على مستوى الولاية، إلا عبر وسائطها المحلية، والاعتراف باستقلاليتها الذاتية أو مراعاتها<sup>3</sup>.

1- برهان غليون ، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة ، مرجع سابق ، ص 146.

2- عزمي بشارة ، مدخل لفهم المسألة الطائفية و صناعة الأقليات في المشرق العربي الكبير ، ص 07.

3- المرجع نفسه، ص 11.



## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

منذ أواخر القرن التاسع عشر أصبح تأكيد الذات لدى الطوائف غير المسلمة يأخذ شكل الهجوم على الذاتية السياسية الإسلامية المؤكدة بقوة في الدولة، وظهرت الدولة العلمانية كنتازل متبادل عن الذاتية، يقوم على إلغاء الطابع الديني للدولة الإسلامية، وليس كبناء لذاتية جديدة عصرية وقومية تتجاوز الدين<sup>1</sup>. إن هذا التنازل ومع ارتباطه بسياق الحملة الكولنيالية وضعف الخلافة والكيانات التي تلتها، مثل عملية جرح ثقافي وأورث كوامنَ عدائية باتجاه القوى الاجتماعية التي حولتها الكولنيالية لأقليات وظيفية. وعليه فعملية التأسيس كانت باعث انقسام متجدد .

تسييس وأدلجة الهويات الجزئية ظاهرة جديدة رغم قدم الهويات كفضاء ثقافي اجتماعي، حيث اعتمد هذا التسييس على منابع الخزين التاريخي للهويات الثقافية الممتد إلى تاريخ طويل، بقيت بناه واضحة في عهود الدولة الساللية السابقة للدولة الحديثة. التسييس نفسه أي القدرة على تحويل الهوية الثقافية إلى حركة احتجاج وانقسام سياسي - اجتماعي وإيديولوجي، سيرورة مديدة ومتعرجة انحسرت ولم تشتد إلا في العقدين الأخيرين من القرن العشرين. ونجاح تسييس الهويات لا يرجع فقط إلى الطابع المركزي للدولة الحديثة وسياساتها الاحتكارية خصوصا في صيغتها الكولنيالية، أي الفترة الممتدة من منتصف القرن العشرين حتى نهايته، بل يتعداه لنشاط وإيديولوجية الإسلام السياسي وشرائح المؤسسة الدينية، فضلا عن المؤثرات الإقليمية والعالمية<sup>2</sup>. إن البناء المشوه للممارسة السياسية ودور الدولة، جعل الطائفية تحضّر بقوة في العقود الأخيرة، باعتبارها مستودعا للدعم والمشروعية، لها عوائد سياسية سريعة، يمكن توظيفها في إطار التنافس على السلطة، في ظل مؤسسات عاجزة. وعليه تصبح الطوائف بديلا عن مؤسسات الدولة وفضاءات المجتمع المدني.

رغم ما عرفته مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية من ميل مختلف الطوائف الدينية وغير الدينية إلى الانصهار والتعاون، وحدث الأمر نفسه في كل فترة نهوض وطني ضد سلطة الاحتلال، إذ كان هذا الصراع يُخلف نوعا من الإجماع الوطني، بدعم الشعور بالانتماء إلى جماعة واحدة ضد الانتماءات الجزئية المتعددة. لم تعد الطائفية إلى الظهور بشكل عنيف، إلا مع وصول هذا المشروع إلى الإخفاق، وعاد كل إلى قواعده التقليدية، قليل الإيمان بالمستقبل، وغير واثق به<sup>3</sup>. أما الأخطر فهو تحطم ثقة

1 - برهان غليون، المسألة الطائفية و مشكلة الأقليات ، مرجع سابق ، ص 26.

2- فالج عبد الجبار، مرجع سابق ، ص 25 - 26.

3 - برهان غليون ، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة ، مرجع سابق ، ص 193.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

الطوائف والمكونات ببعضها، وصعوبة بناء إجماع وطني جديد يؤسس لمرحلة مغايرة، بفعل حالة الشك المتبادل الذي تعززه التجربة التاريخية. حيث كشفت حالة الغش المتبادل والخلفية الطائفية في احتكار مؤسسات الدولة لجماعة طائفية، رغم إظهار النظام بذهنية تقدمية تقطع مع الانتماءات التقليدية.

تقوم الطائفية السياسية المعاصرة على المحاصصة المؤسسية أو شبه المؤسسية للطوائف، ومع أنها ظاهرة في إطار الدول، فإن الرابط الطائفي قد يُسخر بشكل عابر للدول لتوثيق روابط تضامنية أو لغرض التدخل الخارجي في دول أخرى<sup>1</sup>. بناء عليه كانت الروابط الطائفية العبر دولية رافعة للتدخلات الإقليمية، وإستراتيجية مركزية لها، أين استطاعت تكوين روابط مذهبية عابرة للقومية، مكنت من مد نفوذ، كانت الطائفية مدخله الأساسي. في ذات السياق شهدت المنطقة العربية تدخلات دولية على أساس حماية الأقليات والمجموعات الدينية والإثنية، مثل ما شهدته شمال العراق، وأيضاً شمال سوريا. الواقع جعل من الطائفية إستراتيجية تَمُدُّ لتحقيق المصالح، وبناء التحالفات على أساس الهوية.

بدل أن تكون الدولة القومية مبدأً لتنظيم المجال الحضاري، وما يتطلبه من الاستقرار والسلام، ساهمت في خلق دول غير مستقرة، وغير قادرة على الحياة بذاتها، رهينة للدول الكبرى، وأداة لتفكيك الحقل الجيو-سياسي والثقافي في هذه المناطق. وهكذا دفعت إلى نشوء آلية انطواء أعمى على الذات لدى الجماعات، ودعمت العودة إلى الماضي<sup>2</sup>. وأدخلت الدول والمجتمعات في حلقة مغلقة من العنف وعدم الاستقرار، تجد دوافعها في ذوات هذه الدول ومجتمعاتها، ما يجعل الفكك منها عسيراً، لما تُخَلِّفه من صراعات مزمنة .

إن ما يعرف بـ دولة الاستقلال أو الدولة الوطنية هي وريثة دولة الاحتلال في الطبيعة، وهي لذلك أتت ثمرة لزرعة خارجية، ولم تكن نتيجة طبيعية لتفكك بُنى النظام السياسي السلطاني التقليدي، أو تجاوزاً تاريخياً لبني العصبية المحلية ومؤسساتها شبه السياسية. أما النخب التي تسلمت هذه الدولة وأدارت السياسة العامة، فهي في معظمها انفصلت عن محيطها الاجتماعي ثقافياً وقيماً<sup>3</sup>.

قبل 1979 كانت التوترات الطائفية في العام الإسلامي هادئة. من منظور جيوسياسي كانت إيران والسعودية حليفين مهمين للغرب منذ إعلان ريتشارد نيكسون عن سياسة العمود المزدوج، لملأ فراغ

1- عزمي بشارة ، مدخل لفهم المسألة الطائفية و صناعة الأقليات في المشرق العربي الكبير ، مرجع سابق ، ص 07.

2- برهان غليون ، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة ، مرجع سابق ، ص 148.

3- عبد الإله بلقزيز، دور الدولة في مواجهة النزاعات الأهلية ، في النزاعات الأهلية العربية: العوامل الداخلية والخارجية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص 58.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

الانسحاب البريطاني من الخليج. كانت إيران القوة العسكرية، بينما استندت القوة الجيوسياسية السعودية على احتياطاتها النفطية الضخمة. أما في باقي أنحاء العالم الإسلامي فقد أبقّت الاستبدادية العلمانية الاختلافات الطائفية كامنة<sup>1</sup>.

في لبنان تم تحويل الطائفية إلى واقع سياسي طائفي وإعادة إنتاجها من خلال اتفاق الطائف. لكن في العراق يلاحظ أنه رغم الخصومات الطائفية إلا أنه تكاد تختفي الطائفية السياسية من تاريخه، وأن تحويل الطائفية الاجتماعية إلى طائفية سياسية جاء نتيجة التدخل الأمريكي، والتدخل الإيراني في المعارضة العراقية قبل ذلك<sup>2</sup>. وهي التدخلات التي عملت على التأسيس للدولة الطائفية وتشكيل روابط بالدول الداعمة، وتكوين امتداد لها في الحياة السياسية، وتجسيدا لنفوذها. وعليه تتكون جماعة هوياتية مرتبطة بالخارج بقدر انفصالها عن المكونات الاجتماعية المقابلة لها، وتعيش معها في حالة تصارع. وتحوّل الطوائف إلى ملاذات بديلة عن مؤسسات الدولة والمجتمع المدني، ومنها أضحت الطائفية مسألة دستورية بفعل المحاصصة وسياسات الكوّة. لم تثبت مخرجات هذه العملية السياسية نجاحها بقدر ما كرّست الانقسام.

الظاهرة الطائفية التي تشغل الناس في الحاضر، ليست ظاهرة أزلية، ولا هي ملازمة للعرب أو الشرقيين، وفي الدولة العربية ما بعد الاستقلال، كانت الطائفية وحتى القبلية والجهوية حيث لم توجد طوائف، كامنة في بنية الدولة الهشة بنيويا، القوية ظاهريا، فقد سهلت هذه الهشاشة البنيوية على نخب سياسية، ودول إقليمية استدعاءها ضد النظام القائم، أو في الدفاع عنه لأن التفسير الطائفي كان قائما في ذهن الناس، سواء أكان مكبوتا أم معبرا عنه في المجال الخاص. وأيديولوجياً كانت المظلومية الطائفية والجهوية تُستحضر تبريريا في ذهن الحكام و المحكومين<sup>3</sup>. تعتقد مضاوي الرشيد أن الطائفية ليست صفة تاريخية لدى الجماهير العربية، بل هي نتاج لتلاعب الوكلاء الطائفيين ورجال الدين بهذه الهويات، بطلب من الأنظمة الحاكمة ولصالحها. فهي ظاهرة سياسية حديثة تُغذيها نظم ديكتاتورية، يعتمد حكمها على استدعاء هذه الهويات الدينية القديمة التي أصبحت مُسيمة بشكل خطير<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - Ibrahime Warde, Wagering on Sectarianism: The political economy of extremism, The Muslim World, V106, January 2016 , P206.

<sup>2</sup> - عزمي بشارة ، مدخل لفهم المسألة الطائفية و صناعة الأقليات في المشرق العربي الكبير، مرجع سابق ، ص 16.

<sup>3</sup> - عزمي بشارة ، الطائفة ، الطائفية ، الطوائف المتخلفة ، مرجع سابق ، ص 02.

<sup>4</sup> - Madawi Al-Rasheed, Sectarianism as Counter revolution : Saudi Reponses to the arab spring, Studies in Ethnicity and Nationalism: Vol. 11, No. 3, 2011.p 520.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

يرى المؤرخ جوشوا لانديس Joushua Landis أن الشرق الأوسط يمر بفرز كبير مشابه لما حدث في وسط أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، التي أسفر عنها خارطة حدودية أكثر تجانسا عرقيا وثقافيا واجتماعيا. وهذا عكس ما عرفه العالم العربي في ذات الفترة، إذ أنه بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية، ومؤتمر باريس سنة 1919، أفرزت الحدود الجديدة وضعا تعيش فيه شعوب مختلفة جدا، والكثير منها يرفض الاندماج ويسعى للاستقلال.<sup>1</sup>

تشكلت الطوائف في السياق العربي- الإسلامي باعتبارها موقفا سياسيا، تطور ليتحول إلى جماعة ذات خطاب اعتقادي مخالف. لم تشتغل الطوائف بمسألة العقائد بقدر ما اهتمت بتكوين "الجماعة" ذات الحيز والوجود المنافس في الفضاء الاجتماعي. إن البنية الإمبراطورية غطت الممارسة الطائفية بين الجماعات، كما أن هذا النظام أتاح للفرق والجماعات شيئا من الاستقلالية في إدارة شؤونها. لكن هذا لم يمنع من استدعاء الخطاب الطائفي في الصراع السياسي، كما حصل في التنافس العثماني - الصفوي .

يمكن القول أن كثيرا من تجليات الطائفية خصائص حديثة، ظهرت مع انهيار التوازنات المرتبطة بالنظام الإمبراطوري، لتصبح الانقسامات الطائفية وسيلة لتقسيم مناطق النفوذ الكولونيالي، وتحويل الجماعات إلى أقليات متنافرة مع محيطها وربطها بالمركز. تفاقمت الظاهرة مع فشل تجربة الدولة، إذ لم تمثل الدولة ومؤسساتها وعاءً يصهر الجماعات. هذه الهشاشة خلقت بنية مجتمعية غير منتمية لمشروع الدولة، وتحمل استعدادات طائفية، تسهل التدخل الخارجي في إطار الصراع السياسي. مثلت نظم المحاصصة الطائفية دولة الطوائف ، إلا أنه لا يخفى أن مخرجات هذه التجربة تدفع أكثر نحو زيادة فشل الدولة .

<sup>1</sup> - Nader Hashemi and Danny Postel, op .cit, P02.

### المطلب الثاني: الطائفية في الخطاب الاستشراقي ..القراءة الهوياتية للتاريخ ودورها في صياغة الواقع .

تتعدد روافد الطائفية بين التاريخ والحاضر، والسرديات الدينية، والمطالب السياسية، والتناقضات المجتمعية، علاوة على ترسبات الوعي الجمعي للمكونات الطائفية تجاه بعضها، وكذلك يمكن إدراج التدخلات الأجنبية كمتغير مهم في تشكيل المسألة الطائفية، من خلال الاستثمار في الشقاكات بين الكتل، وأيضا عبر التحالفات مع مكونات ضد أخرى، بما يزيد من المسافة بين الطوائف .

لا يمكن الانسياق خلف منطق المؤامرة، والاتكاء عليه كفاعل مركزي في الانبعاث الطائفي. لكن في المقابل لا يمكن تجاوز ما للتدخلات الأجنبية من دور في ذلك منذ المرحلة الكولونيالية، وما رافقها من حملات استشراقية، وبروز المسألة الشرقية، وصولا إلى حالة الاصطفاف الطائفي، والفرز الهوياتي في الوقت الراهن، بغية الهندسة المجتمعية ذات البعد الطائفي أو الإثني، المرتبط بالقوى الإقليمية والدولية، وكذلك لتبرير التدخلات الأجنبية، والحصول على مواطئ إستراتيجية، كقواعد متقدمة في إطار التنافس الدولي على الموارد و مناطق النفوذ، عبر مدخل الأقليات .

كثيرا ما يساء فهم أي دراسة للعوامل الدولية في تأجيج الطائفية، وينظر إليها على أنها تجاهل لوجود مشكلة طائفية في البلاد العربية. لذلك من الجيد تأكيد نقطتين :<sup>1</sup>

- الطائفية مثل العنصرية مشكلة اجتماعية، ودراسة دور الصراعات الدولية في إنكاء النزاعات الطائفية لا يعني أن التدخل الخارجي هو سبب الطائفية .

- لا يمكن نفي الهوية الطائفية، أو دورها في النزاعات، ذلك أنها المادة الأولية التي استخدمها الاستعمار، وتستخدمها نظم ما بعد الكولونيالية لفرض هيمنتها .

العوامل الخارجية هي من أكثر المتغيرات التي تعمل على استمرار النزاعات الداخلية، لأنها تُخل بقواعد التوازن الداخلي، وفي كل حالات النزاع تكون قواعد التوازن الداخلي مفقودة، ويلزم استعادتها، ولكن العوامل الخارجية تمنع تفعيل قواعد التوازن هذه، وتُخل بالعلاقات بين المكونات المتنازعة، وتُوجد سببا إضافيا للنزاع<sup>2</sup>. وهو ما يطيل الصراع ويستنزف الجميع، ويجعل الحل خارج حدود المجتمع .

1- بسين درويش جزائري ، الطائفية بين الهوية والسياسة الدولية، في المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2017، ص 296.

2- رفيق حبيب، طوائف بلا طائفية: مجتمع ما بعد التعصب، نوفمبر 2012 ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/eHMZx>

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

مثل المستشرقون عبر دراساتهم الأنثروبولوجية وبحوثهم الاجتماعية كشافا الحملات الاستعمارية الأوروبية، عبر دراسة المجتمعات الشرقية، والغوص في تناقضاتها الداخلية، والتنقيب في تاريخها. بحيث رُسمت الخريطة الدقيقة، التي مكنت الحملات الكولونيالية من اجتياح الشرق، وتفكيك وتركيب مكوناته، وهو ما يسميه إدوارد سعيد بعلاقة القوة بالمعرفة. يُصر المستشرقون على أن تاريخ العرب والمسلمين هو تاريخ طوائف، لذلك وظّفوا في دراساتهم التاريخية والأنثروبولوجية والاجتماعية للعالم الإسلامي المقاربة الانقسامية التي تبحث عن مكامن التباين الاجتماعي، وترتكز على سرديات الاختلاف وتاريخ الشقاق والصراعات، وقراءتها قراءة مذهبية أو عرقية أو قبلية، بإعادتها إلى متغيرات مجتمع ما قبل الدولة، تكون فيها الانتماءات الأولية هي الدافع المركزي .

تُرجع دراسات الاستشراق والاستشراق الجديد حالة عدم الاستقرار في الشرق الأوسط، إلى الأحقاد التاريخية التي زامنت الانقسام السياسي في بدايات الإسلام، وما استتبعه من اصطفاك سني- شيعي. حيث بقيت الصراعات تختمر تحت السطح، ومع تراجع سطوة الاستبداد التي كانت تكبح التناقضات، وتفكك سيطرتهم خاصة بعد 2011، برزت هذه الميزة الدائمة للمجتمعات الإسلامية غير المتسامحة، وما نجم عنها من صراعات هوياتية. وهذا ما أشار له الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما في عدة مناسبات، معتبرا "أن الخلافات الطائفية القديمة تشرح أسباب الصراع في سوريا، وأن هذه الانقسامات التاريخية والمنتجزة هي علة الفوضى".<sup>1</sup>

غالبا ما يعتبر الخطاب الاستشراقي الغربي الهويات المحلية أو القبلية أو الطائفية هي الطبيعية، وأن القومية والوطنية في البلدان العربية مصطنعة، وكأن القومية والوطنية لم تُصطنع تاريخيا في الغرب نفسه، قبل أن تصبح طبيعية في تلك البلاد، في مقابل كونها مجرد تركيبات مصطنعة في الشرق.<sup>2</sup> فيتم تجاوز ما للتراكم التاريخي من دور في الوصول إلى النموذج الحالي في الغرب، ويتم إسقاط النتائج على الشرق المتنافر وغير المستقر أصلا، ليوصم بأن مكوناته يستحيل انتظامها في نموذج الدولة الديمقراطية.

مناهج البحث الأوروبية عموماً انطلقت من محددات تعتبر أن ما يسمح بفهم الشرق في البحث الاجتماعي هو مصطلح القبيلة، لكن كان أيضاً مصطلح الطائفة والأقليات قائماً، وهو ما اعتمده

<sup>1</sup> - Nader Hashemi and Danny Postel, op, cit, PP01-02

<sup>2</sup> - عزمي بشارة، الطائفة، الطائفية، الطوائف المتخيلة، مرجع سابق، ص 16.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

المستشرقون في تحليلاتهم. بالتالي كان المنظور الأيديولوجي يفرض أن نُفهم انطلاقاً من ذلك، بغية التفكير عبر تعزيز الوعي بالتمايز وحتى التناقض على أساس ديني أو طائفي (أو حتى قبلي ومناطقي) حيث أن المنهجيات الحديثة تتجاوز الفهم الديني للواقع والتاريخ لمصلحة فهم "مدني" يتبلور في العلوم الاجتماعية<sup>1</sup>. لكن هذه الفكرة لا يمكن الجزم بها مطلقاً، لأن المعارف الإنسانية والعلوم الاجتماعية تخضع لإشكالية التحيز في المنهج والدراسة وانتقاء المتغيرات، وكذلك في استخلاص النتائج، لصالح مؤثرات الأيديولوجيا، وتأثير الخلفية والسياق المحيط بالباحث .

يمثل الاستشراق أحد مظاهر التحيز المعرفي التي عبر عنها عبد الوهاب المسيري. حيث يرى : أن كل واقعة وحركة لها بعد ثقافي، وتُعبّر عن نموذج ورؤية معرفية. والنموذج هو صورة عقلية مجردة ونمط تصويري، وتمثيل رمزي للحقيقة، وهو نتيجة عملية تجريد ( تفكير وتركيب)، إذ يقوم العقل بجمع بعض السمات من الواقع فيستبعد بعضها ويبقي الآخر، وتتفاوت درجات الاختزالية، حيث أن النموذج يمكن أن يكون حضارياً، يصل إلى مجموعة من العلاقات التي تشكل حضارة ما، ويعكس صورة ذهنية لمنتجاتها الحضارية<sup>2</sup>.

تأسست الدراسات الأنثروبولوجية التي رافقت الحملات الفرنسية في المشرق العربي على فكرة تقول أنه لا دولة أمة في التاريخ العربي المعاصر، والمستقبل مفتوح لتشكيل أمة وفقاً للإرادة الفرنسية. بناء عليه كان الحديث عن الفوضى والفراغ، مبرراً دائماً لتنظيم تسوية قد تظال الماضي والحاضر والمستقبل<sup>3</sup>. وعليه يصير عدد كبير من المستشرقين على التعامل مع الكيانات السياسية التي تولدت بعد الاستعمار كتجمعات مصطنعة غير عضوية Unorganic، مؤلفة من جماعات تراحمية عضوية Organic كالطوائف والعشائر، وكان هذه الأخيرة بقيت كما كانت منذ سجلها التاريخ<sup>4</sup>. وكان على المجتمعات البشرية أن تكون قوالب نمطية واحدة، لا تحمل أي تنوع بشري وثقافي، وتتفاعل بين بعضها وتتلاقح. هذا الطرح عام ويتناول تعقيدات الواقع باختزال مُخل، إذ أن هذه الجماعات العضوية ليست كتلا ثابتة،

1- سلامة كيلة الطائفية والمنظور الطائفي : نقد النخب السورية ، متوفر على الرابط التالي : <https://alaalam.org/ar/politics-ar/item/486-561270217>

2- عبد الوهاب المسيري وآخرون، إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، 1996، ص 17.

3- وجيه كوثراني ، مرجع سابق ، ص 20.

4- عزمي بشارة ، الطائفة ، الطائفية ، الطوائف المتخيلة ، مرجع سابق ، ص 47.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

كما تتعرض لتأثيرات الواقع الذي يخضع له أفرادها، الذين تفرقهم انتماءات متباينة. وعليه فالخلل منهجي في تناول هذه المجتمعات، بشكل يجعل الهدف هو الوصول لنتيجة مقصودة. حرص الإثنوغرافيون الفرنسيون - كغيرهم من الباحثين الأوربيين - على تجميع المعلومات الإثنية، حيث كان هذا البحث محكوماً بالتقسيم الكلاسيكي لإميل دوركايم القائم على "تضامن عضوي"، يعي فيه الفرد دوره الاجتماعي، ما يؤدي به إلى استبطان القواعد والقيم العامة، وإلى "تضامن ميكانيكي" قائم على الانضواء للامشروط للأفراد تحت قيم معيارية، داخل تجمعات قَبَلية تجنح نحو الانسجام في سلوكاتها، ونحو التشارك الإلزامي في قيم جامعة. وُظف هذا العنصر من قِبَل القوى الغربية للسيطرة على الشرق، فالفرنسيون لم يتوانوا في ترسيخ جملة من المزامع ضمن مطامحهم في إنشاء كيانات موالية، ذات المسلك سلكه البريطانيون بهدف خلق تباينات بين الجماعات البشرية في المشرق ضمن سياسة الحكم غير المباشر (Indirect Rule)<sup>1</sup>.

تتأسس فكرة التضامن الميكانيكي الذي يسود في مجتمعات ما قبل الصناعة، على أن هذه المكونات التقليدية، هي كتل شديدة التجانس، وتختفي فيها المبادرة الفردية، وينعدم فيها التنوع. لذلك فإن توظيفها في السياسات الكولونيالية يحتاج فقط لاستمالة قياداتها وممثليها، حيث أن باقي المجتمع لا يملك إلا الإلتباع، وهذا التناسق الاجتماعي المزعوم سيجعل الكيانات الجديدة متجانسة داخليا . تظل الأقليات أكثر من جميع فئات السكان الاجتماعية استعدادا للمراهنة على العلاقات الدولية، والعمل كعنصر في استراتيجياتها الدولية<sup>2</sup>. بناء عليه عملت سلطات الاحتلال الفرنسي في بلاد الشام على الاستفادة من انعزال الطوائف والجماعات الأقومية، وتوظيف الصراعات السلطوية بين العشائر والعائلات في إقامة سلطات محلية، مُمثلة لسلطة الانتداب، معتمدة على التقارير والدراسات المسحية الاجتماعية للطوائف، وعاداتها وطقوسها، والخلافات المذهبية والاجتماعية الدقيقة القائمة بينها<sup>3</sup>. خاصة ما تزامن منها مع مرحلة ضعف وتفكك الدولة العثمانية.

رَكَز الخطاب الاستشراقي على مواضيع حساسة، تطرح مسألة الطائفية من زوايا مختلفة، اهتم بعض المستشرقين بالصراع المذهبي، والتناحر الطائفي، كما اهتموا بقضايا الأقليات العرقية ولغاتهم، وركزوا

<sup>1</sup> عز الدين عناية ، عرض لكتاب الشرق الأوسط إطلالة أنثروبولوجية ، أوغو فابيتي ، متوفر على الرابط التالي :

<https://cutt.us/yoGS7>

<sup>2</sup> برهان غليون ،نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة ، مرجع سابق ، ص 55.

<sup>3</sup> وجيه كوثراني ، مرجع سابق ، ص 215.



## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

على اللهجات المحلية في صراعها مع اللغة العربية، ولئن كان الاستشراق القديم يتناول هذه القضايا بطريقة تكاد تكون فردية، وإن خضعت لرؤية استشراقية موحدة<sup>1</sup>. تعمل أساساً على فصل الكتل المجتمعية عن بعضها، محطة أي روابط تجمعها. فُتستهدف اللغة كوعاء جامع لصالح اللهجات، ويُستهدف التاريخ المشترك لصالح ماضي الصراع والحد الاجتماعي.

في المنظور الاستشراقي يتحوّل الشكل إلى جوهر، حيث يظهر التنوع كوضع ولا إمكانية لتغييره، بل ولفهم الشرق، لا بد من الانطلاق منه، لتصبح هذه هي "الأسس المنهجية" التي تحكم النظر. وانطلاقاً من ذلك تُفسّر الصراعات في التاريخ كونها صراعات قبائل وطوائف وأديان، والأسوأ أنه يجري تحليل الزاهن بناء عليها، ويصبح "فهم" دور الدين أو الطائفة أو القبيلة أساسياً في فهم الصراعات والانقسامات الراهنة، ولقد بنى الاستعمار منظوره للشرق متكئاً على ذلك، حيث عمل على التفكيك والتركيب تأسيساً على ذلك، وهو بهذا يفسر الواقع من منظور أيديولوجي، قائم على فهم سطحي<sup>2</sup>.

يعتبر ادوارد سعيد أن الاستشراق خطاب كونه الكتاب ورجال السياسة الأوروبيون، وأنتج هويات متصادمة للشرق والغرب، في الوقت نفسه الذي كانت القوى الأوروبية تستعمر الشرق<sup>3</sup>. كما يرى مؤلف الاستشراق والتاريخ الإسلامي فاروق عمر فوزي، أن فكر المستشرقين، ودوافع الاستشراق ارتبطت بظهور فكر لا يؤمن إلا بالقهر والسيادة والتميز عرقياً وثقافياً، وكل هذه المفاهيم التي سادت في المجتمع الأوروبي أثرت قصداً أو من دون قصد في كتابات المستشرقين وتقاسيرهم في ما يخص التاريخ الإسلامي عموماً، وأوقعتهم في أخطاء منهجية وتاريخية وفلسفية<sup>4</sup>. ولقد انتقلت هذه "المنهجية" من المستشرقين إلى مفكرين وبخاتة مختصين بالشرق. وباتت تُعتبر بديلاً عن مناهج البحث الاجتماعي "القديمة"، بمعنى أن الانطلاق من مفهوم الطائفة أو القبيلة بات هو البديل عن الانطلاق من مفهوم الطبقة أو الشعب أو المجتمع<sup>5</sup>.

رغم ما اجتمع في دراسات الاستشراق من قصور في فهم الثقافة الإسلامية، يعززه حكم مسبق، وعقد التفوق الثقافي تجاه الآخر، إلا أن الغرض لم يكن البحث المعرفي المجرد الخاضع للصرامة المنهجية،

1- علي بن مبارك ، مرجع سابق ، ص 57.

2- سلامة كيلة ، مرجع سابق.

3- يسين درويش جزائري ، مرجع سابق ، ص 296

4- عبد الملك الزوم ، الصورة النمطية و صناعتها للطوائف و الأقليات في بلاد الشام في كتب الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر ، في المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2017، ص 737.

5- سلامة كيلة ، مرجع سابق.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

بقدر ما كان السعي لفهم الصدوع الثقافية في الشرق، من أجل تطويعها في حملات التمدد الكولونيالي، وصناعة تحالفات تحفظ المصالح الغربية .

في معرض حديثه عن دور الغرب في الصراعات الثقافية، يتحدث ديتير سانغهااس معتبرا الغرب نقطة البدء، من خلال النزعة الاستعمارية والامبريالية، والاستعمار الجديد، لذلك فإنه سوف يظل حاضرا أبدا داخل الصراعات الثقافية الدائرة في كل أنحاء العالم، طالما وأن هناك مشروعات لفترة ما بعد الاستعمار التي تظهر وتسقط.<sup>1</sup>

تطور الاستشراق من الحملات المعرفية للأنثروبولوجيين الذين يسبقون أو يرافقون الحملات الكولونيالية، ليستقر في مراكز التفكير والأبحاث، لكنه بقي بنفس الجوهر الذي يجسد علاقة القوة بالمعرفة، وبذات الخلفية المنهجية، وهو ما جسده الاستشراق الأمريكي الجديد، وهو ذلك الاستشراق الذي أحدث تحولا وظيفيا، من خلال انتقال المستشرق التقليدي إلى خبير ومستشار في مراكز البحث، التي ترسم السياسات الخارجية تجاه العالم الإسلامي<sup>2</sup>. في كتابه "تغطية الإسلام"، رصد إدوارد سعيد الطبيعة الاختزالية لدراسات الاستشراق وإنتاجه، وكيف تحولت إلى دراسات "إقليمية" وتم استفاد جهود باحثين جادين أو واعدن ليصبحوا في النهاية "خبراء مناطق" يتم تجنيدهم في الدوائر<sup>3</sup>.

مراكز الفكر ومن ورائها الاستشراق الجديد، تُصرح دون تردد بأن إعادة تقسيم بلاد المسلمين أصبحت ضرورة سياسية وأمنية، ولا بد أن توجه الدراسات الاستشراقية الجديدة نحو هذه الوجهة، وعلى هذا الأساس وضعت عدة استراتيجيات تقوم أساسا على إثارة النعرات، قصد إعادة تشكيل الشرق الأوسط والمغرب العربي بما يخدم المصالح الكولونيالية<sup>4</sup>. من خلال ما تصدره من دراسات وأوراق بحثية، وأيضا عبر ما تقدمه من استشارات لمراكز صنع القرار، تحولها الأخيرة لاستراتيجيات هوية ترافق حملاتها التوسعية.

1- ديتيرسانغهااس، الصدام داخل الحضارات: التفاهم بشأن الصراعات الثقافية، ترجمة: شوقي جلال، دار العين للنشر، القاهرة، 2008، ص 163.

2- دلال العكلي ، رحيل برنارد لويس ..رسم حدود الدم و جسد الشيطان ، متوفر على الرابط التالي : <https://annabaa.org/arabic/reports/15412>

3- مازن النجار، الاستشراق وصورة الشرق الأوسط " غير المستنير" .. من الاستعمار إلى الاستيطان ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/dBcTg>

4- علي بن مبارك ، مرجع سابق ، ص 59.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

درجت نظريات الاستشراق في علم الاجتماع السياسي في الغرب على التعامل مع بلدان الأطراف على أنها دون مستوى الدولة الحديثة، وبالتالي جرى التعامل معها على أنها كيانات هشة تضم كتلا هلامية مفككة، يجب التعامل معها وفقا لمواصفات ومقاييس المركزية الأوروبية، خاصة تعظيم تأثير العوامل والانتماءات الخاصة<sup>1</sup>. وهو ما يعتقد برنارد لويس حيث يقول أن معظم دول الشرق الأوسط هي توليفة جديدة لهوية مبهمة ومتغيرة، وظلت عرضة للتهديد من أسفل بفعل الولاءات الإقليمية، الطائفية، العرقية، والقبلية التي تُعرض وجود الدولة ذات السيادة للخطر، حيث يمكن تطبيق النموذج اللبناني بشكل جيد في بلدان أخرى مثل سوريا والسعودية، وكلاهما - بشكلهما الحالي - من صنع القرن العشرين، وتم تجميعهما من عناصر مختلفة تماما<sup>2</sup>.

الملاحظ في كلام لويس أنه يُرجع حالة اللا استقرار التي تعيشها دول الشرق الأوسط إلى التنوع، وكأن التنوع والفسيفسائية حالة شرقية فريدة ومنعدمة في باقي العالم، وهنا يعتمد لويس تجاهل دور الفشل السياسي الناجم عن سطوة الدولة السلطانية، ومن بعدها عقود الحكم الدكتاتوري والعسكري، الذي عمل على تحويل التنوع الداخلي إلى حالة ترصد للقوى الاجتماعية تجاه بعضها، سعيا لشغلها عن مطالب الإصلاح، الذي يصهر كل القوى المجتمعية في نموذج ديمقراطي جامع .

بناء عليه يدفع بعض خبراء مراكز الفكر إلى إعادة التفكير في الجغرافيا الهوياتية والطائفية للعالم الإسلامي، وقد تجلّى هذا في ظهور خارطة حدود الدم للخبير العسكري رالف بيتر Ralph Peters، وتتطلب هذه النظرية من مُسلّمة مفادها أن الحدود القائمة حاليا تشكل في مجملها خطرا على الديمقراطية والأمن الدولي و حقوق الإنسان، وخص رالف المملكة العربية السعودية بالذكر في مقاله الشهير " التهديد السعودي The Saudi Threat ، وحملها مسؤولية ما حدث في سبتمبر 2001، كما نبّه إلى وضع الأقليات المذهبية والطوائف المهمشة في البلاد العربية<sup>3</sup>. يؤسس رالف بيترز مقارنته على تفكيك وتركيب المنطقة، حيث يرى أنه رغم ما يعانيه الشرق الأوسط من مشكلات عديدة تفوق مسألة الحدود الدولية، ما بين جمود ثقافي وعدم مساواة كارثية وتطرف ديني، إلا أن المفتاح لفهم الفشل الشامل الذي تعانيه هذه

<sup>1</sup>- نجيب الخنيزي ، النشاط السياسي للشبيعة في السعودية، متوفر على الرابط التالي: <https://cutt.us/Tug8o>

<sup>2</sup>- برنارد لويس، الإيمان والقوة: الدين و السياسة في الشرق الأوسط ، ترجمة أشرف محمد الكيلاني، دار الكتاب العربي، القاهرة ، ط1 ، 2017 ، ص 132 .

<sup>3</sup>- علي بن مبارك ، مرجع سابق ، ص 59.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

المنطقة ليس الإسلام فقط حسب رالف بيتر، وإنما الحدود المرسومة بشكل سيئ، والمقدسة في نفس الوقت إلى أبعد حد، تلك الحدود التي يحميها دبلوماسيون حسب تعبيره.<sup>1</sup>

إن الملاحظ لخرائط التوزيع الجغرافي للبلدان النامية، يجد أن هذا التوزيع يشكل استمرارا للتقسيمات التي استحدثتها السلطة الاستعمارية، وهو لا يخضع في إنشائه لأي معيار قومي أو ثقافي أو اجتماعي آخر، إنه مرآة التنافس السابق على مناطق النفوذ بين. وعليه فإن حدود الدول القائمة لا توافق حدود الجماعات القومية أو الشعوب إلا جزئيا، لذلك نشأت أمم لا يربط بين المجموعات التي تكونها رابط<sup>2</sup>. يضيف رالف بيتر أن تعديل الحدود لن يحل كل مشكلات الأقليات الموجودة في المنطقة، لكن الحدود المقترحة تصحح الأخطاء المرتكبة بحق جماعات عانت كثيرا مثل الأكراد والبلوش والشيعية العرب، لكنها لا تغيد كثيرا مسيحيي الشرق الأوسط أو البهائيين أو أقليات أخرى كثيرة أقل عددا. ومع هذا، فإن غياب مثل هذه المراجعات للحدود لن يمكننا أبدا من أن نرى شرق أوسط ينعم بالسلام.<sup>3</sup>

يدعو رالف بيتر إلى تفكيك وإعادة تركيب دول الشرق الأوسط انطلاقا من هوياتها الأولية، لكنه يُقر في كلامه أنه حتى عملية الهندسة الجديدة، لن تُفلح في فرز كامل، يفصل بين جميع التركيبات السيسولوجية، وأنها مثلها مثل تقسيم سايكس- بيكو سيكون لها ضحايا، وهذا يُدلل على مدى التداخل التاريخي والجغرافي، مع ما يرافقه من تلاحق، بفعل الصهر التاريخي. كما لا يخفى محدودية الفكرة التي يدعو إليها لمقاربة مشكلات الشرق الأوسط، نظرا لأنها تعمل على توليد دوامة صراعية جديدة، وهذا دون الإشارة لحالة الاستعصاء الديمقراطي الناجمة عن مخلفات سياسات السلطوية المتحالفة مع الغرب. فإذا كانت الحجة هي التنوع الديني والطائفي، فالمجتمع الأمريكي يعيش تنوعا وفسيفسائية أكبر، باعتباره مجتمع مهاجرين، فلماذا لا يعيش ذات الحالة الصراعية؟.

يطرح والي نصر Wali Nasser أطروحة تقوم على توظيف الهوية الطائفية في السياسة الدولية، حيث يرى أن أهم قضية في الشرق الأوسط المعاصر هي الصراع القديم بين السنة والشيعية، وهي قراءة مبنية على صدام الهويات الطائفية، يتفق فيها مع أطروحات صمويل هنتغتون، غايتها تقديم قراءة إلى النخبة والشعب الأمريكي، تُعطي معنى للحرب على العراق، إضافة إلى مشروع تشكيل الشرق الأوسط

<sup>1</sup> - Ralph Peters , Blood Borders : How a better Middle east would look , Armed Forces Journal , June 2006 , The web site : <http://armedforcesjournal.com/blood-borders/>

<sup>2</sup> - برهان غليون ، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة ، مرجع سابق ، ص 159 .

<sup>3</sup> - Ralph Peters , opcit .

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

الجديد<sup>1</sup>. وهي ذات المنهجية التبريرية للإستراتيجية التوسعية، على اعتبار أن عناصر الهوية الحالية هي مصدر تهديد، وهو ما يستدعي التدخل لحماية الأقليات الحليفة. تُخفي هذه الأطروحة مركزية المصالح الاقتصادية في السياسات الغربية، حيث أن كل التدخلات لم تفلح في إنهاء حالة الانقسام، بل ولدت صراعات جديدة، لكنها نجحت في تأمين مصادر المصالح الحيوية.

إن ما يجمع بين منهج برنارد لويس و والي نصر، هو تزامن الخطاب الطائفي مع الحروب الإقليمية، حيث ظهر كتاب نصر بعد ثلاثة أعوام من احتلال العراق، وفي عام 1976 أي بعد سنة من الحرب الأهلية اللبنانية، نشر لويس مقالته عودة الإسلام، كي يقول للقارئ الأمريكي إن مسيحيي لبنان في خطر، لأنهم يواجهون الخطر الإسلامي<sup>2</sup>.

وإذا كانت الدولة العربية الراهنة ليست الأصل في توليد مشاعر الانتماء الخاصة بالعصبيات القائمة، فإنها هي التي وضعت يدها على هذه العصبيات، وحملت مسؤولية إدارتها، وأعدت توظيفها في إستراتيجيتها الخاصة، وعندما نتحدث عن الدولة العربية فيجب الإشارة إلى هامش السيادة الضيق الذي تتمتع به، والذي يجعل وجودها برمته مرتبطاً بخضوعها لإستراتيجية الدول الكبرى، واشتغالها كعنصر من عناصرها، وبالتالي إمكانية استخدام هذه الدول للعصبيات المحلية نفسها<sup>3</sup>. تتجلى المستويات المتصاعدة لسياسات الهوية، من وكلاء الطوائف إلى صناع القرار المحليين، وصولاً للإستراتيجيات الدولية، حيث توفر الهوية عموماً، والطائفية على وجه الخصوص إمكانات توظيفية كبيرة.

يقدم أوغو فابيتي في كتابه "الهويات الإشكالية اليوم" قراءة نقدية لمنهج الاستشراق، إذ يرى أنه تمّ تقسيم كل تكتل مجتمعي في الشرق إلى شطرين أو أكثر، تارة بحسب ما تراءى من ظاهر الأمور وأخرى بحسب حاجة المستعمر. والحال أن تلك التقسيمات التي ألحّ عليها العقل الغربي هي "حاويات فارغة" أحياناً، كما يقول أوغو فابيتي، فليس هناك تضارب بين العرب والأمازيغ، أو الأكراد والعرب، كما يصور الحال، فالمكون الثقافي والقيمي متماثل وإن كان هناك اختلاف فهو لا يتعدى اختلاف الألسن، بل التضارب الحقيقي متأت جراء تناقضات ما بعد استعمارية<sup>4</sup>. عززتها السلطويات في بنية الدولة، خاصة التجارب التي دخلت في توجهات عدائية تجاه مكونات الهوية، باعتبارها ظاهرة رجعية دون أن

<sup>1</sup>- بسين درويش جزائري، مرجع سابق، ص 298.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 312.

<sup>3</sup>- برهان غليون، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة، مرجع سابق، ص 201.

<sup>4</sup>- عز الدين عناية، مرجع سابق.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

تقدم بديلا جامعاً. هذا العجز الطبيعي في ظل السلطوية والاستبداد، الذي يضيق بالتنوع، ويشجع على القولية.

يُشدد أسامة مقدسي في كتابه ثقافة الطائفية على أن الطائفية ليست مؤامرة حاكتها القوى الخارجية في الماضي أو تحوكتها الآن فحسب. بل الأخرى أنها تعكس خيارات واعية لدى جماعات متعددة في وضع تاريخي محدد، فمع أن لكل أمة انقساماتها، إلا أننا لا نجد شكل الحكم الطائفي في كل أمة، ومن المؤكد أن بين العوامل الحاسمة في تطور الحكم الطائفي (في العراق اليوم كما في لبنان القرن التاسع عشر) ذلك التدخل المفرط الذي تمارسه القوى الغربية التي تقرأ الشرق قراءة استشراقية وطائفية، وتفرض حلولاً تستند إلى قراءتها الخاصة المغرضة<sup>1</sup>. فالخطر الحقيقي حسب تعبير مقدسي يكمن في استعداد الطوائف والجماعات الهوياتية لتكون جزء من السياسات الخارجية بفعل المآزق الداخلية، وأنه في حالة عدم معالجة التناقضات الداخلية والصراع البيني، فسيبقى دائماً هناك دور للعوامل الخارجية. فالانضواء ضمن الاستراتيجيات التدخلية التي توظف تقسيمات الطوائف، ليس خياراً للأخيرة، بقدر ما هو ناتج عن إكراهات الواقع الداخلي.

نظام التقسيم للجماعات والدول قد خلق في العالم الثالث دينامية تنافس واقتتال لا نهاية لها، بين دول لا حقيقة لها، وبين جماعات همها تدمير الدول المفروضة عليها، أو بناء دول خاصة بها، وهذا ما أدى إلى فرط الحقول الحضارية، وعلاقات التبادل والتفاعل التي كانت قائمة فيما بينها، وقاد إلى حرمانها من كل فرص التكوين الذاتي، وإنشاء داخل خاص بها، يصبح مركز استقطاب قوي، ويخلق ديناميكية تراكم محلي<sup>2</sup>.

هناك تقليدان متوازيان للاستشراق: أحدهما إنتاج معرفي تناول تاريخ الشرق واجتماعه وتراثه وأدابه وثقافته، وقدم إنتاجاً هاماً في مختلف المجالات. والآخر عمل كطلائع للاستعمار الأوروبي ووظف معارفه في اختراق شعوب المستعمرات والتجسس عليها قبل وبعد غزوها. إذا نظرنا اليوم إلى مآلات الاستشراق المرتبط بالمشروع الغربي فسند انحداراً متواصلاً ليواكب حاجات هذا المشروع، حيث يغلب على دراسات الشرق الأوسط الشأن الأمني، وأصبح الشرق مجرد مصدر للإرهاب والهجرة غير النظامية

<sup>1</sup>- زينب الطحان ، قراءة في كتاب ثقافة الطائفية ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/HQs7L>

<sup>2</sup>- برهان غليون ، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة ، مرجع سابق ، ص 148.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

ويستحق حكاما فاسدين وسلطويين<sup>1</sup>. لقد دحضت موجات الانتفاضات العربية - ولو جزئيا - هذه الافتراضات المبسطة للمنظور الاستشراقي، التي تتأسس على فكرة أن المجتمعات العربية لا تريد الديمقراطية أو تمتلك الخبرة والديناميكيات الاجتماعية اللازمة لتحقيق تغيير جذري<sup>2</sup>. يمثل الاستشراق حالة "النمطية" التي تطبع إدراك بعض المؤسسات الغربية تجاه العالم الإسلامي، وما لهذه العدسة الثقافية من أثر على الإستراتيجية الكولنيالية، التي تستعين بالنتظير الفكري الذي تقدمه مراكز الفكر، كما تلاحظ هذه الصورة التعميمية في الإعلام والأعمال الفنية، صورة واحدة بخصائص شديدة التعميم والتبسيط. لكنها تقترن أيضا بإدراك الطوائف والجماعات وحتى - المناطق - تجاه بعضها، وبتركيز أشد في كثير من الأحيان، مما هو موجود في الفكر الاستشراقي. إذ أن هذه الجماعات تختزن صوراً جاهزة عن بعضها، وغالبا ما تصوغ سلوك أفرادها في تفاعلاتهم اليومية. وهي وليدة الإرث المعنوي الذي تنتقله هذه الجماعات إزاء بعضها. تفرض هذه النمطية سطوتها على رعايا الطوائف، وتدفعهم للتخاوف، كما تصوغ تصورات مطلقة تطبع بها أفراد باقي الجماعات، وتجعلها حقيقة ثابتة . لهذا الإرث المعنوي وطأة سلبية على علاقات الطوائف والجماعات، نظرا لقربها وتماسها المستدام. وقبل مساءلة العقلية الكولنيالية المطبوعة بالفكرة الاستشراقية، يجب السعي نحو تجاوز القوالب الجاهزة التي تتبادلها المكونات الاجتماعية، وتحرير عقلها الجمعي من ترسبات الماضي، وعدم التسليم بما يمكن تسميته " نظرية السلوك " للطوائف المقابلة، انطلاقا من التراث الشفوي، والقراءة الذاتية والمتحيزة أحيانا للتاريخ، وعكسها على واقع مختلف .

### المبحث الرابع : المقاربات النظرية وقراءاتها المعرفية للظاهرة الطائفية

رغم أن الظواهر سابقة على النظريات، إلا أنه يصعب فهم الظواهر وتفكيك متغيراتها دون الاستعانة بالمقاربات المعرفية، لما تقدمه من تفسيرات تخص الجوانب المختلفة للظاهرة الاجتماعية، وكلما تعددت الحقول المعرفية للنظريات كلما قدمت قراءات أكثر تنوعا، وأعمق طرحا في دراسة الظاهرة الإنسانية .

<sup>1</sup> - مازن النجار، الاستشراق وصورة الشرق الأوسط " غير المستنير" .. من الاستعمار إلى الاستيطان ، متوفر على الرابط التالي :

<https://cutt.us/dBcTg>

<sup>2</sup> -Cenap çakmak, The Arab Spring and The Shiit crescent: Does ongoing change serve Iranian interests? . The Review Of faith and international affairs, V 13 , N° 02, Summer 2015, P52.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

بناء على ما سبق يسعى هذا المبحث لاستنتاج جملة من المقاربات النظرية، بغية إسقاط بعض متغيراتها على المسألة الطائفية وتفرعاتها. بحيث تحاول كل مقارنة تقديم تفسير لأحد جوانب الظاهرة، بما يُمكن من فهم أشمل لعمل الظاهرة الطائفية، كظاهرة إنسانية ذات روافد مختلفة، وانعكاسات مركبة.

### المطلب الأول: نظرية العصبية وإسقاطاتها على المسألة الطائفية: بحث حول دور الاعتصاب الطائفي في إنتاج التضامن الداخلي للبنى المجتمعية .

ساهم ابن خلدون بإرث نظري ساعد في فهم الظواهر الاجتماعية، والنظر في أحوال الدول وعُمرانها، وقد حافظت بعض أفكاره مثل نظرية العصبية على قدرتها التفسيرية، كمقاربة تشرح تحولات البنى المجتمعية، من خلال تشكل العُصب وتصارعها. يسعى هذا العنصر للبحث في نظرية العصبية عبر عرض أفكارها، بغية إسقاطها على الظاهرة الطائفية، كونها بنية شعورية قائمة على الانتماء المشترك لعصبة اعتقادية .

#### 1/ التضامن العسوي ودينامية إنتاج الجماعة :

إن الوعي الذي يشد أفراد العصبة بعضهم بعضاً، ويجعل منهم كائناً واحداً تفنى فيه نوات الأفراد هو العصبية بالذات. فالعصبية إذا رابطة اجتماعية سيكولوجية شعورية ولا شعورية معاً، تربط أفراد جماعة ما قائمة على القرابة ربطاً مستمراً، يبرز ويشد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد كأفراد أو كجماعة<sup>1</sup>. في هذا السياق يزول الحاجز بين الفرد وعصبته، حيث يُختزل الفرد في عصبته العامة، التي تصوغ له مصالحه وعداواته وتحالفاته. فهي حالة وجدانية مبعثها روابط القرابة والالتحام الاجتماعي المتراكمة بفعل النسب أو المعاشرة الطويلة، والتي تدفع للنصرة.

يضع بعض الباحثين العصبية في مقام الانتماء إلى جماعة، أي جماعة، مع أنه لم تكن هذه دلالاته عند ابن خلدون. وصحيح أن تعريف العصب ينتمي إلى الحقل الدلالي نفسه للعصبة وهي الرباط، إلا أن اللفظ ليس المصطلح الخلدوني التحليلي. يُقسّم فؤاد خوري العصبية إلى ثلاثة أنواع: عصبية قبلية، وعصبية طائفية، وعصبية إثنية<sup>2</sup>. وقد تطور مصطلح العصبية، عبر مسار استخدامه كخلفية معرفية

1- محمد عابد الجابري ، فكر ابن خلدون العصبية و الدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي ، ط8 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2007 ، ص 168.

2- عزمي بشارة ، في تركيب العصبية الخلدونية على الطائفة ، متوفر على الرابط التالي : <http://cutt.us/QuBTm>



## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

لفهم الظواهر الاجتماعية، ليتجاوز الدلالة الخلدونية للنسب، باعتباره رابطة الدم المباشرة، وأيضاً ليمتد بعيداً عن حدود السياق البدوي، الذي اعتمده ابن خلدون كميدان لدراسته .

في سياق متصل يرى غوستاف لوبون أنه عندما تخضع شعوب من نفس الأصل، أو تنتمي إلى أصول مختلفة - و لكن غير متباعدة جداً - لنفس العقائد والمؤسسات والقوانين طيلة قرون عديدة، فإنها تُشكل " العرق التاريخي"، وعندئذ يمتلك هذا العرق نظاماً أخلاقياً وحتى دينياً وسياسياً، مركباً من مجموعة من المواضيع والأفكار والعواطف المُشتركة، المنغرس في النفوس، إلى الحد الذي تُقبل فيه دون نقاش<sup>1</sup>. وهو ما يصطلح عليه بالتاريخ المشترك، حيث يُؤلّد التجاور والتفاعل والتلاقح بين الجماعات وعياً مشتركاً بتضامنية جماعية، تحل محل النسب. وعليه فعمل النسب كظاهرة يتجاوز الرابطة البيولوجية .

بنى ابن خلدون نظريته الاجتماعية السياسية كلها على مفهوم العصبية، معتبراً وجود العصبية كأشكال تضامن عميق طبيعية، وهي مصدر تجدد الدول وتداول السُلط، ما يعني أنه عند غياب العصبية يفترق المجتمع إلى القوة الفطرية الضرورية لتجديد السلطة وال عمران<sup>2</sup>. *«صاحب العصبية إذا بلغ رتبة طلب ما فوقها، فإذا بلغ رتبة السؤدد والإتباع ووجد السبيل إلى التغلب والقهر لا يتركه، لأنه مطلوب للنفس، ولا يتم اقتدارها عليه إلا بالعصبية، التي يكون بها متبوعاً، فالتغلب الملكي غاية العصبية»*<sup>3</sup>. ذلك أن توظيف الرابطة العصبية ومكوناتها الهوياتية هدفه تحويل الجماعة إلى ما يشبه الحزب السياسي، أي بمعنى المنافس على السلطة .

العصبية عند ابن خلدون تعني أساساً القوة الجماعية التي تمنح القدرة على المواجهة سواء كانت المواجهة مطالبة أو دفاعاً<sup>4</sup>. فقوة العصبية مستمدة أساساً من الالتحام، الذي هو ثمرة النسب، فإذا أُضيف إلى هذا الالتحام الاجتماعي التحام آخر رُوحِيّ، كانت العصبية من القوة بحيث لا يقف أمامها شيء<sup>5</sup>. وفي هذا يقول ابن خلدون *«الصَّبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية»*<sup>6</sup>.

1 - غوستاف لوبون ، مرجع سابق ، ص 27.

2- برهان غليون ، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة ، مرجع سابق ، ص 14.

3- عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق محمد الشامي ، الجزائر ، دار الكتاب الحديث ، 2016 ، ص 157.

4- محمد عابد الجابري ، مرجع سابق ، ص 170.

5- عبد الحليم عويس ، الفكر الخلدوني في العصبية و العروبة ، متوفر على الرابط التالي :

<https://www.alukah.net/culture/0/58181/#ixzz5sKQNMI7t>

6- عبد الرحمن ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص 188.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية لنظرية للمسألة الطائفية

خاصة إذا كان الخطاب الداخلي للجماعة، يتأسس على أنها المدافعة عن حيز المقدس، في مقابل "الضالين".

تمثل الصبغة الدينية الغطاء الشرعي لمواقف الجماعة، سلماً أو حرباً، رغم أنه لا يرتهن الانتجاع للعنف لحواجز ذات طابع أيديولوجي فقط، متولدة من رؤية لاهوتية أو دينية مميزة للعالم. بل أيضاً بقاعدة تنظيمية بسيطة، ذلك أن قتل الذات أو الآخرين له وظيفة تمتين اللحمة الداخلية لجماعة الانتماء. أمام هذا الاختيار ينغمس المؤمن فرداً كان أم جماعة كلياً في عالم رمزي تعرف فيه الحدود بين الحياة والموت، بين الفرد والعالم، بين ما هو صواب وما هو ضلال، على أساس معيار الانتماء غير القابل للتشكيك.<sup>1</sup>

تدل العصبية على كيفية تأثير الشعور الجماعي في نشأة وصعود واستمرار الدول والسلالات الحاكمة، فالعصبية يمكن أن تعمل بطريقة مماثلة في الجماعات التي تحمل هوية دينية مشتركة، باعتبارها (العصبية) قوة الدعم والتأييد الفعلية أو الكامنة، التي تحملها جماعة مؤيدة لسلالة حاكمة أو لدولة<sup>2</sup>. إذ تجد الديناميات نفسها التي تحرك منطق العصبية، من خلال مبدأ النعرة، والشعور المشترك بالتهديد، الذي يدفع نحو الالتحام ضد الآخر .

إن التضامن بين الفرد وعصبته ينتج عنه أمران يحددان العلاقات السائدة داخل العصبية وخارجها، ينتج عن هذا التضامن أن مجال تواصل الشخص مع غيره محدود بحدود عصبته، فكل ما عداها يعتبر غريباً، يجب الحذر منه. فالعصبية من هذه الناحية شعور سلبي إزاء الآخرين، بمقدار ما هي شعور ايجابي يشد أفراد العصبية بعضهم إلى بعض<sup>3</sup>.

ليست العصبية الخلدونية مرحلة واحدة تقف عند النسب والمصاهرة والدم، وإنما كانت هذه المرحلة هي الأساس - على الأقل - في مستوى البدو الذين كانوا موضوع البحث الاجتماعي والحضاري عند ابن خلدون. إن هذه العصبية القائمة على الرحم القريب في أقوى حالاتها الخاصة، والبعيد في حالاتها العامة - تتطور لتتجاوز النسب، حيث تفقد العصبية معناها النسبي بعد أربعة أجيال، فتصبح الجماعة

1- سابينو أكوايفا و انزو بانشي ، علم الاجتماع الديني : الإشكالات والسياقات ، ترجمة : عز الدين عناية ، ط1 ، هيئة أبوظبي للثقافة ، 2011. ص ص 141-142.

2- ليون ت غولدسميث ، دائرة الخوف : العلويون السوريون في الحرب و السلم ، ترجمة : عامر شيخوني، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، 2017 ، ص 67.

3- محمد عابد الجابري ، مرجع سابق ، ص 169.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

- أو العصبية - أقرب إلى الجماعة التي جمعها العيش لفترات في مكان معين، وارتبطت مصالحها المشتركة، بحيث وجب عليهم أن يكونوا "قوة للمواجهة" في وجه التحديات<sup>1</sup>. فنسب العيش المشترك الذي يوحد ثقافة جامعة ناتجة عن التفاعل المتراكم بين الأفراد والجماعات، يعتبر نسبا ممتدا يُنتج الانتماء، ويصنع جماعة، وتتشأ منه النعرة .

يوسع ابن خلدون مفهوم النسب إلى درجة أنه يُدخل في إطاره كل رابطة تنشأ بين الأفراد بسبب طول المعاشرة، حيث أن صاحب النظرية لا يربط العصبية بالنسب بمعنى القرابة الدموية ربطا مطلقا، بل إنه لا يجعل العصبية ملازمة للقرابة الدموية بشكل مباشر، فهو لا يُقيدها (العصبية) بالنسب بل بالالتحام الحاصل بسببه، أو الحاصل بما يدخل في معنى النسب، فالمقصود بالنسب عنده هو الانتماء الفعلي إلى جماعة معينة، أي عصبية ما، ويكون باعثا للأنفة<sup>2</sup>. وكما تتعوض فاعلية النسب بطول المعاشرة، فقد تتولد العصبية بوجود فكرة مركزية تمثل قطبا جامعا لكل بشرية

تقوم العصبية في مظهرها على النسب حقيقياً كان أو وهمياً، في حين أنها في العمق تقوم على تنازع البقاء والكفاح من أجل العيش في إطار وحدة العصبية وتضامن أفرادها. وحدة وتضامن تندمج فيهما، سواء بسواء، المصالح المادية للعصبية والاعتبارات المعنوية التي بها تتقوم شخصيتها ويتأكد كيانها. وهكذا يبدو واضحاً أن الصراع العصبي ذو صبغة اقتصادية واضحة، على رغم ما يتفنع به من اعتبارات معنوية ومظاهر سيكولوجية واجتماعية<sup>3</sup>.

يُعرف كارستن فيلاند مفهوم تسييس الإثنية بأنه: يقوم على التقاط سمة مميزة أصلية أو فرعية من السمات التي تملكها جماعة من البشر، بهدف جعلها وسيلة تضاد رئيسية مع آخرين يعيشون في المجال الجغرافي ذاته، وتكمن مهمتها في التعبئة السياسية، وتحديد الحد الفاصل بين الـ "نحن" و الـ"هم" بكل ما تحمله هذه العلاقة من تنافر، وما تفرزه من سياسات تعاركية. وخلق هذه العصبية يتطلب إعادة برمجة الذاكرة الجماعية، لأنه يستحيل لِسمة منفردة مواجهة الآخرين، من دون إضافة مؤثرات خارجية جديدة تستطيع تسييس تلك الهوية الدينية، وبواسطتها يمكن أن تصنع خطابا أيديولوجيا سياسيا<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الحليم عويس ، مرجع سابق.

<sup>2</sup> - الجابري ، المرجع السابق ، ص 171.172

<sup>3</sup> - محمد عابد الجابري ، العصبية والملك ..جدل الغاية و النهاية ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/IQmo5>

<sup>4</sup> - كارستن فيلاند ، الدولة القومية خلافا لإرادتها ، ترجمة محمد جديد ، دمشق ، دار المدى ، 2007 في بدر الإبراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص ص 36 - 37.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

الراصد لنواظم عمل العصبية الخلدونية، انطلاقاً من مرحلة التخلق العصبي، وصولاً إلى التشكل الكامل لهذه البنية المجتمعية، يلاحظ حجم القواسم المشتركة بينها وبين الطائفية، باعتبار الأخيرة بنية شعورية عصبوية، وحالة تضامنية، تركز على الانتماء لجماعة ملتزمة بفعل قواسم التجانس والعيش المشترك.

### 2/ الوظائف السوسيو - سياسية للعصبية الطائفية :

لظاهرة الطائفية قدرة على صناعة انتماء مشتركاً لجماعة بشرية، عبر تطبيق آليات العصبية لتوليد لحة داخلية، وتتافر مع الجماعات المنافسة. يزداد تأثير الاعتصاب الطائفي بفعل رمزية الفكرة الدينية وقدرتها على الحشد وفاعلية فكرة القداسة في بعث روح التضامنية ضمن الجماعة .

يستتق عبد الإله بلقزيز المقاربة الخلدونية، سعياً لإسقاطها على الظاهرة الطائفية، حيث يعتقد أنه يمكن استعارة مفهوم العصبية الخلدونية لتعريف الطائفة بأنها شكل من أشكال الاعتصاب الاجتماعي، مع الإقرار بأن العصبية في التحليل الخلدوني مدارها على النسب في المقام الأول، والفائدة منه تحقيق الالتحام، وتوفير أسباب النعرة، والعبرة في الاعتصاب هي بما يوفره من علاقات تضامنية داخل أي كيان اجتماعي، والحال أن الطائفة وإن قامت على رابطة مغايرة، تؤدي من الوظائف في الاجتماع الإنساني عين ما تؤديه عصبية القبيلة و النسب<sup>1</sup>. فيعوض كيان القبيلة بمكون الطائفة، ويُعوض دور النسب بتأثير الفكرة العقدية .

طرح الباحثان ايف لاقوست Yves lacoste وفؤاد خوري ضرورة إدراج العصبية الطائفية في إطار نظريات ابن خلدون، فحسب لاقوست فإن السلالة الحاكمة التي تأسست على العصبية الطائفية هي "دولة سياسية دينية"، والواقع أن هذه الدول استطاعت أن تحتفظ بعصبيتها بكفاءة أكبر من الممالك القبلية، وتعتبر الدولة الإسماعيلية الفاطمية مثالا جيدا على ذلك، حيث تستطيع الهوية الدينية أن تجمع قبائل متفرقة في عصبية واحدة<sup>2</sup>. لعل هذا النموذج يشير إلى الحكم العائلي الطائفي الذي عرفته سوريا، كما يشير في جزء منه للحكم القبلي العائلي في إمارات الخليج، خاصة منها ما استند إلى سرديّة دينية . يقول علي الوردي: "فالطائفية ليست ديناً وإنما هي نوع من الانتماء القبلي إلى مذهب أو شخص معين. والفرد الطائفي حين يتعصب لمذهبه لا يهتم بما في المذهب من مبادئ خُلقية أو روحية، فذلك

1- عبد الإله بلقزيز وآخرون ، مرجع سابق ، ص 78.

2- ليون ت غولدسميث ، مرجع سابق ، ص 68.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

أمر خارج عن نطاق تفكيره، وكل ما يهتم به هو ما يوحي به التعصب من ولاء لجماعته، وعداد لغيرهم. بعبارة أخرى إنه ينظر إلى طائفته كما ينظر البدوي إلى قبيلته".<sup>1</sup>

الطائفية هي الرد السياسي الاجتماعي العصبوي، أو الصورة العصبوية على ممارسة الاحتكار العصبوي للثروة والسلطة، حيث يتحول الولاء السياسي إلى الجماعات الخاصة، أو بالأحرى تحوّل الانتماء الثقافي في هذه الجماعات إلى ولاء سياسي، أي مشروع عمل مشترك مطلوب ومقبول، أي شرعي لانتزاع الحق الضائع في المشاركة العمومية الاجتماعية وفي الدولة<sup>2</sup>. وهي أحد الإشكاليات التي انطلق منها محمد عابد الجابري في بحثه حول فكر ابن خلدون العصبية والدولة، حيث تساءل: لماذا تتحول العصبية في لحظة من اللحظات من مجرد رابطة سيكولوجية اجتماعية إلى "قوة للمواجهة والمطالبة" ومن ثمة تأسيس الملك والدولة؟<sup>3</sup>. فقد يدفع النزاع الطائفي إلى أهداف متطرفة كالسعي نحو الانفصال. والواقع أنه لا تكون الطائفية الباعث الوحيد لهذه النتيجة، فقد يعتمد الصراع على أي شكل من أشكال التمايز .

حينما يُنتج النظام الحاكم عصبية في خدمته، أو يُحيي عصبية قديمة ويضفي عليها معاني ووظائف جديدة، فإنها تستدعي على الفور عصبية أخرى ضدها. ويقود ذلك إلى حالة صراع اجتماعي يهتمش السياسي، أي يهتمش الدولة التي تتحول نخبتها المسيطرة إلى جماعة من الجماعات. وحيث لا توجد تعددية عصبوية قد تُخلق تعددية كهذه، بالمعارضة التي تحيي عشائر أو طوائف أخرى، أو بتحويل النواحي إلى هويات، أو انشقاق العشيرة إلى بطون متنافسة، وحتى بتوليد هويات سياسية حزبية أيديولوجية أشبه بالعصبية للجماعات المتخيلة، أي بخلق هويات جديدة تقسم المجتمع عمودياً<sup>4</sup>. فالعبرة ليست بالتنوع الاجتماعي، بقدر ما هي بالنية والقصد لتوظيف التنوع وتحويله من ثراء إلى عبء .

لا تتبع الطائفية من الوجود الخام للعصبية، وهي الموجودة في كل المجتمعات، وإنما تتبع من الحاجة التي تشعر بها الجماعات أو الأفراد إلى حتمية توظيف هذه العصبية والتضامانات الطبيعية، كحقل استثمار سياسي، وهذا لما يمكن أن تشكله من وسيلة للحصول على منافع أخرى<sup>5</sup>. عندما يتحول

1- علي الوردي، لمحات من تاريخ العراق الحديث، ج2 من سنة 1981 إلى سنة 1872، دار الراشد، بيروت، ص 6.

2- برهان غليون، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة، مرجع سابق، ص 31، 32.

3- محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية و الدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص 12.

4- عزمي بشارة، في تركيب العصبية الخلدونية على الطائفة، متوفر على الرابط التالي: <http://cutt.us/QuBTm>

5- برهان غليون، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة، مرجع سابق، ص 37.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

التضامن داخل العصبية الطبيعية من كونه مكملاً للتضامن الاجتماعي إلى اعتباره بديلاً عنه، تتحول العصبية إلى دولة داخل الدولة، بقدر ما تعطي لنفسها وظائف المجتمع الكلي<sup>1</sup>.

تأخذ الطائفية أدواراً متدرجة بحسب ضعف الدولة، في علاقة طردية. فتبدأ من كونها ملاذاً يحتمي بها أفراد الطائفة، لتكون حزباً سياسياً أو إطاراً جامعاً، ثم لتتحول بديلاً عن الدولة في وجدان رعاياها، ومن ثم على أرض الواقع. وهذا انطلاقاً من فاعلية فكرة الالتحام التضامني داخل الطائفة التي تُحولها لعصبة متنافسة مع عصبية مقابلة داخل الدولة .

رغم كل ما تقدمه المقاربة الخلدونية لظاهرة العصبية من إمكانات تنظيرية قادرة على تفسير الظاهرة الطائفية، إلا أن هناك بعض الباحثين الذين يعترضون على استدعاء نظرية العصبية إزاء تدارس الطائفية، باعتبارها ظاهرتان متباينتان، في السياق والمتغيرات النازمة، والآثار الناجمة عنها .

يرى عزمي بشارة بأنّ دولة ابن خلدون دولة سلالة حاكمة تقوم بالعصبية وتندثر بضعفها، أما الطائفية في العصر الحديث فلا تُنتج الدولة، بل تُنتجها الدولة، في عملية الحفاظ على الحكم أو في الصراع على اقتسام الدولة. والطائفية تُنتج طوائف متخيلة<sup>2</sup>. وبرهن بشارة على صحّة مقاربتة في هذا الخصوص باستحضار أمثلة عينية، اشتقّها من واقع بناء الدولة الحديثة في سورية والعراق واليمن. أين لم تكن الطائفة عنصراً محورياً في وصول بعض الوجوه إلى سدّة الحكم. بل تمّ استدعاؤها بعددٍ لتحسين الزّمة الحاكمة بسياج طائفي، ولتكريس التمييز بين الأقلية والأغلبية، وترسيخ هيمنة الدولة الشمولية<sup>3</sup>.

خلاقاً للدول القديمة، بوصفها حكم سلالة بعينها بعد أن تغلبت عصبيتها على غيرها، فإن العصبية من هذا النوع عدوّ الدولة الحديثة. فالدولة الحديثة تقوم على تمثيل كيان المجتمع عموماً، ولا تقوم على عصبية. وإن ما قد يحصل هو إنتاج الدولة سلالة أو عصبية في خدمتها (وليس العكس)، أي أن الدولة تُنشئ العصبية، وليست العصبية هي التي تقيم الدولة. وهذا عكس تصور ابن خلدون الذي يحاول بعض الباحثين تطبيقه على عصرنا. ولا أدل على ذلك من أن العشيرة قد تآكلت موضوعياً حال كونها بنية اجتماعية في عديد من البلدان العربية، لكن سلطة الدولة أعادت بعثها، ليس عبر إحياء العشائر المتآكلة بنيوياً، بل عبر بعث العشائرية أو القبلية<sup>4</sup>.

1- المرجع نفسه ، ص38.

2- عزمي بشارة ، في تركيب العصبية الخلدونية على الطائفة ، مرجع سابق.

3- أنور الجمعاوي ، الطائفة ، الطائفية ، الطوائف المتخيلة : تنفيذ ابن خلدون ، متوفر على الرابط التالي : <http://cutt.us/QxvuY>

4- عزمي بشارة ، في تركيب العصبية الخلدونية على الطائفة ، مرجع سابق.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

إن هذا الطرح على وجاهته لا يلغي ما للعصبية عموماً والطائفية على وجه الخصوص من دور سياسي وإمكانات سلطوية. لكنها تختلف في المراحل، فإذا كانت العصبية هي مدار نشأة الدولة السلطانية السلالية، فإن الطائفية تؤدي وظيفة حِمائية بعد النشأة، بغية تحويل المجتمع لعصب متنافرة. هذا لا يعني أن النظرية الخلدونية تفسر كل متغيرات المسألة الطائفية، لكنه يدل على أن الطائفية لها دور سياسي مثل العصبية، وذلك في إنشاء اللحمة الداخلية وتكون جماعة هوياتية متميزة، تعوض النسب المشترك بالتضامن الداخلي، والانتماء لهذه الجماعة. فنظرية العصبية تمكننا من فهم الظاهرة الطائفية عبر ما للانتماء والتضامن الداخلي من دور في الممارسة السياسية - الاجتماعية في سياق تراجع الدولة

### المطلب الثاني : الأمن المجتمعي في ظل الانبعاث الطائفي وتحديات المعضلة الأمنية .

تعتبر مقارنة الأمن المجتمعي من نتائج الحوارات النظرية التي أعقبت نهاية الحرب الباردة، وبروز متغيرات جديدة، تستلزم شبكات قراءة مغايرة، وهو ما تجسد في تفجر الصراعات ذات البعد الاجتماعي، وكذلك في تصدر صراعات الهوية، إضافة إلى بروز أدوار لفواعل ما دون الدولة. تقدم هذه المقاربة جملة متغيرات تمكن من الاقتراب من دراسة الظواهر الاجتماعية ذات الأبعاد الصراعية بين الوحدات، على غرار الطائفية، التي غالباً ما تدفع نحو المعضلة الأمنية المجتمعية، بفعل الشك المتبادل، والإدراك السلبي الذي تسرده الطوائف تجاه بعضها، وهو ما يخلف بيئة أمنية مضطربة ومتصددة، مستعدة للاحتراب والتنازع، ما يجعل الأمن المجتمعي محل شك، وهو ما ينعكس سلباً على أمن الدول واستقرارها.

في كتابه الناس والدول والخوف People , States and Fear يشير بوزان Buzan إلى خمسة قطاعات أمنية تؤثر على المجموعات البشرية :<sup>1</sup>

- الأمن العسكري Military Security: ويتعلق بالقدرات الدفاعية والهجومية للدول.
- الأمن السياسي Political security: يهتم باستقرار الدول، ونظم الحكم.

<sup>1</sup>-Alam saleh , Broadening the concept of security : identity societal security , Geopolitics quarterly , volume 6 , No4 , winter 2010 , p 231.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

- الأمن الاقتصادي Economic security: يرتبط بمدى قدرة الدولة على الوصول للموارد، والتمويل، والأسواق اللازمة للحفاظ على مستويات مقبولة من الرعاية الاجتماعية .
- الأمن البيئي Environmental security : يعنى بالمحافظة على المحيط الحيوي البيئي.
- الأمن المجتمعي Societal security : يتعلق باستدامة الأنماط التقليدية للغة والثقافة والدين والهوية، والعادات الوطنية .

ساهم هذا السياق في مساءلة الأطاريج الكلاسيكية حول الأمن وحدوده، وبدوره أيضا دفع نحو اجتهادات أرست لمقاربات جديدة لمفهوم الأمن، أبرزها الأمن المجتمعي. وسّعت من الشبكة المعرفية لحقل الدراسات الأمنية، لتواكب التحديات المتعاظمة لأمن الدول والمجتمعات .

### 1/ مفهوم الأمن المجتمعي :

اعتبرت المدارس الأمنية التقليدية الدولة المرجع الوحيد للأمن، لكن مع ظهور متغيرات غير تقليدية، فرضت نفسها على الأجندة الأمنية، نظرا لما تمثله من تهديدات على الوحدات الدولية، برز مفهوم الأمن المجتمعي، من خلال اجتهادات مدرسة كوبنهاجن School Copenhagen، خاصة إسهامات باري بوزان Barry Buzan، حيث حاول الأخير دراسة أثر متغيرات الهوية والهجرة، والجوانب الثقافية على الأمن .

يتكون مصطلح الأمن المجتمعي من شقين: الأول هو نقيض الخوف، والثاني نقيض التوحد والفرديانية، والمجتمع الآمن، هو ذلك المجتمع الذي ينتفي فيه الخوف بشتى صورته، ويتعايش أفرادهم وينتظمون في علاقات وصلات تحكمها قواعد ومعايير تمكن الفرد من ممارسة نشاطه، وتلبية احتياجاته المتنوعة<sup>1</sup>. إن مسألة الأمن المجتمعي مسألة جديدة في مجال الدراسات الأمنية، برزت لسد الفجوة بين التغيير في ملامح التهديدات، سعيا لتكون الدراسات الأمنية أكثر اتساقا مع التحولات الدولية والمجتمعية<sup>2</sup>، في سياق مزدحم بالصراعات ذات الطابع الثقافي، التي تستدعي عناصر الهوية. وكذلك مع الانتشار المتسارع لتهديدات لا تماثلة وغير تقليدية بفعل الطفرة التكنولوجية والمواصلاتية، وليس أدل على ذلك الأثر البالغ لوسائل التواصل الاجتماعي، وما تحمله من خطاب كراهية، وكذلك النقشي

<sup>1</sup>- علي أسعد بركات ، الأمن الاجتماعي : دراسة حالة جامعة دمشق ، دمشق ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، 2010 ، ص 07.

<sup>2</sup>-Seong jin kim , Concept of societal security and migration issues in central Asia and Russia , center for far eastern studies , university of Toyama , 2008 , p5.



## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

السريع للجوائح المرضية. وعليه فمسألة الأمن أضحت تحت تهديدات غير تقليدية، وامتدت ساحة الحرب لتشمل الفضاء السيبراني وأنشطة المخابر والأبحاث .

يقترح أولي ويفر Ole Weaver بأن يعاد تصور حقل الأمن من حيث ازدواجية أمن الدولة، وأمن المجتمع، بالنسبة لأمن الدولة القيمة النهائية هي السيادة، أما بالنسبة لأمن المجتمع فقيمه الهوية، كلا الاستعماليين يدل على البقاء، فإذا فقدت الدولة سيادتها تزول كدولة، والمجتمع الذي يفقد هويته تسوده مخاوف من أنه لن يكون قادرا على البقاء<sup>1</sup>. فالمكونات المجتمعية تتعامل مع أي مساس بمقوماتها الهوياتية باعتبارها مسألة بقاء، وتدرکها كتهديد يستدعي ردة فعل دفاعية .

يعتقد ويفر Weaver أنه يمكن استخلاص مفهوم الأمن المجتمعي بالتمييز بينه و بين الأمن السياسي، هذا الأخير نجده يُعنى بالاستقرار التنظيمي للدول، في حين يعنى الأمن المجتمعي بالحفاظ على الهوية والانسجام المجتمعي، ويمكن أن تُشكل الدولة فيه وسيلة لحفظ قيم المجتمع (ثقافته، لغته، وهويته). كما أن بقاءه لا يعتمد على السيادة أو السلامة الإقليمية للدولة، بل هي مسألة هوية يجب أن تحمي<sup>2</sup>.

الأمن المجتمعي يتعلق بقدرة المجتمع على الاستمرار بطابعه الأساسي، في ظل الظروف المتغيرة، والتهديدات المحتملة أو الفعلية، على أن تكون هذه الاستدامة في ظروف قابلة لتطور الأنماط التقليدية، كاللغة والثقافة والهوية، والعادات الدينية والوطنية<sup>3</sup>، رغم سطوة العولمة وآلياتها التمييزية، التي أضافت أعباءً إضافية على الهويات المتصارعة مع محيطها، حيث أصبح الضغط على هويتها داخليا وخارجيا. في القطاع المجتمعي يصبح المتغير المرجعي للأمن هو الهويات الجماعية - الدينية والإثنية - واسعة الانتشار، التي يمكن أن تعمل بشكل مستقل عن سلطة الدول، ونظرا للطبيعة المعقدة لمثل هذا المتغير المرجعي للأمن، فمن الصعب تحديد التهديدات، خاصة مع تطور الهويات الجماعية وتغيرها،

1- سيد أحمد قوجيلي ، تطور الدراسات الأمنية و معضلة التطبيق في العالم العربي ، الإمارات ، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية ، ط1 ، 2012، ص 82.

2- منيغر أسماء ، التنوع الثقافي من منظور الأمن المجتمعي ، مذكرة ماجستير في القانون العام تخصص حقوق الإنسان و الأمن الإنساني ، قسم الحقوق، كلية الحقوق و العلوم السياسية ، جامعة سطيف 2 ، 2014 ، ص 15.

3- Seongjinkim , op , cit , p06.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

استجابة للمؤثرات الداخلية والخارجية<sup>1</sup>. إن تحديد طبيعة التهديدات رهين لمقتضيات الواقع الداخلي لجماعات الهوية، إضافة لمتغيرات الواقع الدولي في ظل التدويل المتسارع للأزمات. يُعرف باري بوزان Barry Buzan الأمن المجتمعي بأنه "غياب التهديد على القيم الأساسية في المجتمع"<sup>2</sup>. إذ يرى أنه "استطاعة المجتمع البقاء والدوام على مقوماته في ظروف مقبولة للتطور والحفاظ على الأسس اللغوية، والثقافية والتقليدية"<sup>3</sup>. يعرف أرنولد ولفرز Arnold Wolfers الأمن في شكله الموضوعي بأنه يرتبط بغياب التهديدات ضد القيم المركزية، وبمعنى ذاتي فهو غياب الخوف من أن تكون تلك القيم محل هجوم<sup>4</sup>. بناء عليه يمكن الاقتراب من مفهوم الأمن المجتمعي باعتباره أمن مقومات الهوية، ويتحقق عندما لا تكون هوية المجتمع محل تهديد، سواء من طرف الدولة، أو المكونات السيسولوجية المقابلة، وعندما لا يمارس أي تمييز تجاهها بناء على خصوصيتها الثقافية .

### 2/ المعضلة الأمنية المجتمعية ومازق الهوية في المجتمعات المتعددة

الأمن نقيضه الخوف، والخوف تولده التهديدات بأنواعها الصلبة والمرنة، الظاهرة والخفية، ولحفظ الأمن يجب إدراك المهددات التي تترصد به، وعلى غرار باقي أبعاد الأمن الشامل يتعرض الأمن المجتمعي لجملة مهددات تقوضه، وتدخل المجتمعات في أزمات أمنية، قد تؤدي إلى تعميق الصدوع المجتمعية إن لم تعالج في بداياتها .

يعتبر باري بوزان Barry Buzan أن المأزق الأمني يدور حول (الهوية-Identity) أو ما يسميه (المأزق الأمني المجتمعي-The Societal Security Dilemma)<sup>5</sup>. تعتبر المعضلة الأمنية المجتمعية، إحدى أكبر مصادر اللا أمن المجتمعي، حيث ينشأ هذا المأزق الأمني عندما تؤدي جهود الجماعات لزيادة أمنها المجتمعي - من خلال تعزيز هويتها - إلى إشاعة الخوف في الجماعات الأخرى، ما

<sup>1</sup>- Barry Buzan , Rethinking security after the cold war , cooperation and conflict , vol 32, London , 1997 ,p17.

<sup>2</sup>- تباي وهيبه ، الأمن المتوسطي في إستراتيجية الحلف الأطلسي : دراسة حالة الإرهاب ، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية تخصص دراسات متوسطة و مغاربية الأمن و التعاون ، قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق و العلوم السياسية ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، 2014 ، ص 20.

<sup>3</sup>- حجار عمار ، "السياسة المتوسطية الجديدة للاتحاد الأوربي: إستراتيجية جديدة لاحتواء جهوي شامل".مذكرة ماجستير في تخصص علوم سياسية ، قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية،جامعة باتنة، 2003، ص68.

<sup>4</sup>- عبد النور بن عنتر ، تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية ، السياسة الدولية ، القاهرة: مؤسسة الأهرام، العدد 160، أبريل 2005 ، ص 56.

<sup>5</sup>- سليم بوسكين، تحولات البيئة الإقليمية وانعكاساتها على الأمن الوطني الجزائري، مذكرة ماجستير في تخصص علاقات دولية وإستراتيجية، قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015، ص58.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

يدفعها بدورها إلى زيادة أمنها المجتمعي، وهكذا تتم الحلقة المفرغة بين الجماعات، حيث تؤدي المساعي إلى زيادة الأمن لإنقاصه في النهاية<sup>1</sup>. تقدم نظرية المعضلة الأمنية بعض التفسير لسبب زيادة أهمية الهويات القبلية أو العرقية أو الطائفية البدائية، مع انهيار الدول وظهور الفراغات الأمنية. علاوة على ذلك، في البيئات الفوضوية، فإن سوء الفهم بشأن نية "الآخر" وتهديده في سياق سياسات الهوية يمكن أن يوقر أيضًا نظرة ثاقبة حول أسباب العنف الطائفي<sup>2</sup>.

فعندما تشعر مجموعة ما باللامن إزاء السلطة، أو المجموعات التي تشاركها نفس الإقليم، يؤدي ذلك إلى المأزق المجتمعي، ويتحول التنافس على الموارد والسلطة إلى محاولة إزالة الأطراف الأخرى عبر التصفية الإثنية<sup>3</sup>. وغالبا ما يرجع هذا الواقع لفشل الدولة في إدارة التنوع المجتمعي، الذي يعد مؤشرا للأمن والاستقرار الداخلي. هذا الفشل يدفع الجماعات لتوسيع مصالحها، على حساب الجماعات الأخرى، ويزداد التأثير إذا استندت هذه الممارسات إلى تهديد الهوية والقيم أو الإقصاء على أساسها.

التوسع في تعريف المخاطر أو التهديدات الأمنية، قاد إلى بُعد جديد في توظيف مسألة الأمن لخدمة أغراض سياسية بحتة، بحيث أصبحت المعضلة الأمنية أداة لصالح كيانات سياسية، تسعى من خلالها إلى إزاحة خصومها المفترضين، عبر تصويرهم كمهددات وجودية للأمن، أو حتى الأمن القومي لدولة أو أمة ما<sup>4</sup>. بالنسبة لبوزان Buzan فإن إضفاء الطابع الأمني Securitization على مجال معين من السياسة العامة، يكون عبر عملية خطابية لغوية، حيث يعمل هذا الخطاب على الاستدلال بوجود تهديد يمس البقاء (المادي والمعنوي) لمرجعية أمنية ما، قد تكون الفرد أو الجماعة، أو الدولة، أو الهوية<sup>5</sup>.

يرى كل من باري بوزان وأولي ويفر، أن عملية وصم أي جماعة أو تيار أو دين أو فكرة بأنها تهديد أمني، عملية لا تتطلب الموضوعية ولا يُشترط لها أن تقدم حججًا منطقية. إذ إن الخوف والقلق، هما من سيحرّكان الجمهور وليس الحجة والمنطق. يضيف بوزان وأولي ويفر، أنّ عملية الأمننة هي مسألة

1 - المرجع نفسه ، ص 83.

2 - Leon Goldsmith, Immunizing Against Sectarian "Sickness": The Case of Oman , The link : <https://www.mei.edu/publications/immunizing-against-sectarian-sickness-case-oman>

3- عادل زقاغ، إعادة صياغة مفهوم الأمن: برنامج البحث في الأمن المجتمعي ، متوفر على الرابط التالي : <http://boulemkahel.yolasite.com>

4- أماني السنوار، مدرسة كوينهاجن ولعبة الدكتاتوريات الأمنية، متوفر على الرابط التالي: <https://www.sasapost.com/opinion/copenhagen>

5- عادل زقاغ ، المعضلة الأمنية المجتمعية : خطاب الأمننة و صناعة السياسة العامة ، مجلة دفاتر السياسة والقانون، المجلد الثالث، العدد الخامس، جوان 2011، ص 109.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

خطابية أو كلامية (Speech act) بمعنى أن الجهة التي تريد شيطنة فكرة أو تيار ما، وتصويره على أنه تهديد، لا تحتاج لأن تمارس أي تحركات أمنية، بل تحتاج فقط لأداء دور خطابي وإعلامي مُقنع للجمهور، لا أكثر<sup>1</sup>. يستند هذا الفعل الخطابي في عملية التثوير على التمايزات الثقافية، باعتبارها أحد أسباب التهديد، وكذلك في تصنيف مصادر التهديد عبر تعميمها على كل أفراد المجموعة الطائفية أو الإثنية. ويزداد خطاب الأمانة إذا اقترن بتهديد خارجي متصل بالجماعة مصدر التهديد .

يظهر تهديد الأمن الاجتماعي حينما يشعر المجتمع أن هويته أصبحت في خطر، وتتراوح خطورة التهديد من القمع لحرية التعبير، وتحريم استعمال اللغة، الأسماء، اللباس، غلق المدارس، وأماكن العبادة، النفي والقتل. لذلك يتعلق الأمن المجتمعي بالدرجة الأولى على التهديد لهوية المجتمع، إذ أن المجتمع سيندر إذا فقد هويته<sup>2</sup>.

تُصَف المعضلة الأمنية كيف يمكن أن تؤدي المنافسة المتصورة على الموارد المحدودة إلى العداء بين الجماعات، حيث تركز هذه النظرية على القوى الظرفية المحيطة بالجماعات، فمتى يتم النظر إلى الموارد بأنها محدودة ونادرة، وبغض النظر عن حقيقة هذه الندرة، فإن هذا الإدراك يُدخل هذه الجماعات في تنافس وعداء، وقد تكون هذه الموارد مادية مثل الأرض والغذاء، كما قد تكون نفسية مثل الوضع الاجتماعي أو القوة أو الهيبة<sup>3</sup>. ويُكرِّس ذلك أكثر بانهايار احتكار الدول لاستعمال وسائل العنف، أو الإقرار بالعلاقات الاجتماعية التي تدفع إلى إثارة النُّعرات الإثنية في المجتمع، ويصعب في وضعية كهذه الاحتفاظ بالنظرة التقليدية التي تعتبر المجتمع مجرد قطاع من قطاعات أمن الدولة، فهو هنا كيان قائم بذاته وموضوع متميز للأمن<sup>4</sup>.

المعضلة الأمنية المجتمعية هي حالة استقطاب اجتماعي حاد بعلاقات صفرية، تجعل المكونات مستنفرة ضد بعضها، إذ ترى في كل ممارسة اجتماعية عملية تهديد لمصالحها، هذه الأخيرة التي تدركها من خلال هويتها. فالمعضلة الأمنية مُخرج لتفاعل مدخلات مركبة، تجمع بين تراكمات الخبرات

1- أماني السنوار ، مرجع سابق.

2- مرابط رايح ، المأزق الأمني المتعدد الأبعاد ، مجلة دراسات إستراتيجية ، العدد العاشر ، مارس 2010، ص 138.

3-Saera R Khan and others , Realistic Group Conflict Theory , encyclopedia of social psychology , SAGE publication , 2007 , P725.

4- محمد الأمين بن عائشة، مفهوم الأمن الموسع ، متوفر على الرابط التالي: <http://www.maqalaty.com/43642.html>

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

الاجتماعية، أو بفعل استراتيجيات التجزئة المجتمعية التي تستهدف هوية المكونات، بغية المكاسب السياسية .

كما قد يكون المأزق الأمني المجتمعي آلية ضمن استراتيجيات التفكيك الاجتماعي للدول والمجتمعات، حيث أن مناخ التذرر، والعداوات الداخلية، يُمكن من التدخل الخارجي، مع ما يتيح هذا التدخل من فرص لإعادة الهندسة الاجتماعية. كما أن خطاب الإصلاح والمطالبة بالمشاركة في السلطة والثروة، يتراجع في مناخ الاستقطاب الهوياتي لصالح السلطوية، وعليه تستثمر النظم في صدم الهويات. تظهر الطائفية كآلية سلطوية فاعلة في الصراع السياسي داخليا وخارجيا. كما تعمل على تهديد الأمن المجتمعي، وخلق معضلة أمنية مجتمعية بفعل جوهرها الانقسامي، الذي يصور الطوائف المقابلة كمصدر تهديد ومنافس على الموارد الرمزية والمادية. يتشكل هذا الواقع بفعل خطابي دائم ومركز يستهدف الوعي الجمعي للطائفة أو المكون، يؤكد على الجماعات المنافسة والمخالفة كمصدر تهديد لوجود الطائفة أو لأمن الدولة. هذه الأمانة تعطي الشرعية للحالة الصراعية دون البحث في المسببات الحقيقية .

### المطلب الثالث : البنائية والنظام الاجتماعي : حدود المصلحة ضمن حيز الهوية .

كانت البنائية من أبرز الأطارح النظرية التي أقحمت متغير الهوية في سياسات الدول، معتبرة العلاقات الدولية في حقيقتها علاقات مجتمعية، يشكّلها الفعل الخطابي، الذي يصنع إدراك المجتمعات والدول تجاه مصالحها، هذه الأخيرة التي تتحدد بالهوية. تساعد البنائية على فهم الظاهرة الطائفية باعتبارها ظاهرة هوياتية تفعل متغير الانتماء لجماعة بشرية لها حيز خاص بها، وسردية خطابية تصنع ذاتها إزاء الآخرين، ومن خلاله تحدد مصالحها، وتحالفاتها وعداوتها، وقد تكون هذه السياسة الهوياتية خاصة بمجموعات طائفية ما دون الدولة تمارسها تجاه المكونات كما قد تعبر عن سياسات دول ومشاريع عابرة للحدود، تصنع تحالفات طائفية، وترسم خارطة لمصالح مشتركة، مبعثها الانتماء المشترك .

يجادل البنائيون بأن الهوية الدينية ليست ثابتة، بل هي بناء سياسي قائم على شبكة كثيفة من العلاقات الاجتماعية، مع التأكيد على وجود سمات للهوية عير قابلة للتغير. وعليه فالدين ليس هو جوهر الصراع ومنطلقه، بل إن الصراع ينبع من النظم الاجتماعية المرضية The Pathological Social

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

Systems، ومن السياق والهيكل السياسية التي تولد الصراع من الانقسامات الاجتماعية الخارجة عن سيطرة الفرد<sup>1</sup>. البنائية مقارنة لدراسة العلاقات والروابط الاجتماعية، ورغم أنها تستمد أفكارها من روافد نظرية ومعرفية متنوعة، إلا أنها تستقل بأطر مفاهيمية وتنظيرية تميزها، فهي لا تقدم تفسيرات عامة لماذا تختلف المجتمعات، وكيف يتغير العالم، بل تعمل على الاستقصاء الاجتماعي<sup>2</sup>.

لدى البنائين التقليديين أجندة بحث مماثلة لجدول نظرية العلاقات الدولية السائدة، والتي تركز على شرح سلوك الدولة، إنهم يختلفون عن علماء التيار الرئيسي، من حيث الأهمية التي يعلقونها على العوامل الفكرية في تشكيل سلوك الدولة. في الواقع، تهدف الاجتهادات البنائية، إلى إثبات أن العوامل الفكرية مثل القيم والهوية - والتي يتم تجاهلها - لها تأثيرات على سلوك الدولة. من خلال التركيز على "كيف تشكل البنى الفكرية أو المعيارية مصالحهم"، يختلف طرح البنائية عن النظريات السائدة فقط في الجانب الأنطولوجي، لكنه يتفق معها في الجانب الاستمولوجي والميثودولوجي<sup>3</sup>.

حاول نيكولاس أونوف N.onuf فهم ما يحدث من تحولات بعد الحرب الباردة، من خلال التركيز على البنية structures، ومدى تأثيرها على سلوك الفواعل في سياق ما تفرضه الهوية Identity من مؤثرات. ما يميز هذه النظرية عن غيرها هي أنها تتظر للواقع على أنه يأخذ صورته النهائية بناء على مختلف تقاطعات الاتصال والتبادل والتداخل بين المجتمعات، والتي تسمح في نهاية المطاف بتكوين شبكة من المعتقدات والقيم المشتركة<sup>4</sup>.

تشرح البنائية من خلال مفهوم البينذاتية\* inter-subjectivity علاقة سلوك الفاعل actor بالبنية structure، ويقول واندت wandet في هذا السياق أن الفوضى هي ما تجعلنا عليه الدول "anarchy is what states make of it"<sup>5</sup>. فالفواعل و الأبنية تسهمان في تأسيس بعضها بعضا بصورة تبادلية، فقد

<sup>1</sup> - Nader Hashemi and Danny Postel, op, cit P04.

<sup>2</sup> -Nicholas Onuf and others , International relations in a constructed world , M.E.Sharp , New Yourk , P58, 1998.

<sup>3</sup> -Zeynep Arkan , Via Media' vs. the Critical Path:Constructivism(s) and the Case of EU Identity , All Azimuth: A Journal of Foreign Policy & Peace , vol 03 , N02 , Jul 2014 , p25.

<sup>4</sup>-حسين بوقارة ، دراسة في عناصر التشخيص و الإتجاهات النظرية للتحليل ، دار هومة ، الجزائر ، 2012 ، ص 233.  
\* مصطلح يدل على ارتباط ما أو نوع من العلاقة بين الذات و أمر آخر مغاير لها ، مع الإشارة أن تتضمن نوع من التواصل، للتفصيل أكثر حول المفهوم أظر : محمد فرحة و بتول حكمت محمد ، البينذاتية و أهميتها عند موريس ميرلوبونتي ، مجلة جامعة تشرين للبحوث و الدراسات العلمية ، سلسلة الآداب و العلوم الإنسانية ، ، المجلد 39 ، العدد الثالث ، 2017.

<sup>5</sup>-Ali Akbar Rezaei , foreign policy theories : implications for the foreign policy analysis of iran ; in irans foreign policy from Khatami to Ahmadi Nejad , Ithaca press , uk ,2008,pp20.24.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

تُكيف الأبنية المعيارية والفكرية هويات ومصالح الفاعلين، لكن تلك الأبنية ما كانت لتوجد لولا الممارسات التي يمكن معرفتها لأولئك الفاعلين.<sup>1</sup>

فالظاهرة الطائفية قد تكون في بدايتها حالة خطابية تعصبية تحمل نبرة عدائية تجاه الآخرين، مستعينة بالسرديات التاريخية ومظالم الحاضر، تصنع إدراك رعايا الطوائف تجاه الدولة أو تجاه الطوائف المقابلة، بناء عليها يتأسس النظام الطائفي، ويصبح أمرا واقعا يضبط سلوك المكونات تجاه بعضها، ويفرض قيم المحاصصة الطائفية، لينتقل النظام الطائفي بفعل البيئات التي تقدمها البنائية إلى بنية تحدد سلوك الفواعل داخلها. كما قد يتحول إلى نظام سياسي قطبه التقسيم الطائفي.

البنائية على مستوى الوحدة هي مقلوب البنائية النظامية، فبدلا من التركيز على المجال الدولي الخارجي، تركز البنائية في مستوى الوحدة على العلاقة بين المعايير الاجتماعية والقانونية الداخلية، وهويات ومصالح الدولة. وتعتبر كتابات كازنشتاين Peter J. Katzenstein عن سياسات الأمن القومي في ألمانيا واليابان دالة على هذا النوع من البنائية.<sup>2</sup>

نقطة الانطلاق للبنائية هي افتراضها الأساسي بأن الإنسان كائن اجتماعي، بمعنى أنه لا يمكن لنا أن نكون أناسا دون علاقاتنا الاجتماعية، أي أن العلاقات الاجتماعية هي التي كونت الناس على ما هم عليه الآن. وبالمقابل نحن نكون العالم من حولنا بما نفعل، وبما تمنحه الطبيعة من موارد، وبما نقوله لبعضنا البعض، والقول كالفعل في أنه يصبح جزءا مهما في تركيب العالم من حولنا.<sup>3</sup> يعتقد البنائيون بأن فهم كيفية تكيف الأبنية غير المادية لهويات الفاعلين في غاية الأهمية، لأن تلك الهويات تلهم المصالح، حيث يرى ألكسندر واندت أن الهويات هي أساس المصالح، ويتم مسار التشكل عبر ثلاثة ميكانزمات هي : الإدراك و الاتصال و التقييد<sup>4</sup>

لا تركز البنائية على المؤثرات المادية مثل الدول والمبادلات التجارية، بقدر ما تهتم بتأثير الأفكار الناتجة عن الخطاب المجتمعي، الذي يشكلها ويسمح بتكوين قيم مشتركة وإدراك جمعي، وبالتالي

<sup>1</sup>-سكوت بورنثيل و آخرون ، نظريات العلاقات الدولية ، ترجمة محمد صفار ، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2014، ص 332.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 336.

<sup>3</sup>- خالد المصري ، النظرية البنائية في العلاقات الدولية ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية و القانونية ، المجلد 30 ، العدد الثاني ، 2014 ، ص 318.

<sup>4</sup>-سكوت بورنثيل و آخرون ، مرجع سابق ، ص ص 332-333 .

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

مصالح مشتركة، لأن الهوية و المصلحة مترابطتان حسب البنائية<sup>1</sup>. تتعامل هذه النظرية مع الدولة على أنها فاعل سلبي في تعبئة الهوية، بحيث أن المنافسة داخل وبين الجماعات، ستنقل لمساحة الدولة، أين تتصارع هذه التشكيلات الاجتماعية للسيطرة على مؤسسات الدولة، كوسيلة لتعزيز سلطتها على الجماعات المتنافسة. إن امتداد هذا الصراع سيعمل في النهاية على ضعف الدولة وفشلها وربما انهيارها تماما<sup>2</sup>.

جوهر البنائية هو الافتراض بأن الوجود البشري وجود اجتماعي، والخطاب هو العنصر الأكثر أهمية التي نتبعها في صنع العالم، والبنائية ترى أن الناس يشكلون المجتمع، والمجتمع يصنع الناس، وأن هذه العملية المستمرة يظهر فيها عنصر ثالث وهو القواعد الرابطة بين العنصرين السابقين، وهي توفر خيارات أمام الفاعلين، والفاعلون في تصرفاتهم يحتاجون لمعرفة ماهي مصالحهم، والتي تُحدد في ضوء إدراكهم لهوياتهم فردية كانت أم جماعية<sup>3</sup>.

هذا الطرح يمكنه تفسير حالة الاستقطاب الإقليمي في الشرق الأوسط التي أعقبت ظاهرة الانبعاث الطائفي، حيث تبني كل محور طائفة معينة، مستغلا حالة الاحتقان الاجتماعي التي نتجت عن اختلال توازن القوى بين الطوائف، وأصبحت الطائفة تمثل الوكيل الذي يحفظ مصالح الداعمين، كما أصبحت المجتمعات ساحة لحروب المصالح غير المباشرة بين المحاور الإقليمية .

الهويات ضرورية في السياسة العالمية والمجتمع الداخلي على حد سواء، وذلك لتكون قابلة لأدنى مستويات التنبؤ والنظام، فالتوقعات الثابتة بين الدول تتطلب معرفة الهويات الذاتية التي تكون ثابتة بدرجة كافية للتأكد من أنماط السلوك المتوقعة من كلا الطرفين<sup>4</sup>. لأن مصالح وسلوكيات الأفراد والجماعات لا يمكن أن تفسر وتحدد إلا من خلال الرجوع إلى المصادر الفكرية والقيمية التي تتشكل منها هوياتهم، والتي هي عبارة عن حقيقة تطويرية يتحكم فيها محتوى الخطاب السائد، واتجاهات النخب والرأي العام، والعمل الجماهيري، ثم التفاعل مع المجموعات الأخرى<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>- Stephen M Walt , International Relations : one world ,many theories , foreign policy , no , 110, spring 1998,p40.

<sup>2</sup> - Nader Hashemi and Danny Postel, op, cit, P05.

<sup>3</sup>- السيد صدقي عابدين ، تحليل العلاقات الدولية من منظور بنائي ، مجلة النهضة ، كلية الاقتصاد و العلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، العدد الأول ، أكتوبر 1999 ، ص 149.

<sup>4</sup>- أنور محمد فرج ، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية : دراسة مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة ، مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية ، العراق ، 2007 ، ص 410.

<sup>5</sup>- حسين بوقارة ، مرجع سابق ، ص 234.



## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

رغم ما تقدمه البنائية من إمكانات تنظيرية عبر تركيزها على البنى اللامادية، ودورها في تفسير سلوك الدول، إضافة إلى دور الخطاب كفاعل مهم في صياغة الإدراك الجمعي نحو المصالح الهوياتية، إلا أن الواقع لا يعزز فكرة أن الهوية هي التي تصوغ المصالح، بقدر ما يؤكد أن الدول هي التي توظف الهويات وتستخدمها من أجل مصالحها، خاصة في المجتمعات التقليدية، التي تكون فيها الانتماءات الأولية مثل الطائفة والقبيلة والإثنية هي القاسم المشترك الذي يحرك الأفراد .

يدفعنا هذا للتساؤل إن كانت البنية بالفعل هي التي تحدد سلوك الفاعلين، أم أنها وسيلة توظيفها قيادات الجماعات لصياغة نظام اجتماعي يضبط إدراك الرعايا، عبر عملية خطابية تصنع توجهاتهم، لكن هذا لا يعني التقليل من القدرة التفسيرية والتنبؤية للمقاربة البنائية، التي سلطت الضوء على أهمية التكوين المتبادل، وكيف أن الواقع المتعمد الذي تصوغه الجماعات -وعملية التطييف جزء منه- يستغرق هذه الجماعات في متغيراته، ويفرض عليها العمل وفق نظامه بشكل يصعب الفكاك منه .

### المطلب الرابع : اقتراب الدولة والمجتمع : التنافس حول الضبط الاجتماعي .

يبحث اقتراب الدولة والمجتمع في علاقة الدولة بالبنى الاجتماعية التي تحكمها، وإلى أي مدى بإمكان الدولة فرض الضبط الاجتماعي على الأنساق السيسولوجية. كما يسعى المقترح للبحث في ثنائية الدولة الضعيفة والمجتمع القوي، هذه الثنائية التي تقشل فيها الدولة في مسار الضبط الاجتماعي، ويتراجع ميزان القوى لصالح الوحدات الاجتماعية المنظمة. يتعاطى مجال مع الدولة وكأنها كتلة موحدة تمثل تيارا واحد متناسقا في ذاته وإدراكه للواقع وللمصلحة، وبنفس المقاربة يقترب من المجتمع، متجاوزا حالة التداخل والتنوع التي تعبر عنها الأجنحة والاتجاهات المتضاربة داخل النظم، وأيضا حالة التباين المجتمعي في تعريف المصالح.

يمكن لمقاربة الدولة في المجتمع تقديم قراءة معرفية للعلاقة المأزومة بين الدولة والقوى المجتمعية خلال الأزمات الطائفية، خاصة إذا كانت الدولة تدعي تمثيل طائفة، لتصبح طرفا في حالة صراعية، وتسعى للضبط الاجتماعي من خلال فرض قيمها، عبر سياسات التهميش والتمييز الطائفي. كما تعمل الطائفة في هذا الوضع الافتراضي على الانكفاء، والحفاظ على مصالحها، منتهجة سياسة المجابهة، في علاقة صفرية قد تهز من شرعية الدولة، وتدفع بها للضعف، بفعل الاحتراب الداخلي، وتآكل الانتماء لصالح الانتماءات الأولية .

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

### 1/ تحولات وظائف الدولة .. من فيبر إلى مجدال :

يرى مجدال J.Migdal أن أغلب التعريفات الكلاسيكية للدولة لم تعطي اهتماماً كافياً لعملية تكوين وتحول وظائف الدولة، وطبيعة المقاومة التي تتعرض لها من جانب القوى الاجتماعية المختلفة، فضلاً عن كيفية اندماج بعض الجماعات والقوى الاجتماعية داخل الدولة. كما أن أنصار هذا الاتجاه لم يوضحوا طريقة فرض سيطرة الدولة علي المجتمع<sup>1</sup>.

حاول جويل مجدال J.Migdal عبر كتابه الدولة في المجتمع تقديم مقارنة تاريخية أنثربولوجية جديدة تستهدف العلاقة بين الدولة والقوى الاجتماعية المختلفة، بهدف الخروج من النقاشات الكلاسيكية التي تركزت بشكل رئيسي حول نظريات مركزية الدولة، حيث أكد مجدال في انتقاده لنمط الدولة عند ماكس فيبر، على أنها ركزت فقط على الخاصية البيروقراطية، والإكراه دون النظر إلى باقي الوظائف<sup>2</sup>.

عزّف جويل مجدال J.Migdal - في كتابه المرجعي مجتمعات قوية ودول ضعيفة- الدولة القوية بأنها التي تتمكن من احتكار استخدام العنف في جميع حدودها الجغرافية، ويعرف الكاتب القدرة بأنها القدرة على تقديم الخدمات الأساسية للسكان، ومركزية الدولة في حياتهم اليومية<sup>3</sup>. وبقدر ما تغيب الدولة من هذا الحيز بقدر ما تملأه القوى الاجتماعية المنافسة، وينتقل الولاء.

في حالة الدولة الضعيفة، فإن الدولة ومؤسساتها تكون خاضعة لقوى وتنظيمات مجتمعية، كالجماعات العرقية والقبلية، والزعامات الدينية، خصوصاً في حالة افتقارها إلى القدرات الكافية لتفعيل إرادتها، وفرض سيطرتها علي كافة قوى المجتمع<sup>4</sup>. وبهذا تكون الدولة تحت وطأة المحاصصة المجتمعية، وتقسيم الامتيازات بين المكونات المتنافسة، في حالة داروينية تغيب فيها معايير المواطنة والمساواة .

تعاني الدولة الضعيفة من محدودية القدرة على ممارسة السيطرة الاجتماعية، إذ تعجز عن التحكم في أقسام ومناطق حضرية وريفية، في مجتمعات شديدة التعقيد، متكونة من جماعات عرقية وعشائرية

1- إسلام محمد السيد علي، عرض لكتاب الدولة في المجتمع ، بحث مقدم ضمن مقياس نظرية السياسية المقارنة ، برنامج الدكتوراه الموسم الجامعي 2011/2012 ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/C5y3D>

2- محمد أمين بن جيلالي ، مشكلة بناء الدولة وفق أدبيات السياسة المقارنة ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية ، تخصص السياسات المقارنة ، كلية الحقوق و العلوم السياسية ، جامعة أوبكر بلقايد ، تلمسان ، 2014 ، ص 14.

3- دانا الكرد ، قدرة الدولة وتأثيرها في الرأي العام ، مجلة سياسات عربية ، العدد 29 ، نوفمبر 2017 ، ص 88.

4 - Joel Migdal, Strong Societies and Weaken States: State Society Relations and State Capabilities in the Third World, (Princeton; NJ: Princeton University Press, 1988).pp 35 -40.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

وطائفية ودينية، تحد من سلطة الدولة على المجتمع. إن وصف " الهيمنة المشتتة" هو المعبر عن حال هذه الدول، حيث لا يستطيع النظام ولا أي قوة اجتماعية تحقيق الهيمنة على مستوى الدولة.<sup>1</sup> معضلة الدولة الضعيفة أنها مقحمة في حلقة مفرغة، فهي لا تملك الإمكانيات لخلق المشروعية بضمان الأمن، وخدمات أخرى، وهي في محاولة امتلاك القوة تتبنى سلوكيات افتراضية واختلاسية بين القطاعات الاجتماعية. فكل ما تحاول كسبه من القوة يؤدي إلى دوام ضعفها<sup>2</sup>. وهذا ما جسده منطق الدولة الفاشلة خاصة في الحالة العربية، إذ أن النظام الذي فشل في التأسيس لدولة الجميع، والعجز عن تلبية المطالب المشروعة للمواطنين، قد يعمل على خلق حالة من الاستنفار والشك المتبادل، والتمييز بين مكونات المجتمع من أجل تفكيك الجبهة الاجتماعية .

يعتقد مجدال J.Migdal أنه يجب الانتباه لمستويين رئيسيين عند محاولة فهم الدولة، وهما "الصورة والممارسات". حيث يقول أن الدولة تتشكل فعليا من "صورة وممارسات"، فالصورة والممارسات قد تكون متداخلة أو متآزرة أو متعارضة وتقوض بعضها بعضا. يقصد مجدال بالصورة: كيف يتصور الناس الدولة؟ ما هو شكل الإدراك المعين الذي تريد الدولة ترسيخه عنها؟ فالصورة حسب قوله: هي صورة ذهنية لهيئة اجتماعية متماسكة ككيان واحد مستقل وموحد ومركز إلى حد كبير ومسيطر في إقليم ما، والممارسات هي الممارسات (الفعلية) لأجزائها المختلفة<sup>3</sup>. وأن تكون الدولة وأجهزتها طرفا في الصراع الاجتماعي، فهذا يعني أنها ستتصور كتمثيل للآخر الطائفي .

### 2/الدولة والمجتمع : رهان المنافسة حول السيطرة المجتمعية .

تتشكل العلاقة بين الدولة والمجتمع عبر سيرورة تدافع/تفاعل مستمر بين الدولة والتشكيلات الاجتماعية الأخرى، قد تنجح فيها الدولة في تشكيل وإنفاذ سياساتها ومعاييرها على المجموعات الاجتماعية، وقد يحدث العكس، فتُغير المجموعات الاجتماعية من رؤية الدولة وسياساتها، وقد يحدث ناتج ثالث لا علاقة له بالصورة الابتدائية للدولة ولا للمجتمع، وإنما هو خليط تأثير كل منهما على الآخر، وهو ما يسميه مجدال " المخرجات غير المقصودة" أو "سردية غير المتوقع"، وهذا الطريق الثالث

<sup>1</sup> - Nader Hashemi and Danny Postel, op cit, P06.

<sup>2</sup> - عبد العالي العبدولي ، نقد المبنى التكويني للموجود الانجلوسكسوني المبنى الأمريكي نموذجا ، مجلة الاستغراب ، خريف 2015. ص179

<sup>3</sup> - علي أبو إدريس ، علي أبو إدريس ، ملخص كتاب الدولة في المجتمع : دراسة عن كيفية تحول الدول و المجتمعات بعضها البعض ، ( جويل س مجدال ) ، مركز تأسيس للدراسات و النشر ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/CgRWF>

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

هو ما يحدث في الغالب، وكل هذه الرؤية المذكورة آنفا هي لب مقارنة الكاتب<sup>1</sup>. إن تأزم العلاقة بين الدولة والمجتمع ودخولها في مرحلة العداوة قد تحيل إلى نهايات مفتوحة، يفقد فيها الجميع السيطرة، ويصبح الفاعلون مجرد وكلاء في الصراع، لا يملكون قرار الحرب والسلام.

قوة الدولة وفقا لأراء مجدال J.Migdal تقاس بمدى قدرتها وهيمنتها علي نماذج السيطرة الاجتماعية Social Control، والتي تعني التحكم في منح الضروريات المعيشية لحياة الناس، وتشكيل قيمهم، وتوجيه سلوكهم، وضمان تطبيق القانون واحترامه. فالدولة تكون قوية، حينما تكون أنماط السيطرة الاجتماعية موحدة، وخاضعة لها، وحين تمتلك إمكانيات تخطيطية، وقدرة علي صنع السياسة وتنفيذها، وقدرة على ضم كافة الطوائف المجتمعية تحت مظلة الدولة<sup>2</sup>.

مفهوم الضبط أو التحكم الاجتماعي (Social Control) من المفاهيم المركزية داخل هذا الاقتراب، ويشير بصفة عامة إلى محاولة فرض الدولة هيمنتها على المجتمع، أي محاولة الدولة إلى التحكم في المجتمع وقيادة القوى المجتمعية المختلفة إلى أهدافها ورغباتها الخاصة. ومن ثم تصبح الدولة القوية هي القادرة على تعبئة مواردها المادية وحشد الطاقات البشرية وإدارة التنويعات الاجتماعية أيضا بما يحقق لها الاستمرارية والسيطرة، ويتم قياس مدى قدرة الدولة على هذا التحكم عبر ثلاثة مؤشرات<sup>3</sup> :

1 - الامتثال والطاعة (Compliance) .

2 - المشاركة (Participation)

3 - الشرعية (Legitimacy)

الدولة القوية هي ذات التغلغل في مجتمعتها، وتكون قيمها السياسية والاقتصادية في مصلحة مجتمعتها، إذ تُعَلَى فيها قيم المواطنة والتضامن والثقة بين مكونات المجتمع المختلفة، كما تعلو في هذا المجتمع الروابط الأفقية القائمة على القواسم الفكرية والسياسية المشتركة<sup>4</sup>. فإذا حققت الدولة قدرا أكبر من امتثال سكانها، وإذا استطاعت كذلك استيعاب أكبر قدر من السكان في مؤسسات الدولة، عبر عنصر المشاركة، وإذا استطاعت كذلك ترسيخ شرعيتها عبر أدوات المعنى والترسيخ الرمزي، بحيث لا

<sup>1</sup> - نفس المرجع .

<sup>2</sup> - Joel Migdal, op.cit. , pp 35 -40.

<sup>3</sup> - محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي: المفاهيم، المناهج، الاقترابات والأدوات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997، ص 217

<sup>4</sup> - باقر سلمان النجار ، الدولة العربية : بين إخفاقات البناء وتعطل الاندماج ، في جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، ط1 ، 2014 ، ص 55.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

يستطيع أحد من السكان تصور الحياة بدونها. بناء على ما سبق فكما تمكنت الدولة من تحقيق أكبر قدر من العناصر الثلاثة، كلما حققت السيطرة الاجتماعية الكبيرة، مقارنة بالمجموعات الأخرى التي تتنافس معها للفوز بالسيطرة الاجتماعية.<sup>1</sup> ففوة الدولة في نموذج مجادل لا تقتصر على النموذج الفيبري الذي يحصرها في احتكار العنف. والواقع أن التجارب التاريخية للنزاعات الداخلية تثبت أن احتكار العنف قد لا يكون كافياً للضبط الاجتماعي، في ظل ممارسات التمييز والكرهية، وأنها عوامل قد تدفع إلى العنف بشكل تعجز معه الآليات الأمنية للدولة .

الدول ذات المستويات المنخفضة من الشرعية غير قادرة على الحفاظ على ولاء سكانها. وعندما تلجا للقمع فإنها عادة ما تثير المعارضة ضدها، إضافة إلى ممارستها الاستعبادية تجاه شرائح من الشعب عبر التمييز أو الإهمال، أو شح الخدمات، بهذا السلوك فهي تترك مساحة للجهات الفاعلة ما دون الدولة للتحرك كبديل لتوفير الأمن أو الخدمات الاجتماعية الأساسية، وعليه سحب الشرعية لصالحها.<sup>2</sup>

حين تخفق الدولة في تحقيق الضبط الاجتماعي وتدخل في علاقة صراعية مع المجتمع، يبدأ الأخير في تكوين مؤسسات موازية للدولة لملء الفراغ الناجم عن ضعف بنيتها، إذ تحاول تعويض ضعفها بممارسات تعسفية، ويتفاقم عدم الاستقرار مع سيادة المعادلة الصفرية، بمعنى أن زيادة قوة الدولة تكون خصماً من رصيد القوة المجتمعية، والعكس. بينما يتمثل الحل الأمثل في سياسات تضمينية تكاملية تتبعها الدولة، تُعزز التعاضد بين الدولة والمجتمع، ومن ثم سيادة علاقة غير صفرية.<sup>3</sup>

في الدول الضعيفة تدور السياسة حول استراتيجيات البقاء Strategies of survival ومن الأساليب المهمة للحفاظ على السلطة في الدولة الضعيفة، التلاعب بالانقسامات الاجتماعية والسياسية، عبر إستراتيجية فرق تسد، بما يتيح للنخب الحاكمة مساحة أكبر للمناورة على المدى القصير، لكن على حساب التماسك الاجتماعي على المدى الطويل.<sup>4</sup>

يمكن تقسيم مخرجات العلاقة بين الدولة والمجتمع حسب مجادل إلى أربعة أنماط:<sup>5</sup>

1 - علي أبو إدريس ، مرجع سابق.

2 - Vincent Durac, The role of Non- State actors in Arab countries after the Arab upsprings. Mediterranean year book, IEMed, Barcelona, p41.

3- محمد عبد الله يونس ، استعادة الدولة : اتجاه استرداد السيادة في بعض البلدان العربية ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/YfhPz>

44 - Nader Hashemi and Danny Postel, op cit, P06.

5- نصر محمد عارف، إبستيمولوجيا السياسة المقارنة: النموذج المعرفي، النظرية، المنهج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2002، ص 327.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

- أ- دولة قوية ومجتمع قوي: وهو نموذج غير قائم فعلا في الواقع الراهن
- ب- دولة قوية ومجتمع ضعيف: وهذه الحالة يطلق عليها النموذج الهرمي.
- ج- دولة ضعيفة ومجتمع قوي: وهي حالة النموذج المتشردم أو المشتت.
- د- دولة ضعيفة ومجتمع ضعيف: وهي حالة النموذج الفوضوي.
- يجادل جول ميجدال Joel Migdal أن المجتمعات قوية في مواجهة الدولة، إذا ما استطاعت مراكز القوة في المجتمع مقاومة قدرة الدولة على ممارسة هذا الضبط الاجتماعي، وفرض تحالفاتها وقيمتها وتفصيلاتها على مؤسسات الدولة، وفي هذه الحالة تتحول سياسات الدولة وقراراتها إلى محاولة الإبقاء على الوضع الحالي، أي تبني سياسات البقاء، بدلا من السعي لبناء مؤسسات قوية<sup>1</sup>. هذه المقاومة قد تكون في مؤسسات التنشئة أو العبادة أو حتى في المؤسسات العمومية، وتؤثر على قوة الجماعة ولحمتها. كما تحيل إلى أن الدولة عجزت عن السياسات التشاركية، وأضحت منافسا أكثر من كونها ممثلا للجميع.
- فالدولة الضعيفة هي تلك العاجزة عن تنمية مجتمعها وتحقيق مصالحه. وتتخذ موقفا عدائيا منه وتناهض تنظيماته المدنية وأحزابه السياسية، وتتعدم فيه الثقة بالدولة، تنزع الدولة في هذا النموذج نحو تكريس الروابط العمودية القائمة على القبيلة والعشيرة والدين والانتماءات الإثنية الأخرى، وهو ما يُكون مجتمعا ضعيفا تنكس فيه الإخفاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وتتوزع فيه المنافع والخدمات في ضوء الانتماءات الفرعية، ومدى القرب من مركز السلطة<sup>2</sup>.
- وهذا هو الموجود في الحالة العربية خاصة في جغرافيا التوتر الطائفي، حيث لا يخفى فشل الدولة في احتواء المكونات المجتمعية، وسعيها لفرض سياساتها التمييزية التي تلمس الخصوصية الهوياتية، دون أي تنازلات حقيقية تدفع نحو الاندماج الفعلي لكافة الشرائح عبر إشراكها في مؤسسات الدولة ودون النظر لها على أنها تهديد. فغالبا ما تغشل هذه السياسات وتدفع الطوائف نحو المقاومة .
- يجعل مجال علاقة الدولة بالمجتمع علاقة توازي وتنافس، والحقيقة أنه رغم ما يقدمه هذا المقتررب من إمكانات معرفية تسلط الضوء على حالة التدرر التي تعيشها المجتمعات في منافستها مع الدولة أو

1- أمل حمادة ، معادلة جديدة ؟ إعادة تشكيل العلاقة بين الدولة و المجتمع بعد الثورات العربية ، متوفر على الرابط التالي :

<https://cutt.us/CN6id>

2- باقر سلمان النجار ، مرجع سابق ، ص 56.

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

النظام، إلا أن الدولة ما هي إلا امتداد لمكونات اجتماعية قد تكون صادرت القرار لصالحها، أو تكون توظف الانتماءات الاجتماعية من أجل الحفاظ على السلطة بتعميم حالة الخوف، وبالتالي فهذا يدفع للقول أن حقيقة الصراع هو بين مكونات مجتمعية متنافسة حول السلطة وصنع القرار، خاصة وأن المجتمع كما الدولة ليس اتجاها واحدا موحد القرار والإدراك والنظرة للواقع السياسي والاقتصادي، بل يمثل الحالة الفسيفسائية المعقدة والمتناقضة أحيانا .

### خلاصة الفصل الأول :

الطائفية ممارسة استيعادية تجاه جماعات مباينة في الاعتقاد، وتعمل على إعادة إنتاج ذاتها في كيان الطائفة، من خلال عمليات التنشئة الأسرية والمدرسية والمجتمعية، بخطاب طائفي يصوغ سلوك الفرد داخل الجماعة وخارجها. قد تشتبك الطائفية مع غيرها من الظواهر، خاصة تلك المرتكزة على عناصر الهوية، وتعمل بنفس نظامها، إلا أن لها جملة خصائص وآليات عمل ومسار تكامل يميزها.

من الصعب تحديد مرحلة زمنية يمكن الانطلاق منها باعتبارها بداية الظاهرة الطائفية، لكن أزمنة ظهور الطوائف والفرق قد يمكن البناء عليها كإشارات. أما الطائفية المعاصرة فهي مآل لتوظيف التناقضات الداخلية من القوى الكولنيالية، ومن النظم السلطوية. أدركت الدراسات الاستشراقية الإمكانيات التوظيفية لاستراتيجيات الهوية، وعليه اعتمدت تقسيم مناطق النفوذ وصناعة جماعات أقلوية لتمثلها. امتدت هذه الأفكار للاستشراق الجديد، حيث تُحيل الفشل الدولتي إلى اللاتجانس، دون الإشارة إلى أن الاستعصاء الديمقراطي مرده إلى الفشل في إدارة التنوع. وترى تجاوز الصراعات الطائفية في إعادة تقسيم العالم العربي والإسلامي، انطلاقا من الخصوصيات الهويةية والطائفية والمناطقية، بما يعيد بعث صراعات جديدة تكون فيها الجماعات أكثر تنافرا، لكنها أكثر ارتباطا بالمركز الكولنيالي .

تنطوي الطائفية في تكوينها وآليات عملها على جوهر عصبوي، قوامه الاستقطاب حول فكرة عقدية جامعة لتشكيل اجتماعي، في إطار المنافسة مع باقي الجماعات. إن العصبية الخلدونية وإن كان تأسيسها على النسب القبلي، إلا أنها تعبر في عملها على الحالة الطائفية .

إن فشل الدولة في ضبط التوازن الاجتماعي يدفع الصراعات الطائفية نحو معضلة أمنية مجتمعية. حيث تعتمد الطائفية على تجارب الخزين التاريخي ومضامينه المجتمعية والسياسية، وتعيد قراءته بناء

## الفصل الأول : مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية

---

على متطلبات الواقع، من أجل صناعة فعل خطابي يشكل الوعي المشترك، ويصوغ هوية وسلوك أفراد الطائفة. كما تعتمد الدولة في عملية الأمننة الهادفة لتسوية استهداف فئة اجتماعية .

يدلل مجتمع الطائفية على عصبويات قوية في مقابل دولة ضعيفة. أو لعل الدولة ومؤسساتها امتداد لمكون اجتماعي يوظفها في إطار الصراع، عبر استغلال وسائل الضبط. تظهر هذه الحالة التنافسية نظرا لعجز الدولة عن النفاذ في المجتمع والتعبير عن تطلعاته.



## الفصل الثاني :

البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون:  
قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

### توطئة :

فهم البناء الاجتماعي الذي تتفاعل ضمنه الاتجاهات السياسية، يمكننا من فهم آليات عمل الظاهرة الطائفية في المجتمع الخليجي، من حيث كونه مجتمعا تقليديا، تحافظ فيه الانتماءات على قوتها وفعاليتها، ومن حيث أن نظمه امتداد لمشيخات الماضي، وتوظف أدواته في إدارة مكونات هذا المجتمع.

يسعى هذا الفصل لمقاربة الفسيفساء الاجتماعية في دول مجلس التعاون، بغرض معاينة التنوعات الهويةتية داخلها، والمستويات الانقسامية التي تتشابك ضمنها الجماعات وتتنافر. كما يعمل على البحث في السمات المشتركة لأنظمة الحكم الخليجية، وآليات عملها وظروف نشأتها والسياقات التي ساهمت في تحولات أدوارها السلطوية، وهذا من أجل فهم أكبر لموقع سياسات الهوية ضمن إستراتيجية هذه النظم، في الإطار العام المشترك، قبل التعرض لكل حالة وخصائصها في الفصل الموالي .

- المبحث الأول : جيوبوليتك الطوائف: التركيبة المجتمعية وتشابكاتها في الخليج
- المبحث الثاني : بنية الدولة والسلطة في دول مجلس التعاون

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

### المبحث الأول/ جيوبوليتك الطوائف: التركيبة المجتمعية وتشابكاتها في دول الخليج.

البيئة التقليدية لأنظمة الحكم في دول مجلس التعاون، تُحيلنا إلى ضرورة فهم سياقها الاجتماعي التقليدي أيضا، حيث للقبيلة والإقليم، وكذلك الطائفة سطوة تتازع الدولة في شعور الانتماء، والنفوذ، والضبط الاجتماعي. إن فهم الاتجاهات الديمغرافية، وتتويجات التركيبة السكانية، ومن ثم الطائفية، يسلط الضوء على تقاطعات الهوية، وأيضا يُظهر حدود الجماعات وانتشارها وقدرتها التأثيرية .

إن فهم البناء الاجتماعي ولبناته وتفاعلاته، متغير بالغ الأهمية في فهم الظواهر الإنسانية. لذلك يعتبر أنتوني غيدنز Antony Giddens أن الهيكلة Structuration هي المقاربة المثلى للتحليل الاجتماعي للدولة الحديثة، إذ يرى أن الأنظمة الاجتماعية مكونة من الأعمال والعلاقات البشرية. يعطيها تكرارها- فترات من الزمن ومسافات من المكان- طابعها النموذجي. لذلك، يتعين علينا فهم المجتمعات البشرية بأنها تشبه المباني، التي يجري في كل لحظة تشييدها بواسطة الطوبات نفسها التي تُكونها. تتأثر أعمالنا كافة بالخصائص البنوية للمجتمعات التي ننشأ ونعيش فيها، ونعيد في الوقت نفسه ( ونغير إلى حد ما) تلك الخصائص البنوية في أعمالنا<sup>1</sup>.

بناء عليه يعمل البحث على عرض الخصائص والسمات المشتركة لديموغرافيا الخليج ورهاناتها، ومن ثم يحاول مقارنة الوضع الاجتماعي وتشكيلاته الهوياتية والطائفية في كل دولة على حدة. وهذا بغرض معرفة القدرة التأثيرية للمتغير الطائفي في مقابل متغيرات الهوية الأخرى، حسب خصوصيات البلد .

### المطلب الأول: الاتجاهات الديمغرافية في دول مجلس التعاون: توزيعها الجغرافي وامتداداتها المجتمعية .

المجتمع الخليجي مجتمع شديد التنوع والتفاعل، بفعل تأثيرات الموقع الجغرافي، حيث تاخم حضارات تاريخية، شهدت تفاعلات إنسانية كبيرة تجارية وحرية وثقافية. بناء عليه تولدت بيئة اجتماعية فسيفسائية تتضمن تنوع عرقيا واثنيا وطائفيا ومذهبيا ومناطقيا، وهذا رغم الكتلة الديمغرافية الصغيرة، مقارنة بالدول المحيطة. إن فهم هذه التفاعلات الاجتماعية عبر كشف محركاتها من تشكيلات مجتمعية،

<sup>1</sup>- مارتن غريفنيس، خمسون مفكرا في العلاقات الدولية ، مركز الخليج للأبحاث، الإمارات، 2008، ص 409.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

يُمكننا من فهم أكبر لاتجاهات المصالح والأهداف، وسياسات الدولة داخليا وخارجيا. فالهوية والانتماء والخلفية المجتمعية متغيرات مركزية في البيئة التقليدية سياسيا واجتماعيا. كما أن هذه المكونات آليات حكم، وكتل مُنافسة في الوقت عينه .

تعتبر القوة البشرية بما تعنيه من حجم وخصائص وكيفية التوزيع الجغرافي للسكان، عوامل مهمة في حسابات القوة الوطنية للدول، وكذلك في حسابات القوة الإقليمية. والواقع أن العامل السكاني مثله مثل العامل الجغرافي تماما ليس عاملا استراتيجيا، بل يجب النظر إليه في علاقته بالمحتوى الاجتماعي-السياسي. ويجب النظر إليه من منظور التكامل الاجتماعي والوطني، ذلك لأن ترزح هذا التكامل وبروز المشاكل العرقية والدينية، ووجود أقليات ساخطة في مناطق الحدود يهدد الاستقرار، خصوصا إذا كانت تلك الأقليات لها امتدادات عرقية أو دينية في هذه الدول<sup>1</sup>. فالانتشار الجغرافي للمكونات الاجتماعية التي تحمل خصائص مميزة، أو تشهد حالة صراعية مع باقي المكونات له دور فعال في اتجاهاتها الانفصالية، أو سعيها لتأكيد خصوصيتها. كما أنها تتحول لمناطق رخوة تهدد الأمن الوطني .

إن ميزان القوة البشرية حساس في النظام الإقليمي كماً ونوعاً، وهو ما يجعل هذا النظام أكثر عرضة للتهديدات والضغوط الخارجية، كما أنه شديد الحساسية تجاه الضغوط والتهديدات<sup>2</sup>. تُصنف المتغيرات الدافعة للنزعة الانفصالية كالتالي :<sup>3</sup>

1- المتغيرات الجغرافية : كتركز الأقلية في منطقة واحدة، وقربها من الحدود الدولية، ووجود امتداد لها في الدول المجاورة .

2- المتغيرات الاجتماعية: مثل سمة التميز الاجتماعي للأقلية (الدين، اللغة، المذهب، الطائفة..)، النسبة العددية للأقلية، السماح للأقلية بالتعبير عن رموزها الثقافية، وممارساتها الطقوسية ..إلخ

1 - محمد السعيد إدريس ، النظام الإقليمي للخليج العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 2000 ص ص 87-88.

2- المرجع نفسه ، ص 88.

3- وليد عبد الحي ، نموذج قياس النزعة الانفصالية للأقليات في الوطن العربي ، في جديليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي ،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، ط1 ، 2014 ، ص ص 105-108.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

3- المتغيرات الاقتصادية: وتشمل معدل دخل الفرد للأقليات قياسا بالأغلبية، عدالة التوزيع في الإنفاق الحكومي بين مناطق الأقليات ومناطق الأغلبية، تركيز الأقليات في قطاعات إنتاجية دون غيرها، وجود مورد اقتصادي مهم في منطقة الأقلية يعد من الموارد الرئيسية لاقتصاد الدولة .

4- المتغيرات السياسية: منها نسبة التمثيل السياسي في المناصب العليا، السماح بإنشاء أحزاب وجمعيات ومنظمات تتبنى مطالب الأقلية أو المكونات الاجتماعية، السماح للأقلية بالتعبير الحر عن مواقفها، السماح للأقلية بإنشاء وسائل إعلام تعبر عن توجهاتها، السماح للأقلية بالتواصل مع امتداداتها خارج حدود الدولة، النص الدستوري على حقوق الأقلية .

تشهد دول الخليج بعض هذه المتغيرات، أو تتفاعل جميعها ضمن البناء السيسيو- سياسي، وهذا يزيد من أهمية فهم الخلفية المجتمعية، والانتشار الجغرافي لمكونات الهوية، وعلاقتها بالدولة المركز - والتي غالبا ما تعبر عن سلطة قبيلة أو مكون اجتماعي - وكذلك علاقتها بباقي التشكيلات الاجتماعية.

لم يعد العدد يكتسي الأهمية ذاتها التي كانت في الماضي، في توصيف مجموعة مذهبية أو عرقية أو دينية بأنها أقلية أم لا، وإنما العنصر الأساسي والأهم هو وضع هذه المجموعة الاقتصادي والسياسي والاجتماعي في المجتمع، وما إذا كانت مقهورة أم مسيطرة، وما إذا كانت حاكمة أم محكومة. فمع أن شيعة البحرين يمثلون أغلبية عددية فإنهم محكومون من قبل أقلية سنّية، وينظر إليهم من المنظور السياسي ومدخل دراسة الأقليات وإدارة التعددية المجتمعية على أنهم أقلية سياسية، أما بالنسبة للعربية السعودية والكويت، فإن الشيعة في كل منهما يمثلون أقلية من الناحيتين السياسية والعددية<sup>1</sup>. الشعور الأقلوي هو إدراك مجتمعي بسبب سياسات استبعادية، تعتمد متغير التمايز في الهوية أو الجهوية، كما أنها قائمة على علاقات القوة والنفوذ التي يتحكم بها العنصر المسيطر .

إن الجزيرة العربية وبفعل الفراغات الصحراوية الشاسعة في جوفها، قد انقسمت منذ القدم إلى أقاليم متميزة، مازالت تمثل وحدات متباينة إلى اليوم، سياسيا أو مجتمعا\*\*، كإقليم اليمن، وعمان، ونجد،

1 - شحاتة محمد ناصر ، سياسات النظم الحاكمة في البحرين والكويت والعربية السعودية في التعامل مع المطالب الشيعية (2003-2008)

: دراسة مقارنة ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011، ص 129.

\*\* إن شدة التوتر المذهبي بين الحنبلية والشيعة -فقها وكلاميا- على وجه الخصوص ، يوازيه في البنية التحتية للجماعتين الصراع المزمّن بين البادية والريف، أي بين الراعي البدوي (الحنبلي) الذي يغزو القرى ، والمزارع الريفية (الجعفري) الذي يزرعها ويقطنها ، حيث نجد أن المغايرة المذهبية ما هي إلا انعكاس في الغالب لمغايرة سوسولوجية- معيشية - اقتصادية أقدم جذورا . للمزيد حول الموضوع انظر ، محمد جابر الأنصاري ، إشكالية التكوين المجتمعي العربي : أقليات أم أكثرية متعددة ؟ ، مرجع سابق ، ص 35.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

والحجاز، والبحرين. مثلما هو الحال خارج الجزيرة العربية بين العراق والشام ومصر والمغرب، المنقسم بدوره إلى أقاليمه وأقطاره المعروفة<sup>1</sup>. فبفعل التباعد الجغرافي وطبيعة الحياة البدوية، شكلت المجموعات كتلا اجتماعية جهوية قوية من حيث النفاذية في أفرادها. لم تفلح تطورات الحياة وزيادة قدرات التواصل والربط بين المناطق في إسقاط هذه المتغيرات، أو بالأحرى الحدود المجتمعية .

علاوة على دور المتغير الجغرافي، ساهمت قابلية التجزؤ العشائري داخل الوحدة القبلية أو البنية القبلية ذاتها، بظهور الأفخاذ والفروع والفصائل التي تتفرع عبر الأجيال، بعوامل المنافسة والمصالح المتضاربة وعدم استمرارية مجتمع دولة ثابتة يوحد ويصهر، كما حدث في مناطق الحضارات القديمة، وهذه التفرعات الأهلية القبلية سرعان ما تتقاسمها المناطق والأقاليم العربية المتباعدة بدورها. ويلاحظ أن هذه المكونات المجتمعية كما تتمايز في نمط الإنتاج والمعيشة، فإنها تتمايز بصورة موازية في طبيعة الأيديولوجيا المذهبية في الوقت ذاته<sup>2</sup>. لا يمكن الجزم بفكرة التمايز المذهبي للتشكيلات المختلفة اجتماعيا بشكل مطلق، لكنها النموذج المهيمن، رغم أن المذاهب والطوائف تشطر كل المكونات المجتمعية، قبلية كانت أم عرقية أم مناطقية .

يُصادف الدارسون للتركيب الاجتماعي صعوبات منهجية ومفهومية إزاء تحديد الإثنيات في الخليج عموما، نظرا لندرة وعدم شمول وقلة البيانات الخاصة بالوضع الاجتماعي. وهذا يرجع في الأساس لسياسات الدولة التي -تحت حجة المواطنة الشاملة- تعمل على حجب المعلومات وعدم الاعتراف بالجماعات كجماعات أصيلة، الأمر الذي يؤدي لخلق تصورات ذاتية لكل جماعة على حدة. وفي المقابل يُمكن النظام السياسي من استغلال غياب المعرفة، لتمير سياسات خاصة به تدور وظيفتها حول تقوية جهاز الدولة وتشويه المجتمع<sup>3</sup>. فمن الصعب الوصول لبيانات دقيقة ومحددة للتكوينات الاجتماعية والطائفية والقبلية، إذ يصادف الباحث إحصائيات عامة حول عدد السكان والفئات العمرية والكثافة الديمغرافية. رغم أن القبائل أو الطوائف متغيرات فاعلة وهيئات اجتماعية مؤثرة في البيئة الخليجية. كما

1- محمد جابر الأنصاري ، إشكالية التكوين المجتمعي العربي : أقلييات أم أكثرية متعددة ؟ ، في النزاعات الأهلية العربية : العوامل الداخلية والخارجية ، ص 34.

2 - المرجع نفسه ، ص 34.

3- عباس المرشد ، الطائفية الجديدة والتحريك المذهبي في البحرين. متوفر على الرابط التالي:

<http://www.bcs1.org.uk/arabic/?p=1358>

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

أن النظم لا تعتمد غالبا سياسات المساواة والمواطنة لتُلغى هذه الانتماءات وتختفي الحاجة لمعرفة وزنها الديمغرافي.

مرت مجتمعات الخليج العربي خلال العقود الأربعة الماضية بتغيرات ديمغرافية متسارعة وكبيرة. بل إن التحولات الديمغرافية التي مرت ببعض دول المنطقة خلال الأعوام الثمانية الماضية أو يزيد هي في واقع أمرها من التغيرات التي ترقى إلى أن تكون جذرية، وهي في بعضها تمثل حالات فريدة في التاريخ المعاصر للمجتمعات البشرية. فعدد السكان ارتفع من 31 مليوناً عام 2003، إلى 37 مليوناً عام 2008، و44.6 مليوناً في 2010، ليصل إلى 55 مليوناً في عام 2015، بمعدل زيادة قدر بحوالي 18.4% أي أن هناك مليوناً جديداً يضاف إلى سكان المنطقة كل عام، جله يأتي بسبب زيادة الطلب على العمالة الأجنبية.<sup>1</sup>

أصبحت المنطقة جاذبة للسكان بعد أن كانت طاردة لهم عبر التاريخ، وتشير البيانات إلى أن عدد السكان في هذه الدول الست كان حوالي 5 ملايين عام 1950، وارتفع إلى حوالي 13 مليوناً في 1980، وقرابة 44 مليوناً في منتصف 2010. يمثل الوافدون 45% منها بأكثر من 20 مليون وافد، بعد أن كانوا 31%، حتى أصبح الوافدون أكبر حجماً من مواطني الإمارات وقطر والكويت والبحرين مجتمعة<sup>2</sup>. تشير هذه الأرقام للأهمية الإستراتيجية للخليج كمركز جذب اقتصادي، لكنها تحيل أيضاً للخلل الديمغرافي ومآلاته الديمغرافية مستقبلاً، ضمن مكونات تعتمد سياسات الهوية .

من ناحية النوع والخصائص الاجتماعية فإن البنية السكانية في الخليج تتسم بخصائص فريدة، فمن ناحية التكوين نجد أن هؤلاء السكان نتاج نوعين من الهجرة: الهجرة الأولى كانت داخلية على مدى عقود طويلة بين أبناء وقبائل شعوب هذا النظام. أما الهجرة الثانية فجاءت من الخارج من ملايين الأجانب الذين هاجروا للعمل، وبعضهم استقروا بعائلاتهم في دول الإقليم. كل من هذين الهجرتين كانت لها تأثيرات مميزة في البنية السكانية في دول الخليج.<sup>3</sup>

1 - محمد باقر النجار ، العمالة الأجنبية وقضايا الهوية في الخليج العربي ، مجلة عمران ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، العدد الثالث ، شتاء 2013 ، ص 113.

2 - نظام عبد الحكيم الشافعي ، تطور الأحجام السكانية و القوى العاملة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين ، مجلة عمران ، العدد 16 ، ربيع 2016 ، ص 104.

3 - محمد السعيد ، مرجع سابق ، ص 89.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

إن أسر وعائلات وأفخاذ قبائل اليوم تنتمي إلى بعضها في دول الخليج المختلفة، سواء بسبب الانتقال القبلي الاقتصادي، حيث تنزح قبيلة أو مجموعة من الناس المرتبطين عن طريق القربى من منطقة إلى أخرى في الخليج، طلبا لوضع اقتصادي أفضل. أو بسبب الانتقال السياسي، وهو نوع من المعارضة السياسية تقوم به مجموعات متقاربة أو أفراد تعبيرا عن الاحتجاج السياسي، مثل انتقال العتوب إلى البحرين من الكويت، أو انتقال آل بورميح من البحرين إلى قطر في الخمسينات، أو انتقال آل بن هندي من قطر إلى الكويت في الستينات<sup>1</sup>. ويقدر ما شكلت هذه الهجرات وشائج سيبيولوجية بين الوحدات الخليجية، بفعل روابط النسب والانتشار الجغرافي للقبائل، بقدر ما أثارت ثنائية الأصيل والدخيل، والتي لا تزال مؤثرة إلى اليوم، بسبب تراكمات الصراعات الاجتماعية والسياسية .

يشكل الإيرانيون أكبر نسبة من المهاجرين إلى منطقة الخليج (تاريخيا) ، واستقر عدد منهم على الساحل الغربي، وذلك لارتباطهم التاريخي ثم العقائدي بشعوب هذه المنطقة<sup>2</sup>. وقد ساعد اكتشاف النفط في إمارات الخليج في الستينيات على الدفع بأعداد كبيرة من الإيرانيين إلى الساحل الغربي، وسهل لهم الانجيز الحصول على الجنسية والجوازات المحلية، كما قدمت إيران الدعم للتجار منهم لتقوية نشاطهم ونفوذهم في أماكن توطينهم بالخليج<sup>3</sup>. بالنسبة للهجرات الإيرانية يمكن تقسيمها أفقيا إلى قسمين :<sup>4</sup>

- الأثرياء أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة: بحكم وضعهم الطبقي قد يكونون طبقة مستقلة تستهدف تسهيل المخططات التوسعية الإيرانية، خاصة وأن معظم هؤلاء مرتبطون بالسلطة الإيرانية .
- المستوطنون والمجنسون: وهم أولئك الذين تفاعلوا مع المجتمع العربي الذي عاشوا فيه، خاصة وأن كثيرا منهم من عربستان في الساحل الشرقي للخليج .

هشاشة البناء السكاني في دول الخليج تعطي لإيران قدرا من التمايز في القوة السكانية داخل موازين القوى في النظام الإقليمي الخليجي. لكن دراسة البنية السكانية في كل دولة على حدة من دول النظام،

1- حمد سعيد الشامسي ، العلاقات العربية - العربية في التاريخ الحديث والمعاصر : مجلس التعاون الخليجي نموذجا ، أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة بيروت العربية، 2016، ص 224.

2- مصطفى عقيل الخطيب، الخليج العربي : دراسات في الأصول التاريخية والتطور السياسي، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر ، 2013، ص 14.

3- محمد السعيد إدريس ، مرجع سابق ، ص 91.

4- عرفات علي جرغون ، العلاقات الإيرانية الخليجية : الصراع - الانفراج - التوتر ، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016، ص



## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

سوف تكشف أن هذا التمايز نسبي على ضوء الانقسامات العرقية والمذهبية في كل من إيران والعراق، وهذه كلها مؤشرات تكشف ضعف القوة السكانية في النظام الإقليمي الخليجي<sup>1</sup>. وإمكانات التلاعب بها داخليا وإقليميا، خصوصا وأن الواقع السياسي والاجتماعي لا يعمل على سياسات إدماجية.

تعتبر بعض الأطاريح أن إغراق المجتمع الخليجي بالهجرات العمالية هو سياسة انجليزية بتواطؤ مع الأسر الحاكمة، وهذا لتسوير إقطاعياتها عن العمق العربي بعد الوفرة النفطية، ولتدمير النسيج الاجتماعي المحلي عبر تعويم القوى المحلية في بحر من الموزاييك البشري، بحيث يصعب على القوى الوطنية الاعتماد على قوى اجتماعية متجانسة للنضال من أجل التغيير أو حتى الإصلاح. كما أن وجود أعداد هائلة من الأجانب وفي مواقع القرار الاقتصادي والعسكري والسياسي وضع مريح للأسر الحاكمة التي لا تسعى للسماح للمواطنين بالمشاركة السياسية<sup>2</sup>.

إن تنامي مجتمع الأجانب لجهة الحجم والدور، في مقابل مجتمع المحليين المتجه أكثر فأكثر نحو أن يكون أقلية صغيرة في مجتمعه، رغم إمساكه بالنظام السياسي، زاد من مخاوف انتقاء الهوية، لا في أطرها الثقافية والاجتماعية فحسب، بل باتت وتيرة المخاوف تزداد انطلاقا من حقيقة أنه إذا ما سُمح لهذه الأعداد بالازدياد في إطار الاتفاقيات الدولية، التي قد تفرض مبدأ إعطاء هؤلاء حقوقا سياسية وثقافية واقتصادية تتساوى مع المواطنين. فإن ذلك سيقود إلى طغيان الهويات الوافدة على تلك المحلية، وإذا ما سُمح لذلك بالاستمرار، فإن هذه المجتمعات ستكون امتدادا لمجتمعات المنشأ<sup>3</sup>.

وحتى دون الوصول إلى هذا الخيار، فإن الإغراق الديمغرافي الذي تعيشه دول مجلس التعاون بحجم العمالة الوافدة، واستخدامها في مختلف القطاعات، ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لصالح انكماش المجتمع المحلي، ظهرت انعكاساته وتأثيراته في الواقع، لصالح تمييع الهوية الوطنية، وظهور مشاكل اجتماعية قائمة على ثنائية الوافد والأصيل، قد تُوظف فيها التباينات العرقية والطائفية، علاوة على الآثار الاقتصادية والأمنية .

1 - محمد السعيد إدريس ، مرجع سابق ، ص ص 94-95.

2 - المرجع نفسه ، ص 93.

3 - محمد باقر النجار ، مرجع سابق ، ص 119.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

على المستوى الاجتماعي والثقافي فقد أدت الأعداد الضخمة من العمالة الوافدة إلى انقسام المجتمع - بل انشطاره- إلى ثقافات ولغات وأعراق مختلفة، بدت فيها تجمعات المواطنين أقلية، ويزداد انحسارها. وهكذا تتحول مجتمعات دول الخليج إلى كتل ثقافية وإثنية متنافرة، تختلف من حيث العادات والتقاليد واللغة، كما تختلف مرجعية كل كتلة عن الكتل الثقافية الأخرى<sup>1</sup>. بحيث يقع المجتمع الخليجي تحت وطأة مستويات انشطارية متصاعدة، لا تسمح بتكوين هوية وطنية مشتركة ومتماسكة.

إن اللون الفقهي العام أو حتى اللون العقدي الذي يصبغ المذاهب السنية والشيعية، قد يُخفي الأصول الاجتماعية للسكان، لكنه لا يقلل من قيمتها وعمقها، كما تعكسه التوقعات المذهبية اجتماعيا ومناطقيا. فالعامل الديني ليس وحده الحاسم في تقاطيع الخريطة السكانية بل ثمة عوامل أخرى اجتماعية ومناطقية، تسهم مساهمة غير مباشرة في تعزيز مشاعر الانتماء والخصوصية والاختلاف. فارتباط المذاهب بمناطق وتشكيلات اجتماعية معينة يؤكد طبيعة التمايزات داخل التركيبة السكانية<sup>2</sup>. فالتباين الطائفي ما هو إلا أحد متغيرات التنوع السكاني، له حجمه وتأثيره، لكنه ليس المؤثر الديمغرافي الوحيد في المجتمع الخليجي .

تختلف حالات الشقاق في حدّتها وطبيعتها من بلد لآخر، مع وجود سمات التشابه فيما بينها أيضا، ففي حالة البحرين على سبيل المثال، نجد أن حالة الشقاق المجتمعي تتمحور بشكل أساسي حول الانقسام المذهبي، الذي أصبح سمة بارزة في الأزمة السياسية القائمة في البلاد. أما في الكويت وعلى الرغم من وجود توترات طائفية، يبرز انقسام آخر مبني على الحضر في مقابل البدو<sup>3</sup>. فلا يمكن الجزم بمعايير انقسامية واحدة يمكن تعميمها على المجتمعات الخليجية، رغم حجم الترابط والتشابه، وهذا بفعل سياقات النشأة المختلفة، إضافة إلى التجارب التاريخية التي تضمنت تفاعلات القوى المجتمعية.

هناك سمة للطوائف والمكونات المجتمعية في منطقة الخليج، وهي أن العديد من المجموعات عابرة للحدود الوطنية، وغالبا ما توجد في المناطق الحدودية ثقافة بحرية مشتركة، واختلطت المجموعات الدينية واللغوية، حيث يوجد العديد من متكلمي اللغة العربية والمسلمين السنة على الجانب الفارسي من الخليج،

1 - محمد السعيد إدريس، مرجع سابق ، ص 94.

2 - فؤاد إبراهيم ، الشيعة في السعودية ، دار الساقي، بيروت ، 2007، ص ص 21.

3 - عمر الشهابي وآخرون، الثابت والمتحول 2014: الخليج ما بين الشقاق المجتمعي وترابط المال والسلطة. مركز الخليج لسياسات التنمية، الكويت ، 2014، ص 20.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

وتوجد المجتمعات الشيعية الناطقة بالفارسية على الجانب العربي. حيث تمتلك شعوب المنطقة هويات متعددة، يمكن تنشيطها في أوقات مختلفة<sup>1</sup>.

عالمياً يفوق السنة الشيعية بنسبة 5 مقابل 1، لكن نسبة السنة إلى الشيعة على امتداد خط الصدع الطائفي الذي يشمل الجزيرة العربية وإيران والشام، بدمج سكان تلك البلدان (أي البحرين، إيران، العراق، الكويت، لبنان، عمان، قطر، السعودية، سورية، الإمارات، اليمن) يمثل الشيعة 54% من السكان، بينما يمثل السنة 46%، وعليه فالانقسام على امتداد خط الصدع الطائفي أقرب إلى 1 مقابل 1. ولا يُتوقع أن يتغير التوازن الطائفي التقريبي بين السنة والشيعة على طول خط الصدع الطائفي، كما وأن التوازن الطائفي في بلدان معينة على خط الصدع هذا سوف يتبدل في الإطار الزمني للسنوات العشر المقبلة<sup>2</sup>. بفعل عوامل عديدة ليس أقلها سياسات التجنيس الموجه لأهداف طائفية، أو استراتيجيات الهندسة الطائفية القائمة على التهجير والإحلال الطائفي، كما في سوريا والعراق، والأهم بفعل تصدُّر المتغير الطائفي في الصراعات الداخلية والإقليمية .

الشكل 01: النسب الإحصائية للمكونات الطائفية في الخليج والمشرق العربي لسنة 2016



المصدر : <https://cutt.us/dkSZa>

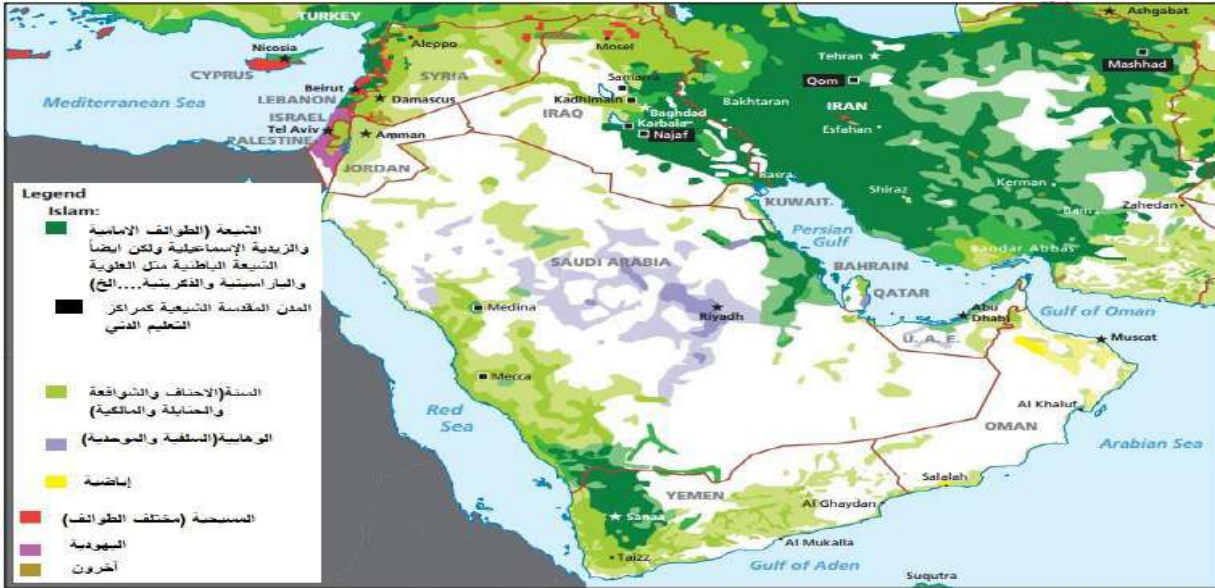
<sup>1</sup> - لورنس ج. بوتر، مقدمة تقرير السياسة الطائفية في منطقة الخليج، مركز الدراسات الدولية والإقليمية، جامعة جورج تاون في قطر، 2015، ص 01.

<sup>2</sup> - جيفري مارتنينو آخرون، مستقبل العلاقات الطائفية في الشرق الأوسط، مؤسسة راند، 2017، ص ص 2، 3.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

تضم البحرين، الكويت، عمان، قطر، العربية السعودية والإمارات، أصف إليهم إيران والعراق 81.3 مليون شيعي، أي حوالي 61% من سكان الخليج حسب إحصاءات 2008. مع العلم أن إيران والسعودية والكويت والعراق تستحوذ على 58% من احتياطي النفط في العالم، ويشكل الشيعة ما مجموعه 68% من سكانها. وعليه فالشيعة لهم القدرة على التأثير بشكل كبير على هذه المنطقة الخليجية بأكملها. كما تتوزع تجمعات الشيعة على الامتداد الشرقي لساحل الخليج، حيث تتركز صناعة النفط والمنشآت البترولية في شرق المملكة وقطر والكويت وجنوب العراق وغرب إيران، أي حيث يتركز الشيعة بالضبط، كما يتواجد الشيعة حول إمارة أبوظبي، والتي تعد مركز النفط في الإمارات العربية المتحدة في الطرف الجنوبي للخليج<sup>1</sup>. تشير جغرافيا الطوائف لحالة التداخل الاجتماعي - الطائفي في الخليج ومحيطه، وصعوبة فصله، فمن الصعب مصادفه حالة تجانس طائفي مطلق.

الشكل 02: الامتداد الجغرافي للمكونات الطائفية في الخليج والمشرق العربي .



المصدر: جيفري مارتيني وآخرون، مستقبل العلاقات الطائفية في الشرق الأوسط، مؤسسة راند، 2017، ص 03 .

<sup>1</sup>James Leigh, Shia Islam and oil geopolitics , the site :<https://www.resilience.org/stories/2008-12-23/shia-islam-and-oil-geopolitics/>

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

الجدول 01: النسب المئوية للسنة والإباضية والشيعة والوافدين في دول مجلس التعاون

الدولة	نسبة السنة	نسبة الإباضية	نسبة الشيعة	نسبة الأجنبي	سنة الإحصائية
السعودية	%90 - %85	/	%15 - %10	%30	2019
البحرين	%40 - %35	/	%60 - %55	%55	2018
الكويت	%70	/	%30	%69	2018
عمان	%50 - %30	%75 - %45	%5	%42	2018
قطر	%90	/	%10	%88	2018
الإمارات	%85	/	%15	%89	2018

المصدر : أنظر الصفحات : 112- 119- 123- 128- 133- 134.

يتمتع الشيعة في الخليج العربي بأهمية جيوبوليتيكية، وذلك لوقوعهم على جغرافيا الطاقة العالمية، ومن ثم من الضروري أخذ التوزيع الجغرافي للشيعة ومواقعهم، خاصة وأن ظاهرة التشيع أضحت في واقع الأمر محور الكثير من النزاعات الإقليمية والدولية. إذ يقيم معظم الشيعة في مراكز جغرافية سياسية حساسة، مما منحهم القدرة على القيام بأدوار مؤثرة، وذلك باستخدام الخلفية التاريخية الشيعية وتوزيعهم الجغرافي ومراكز قوتهم من وجهة نظر جيوبوليتيكية<sup>1</sup>.

ينقسم الشيعة في الخليج إلى قسمين: العجم والعرب، أما العجم فأغلبهم يرجع إلى أصول فارسية، وفدوا على الخليج من خلال هجرتين: الأولى في الفترة من 1622 إلى 1783 والتي شهدت احتلال إيران لجزيرة البحرين. والثانية بدأت بعد عام 1920، وامتدت حتى وقت متأخر من القرن العشرين، وتشير بعض الدراسات إلى أنها هجرات موجهة لبسط النفوذ الإيراني، ومنها عائلات معروفة في الخليج. وأما العرب فغالبيتهم من الأحساء والقطيف، وقد خرج بعضهم منذ القرن التاسع عشر وتفرقوا في دول الخليج، وازدادت هجراتهم منذ 1913 عندما خضعت الأحساء للحكم السعودي. بالإضافة إلى القادمين من القبائل المقيمة في العراق.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - فراس الياس ، الجيوبوليتيك الشيعي والمخيلة الجيوستراتيجية الإيرانية : مجالات التأثير وبناء النفوذ متوفر على الرابط التالي :

<https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2019/12/191205103235122.html>

<sup>2</sup> - عبد العزيز بن احمد البداح ، حركة التشيع في الخليج العربي : دراسة تحليلية نقدية (1971-2010) ، المركز العربي للدراسات الإنسانية ، مصر ، ط1 ، 2010 ، ص ص 28-29.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

يرى عدد من الشيعة السعوديين أن البحرين ومناطق القطيف والأحساء في المنطقة الشرقية من السعودية، تُشكل أرض البحرين القديمة، حيث كانت المناطق الساحلية المطلة على الخليج بين مدينة البصرة وشبه جزيرة قطر أرضاً واحدة. بناء عليه سعت حركات المعارضة الشيعية لصياغة سردية قومية توحد سكان القطيف والأحساء والبحرين الشيعة أساساً. لذلك أصبح حس المواطنة البحرانية بمثابة مفتاح للذاكرة الثقافية للشيعة في الخليج<sup>1</sup>. هذا التصور يُكون سردية منشأ قائمة على تاريخ مشترك لهوية متواصلة جغرافياً، ترى في الدول المعاصرة، كيانات عملت على تفتيت امتداد سيسيولوجي يصلح لتكوين دولة. فتحوّلت بفعل تقسيمات سايكس - بيكو ونتائج إلى أقليات عديدة وسياسية. وما يعمق هذا الشعور أن بعض العائلات الحاكمة وردت من مكونات مغايرة بفعل هجرات تاريخية.

تُعتبر البحرين من أقل الدول تجانسا من الناحية الثقافية في الوطن العربي، حيث تزيد فيها نسبة الأقليات على 25% من السكان، فيما تتموضع الكويت ضمن الدول المتوسطة التجانس، حيث نسبة الأقليات فيها بين 15% و 25% من عدد السكان، فيما تصنف السعودية بين الدول الأكثر تجانسا، على اعتبار أن نسبة الأقليات فيها تقل عن 15%<sup>2</sup>. وعموما فإن النتيجة التي يمكن الخروج بها، هي أن وجود التشيع في السعودية والكويت والبحرين، والخليج عموما هو وجود أصيل ومستقر منذ ما قبل تشكلها دولا وطنية مستقلة<sup>3</sup>. فالمكونات الطائفية واقع تاريخي سيسيولوجي، وليست طارئا معاصرا، رغم أن واقع التقسيمات الحدودية الحديثة حولته إلى مشكل أقليات، ورهان سيسيوي-سياسي .

يطرح الانتشار المناطقي للشيعة مسألة جغرافية داخلية مهمة، ما دام أن هذه الأقليات الطائفية هي في الوقت ذاته أقليات اجتماعية، وأقليات مستبعدين، تتألف غالبا من بروليتاريا مدينية أو ريفية في هذه المنطقة الغنية بالنفط والحيوية بالنسبة إلى العالم الغربي. كما أن وجود هذه الأقليات هو أيضا بمثابة تحدي جغرافي خارجي لهذه الدول، عبر الحضور الإيراني الذي يحول هذه الأقليات إلى خطر يهدد بازدياد التوتر على ضفتي الخليج<sup>4</sup>. منذ نهاية الحرب الباردة عرفت المنطقة العربية والعالم الإسلامي

1 - توبي ماثيسن ، الخليج الطائفي والربيع العربي الذي لم يكتمل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2014، ص 59.

2 - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 130.

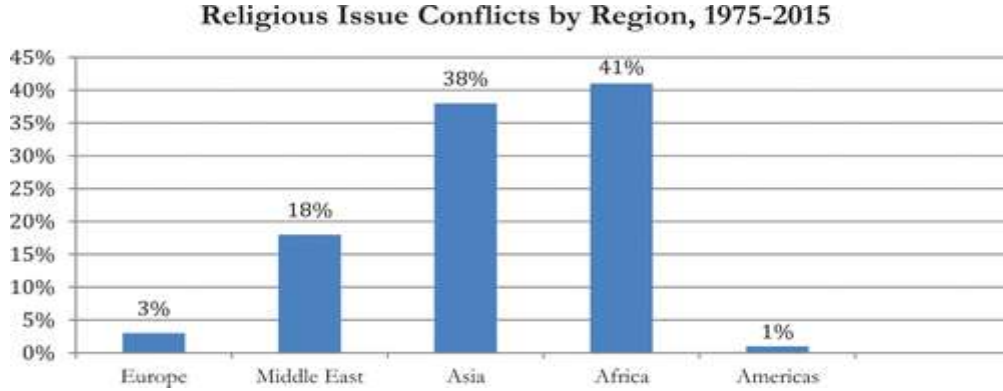
3 - المرجع نفسه، ص 132.

4 - فرانسوا تويال ، الشيعة في العالم : صحوه المستبعدين وإستراتيجيتهم ، ترجمة : نسيب عون ، بيروت ، دار الفارابي ، ط1، 2007 ، ص 121.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

عموما انبعثا في الصراعات الدينية والطائفية ذات البعد الهوياتي، ففي العام 1989 مثلت الوفيات الناجمة عن الصراعات الطائفية (السنية- الشيعية) 0.03% من مجموع الوفيات في جميع النزاعات ليرتفع هذا الرقم بحلول العام 2017 إلى 44.1%<sup>1</sup>.

**الشكل 03:** نسبة الصراعات ذات الطابع الديني من مجمل الصراعات حسب المناطق في العالم



**Source :** Disputes over the Divine: Introducing the Religion and Armed Conflict (RELAC) Data, 1975 to 2015 , the website : <https://journals.sagepub.com/doi/full/10.1177/0022002717737057>

بناء على ما سبق نلاحظ الثنائيات المجتمعية المتعددة في المجتمع الخليجي، من هجرات قبلية تاريخية، أنتجت واقعا سياسيا وحدوديا جزئت كتلا مجتمعية، إلى هجرات عمالية وافدة -بعضها موجه- أفرزت تحديات ثقافية وهوياتية واقتصادية، في دول ذات كثافة منخفضة، علاوة على الانقسامات الطائفية والقبلية والمناطقية في المجتمع الأصلي. كل هذه المتغيرات تتفاعل في جغرافيا ذات أهمية إستراتيجية بفعل إمكاناتها الطاقوية، وأيضا قدراتها في تنشيط هذه التشكيلات الهوياتية كآليات ضغط داخليا وإقليميا في الصراع السياسي حول المصالح والنفوذ .

### المطلب الثاني: الانتماءات القبلية والطائفية والمناطقية في السعودية تنوع أم انقسام ؟

تضم العربية السعودية تنظيمات مجتمعية متنوعة نظرا لامتدادها الجغرافي، ومراحل تشكلها، فتشطرها مستويات انتمائية عديدة: قبليا وطائفا ومناطقيا وعشائريا..إلخ. كما تعيش المملكة حالة طائفية، تظهر أحيانا في شكل اضطرابات ومطالبات برفع التمييز الطائفي. من الجيد فهم الخريطة

<sup>1</sup> - Nader Hashemi , The politics of sectarianism: What causes sectarian conflict, and can it be undone? , the website : <https://www.abc.net.au/religion/the-middle-east-and-the-politics-of-sectarianism/11613338>

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

المجتمعية للملكة والفسيفساء الطائفية، من أجل فهم أكبر لتفاعلات المسألة الطائفية في البلد وأصولها التاريخية، وآليات عملها وانعكاساتها وأخطارها المحتملة، خاصة وأن التشكيلات الاجتماعية في العربية السعودية ترافقها تباينات جهوية ومناطقية.

اعتاد الباحثون والكتاب النظر إلى العربية السعودية ك"دولة متجانسة"، وهذا يبدو صحيحا من الناحية الظاهرية، لكنها في حقيقة الأمر غير ذلك، فهي متعددة الثقافات والمذاهب والأعراف والمناخات والأقاليم واللهجات والجغرافيا والتاريخ السياسي. وإن كان هذا لا يعني بالضرورة عدم قدرة مكوناتها على الانسجام، بل إن البعض يذهب إلى وصفها بأنها "مجتمع أقليات"، لايحوز أي منها ما نسبته ثلث عدد السكان<sup>1</sup>. تعمل الدولة على إبراز اتجاه اجتماعي واحد، باعتباره التعبير الحقيقي عن ثقافة البلد، لكن هذه الممارسات لم تفلح في طمس الانتماءات الأولية بقدر ما عززت فيها الحالة الدفاعية .

تألفت السعودية من ضم عدد من الأقاليم تمتد من البحر الأحمر والخليج العربي أفقيا، وبين اليمن وتخوم الشام والعراق عموديا. على الرغم من انتماء جميع السكان في هذه الأقاليم إلى الإطار العربي الإسلامي، إلا أن كل منها تأثر بتجربة تاريخية مختلفة، كما اعتمد نمطا خاصا في المعيشة، وبالتالي فقد حصل كل منها على شخصية تتطوي على تمايز يمكن اعتباره في أدنى تقدير درجة من النمو مختلفة. يستمد التفكك مبرراته أيضا من نمط الإنتاج السائد في مختلف أقاليم البلاد، والذي يتسم بانعدام الفائض الرأسمالي، الذي يستدعي قيام علاقة مصالح تفاعلية بين المناطق. وهي سمة لاحظها كل دارسي المناطق الشبيهة بالجزيرة العربية<sup>2</sup>. إذ أن المصالح الاقتصادية المشتركة تعمل على تحفيز التلاحق الثقافي والاجتماعي وتساهم في تشكيل قواسم مترابطة، ومنه ساهمت الأقاليم المتباعدة والمكونات الاجتماعية القوية، وطبيعة النشاط الاقتصادي إلى مقاومة تشكل شخصية مشتركة، خاصة وأن المملكة كدولة حديثة تشكلت عبر عمليات ضم في مراحل مختلفة.

تتميز العربية السعودية بتنوع سكاني ومناطق في أرجائها الواسعة، في البدء كانت القبائل تتمركز في مناطق مرجعية لها، من حيث المنشأ والتكوين التاريخي والثقافي، وبعد اكتشاف النفط قل هذا

1 - فتوح صادق ، التركيبة الطائفية في دول الخليج العربي ، مجلة شؤون خليجية ، العدد 47 ، 2006 ، ص 81.  
2 - توفيق السيف ، تفكيك الاستبداد : الاستبداد وآليات إعادة إنتاجه والسبل الممكنة لمواجهته (دراسة حالة) ، في الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1، 2005، ص 221.



## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

التمركز كثيرا، وصار البحث عن الرزق والوظيفة المناسبة في أي مكان من أرجاء السعودية هو دافع سعودي للاستقرار في أي منطقة<sup>1</sup>. وبالتالي ظهر مستوى آخر من الهجرات ذات الطابع الاقتصادي، مع ما تحمله هذه الهجرة من حمولة ثقافية واحتكاك مجتمعي .

حسب البيانات فإن إجمالي سكان المملكة حتى فبراير 2020 بلغ 34.218.169<sup>2</sup>. لا تتوفر بيانات إحصائية حول التقسيم الديمغرافي الطائفي، لكن يقدره تقرير الخارجية الأمريكية حول الحريات الدينية لسنة 2019 (وهو آخر تقرير متوفر) بـ 85 إلى 90% سنة، و10% إلى 15% شيعة<sup>3</sup>. تشير بيانات الأمم المتحدة أن الأجانب يشكلون 30% من مجموع السكان بما يزيد عن 10 ملايين نسمة، ووفقا لمركز بيو للأبحاث تشمل هذه الفئة السكانية 1.2 مليون مسيحي، 310 آلاف هندوسي، 180 ألف غير متسبين دينيا، 90 ألف بوذي.. الخ<sup>4</sup>.

الوضع الاجتماعي والمذهبي العام يتسم بالاختلاف والتعدد الكبير، ولا يدور فقط على محور السنة والشيعية، وإنما يدور على محور الوهابية الحنبلية من جانب، وغيرها من المذاهب الأخرى ( الشافعية والمالكية والحنفية)، ومن ثم لا يمكن وفقا لهذا، الحديث عن المملكة بوصفها دولة متجانسة ثقافيا أو اجتماعيا<sup>5</sup>. رغم المستويات الانقسامية التي تشطر الكتل الثقافية في بيئة تقليدية، إلا أنه لا يمكن الجزم بأن هذا التنوع المذهبي والطائفي والثقافي وحتى العرقي والقبلي هو أصل الأزمة الطائفية أو المشاكل الاجتماعية، فالتنوع الاجتماعي ظاهرة بشرية عامة، والتجانس لا يعني بالضرورة التوافق، كما أن تاريخية المملكة كمنطقة حضارية عرفت تجمعات بشرية قديمة ومتنوعة، وعرفت موجات هجرة ومبادلات، تجعل هذا التنوع أمرا طبيعيا ومقبولا، فالإشكال في تنشيط هذه التنوعات عبر سياسات الهوية وليس في وجودها.

1 - عمر الشهابي وآخرون، مرجع سابق ، ص 153.

2 - الهيئة العامة للإحصاء ، متوفر على الرابط التالي : <https://www.stats.gov.sa/ar/854-0>

3 -United States Department of State , Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor , SAUDI ARABIA 2019 International Religious Freedom Report , the link : <https://cutt.us/LcOvR>

4 - Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor , SAUDI ARABIA 2014 INTERNATIONAL RELIGIOUS FREEDOM REPORT, the link : <https://2009-2017.state.gov/documents/organization/238688.pdf>

5 - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 130.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

لا يوجد في السعودية صراع قبلي طاف على السطح باستمرار، لكن توجد هناك مؤشرات تخرج بين حين وآخر، تدل على وجود بعض التباينات وعلى حالة الشقاق المجتمعي\*، حيث توجد في المجتمع ثنائيات من قبل "حضري- قبلي" و" البدو- الحضر"، وقد يصطدم المواطن بهذه التقسيمات في الحياة اليومية. لكنها ظاهرة وبينة في قضايا الزواج\*\*<sup>1</sup>. تقوم هذه الممارسة على عقدة التفوق الاجتماعي، وتظهر بهذا الشكل في فترات السلم، لكن يمكن توقع انعكاساتها في الأزمات .

قامت البيروقراطية بعد ثبات الدولة واستقرارها بالوكالة عن القبيلة، كما قام البترو- دولار وتبعية القوة الخارجية بالدور البديل لقوة القبيلة. فساهم النفط في التغير العميق لبنية المجتمع السعودي، لكن التغير الفكري والاجتماعي لم يتم بالكيفية نفسها<sup>2</sup>. كان للريع آثار بنيوية عميقة على المجتمع، من حيث النشاط الاقتصادي، وتحول دور القبيلة والعلاقات الاجتماعية، لكن النظام قام بتأميم وظيفة القبيلة والانتماءات التقليدية، لأنها أساس الحكم كسلطة أسرية وقبلية، وعليه فالتغير الاجتماعي لم يكن مرافقا لتغير هيكل في شكل النظام وآليات عمله، فلم تعمل الفوائض الريفية إلا على تعزيز الحكم التقليدي .

تنقسم السعودية إلى أربعة مناطق متميزة مذهبيا، الأولى وهي المنطقة الوسطى (نجد)، التي يغلب عليها المذهب الحنبلي بقراءته الفلسفية الوهابية. والثانية هي المنطقة الغربية (الحجاز)، ويغلب عليها المذهب المالكي والشافعي، إضافة إلى وجود مجموعات دينية أخرى صغيرة من المذاهب الأخرى، بما فيها الزيدية والشيعية الجعفرية في المدينة المنورة، والشيعية الكيسانية في ينبع، وكذلك الفرق الصوفية. ثم المنطقة الثالثة الجنوبية (عسير وجيزان ونجران)، وهي منطقة فسيفسائية من حيث النسيج القبلي والمذهبي، ويوجد بها المذهب المالكي والشافعي، إضافة إلى الزيدية، كما تقطن نجران أغلبية إسماعيلية، ولها مرجعيتها الخاصة ويعرفون بالمارمة. وأخيرا المنطقة الشرقية التي تقطنها أكثرية شيعية جعفرية<sup>3</sup>.

1 - عمر الشهابي وآخرون، مرجع سابق، ص ص 153-154.  
\* - تحدث الدكتور طارق الحبيب في برنامج على قناة الرسالة عن انتماء أهالي المناطق الجنوبية والشمالية للدول المجاورة أكثر من انتماءهم لدولتهم، اعتذر عنه المتحدث لاحقا . للاطلاع على المقطع انظر ، د. طارق الحبيب يشكك في وطنية أهل الشمال والجنوب، متوفر على الرابط التالي : <https://www.youtube.com/watch?v=g9GDhszjUUI>  
\*\* - إحدى الدلالات في هذه الناحية هي قضايا عدم تكافؤ النسب ، حيث رفعت 16 قضية من هذا النوع أمام المحاكم السعودية في 2013 ، للمزيد حول الموضوع انظر : عمر الشهابي وآخرون، مرجع سابق، ص 154 .

2- محمد بن صنيتان ، السعودية : السياسي والقبيلة ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، 2008، ص11.

3 - فتوح صادق ، مرجع سابق ، ص 81

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

يجادل الشيعة أن نسبتهم تقارب الـ 20%. والواقع أن التباين الحاصل في النسب يعود إلى غياب إحصاءات رسمية موثوق بها<sup>1</sup>. هناك إحصاءات تميل إلى تقديرهم بنسبة تتراوح بين الـ 5% و الـ 20%، وتقدرهم الأجهزة الرسمية بنحو 15% أي 1.9 مليون نسمة بإحصاءات 2010. يعيش ثلثاهم في المنطقة الشرقية. هناك بعض التقديرات التعسفية تقدر عدد الشيعة بحوالي 200 ألف، وهذا الرقم أقل من العدد المثبت إحصائياً عن مدينة القطيف وحدها، كما يشير البعض أن الشيعة يمثلون 5% إلى 10% من المنطقة الشرقية<sup>2</sup>. هناك تسييس واضح من كل الأطراف للإحصاءات الديمغرافية ذات الطابع الطائفي، خاصة في ظل الأزمة، حيث ترى الأطراف في موجات الهجرة عملية هندسة اجتماعية، كما تعتمد الإحصاءات كمبررات اجتماعية لزيادة المطالب أو للتقليل منها.

أصول الشيعة السعوديين هي أصول عربية من مختلف مناطق الجزيرة، ولم يكن لمنطقتي القطيف والأحساء (منطقة البحرين كما كانت تعرف سابقاً) احتكاك كبير بفارس، عدا التوافق المذهبي منذ الدولة الصفوية، ونزوح جماعات من الشيعة إلى إقليم عربستان في إيران، ولم يعهد السكان الشيعة المحليون استيطان عناصر فارسية في المنطقة، بعكس مناطق الخليج الأخرى كالكويت والإمارات والبحرين وقطر، حيث توجد أقليات إيرانية سنية وشيعية<sup>3</sup>. ورغم ذلك فإن المؤثر الفارسي/ الشيعي الوارد من الساحل الشرقي للخليج في فترات من التاريخ لا يمكن إنكاره<sup>4</sup>. وهذا لكون المنطقة الشرقية منطقة ساحلية، إضافة إلى التأثير الديني عبر المرجعيات المتواجدة في إيران، هذا غير البعثات الطلابية .

شكلت الأصول القبلية والبدوية من الناحية التاريخية النواة الصلبة للشيعة السعوديين، وهم في غالبيتهم ينحدرون من قبائل ربيعة، مثل عبد قيس وبكر بن وائل. إضافة إلى قبائل وعشائر أخرى وفدت من نجد وغيرها من المناطق في المملكة لأسباب اقتصادية. وهذا يؤكد الأصل العربي الغالب للشيعة في السعودية، وإن كان هذا لا ينفي وجود بعض الشيعة من أصول إيرانية<sup>5</sup>. توظف الأصول الإيرانية كتهمة

1 - مصطفى الحباب و آخرون ، السعوديون الشيعة : الفكرة .. والإشكالات ( رصد وتحليل) ، مركز صناعة الفكر للدراسات و الأبحاث ، بيروت ، 2015، ص 63.

2 - توفيق السيف ، أن تكون شيعياً في السعودية: إشكالات المواطنة والهوية في مجتمع تقليدي، الطبعة الأولى، 2013 ، (د.م.ن)، ص 27.

3 - بدر الإبراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 68.

4 - مصطفى الحباب و آخرون ، مرجع سابق ، ص 56.

5 - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 134.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

لتعزيز التمايز ولتبرير الممارسات الطائفية، أو للإشارة أن المكونات الاجتماعية هي تشكيلات دخيلة نازحة، لا يحق لها ذات الحقوق مع المكونات الأصلية.

الشيعة في المنطقة الشرقية هم إجمالاً من الحضر المستقرين الموجودين منذ قرون، ضمن قرى ومدن حضرية، يمارسون مهناً ثابتة مثل الزراعة والحرف والصيد، وبالتالي فإن الأنماط الاقتصادية للعلاقات القبلية، وكذلك أعرافها وعاداتها وقيمها ضئيلة الحضور، علماً بأن الأصول القبلية والبديوية شكلت تاريخياً النواة الصلبة الأساسية للسكان المحليين (الشيعة)<sup>1</sup>. القرى والحوضر مقسمة بشكل واضح في المحافظة الشرقية. الانقسامات الطائفية مترسخة في أنماط حياة الأرض، والتطور العمراني، وفرض الأمن<sup>2</sup>. هذا البناء الاجتماعي مع ما يميزه من أنماط الإنتاج يجعل الطائفة كمكون تسبق القبيلة، التي تتعزز أكثر عند البدو، وتتعزيز بفعل طبيعة نشاطهم الاقتصادي .

يمثل الشيعة الإمامية الكتلة الأكبر والأكثر تأثيراً لشيعة السعودية، ويوجدون في منطقة القطيف شرقاً، وفي بعض أحياء المدينة المنورة غرباً، والجدير بالذكر أن شيعة المدينة وإن كان غالبيتهم ينتمون للمذهب الجعفري، وعددهم قليل جداً، إلا أنهم متعددي الانتماء القبلي. أما عن شيعة المنطقة الشرقية فهم الأكبر عدداً والأكثر تأثيراً جغرافياً وتاريخياً، باعتبارهم يشكلون أكبر جماعة شيعية عربية على الساحل الغربي للخليج العربي، بل هم الأكثر عدداً في العالم العربي، بعد العراق ولبنان، أضف إليها ارتباطهم الوثيق بمناطق الوجود الشيعي الكثيف في المناطق المجاورة<sup>3</sup>.

يعتبر الشيعة أغلبية السكان في نجران وهم إسماعيلية، ولا يزال النظام القبلي قوياً في نجران، وينتمي معظم سكانها إلى قبيلة يام بفروعها المختلفة. أما في المنطقة الشرقية فليس للقبيلة، أو نمط العلاقات القبلية دور مؤثر<sup>4</sup>. يبلغ عدد الإسماعيلية والذين يعرفون بالسبعية أيضاً (وهم فرقة تفرعت عن الإثنى عشرية وتبعت إسماعيل بن جعفر الصادق الذي يعتبرونه الإمام السابع) حوالي 700 ألف ويقيمون أساساً في نجران، حيث يمثلون الأغلبية، وهناك جيوب من الزيديين وهم فرع آخر من الشيعة

1 - نجيب الخنيزي ، النشاط السياسي للشيعة في السعودية .

2 - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص 86.

3- مصطفى الحباب و آخرون ، مرجع سابق ، ص 66.

4- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 28.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

يبلغ عددهم ما يقرب من 20 ألف ويتواجدون في المقام الأول في محافظتي جيزان ونجران على الحدود مع اليمن<sup>1</sup>.

تظهر أهمية خاصة لموقع الشيعة -الجيوسياسي- لكونهم في قلب الاقتصاد السعودي، ويشكلون حلقة الوصل بين المملكة وبقية دول الخليج، وساحل المنطقة الشرقية هو الذي تمر عبره صادرات النفط، بالإضافة إلى وجود إيران على الضفة المقابلة من الخليج<sup>2</sup>. وكما أنهم يتمركزون في جغرافيا الطاقة، فهم يشكلون أيضا الطوق الحدودي للمملكة من جهة اليمن مع ما لهم من انتماءات قبلية مع الجوار، لها وزنها وتأثيرها، وفي ظل علاقات مضطربة .

لذلك، فالعامل الجغرافي أكثر تأثيرا من الناحية السياسية في حالة العربية السعودية، نظرا إلى المساحة الكبيرة التي يحتلها الحيز الشيعي في شرق المملكة، وتقاطع العامل الجغرافي مع العوامل الأخرى الاقتصادية، السياسية والأمنية<sup>3</sup>. إذ من سبعين حقلا نفطيا في المملكة، تحتضن المنطقة الشرقية 50 حقلا، منها أكبر حقلين في العالم، وهما الغوار والقطيف، وتزود حقول المنطقة الشرقية ما نسبته 90 إلى 95% من الدخل القومي، في حين يكون العمال الشيعة بين 40 إلى 60% من القوة العاملة في الصناعات النفطية<sup>4</sup>. وهذا ما يتيح قوة تأثيرية كبيرة، في حالة أي تطور أمني للحالة الطائفية. في المقابل فإن حجم العمالة الشيعية التي تقارب النصف في المواقع النفطية، تُحيل إلى أن النظام لا ينظر دائما للشيعة كخطر أمني خاصة مع حيوية مصادر الطاقة، ويمكن البناء على هذا التوظيف كتمارس إدماجية حيوية، تعزز انتماءهم الوطني.

لم يعاني شيعة السعودية في العهد العثماني من مشاكل في التعبير عن تمايزهم المذهبي، ولم يكن القائم-مقام يتدخل في الأمور الدينية والتعبدية، ولم يُروى أن تصادما مذهبيا قد حدث بين أتباع المذاهب الإسلامية التي كانت تقطن في الواحات، وكانت السلطة العثمانية تحظى بالرضى لهذه الأسباب، ولأنها كانت تحفظ الأمن، فالأمن ومنع الجريمة هو معيار الحكم الصالح في الجزيرة العربية، لذا حينما قُدمت

<sup>1</sup> -Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor , SAUDI ARABIA 2014 INTERNATIONAL RELIGIOUS FREEDOM REPORT, the link : <https://2009-2017.state.gov/documents/organization/238688.pdf>

<sup>2</sup> - بدر الابراهيم ومحمد الصادق ، الحراك الشيعي في السعودية تسييس المذهب و مذهب السياسة ، الشبكة العربية للأبحاث ، بيروت ، ط1 ، 2013 ، ص 75.

<sup>3</sup> - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 144.

<sup>4</sup> - فؤاد إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 02

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

قوات ابن سعود للمنطقة لم تلق مقاومة من أبنائها ولا تعبئة من الوجهاء، الذين كانوا يجتمعون لمناقشة الانضمام لدولة ابن سعود أو مقاومته، حيث بدؤوا يتذمرون من اختلال الأمن في نهاية الحكم العثماني وتزايد هجمات البدو<sup>1</sup>. فالتسليم كان لغرض الأمن وبشرط الحفاظ على الحرية الدينية، كما كانت في الحالة الإمبراطورية العثمانية .

كانت المرجعية الدينية محلية في السعودية حتى أوائل القرن العشرين، حين جرى إغلاق المدارس الدينية المحلية المعروفة بالحوزات العلمية، أو التضييق عليها، وساهم هذا التطور السلبي مع تطورات أخرى خارج البلاد في إعادة تموضع الزعامة الدينية العليا وتمركزها في النجف<sup>2</sup>. ظل شيعة السعودية مرتبطين في غالبيتهم الساحقة بالنجف ومرجعيتها الدينية، ولم يبدأ كسر احتكار مدرسة النجف في الوسط الشيعي إلا في نهاية السبعينيات، بعد إحياء نظرية ولاية الفقيه على يد الخميني والشيرازي، ولم تنعكس نتائجها في الواقع السعودي إلا بعد انتصار الثورة الإيرانية<sup>3</sup>. يتمتع الزعماء الدينيون المحليون بنفوذ كبير بين السكان، ويلعب بعضهم أدوارا سياسية واجتماعية وثقافية واسعة، وتتعامل الحكومة مع بعضهم كممثلين طبيعيين للمواطنين الشيعة<sup>4</sup>. إن هذه التطورات التي مست الممارسة الدينية وحولت الحوزة العلمية ومراجع التقليد، زادت من ارتباط الشيعة بالخارج روحيا وعقديا وفقهيا، بقدر ما أبعدتهم عن السياق الوطني الذي فشل في إدماجهم .

تشطر السعودية تقسيمات اجتماعية وثقافية ومناطقية وقبلية متعددة، وأغلب التكوينات المجتمعية -ومنهم الشيعة- هي مكونات أصلية، امتد نفوذ المملكة في مرحلة التأسيس لمناطقها، وتم ضمها في حكم آل سعود. تختلف التقديرات الدقيقة للنسب الحقيقية للمكونات الطائفية، لكن انتشارها الجغرافي في مناطق حيوية يُعزز من تأثيرها، وأيضا في ظل نمط مجتمعي وسياسي تقليدي قائم على تعزيز انتماءات ما قبل الدولة.

1 - بدر الإبراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص ص 73 -74.

2- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 28.

3 - بدر الإبراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 67.

4- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 29.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

### المطلب الثالث : المجتمع البحريني : التعقيدات الإثنية والطائفية والقبلية وتحدياتها .

يمكن اعتبار البحرين أكثر المجتمعات الخليجية تنوعاً وتعقيداً اثنياً وطائفيًا ومذهبيًا، حيث تتقاطع المكونات في هويات وتتنافر في أخرى. وربما يرجع هذا الواقع الاجتماعي للتاريخ الاقتصادي لمنطقة البحرين كمناطق، ميناء تجاري تتفاعل مكوناته المجتمعية مع الصحراء والساحل. لكن رغم التنوع الاجتماعي وتعقيداته إلا أن التمايز الطائفي هو الذي يتصدر الحالة المجتمعية.

البحرين أكثر مجتمعات دول مجلس التعاون تأثراً بالتعقيدات المذهبية والإثنية، بل إن البنية أو التركيبة المعاصرة للمجتمع البحريني مبنية على أسس طائفية، وتقوم على تقسيمات عرقية واقتصادية واجتماعية قديمة. إلا أن الانقسام المذهبي كان هو مبعث الاحتكاك السياسي، لأن الدين أقوى عنصر من عناصر البنية المجتمعية، وذلك لما لهذا العنصر من حضور وقوة وفاعلية في تركيبة الثقافة البحرينية<sup>1</sup>.

لا يوفر جهاز هيئة المعلومات والحكومة الالكترونية بدولة البحرين أية إحصاءات فيما يخص واجهة الإحصاء والسجل السكاني. لكن توجد تقديرات أمريكية لسنة 2019 أن عدد السكان بلغ 1.442.659 نسمة<sup>2</sup>، يشكل المواطنون منهم 45% بتعداد يقارب 677.000 نسمة. يمثل المسلمون منهم 73.7%<sup>3</sup>. لكن هناك تضارب في الأرقام حول نسب الكتل الطائفية. لا توفر الحكومة أي بيانات حول النسب الديمغرافية لكن المصادر الأمريكية تحيلها إلى 60% من الشيعة، إلى جانب 35% إلى 40% من السنة، فيما يشكل المسيحيون 14.5% والهندوس 9.8%<sup>4</sup>.

الرواية الرسمية تفترض أنّ نسبة الشيعة كانت أقلّ من 50% إلى فترة منتصف القرن الماضي، حيث زادت بفعل عوامل عديدة حسب الرواية الرسمية، منها: زيادة معدلات الولادة لدى الشيعة، وهجرة بعض القبائل السنّة من البحرين سنة 1923، مقابل زيادة هجرة الإيرانيين والعراقيين الشيعة إليها ووفق

<sup>1</sup>- خليل علي حيدر، الحركات الإسلامية في الخليج : البحرين، قطر، الإمارات، في الحركات الإسلامية في الوطن العربي، المجلد الثاني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013، ص ص 2284-2285.

<sup>2</sup>- United States Department of State, Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor, BAHRAIN 2019 International Religious Freedom Report, the link : <https://cutt.us/yQTKo>

<sup>3</sup>- The World Factbook, Bahrain, The link : <https://cutt.us/SSEmO>

<sup>4</sup>-United States Department of State, Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor, BAHRAIN 2019 International Religious Freedom Report, op cit .

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

إحصائية تقديرية تستند إلى جداول الانتخابات في 2010، يمكن وضع أرقام التوزيع المذهبي، مع مراعاة نسبة اختلاف ما بين 2% إلى 3%، وذلك على الشكل الآتي<sup>1</sup>: عدد البحرينيين: 621676. عدد الشيعة: 376964. عدد السنة: 244712. نسبة الشيعة: 61. % نسبة السنة: 39. % بحسب تقرير الملل و النحل لسنة 2005 يمثل الشيعة نسبة 69%، بينما السنة 30%، مع التسليم بوجود طوائف أخرى غير عربية، وغير محددة العدد، كما يشير التقرير إلى وجود تماسك قبلي للسنة في البحرين، في مقابل تفكك لدى الشيعة، الذين ترجع أصول كثير منهم إلى إيران (عجم)<sup>2</sup>. مسألة الإحصاءات حساسة جدا في البحرين، بسبب تعقيدات الواقع وصراعات النسب الموجهة لتأكيد الأحقية الاجتماعية والطائفية، كما أنها متغيرة بسرعة بسبب عمليات التجنيس الموجه، في ظل غياب إحصاءات دقيقة وشفافة يمكن البناء عليها. هذا الواقع زاد من حدة الانقسام الاجتماعي في بيئة منقسمة أصلا وتتنازعها ثنائيات كثيرة.

تتوزع الأعراق مذهبيا ما بين سنة و شيعة، فالقبائل العربية الأقدم تعتنق التشيع في حين أن القبائل الأحدث هجرة تعتنق المذهب السني. أما الأصول العرقية الأخرى فهي منقسمة مذهبيا فالمنحدرون من أصول إيرانية قسم منهم يطلق عليهم ” العجم ” متشيعون والقسم الآخر يطلق عليهم ” الهولة ” سنيون. ويشكل ذوو الأصول الأفريقية شريحة واسعة من المواطنين وهم ينحدرون غالبا من العبيد المحررين أو من الأفراد المهاجرين بفعل عوامل اقتصادية واجتماعية والغالب على هذه الأصول التسنن.<sup>3</sup> يمثل الشيعة من أصول عربية غالبية شيعة البحرين، وهم من الشيعة الإمامية الإثني عشرية، إلا أن هناك من يقدر الشيعة من أصول فارسية بين 25% و 30% من إجمالي شيعة البحرين<sup>4</sup>. بالرجوع إلى الكتابات التاريخية، خصوصا تلك المتعلقة بالتاريخ السياسي للبحرين، ثمة إجماع على أن الشيعة كانوا يشكلون الأكتريية، وما زالوا كذلك. فيذكر صاحبة التحفة النبهانية\* أن سكان البحرين قبل استيلاء آل خليفة عليها عام 1783 كانوا من الشيعة<sup>5</sup>. ينقسم شيعة البحرين إلى ثلاثة أقسام: <sup>1</sup>

1- عباس المرشد، البحرين: معضلة الوطنية وتفجير الإثنيات الطائفية، متوفر على الرابط التالي: <https://cutt.us/IJT7u>

2- سلمى حمدي و آخرون ، الملل والنحل التقرير السنوي 2005، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، القاهرة، 2005، ص 173.

3 - عباس المرشد، مرجع سابق.

4 - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 132.

\* التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية لمؤلفه محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني.

5- عباس المرشد ، مرجع سابق.



## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

- البحارنة وهم من أصل عربي لهم وجود منذ الدولة الأموية والعباسية .
  - الشيعة الوافدون من المنطقة الشرقية بالسعودية في القرن التاسع عشر، هربا من تمدد الحركة الوهابية.
  - الشيعة القادمون من إيران واستقروا في البحرين في أثناء الغزو الإيراني لجزيرة البحرين .
- تنتمي مناطق الأحساء والبحرين للإخباريين\* من الإثنى عشرية. كما عرفت البحرين بالأسر المذهبية العريقة. هذا الإرث التراثي الشيعي جعل التشيع من العناصر الأساسية في الثقافة العامة لقطاع واسع من أهل البلاد، وبخاصة في القرى والأوساط الشيعية البحرينية والشرائح الفقيرة، وقد غذت هذه الثقافة فيما بعد حركات التشيع السياسي وما رافقها من نشاط سياسي إلى اليوم<sup>2</sup>. فالبنية المجتمعية البحرينية تحمل استعدادات لتوظيف التمايزات الطائفية خصوصا والهوياتية عموما، في ظل تعقيدات الواقع الاجتماعي، وحدائث تكويناته بفعل مراحل الهجرات المختلفة.
- شهدت التركيبة الإثنية للبحرين، منذ نهاية القرن الثامن عشر، تأثيرات كبيرة ومفارقة. فقد استقبلت هجرات استيطانية واسعة، من جهة القبائل العربية التي تحالفت مع قبيلة آل خليفة التي سيطرت على الحكم في 1783، وأوجدت حماية ودعمًا لها، كما في حال قبيلة الدواسر الذين استوطنوا البحرين منذ العام 1846. وفي المقابل، هاجرت من البحرين في هذه الفترة مجموعات كبيرة من السكان القدماء باتجاه المنطقة الشرقية للجزيرة العربية، وفي فترات أقدم، كما في حال الغزو العماني للبحرين سنة 1713، أو بعد استيلاء آل خليفة على البحرين سنة 1782<sup>3</sup>.
- نظرا لطول مدة استقرار الشيعة البحرينيين وعملهم في الأرض والبحر، فقد خفّت بينهم "العصبية"، وخضعوا لقبائل عربية، حرمتهم تدريجيا من الأرض، وبالتالي فقد اعتمدوا لكسب معيشتهم على أعمال ثانوية غير ماهرة. وشيئا فشيئا اعتبروا كمواطنين من الدرجة الثانية<sup>4</sup>. فالعمران الاجتماعي والنشاط

1 - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 132.

2 - خليل علي حيدر ، المرجع السابق ، ص 2282.

\* انقسم المذهب الإثنى عشري إلى طريقتين هما: الإخبارية، الملتزمة بالنصوص والسنن الموروثة والمعارضة للاجتهد والتأويل. والأخرى هي الأصولية القائمة على اختيار النصوص واجتهاد مراجع التقليد، بقيت مناطق الأحساء والبحرين مع الإخباريين\*. فيما أصبح بقية الإثنى عشرية في الخليج والعراق وإيران ولبنان وباكستان، من متبعي منهج الأصوليين. أنظر خليل علي حيدر ، المرجع السابق ، ص 2282.

3- عباس المرشد، البحرين: معضلة الوطنية وتفجير الإثنيات الطائفية، مرجع سابق .

4 - محمد غانم الرمحي ، البحرين : مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي ، دار الجديد : بيروت ، ط4 ، 1995 ، ص 56.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

الاقتصادي انعكس على عصبية القوم، حيث خُفَّت بينهم النعرة، فانكسرت شوكتهم في مواجهة القبائل البدوية القادمة من قلب الجزيرة العربية، والذين تصادفت هجرتهم مع تحولات دولية عززت نفوذهم في البحرين، ومنه زاد سلطانهم على حساب الآخرين .

تعتبر بعض الحركات الشيعية المعارضة أن البحرين واقعة تحت احتلال عائلة آل خليفة منذ 1783، وأنهم هم السكان الأصليون، ويأتي خطاب الأهلية Nativism هذا للاعتراض على الأسرة الحاكمة، وعلى الوضع الاجتماعي الذي رافقها، ويعني السنة البحرينيين الذين وفدو مع عائلة آل خليفة، أو الذين هاجروا لاحقاً من السعودية، أو من الجانب الإيراني لساحل الخليج. أضف إلى ذلك أنه وفدت إلى البحرين في العقود الماضية أعداد غفيرة من السنة القادمين من دول عربية، ومن باكستان للعمل، ومُنح عدد منهم الجنسية البحرينية لزيادة النسبة المئوية للسكان السنة<sup>1</sup>. وبالتالي زاد ضغط الواقع المتحول على المكون الشيعي، حيث نشأ تصور عن عملية هندسة اجتماعية مقصودة، وإغراق طائفي على حسابهم كمكون أصلي. وبغض النظر عن كون هذا التحول مقصود أو عرضي بفعل الهجرات التي نشأت عن الطفرة الاقتصادية الريعية، فلا شك أن له أثر على الميزان الطائفي الحساس في بيئة مستنفرة.

عاش الشيعة والسنة معا نحو قرنين من الزمان في البحرين - أي تاريخ تشكل البحرين الحديثة - إلا أن الفوارق بينهما كمجتمعين متميزين لم تبدأ بالذوبان إلا بعد النصف الثاني من القرن العشرين، إذ بدأ بالتزاوج بين متقنين من الطائفتين. ويرجع الفضل في ذوبان الفوارق إلى تطور التعليم والعمل في مجالات موحدة، غير أن الحوادث الطائفية تكررت باستمرار، وبخاصة أثناء احتفال الشيعة بشهر محرم<sup>2</sup>. إذ وفرت هيئات المجتمع المدني، وتطور النظام المدرسي، وميادين العمل والنشاط النقابي والجمعي وانبعاث الحالة القومية فضاءات جامعة تتجاوز الطائفية، وهو واقع لا تُحبّذه النظم التي تعتمد سياسات الهوية للعب بالتناقضات المجتمعية، نظراً لأنه يساهم في تشكيل شخصية جامعة وإدراك مشترك عابر للهويات. كما أن الانتماءات الأولية ما تلبث أن تسيطر على هذه الهيئات لتحولها إلى مساحات أخرى للتنافس والطائفية.

<sup>1</sup> - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص 60.  
<sup>2</sup> - خليل علي حيدر ، مرجع سابق ، ص 2294.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

مما يعقد المأزق الطائفي أن البحرين باتت مقسمة جغرافيا بشكل كبير على أساس طائفي، إذ أن المحرق والمنامة المدينتين اللتين كانتا الحضانتين الأقوى للتيارات غير المبنية على المذهب، واللتين ضمتا خليطا من المذاهب والإثنيات، شهدتا انحسارا في نسبة المواطنين بشكل متسارع، نظرا إلى تنامي الهجرة إلى الضواحي<sup>1</sup>. حيث تقل المرافق والهيئات الصاهرة للهويات، كما يتقلص فيها النشاط الاقتصادي .

إن كل هوية جماعية أو فئة من البحرين تشاطر جماعة أخرى خاصة رئيسية مؤثرة، فالبحارنة والنخبة الحاكمة من حلفائهم النجادة الأجويد، هم من العرب، ولكنهم مختلفون في الانتماء الطائفي، وكلتا الفئتين البحارنة والعجم ينتمون إلى الطائفة نفسها. والعجم (المهاجرون من بر فارس) يشاركون الهولة أصولهم العرقية، ولكنهم يختلفون في المذهبية الدينية. ولزيادة التعقيد فإن الهولة يتمثلون والعائلة الحاكمة فيما يتعلق بالطائفة، لكن أصولهم العرقية تختلف، وفيما يتبع عرب البحرين غير القبليين، أي الحضر وصفوة الاقتصاديين المذهب الحنبلي، يتبع الهولة المذهب الشافعي، في حين تتبع الأسرة الحاكم والقبائل الحليفة المذهب المالكي<sup>2</sup>. هذه الثنائيات تشير إلى الواقع الاجتماعي المتشابك، وكيف تشطر الانتماءات الفرعية المكونات المجتمعية، ورغم هذه التنوعيات يبقى الانتماء الطائفي هو البارز .

الواقع المجتمعي البحريني شديد التشابك والتعقيد، نشأ بفعل هجرات عبر مراحل تاريخية مختلفة، كما ساهمت سياقات نشأة الدولة في ظهور كوامن تاريخية، ترى في المكونات الاجتماعية الوافدة تشكيلات دخيلة تسعى لتغيير التركيبة الطائفية. دفع الواقع التقليدي، وضعف الهيئات المدنية والفضاءات الجامعة في حفاظ هذه التكوينات على هوياتها، مع تراجع لمساحة المشترك، ومثلت هذه الثنائيات الهوية فرصة لتجسيد سياسات الهوية لأغراض سلطوية، كما مثل مصدرا لتهديدات خارجية، ومبعثا لاضطرابات داخلية، في ظل بيئة سياسية غير تمثيلية. هذا الواقع المُستنفر جعل أي تغيير في ديموغرافيا الطائفية حالة صراعية تستدعي المواجهة، في ظل غياب إحصاءات شفافة وموثوقة وغير موجهة.

1 - عمر الشهابي وآخرون، مرجع سابق، ص 137.

2 - خليل علي حيدر، مرجع سابق، ص 2285.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

### المطلب الرابع : الكويت : الثنائيات الانقسامية لمجتمع الهجرات .

تعيش الكويت تجربة ديمقراطية فريدة في دول مجلس التعاون، لها تاريخها وتطورها، ولها خيبتها أيضا. جاءت هذه التجربة بفعل تأثير سياقات النشأة وتركيب مجتمع الدولة بتعاقد المكونات المهاجرة ، فكانت الدولة كثمرة لهذه الحالة التعاقدية، وتطورت التجربة لتكون تجربة ديمقراطية نيابية. لكن هذه التجربة أُسست على تناقضات اجتماعية كثيرة، استطاعت في كثير من الأحيان تجاوزها، ولكن في بعض الأوقات تركت هذه الانقسامات أثرها على الواقع السياسي والاجتماعي للدولة. إذ أن ما قد يحدد مكانة الفرد /الأفراد في المجتمع هو انتسابهم إلى جماعة أو فئة معينة، وهذه قد تأتي على شكل قبيلة أو طائفة أو جماعة دينية أو عرقية أو قومية، كما أن موقع هذه الفئات من مُركب القوة القائم هو المحدد، لمواقع الأفراد في المجتمع. بل إن هذا الموقع قد يكون في بعض الحالات مُحددا لحقوقهم ونصيبهم في المجتمع، ونتيجة لذلك، فإن هذه الحقوق أو المنافع قد تأتي متضخمة عند البعض وشحيحة عند البعض الآخر<sup>1</sup>.

الكويت مجتمع هجرات، والذي يأتي قبل الآخر لديه فوقية على الذي يأتي بعده، هذه الفوقية لم تكن واضحة في زمن ما قبل النفط، لكن النفط ودولة الرفاه عززت قيم التفرقة. التمييز بين المواطن والمواطن يقع بناء على الطبقة، والخلفية، والهجرة للكويت، ومكان الهجرة، وطائفة المهاجر، ولغة المهاجر الأصلية. هذا يؤدي بالمجتمع ليتحول لفسيفساء يسهل تقسيمه، بل يسهل وضعه في مواجهة بعضه البعض<sup>2</sup>. كما يجعل التجربة الديمقراطية تجربة منقوصة في ظل تراجع قيم المواطنة والمساواة، وتحوّل الديمقراطية لممارسة خاصة بفئات، وحرمان طبقات ومكونات من الحقوق .

حسب إحصاءات الهيئة العامة للمعلومات المدنية لسنة 2018 فهناك 1.4 مليون مواطن و3.3 مليون مقيم أجنبي<sup>3</sup>. تقدر الإحصاءات نسبة السنة بـ 70% من المواطنين، في حين يمثل الشيعة

1 - باقر سلمان النجار، الفئات والجماعات : صراع الهوية والمواطنة في الخليج العربي، في الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1، 2013، ص316.

2 - شفيق ناظم الغبرا ، التماسك الاجتماعي في الكويت .. من التكوين إلى حراك 2011 ، في :الخليج والربيع العربي : الدين والسياسة ، مركز المسبار للدراسات والبحوث ، ط1 ، 2013 ، ص، 34.

3 - الهيئة العامة للمعلومات المدنية ، متوفر على الرابط التالي : <http://paci.gov.kw/>

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

30% (بما فيهم الأحمدية والإسماعيلية الذين تعتبرهم الحكومة من الشيعة )<sup>1</sup> . يتألف المجتمع الكويتي عرقياً من العرب وهم أغلبية حتمية بحكم الاتصال الجغرافي بجزيرة العرب، ومن العجم وهم أقلية تتألف غالبيتها من المهاجرين الإيرانيين الذين قدموا إلى الكويت إبان الاحتلال البريطاني لغايات التجارة، وقد انصهرت فئة منهم في المجتمع الكويتي واتبعت الثقافة والعادات العربية، في حين أن فئة لا تزال تحتفظ بعاداتها وتقاليدها ولغتها الأصلية<sup>2</sup>.

على العكس من شيعة البحرين وشيعة المنطقة الشرقية، الذين يزعم جميعهم أنهم السكان الأصليون في تلك المنطقتين، يتحدّر الكويتيون على اختلاف مشاربهم من أماكن أخرى، واستقروا في المنطقة في القرنين الماضيين لأسباب اقتصادية وسياسية أساساً، لذلك يمكن اعتبار الكويت مجتمعاً مهاجراً، احتفظت فيه الجماعات المتنوعة بسمات هوياتها السابقة، فيما التحمت لتشكّل جزءاً من شيء جديد<sup>3</sup>. هذا السياق جعل من التعاقدية بين مكونات المجتمع الكويتي لبنة لتأسيس الدولة، وبقيت آثاره تالياً . تُرجع بعض الدراسات دخول الشيعة للكويت إلى دولة القرامطة، مثلها مثل البحرين، وساعدت الهجرة من إيران إلى الكويت على نشر التشيع فيها بشكل كبير<sup>4</sup>. ينقسم شيعة الكويت من حيث الأصل العرقي إلى ثلاثة أقسام : 5

- الشيعة من أصل عربي، ويطلق عليهم اسم الحساوية نسبة إلى منطقة الأحساء .
- الشيعة من أصول عربية الذين قدموا من البحرين، ويطلق عليهم اسم البحارنة .
- الشيعة من أصل إيراني، ويطلق عليهم اسم العجم، على الرغم من أنهم تعربوا، فإنهم مازالوا يحتفظون ببعض العناصر الثقافية لأصلهم الفارسي .

يمثل الشيعة من أصول إيرانية نصف شيعة الكويت، وكثيراً منهم هاجر إليها بجهد إيراني منظم، خاصة بعد اكتشاف النفط. وقد كان للأصل الفارسي لجزء من شيعة الكويت نتائجها السياسية، سواء فيما

<sup>1</sup> - United States Department of State , Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor, KUWAIT 2018 International Religious Freedom Report , the link : <https://cutt.us/sEWFQ>

<sup>2</sup> - عبد الرزاق الشاذلي ، التنوع العرقي والطائفي والاجتماعي يقود انتخابات الكويت ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/uSlzZ>

<sup>3</sup> - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص 131.

<sup>4</sup> - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 131.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه ، ص 133.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

يتعلق بطبيعة النظرة إليهم من قبل القوى الأخرى ذات الأصول العربية في المجتمع، أو نظرة السلطة إليهم، ونظرتهم هم إلى السلطة<sup>1</sup>. حيث بقيت مؤثرات الانتماء العرقي والطائفي تؤثر على خياراتهم السياسية، وعلى تصورات باقي الفئات تجاههم، وهذا الواقع يعزز من شعورهم ككتلة واحدة، ويزيد من التحامهم .

أفقياً يتكون المجتمع الكويتي من طبقتين رئيسيتين أولاهما طبقة التجار، وهم الذين كونوا ثروات على مر الزمن ومنذ اكتشاف النفط في الكويت، تمتاز تلك الطبقة بالنفوذ الاقتصادي الذي يؤثر في بعض الأحيان على المشهد السياسي. وثانيهما الطبقات الشعبية الأخرى بغض النظر عن المستوى الطبقي الاجتماعي<sup>2</sup>. ورغم أن الفوارق الطبقيّة قدر إنساني وتقسيم طبيعي في كل المجتمعات بما فيها المجتمع الخليجي، إلا أن لهذا التقسيم وزنه وأثره وملامحه الواضحة في المجتمع الكويتي، كما أنه ليس تقسيماً طارئاً بفعل الطفرة النفطية بل هو واقع تاريخي ارتبط بنشأة الدولة، وله آثاره السياسية الواضحة . دائماً ما كانت الطائفة الشيعية المحلية موسرة نسبياً بالمقارنة مع دول مجلس التعاون الخليجي الأخرى، لاسيما البحرين والسعودية. إلا أن وضع عائلات التجار الإيرانيين/الفرس المحليين الأغنياء ( مثل بهبهاني وقبازرد ودشتي ) لا تنطبق على الغالبية العظمى من الشيعة في الكويت. وبعد أن عاشوا في حالة من الفقر عموماً في مرحلة ما قبل العصور الحديثة، يُشكّل معظم الشيعة الكويتيين اليوم جزء من الطبقات الوسطى<sup>3</sup>. وعليه فالتباين الطبقي واقِعٌ عابرٌ للطوائف، في ظل وجود العائلات التجارية التاريخية، لكن الوضع الاقتصادي لعموم الشيعة مقارنة بباقي دول الخليج يوحي بشكل إدارة الحالة الطائفية المختلف في الكويت عن باقي دول المجلس التي تشهد توترات طائفية، كثيراً ما يكون مرجعها لممارسات تمييزية اقتصادية.

ومن ناحية أخرى يتألف المجتمع الكويتي اجتماعياً من الحضر والبدو، والحضر في أغليتهم هم سكان الكويت القديمة، التي كان يحيط بها سور ضمن مساحة صغيرة من مساحة الكويت الحالية. الحضر هم أهل تجارة وغوص تاريخياً، أما البدو فهم من أبناء القبائل العربية التي كانت تسكن خارج

1 - المرجع نفسه ، ص ص 133-134.

2- عبد الرزاق الشايجي ، مرجع سابق.

3 - السكان في الكويت ، متوفر على الرابط التالي : <https://fanack.com/ar/kuwait/population>

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

سور الكويت القديمة. ورغم أن وجود سور الكويت القديمة أصبح من الماضي إلا أنه لا يزال يحتفظ نوعاً ما بوجود رمزي في عصرنا الحالي بحيث يسهم في إنتاج المشهد السياسي بين الحين والآخر<sup>1</sup>. إذ استطاعت التقسيمات التقليدية لما قبل الدولة أن تصمد وتتعايش مع التحولات، وهذا راجع للثقافة التي تتوارث هذه التقسيمات المناطقية والقبلية والعرقية والطائفية وكذلك الطبقة، عبر مؤسسات التنشئة والتراث اللامادي، لتصنع وعياً جمعياً يحدد هذه الأسوار، وينقلها من الواقع لتسور العلاقات الاجتماعية. قام الخلاف في الساحة الكويتية على محور العرب - العجم، إضافة إلى كونه صراعاً على محور السنة - الشيعة. وهذا يختلف عنه في البحرين والعربية السعودية، حيث تأسس الصراع على محور السنة - الشيعة، أي أنه كان ذا طبيعة مذهبية في الأصل، لأن الغالبية العظمى من شيعة البحرين والسعودية تنتمي لأصول عربية<sup>2</sup>. وبالتالي تفرض الحالة الكويتية مستويات انشطارية أعمق وأكثر قوة، بين مكونات متنافسة، توفر هذه البيئة المنقسمة إمكانات لتحالف سياسي الموجه، بين النظام وبين قوى اجتماعية ضد مكونات مخالفة، وهو ما عملت عليه مؤسسة الحكم تاريخياً، في ظل استعداد الهويات الفرعية لمثل هذه السياسات

علاوة على التقسيمات الطائفية والقبلية والعرقية والمناطقية والطبقية، هناك تقسيم آخر تعرفه الكويت وبعض دول الخليج، لكن الحالة الكويتية أكثر تأزماً، إذ هناك أكثر من 106 آلاف شخص بدون جنسية (إحصاءات 2011) يدعون بحقهم في الجنسية الكويتية، وما زالوا في مشكلة قانونية بلا حل. تنقسم فئة البدون الكويتية إلى ثلاثة أطياف<sup>3</sup>:

- 1- أولئك الذين لم يتقدم أجدادهم وأبائهم بطلب الجنسية أو لم تكن لديهم الوثائق اللازمة لذلك وقت استقلال الكويت عام 1961.
- 2- أولئك المستقدمين للعمل في الجيش أو الشرطة الكويتية أثناء الستينيات ثم استقروا بشكل نهائي في الكويت، ومعهم أسرهم.
- 3- أبناء أمهات كويتيات وآباء من فئة البدون أو أجناب

1 - عبد الرزاق الشايجي ، مرجع سابق.

2 - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص ص 209-210.

3 - هيومن رايتس ووتش ، سجناء الماضي : البدون في الكويت وعبء العيش بلا جنسية ، 2011/06/13 ، متوفر على الرابط التالي :

<https://www.hrw.org/ar/report/2011/06/13/256219>

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

تفيد منظمات حقوقية محلية أن عدد البدون يفوق 120 ألف شخص (إحصاءات 2016) وأنهم محرومون من أبسط الحقوق المدنية مثل التعليم والصحة والسفر. وتضيف دراسة برلمانية أن البدون يشكلون حوالي 10% من الشعب الكويتي، كما تفيد بيانات الجهاز المركزي لتعديل أوضاع المقيمين بصورة غير قانونية خلال الـ 27 عامًا الأخيرة منذ العام 1986 وحتى نهاية العام 2013 أن الكثير من البدون يحملون الجنسيات: السعودية والعراقية والسورية والإيرانية والأردنية وجنسيات أخرى باعتبارها جنسياتهم الأصلية. وتفيد بعض الدراسات إلى أن أكثرية البدون في الكويت من أبناء البادية الرحل من قبائل شمال الجزيرة العربية، وقسم كبير منهم ينتمي إلى الطائفة الشيعية<sup>1</sup>. وهذا يضيف بُعداً طائفياً للأزمة، ويجعل أي عملية تسوية تخل بالتوازنات الطائفي والمجتمعية، في سياق منقسم أصلاً .

القوانين الكويتية تنص على ألا يتجاوز عدد المواطنين الذين يمكن تجنيسهم سنوياً 2000 شخص سنوياً، وعمليات التجنيس دائماً ما كانت أقل من العدد المسموح به سنوياً. لهذه الأسباب، هناك 106 ألف طلب للحصول على الجنسية ما زال لم يتم الفصل فيها من جانب لجنة البدون<sup>2</sup>. وإذا لم تتم تسوية عاجلة فإن هذا العدد سيتضخم بسرعة، ويكون له تأثير في ظل الكثافة السكانية المنخفضة في الكويت. تشكلت الكويت مجتمعاً ودولة عبر مراحل تاريخية مختلفة، لا زالت تأثيراتها إلى اليوم، إلا أن هذه المراحل رسخت فواصل اجتماعية، كما أسست للطبيعة التشاركية لمجتمع التجارة والهجرة. إذ ينشط المجتمع الكويتي بفعل انتماءات هوياتية مختلفة الاتجاهات عمودياً وأفقياً، لم تقلح التجربة الديمقراطية في تجاوز هذه الهويات والتأسيس لمجتمع المساواة والمواطنة، بل استطاعت هذه المكونات الطائفية والإثنية الحفاظ على كيانتها وحيزها ونفوذها على أفرادها.

### المطلب الخامس : التشكيلات الاجتماعية والطائفية وتنوعاتها في عمان وقطر والإمارات

الظاهرة الطائفية لا تأخذ ذات الحدة في كل دول مجلس التعاون، كما أن التنوع الطائفي يختلف نسبه وتتفاوت، ويختلف تفاعل المجتمع والدولة مع واقع تنوعاته. يُمثل الشيعة وباقي الطوائف أقليات في كل من عُمان وقطر والإمارات، أقليات من حيث النسبة، وأيضاً من حيث العدد بحكم الكثافة الديمغرافية

<sup>1</sup>-إلهام محمد علي ، البدون : عندما تبتث عن هوية داخل وطنك ، 2016/06/28 ، متوفر على الرابط التالي : <https://www.noonpost.com/content/12582>

<sup>2</sup> - هيو من رايتس ووتش ، سجناء الماضي : البدون في الكويت وعبء العيش بلا جنسية ، مرجع سابق.



## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

المنخفضة، كما يشكلون أقليات في أغلب دول المجلس، لكن المميز أن التوتر الطائفي والتفاعل الإيجابي منخفض في البلدان الثلاثة. وعليه تم تصنيفهم في ذات المطلب، الذي يسعى لمقاربة التشكيلات المجتمعية والديمغرافية، وقراءة الواقع الطائفي في البلدان الثلاثة، من أجل فهم العوامل التي جعلت الطائفة تتراجع في بيئة تقليدية.

#### 1/ جغرافيا الساحل والجزيرة ودورها التاريخي في تشكيل المجتمع العماني .

عمان دولة لها تاريخ إمبراطوري طويل، امتد من سواحل الخليج العربي وصولاً إلى سواحل باكستان شرقاً، وسواحل إفريقيا غرباً، هذا الطابع الإمبراطوري المعتمد على السواحل وتجارة الموانئ انعكس ليشكل فسيفساءً اجتماعية، حتى بعد تقلص الرقعة الجغرافية لعمان الحديثة في حدودها الحالية، إذ تضم تنوعاً بشرياً يعكس امتدادها التاريخي، تنوع عرقي وقبلي ومذهبي وطائفي ومناطقية. رغم الصراعات الطويلة التي عانت منها عمان، إلا أنها كانت صراعات عابرة للانتماءات الطائفية، فرغم أنها شملت كل المكونات المجتمعية، إلا أنها لم تأخذ بُعداً طائفياً، ربما بفعل تراجع مكانة الطوائف لصالح انتماءات فرعية أخرى.

حسب المركز الوطني للإحصاء والمعلومات في عمان، فعدد السكان حتى فبراير 2020 هو 4.669.090 نسمة، يمثل الوافدون منهم 42.30% والعمانيون 57.70%<sup>1</sup>. لا تنشر الحكومة إحصاءات حول النسب الديمغرافية للطوائف، لكن هناك إحصاءات متضاربة حول نسب الإباضية والسنة، ففي حين تجد إجماعاً بين المصادر المختلفة حول نسبة الشيعة التي تمثل 5% إضافة إلى 5% أخرى من الهندوس والمسيحيين. تُشير إحصاءات (2018) أن نسبة الإباضية بين 45% و75% والباقي للسنة<sup>2</sup>. تقدر إحصاءات أخرى ترجع لسنة 2004 السنة بـ 50% الإباضية بـ 45%<sup>3</sup>.

ترجع عراقة التعدد المذهبي في عمان إلى القرن الثالث الهجري، وربما قبل ذلك، إلا أن المذاهب كان لها وجود بشري محدود، ولم تكن تمثل ثقلاً اجتماعياً وسياسياً يؤهلها للمنافسة على السلطة السياسية

<sup>1</sup> - المركز الوطني للإحصاء والمعلومات ، الساعة السكانية ، متوفر على الرابط التالي : <https://ncsi.gov.om/Pages/NCsi.aspx>

<sup>2</sup> - United States Department of State , Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor, OMAN 2018 International Religious Freedom Report , the link : <https://cutt.us/Zdlmi>

<sup>3</sup> -J.E.Peterson , Oman's Diverse Society : Northern Oman , Middle East Journal , V58 ,NO.1,Winter 2004.p31.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

للدولة، كما أن انتشار هذه المذاهب لم يكن بين العمانيين، بل بين المهاجرين من شبه الجزيرة العربية، بعد الفتنة الكبرى التي شهدتها الفرق الإسلامية. بقيت عمان تحتفظ بتعدداتها الدينية بعيدا عن أي صراعات دينية مذهبية، ولم يسجل التاريخ العماني اعتداء مذهبيا ودينيا، أكان من الدولة أو من الأفراد<sup>1</sup>. ويبدو أن هذه الميزة أضحت ثقافة مجتمعية، وسياسة وطنية، تتعايش فيها الانتماءات الطائفية والمذهبية، خاصة وأن الطوائف لم تشكل تهديدات على السلطة الحاكمة.

وقد عرفت الدولة اليعربية ودولة آل سعيد انفتاحا واسعا على المحيط الهندي، والسواحل الشرقية لإفريقيا، الأمر الذي ساهم بشكل كبير في تعميق التعددية المذهبية والإثنية واللغوية. ولهذا التعدد أسباب متنوعة لعل منها<sup>2</sup>:

- حضور إثني تشكل منذ تاريخ طويل في السواحل العمانية، بفعل حملات الغزو والتجارة .

- حضور ديني بعد هيمنة عمان على شرق إفريقيا، وبلوشستان والساحل الغربي لإيران، إضافة لمنطقة البحرين، مما ساهم بشكل كبير في التعددية الدينية والمذهبية .

- الغزو السعودي المعروف في الأدبيات التاريخية بالغزو الوهابي، لبعض الأراضي العمانية، والذي جعل الوهابية تتوغل أكثر في المناطق المحاذية للمملكة العربية السعودية .

يتشكل النسيج الاجتماعي العُماني من أصول عربية تُشكل الأغلبية، ومزيج من أصول أفريقية وهندية وفارسية. فقد هيمنت الدولة العمانية على السواحل الأفريقية، وتحديداً في زنجبار في القرن الثامن عشر الميلادي، كما فرضت وجودها على منطقة جوارر الباكستانية، إضافة إلى وجود العنصر العجمي في عمان نظراً إلى قرب السواحل العمانية من البر الفارسي، ووصول الحملات العسكرية من بلاد فارس إلى أراضيها التي خضعت في بعض فترات التاريخ لحكم الفرس<sup>3</sup>.

شهدت عُمان صراعا سياسيا ممتدا أفضى إلى انقسام اجتماعي في نهاية الدولة اليعربية، فظهرت الفرقة الهناوية، والفرقة الغافرية، ولم تخرج عمان من هذه الدوامة، بين انتصارات على المستوى الإقليمي،

1- أحمد الإسماعيلي، التعددية الإثنية واللغوية والدينية في عمان وعلاقتها بالاستقرار السياسي، مجلة عمران، العدد 11، المجلد الثالث، شتاء 2015، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ص 90.

2- المرجع نفسه، ص 91.

3- عمر الشهابي وآخرون، مرجع سابق، ص 160.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

وإخفاقات في الاستقرار الاجتماعي الداخلي، إلا بعد عام 1975، عصر السلطان قابوس، الذي أدخل عمان في استقرار دام أكثر من أربعين عاماً، وهي فترة طويلة من الاستقرار إذا قورنت بالتاريخ السياسي والاجتماعي المضطرب<sup>1</sup>. ورغم امتداد الصراع الداخلي، إلا أنه لم ينعكس على الحالة الطائفية، بل كان صراعاً سياسياً شهد تحالفات عابرة للطوائف والمذاهب، وقسم المجتمع بناء على الموقف السياسي. الحدود الاجتماعية في عمان لا يتم تحديدها عموماً حسب المنطقة أو الطبقة، بل اللغة أو الطائفة، وفي حالة ضياع اللغة أو اختفاء الاختلافات الطائفية، أو عدم وجودها قد يحدث الاندماج<sup>2</sup>. ولا تزال التمايزات العميقة تهيمن على العقل الاجتماعي العماني. وتُعدّ الإثنية كسياج اجتماعي دائرة مغلقة، بل يلاحظ ذلك حتى بين القبائل العمانية، فهي تتمايز اجتماعياً، مُكرسة هذا التمايز في المجتمع، ولعل هذا يبرز في مفارقة تقبل العمانيين إثنية البلوش دينياً وتمايزهم منها سيولوجياً<sup>3</sup>. وهذا ما يُحيلنا إلى الاعتقاد أن تراجع الحالة الطائفية في عُمان من بين أسبابه تصدر انتماءات أخرى منافسة، تحمل تأثيرات اجتماعية أكبر وتشطر الطوائف ذاتها. فرغم حالة التعايش الواضحة، يبقى المجتمع العماني بيئة تقليدية تحافظ فيها الانتماءات الأولية على قوتها وسيطرتها .

ليست كل المجموعات تحمل نفس الهوية العرقية، الشبكات الاجتماعية تتداخل بشكل متزايد في عمان المعاصرة، والهويات تتجاوز الحدود<sup>4</sup>. فيعرف المجتمع العماني تعدديات تشطر الكتل البشرية، وعلى قدر ما تجعلها متفرقة فهي توفر أيضاً مساحات للمشارك: تعددية لغوية، تعددية دينية (الإسلام، البهائية، الهندوسية) ، تعددية مذهبية (الإباضية، السنة، الشيعة ) ، تعددية إثنية ( العرب، الزنجبارية، البلوش، اللواتية، النياسرة، العبيد، الزط، .. الخ ) ، تعددية مناطقية ( ثقافة أهل الجنوب، ثقافة أهل الشمال في عمان الداخل، ثقافة المناطق الساحلية)<sup>5</sup>. ما يجعلنا أمام هويات أولية متنافسة، كما تجعل مساحة المشترك تتداخل مع مساحة التمايز والاختلاف، فالجميع مرتبط ببعضه بهويات، ومتمايز بأخرى.

1- أحمد الإسماعيلي ، مرجع سابق ، ص 91.

2- J.E.Peterson , op cit, p32.

3- أحمد الإسماعيلي ، مرجع سابق ، ص 93.

4- J.E.Peterson, op cit, p32.

5- أحمد الإسماعيلي ، مرجع سابق ، ص ص 85-86.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

في مطلع القرن العشرين كان في عمان أكثر من 14 لغة\*، ويمكن القول أنه حتى الوقت الحالي يوجد ما لا يقل عن 12 لغة محلية، والغالبية العظمى من الناطقين بغير العربية هم من المسلمين السنة، إضافة إلى مجموعات صغيرة من الجعفرية، وعدد قليل من الهندوس<sup>1</sup>. هذا الواقع أفرزه تعدد المكونات الإثنية، نظرا إلى أن معظم المكونات الاجتماعية في عمان أتت من خارج عمان، ولم تكن العربية لغتها الأولى، ولهذا نجد أن عمان غنية بالتعددية اللغوية<sup>2</sup>. لا توجد حتى الآن إحصاءات منشورة عن نسبة معتقي المذاهب الإسلامية في السلطنة، أو عن أعداد الهندوس الذين حصلوا على الجنسية العمانية وتمكنوا من إقامة معبد لهم في مدينة مسقط القديمة. أضف إلى ذلك أن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية تعتبر من الوزارات السيادية، ولا يُستجوب وزيرها أمام أعضاء مجلس الشورى<sup>3</sup>.

تعد قبيلة البلوش أكبر القبائل العمانية عددا اليوم، ويتوزع أفرادها في معظم مناطق السلطنة، خصوصا المناطق الساحلية. معظم البلوش في عمان حافظوا على مذهبهم السني، وبعضهم تحول إلى المذهب الشيعي. عموما، فإن طرائق التفكير السياسي للبلوش بشكل عام لا تنطلق من إشكالات مذهبية أو دينية، ولا تشكل لهم هذه المسألة أهمية كبيرة، بل تجدهم الأقدر على الاندماج مع العمانيين الإباضية، ويصلون في مساجدهم<sup>4</sup>. إذ يمثل البلوش كما اللواتية مثلا على تراجع الانتماء الطائفي لصالح الانتماء العرقي.

يوجد في عمان اللواتية الذين يسمون أيضا بالحيدر-آبادية نسبة إلى موطنهم الذي قدموا منه في حيدر آباد، ويختلف في أصولهم العربية، وعلى عكس البلوش، فقد بقوا منذ خمسة قرون منعزلين عن القبائل العمانية، كما أنهم لم يندمجوا مع باقي الإثنيات الأخرى، وهذا راجع لجملة عوامل لعل منها المذهب الشيعي الذي ينتسب إليه اللواتية، إضافة إلى حاجز اللغة، إذ يتحدث اللواتية لغة اللواتية أو الخوجكية. كما يعتبر العامل الاقتصادي من أسباب انعزال اللواتية الذي جعلهم في غنى عن الاندماج مع القبائل العمانية. وعلى الرغم من نجاح العمانيين في الاندماج مع سكان شرق إفريقيا، فإنهم لم

<sup>1</sup> - J.E.Peterson , op cit, p33.

\*- توجد في عمان إلى جانب العربية اللغات التالية : البلوشية واللواتية والكمزارية والفارسية والسواحلية واللغات الأربعة لأهل الجنوب العماني : المهريّة والحرسوسية والشحرية والبطحريّة والهوبيتية (للمزيد أنظر : J.E.Peterson , op cit, p34 )

<sup>2</sup> - أحمد الإسماعيلي ، مرجع سابق ، ص 99.

<sup>3</sup> - عمر الشهابي وآخرون، مرجع سابق ، ص161.

<sup>4</sup> - أحمد الإسماعيلي ، مرجع سابق ، ص ص 92 ، 93.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

يتمكنوا من الاندماج مع اللواتية داخل مسقط<sup>1</sup>. فإلى جانب السور الذي أحاط به اللواتية مناطقهم، تشكلت تاريخياً أسوار اجتماعية عزلتهم عن التفاعل المجتمعي في التجارة والمبادلات، وجعلتهم ينطوون على ذاتهم لمرحلة تاريخية طويلة شكلت شخصيتهم العامة.

يعني مصطلح البحارنة في عمان الشيعية العرب، وقبل 1970 كانت هناك أكثر من اثنتي عشرة عائلة بحرانية، تعيش جميعها في مسقط، وهم جعفرية<sup>2</sup>. يحتفظ البحارنة بتقدهم، بسبب انتمائهم الطائفي باعتبارهم شيعة، على الرغم من هويتهم العربية المشتركة مع أغلبية المجتمع العماني<sup>3</sup>. فكل كتلة اجتماعية تبحث عن خصائصها المميزة في مقابل الكتلة الأكبر، ويبدو أن هذا ما يشكل تركيزها على جانب مختلف من الهوية في مقابل الآخرين، مع الأخذ في الاعتبار متغيرات الحجم والنفوذ والمصالح الاقتصادية.

التأثير الإيراني ضعيف على العجم في عمان بسبب عدم فاعليتهم. وأكثر من ذلك، فإن الشيعة يتبعون السيستاني، مما يجعلهم أقل تبعية لإيران. لكن هذا مرشح للتغيير والحكومة تتوجس من التأثير الإيراني على الشيعة<sup>4</sup>. يبقى النفوذ الإيراني محدود لعوامل عدة، لعل منها العلاقات التاريخية بين إيران وعمان، والتي تجعل إيران تحاذر في أي تدخل يكون على حساب علاقة الطرفين، إضافة إلى الحجم الضئيل للشيعة في عمان، ما يجعلهم استثماراً مكلفاً وذو عوائد قليلة استراتيجياً .

ساهمت التحالفات القبلية في خفوت النزعات المذهبية في المجتمع العماني، والتي لم تكن حاضرة أصلاً، كما ساهمت بصورة كبيرة في تطور التشكلات الاجتماعية، الأمر الذي جعل العقل الجمعي العماني يشغل بالمكونات الاجتماعية الجديدة أكثر من اشتغاله بالتكوينات المذهبية التقليدية، إضافة إلى أن الصراع حول الإمامة بعد 1718م أعاد صوغ الإشكال الاجتماعي من جديد، وفرض ثنائية جديدة مهيمنة هي الهناوية والغافرية، حيث يتרכب كل منهما من قبائل عدنانية وقحطانية، ومن مذاهب سنية وإباضية، وهكذا تغيرت خريطة الاجتماع السياسي العماني<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>- المرجع نفسه ، ص ص 94 - 95.

<sup>2</sup> - J.E.Peterson , op.cit , p44.

<sup>3</sup> - ibid, p32.

<sup>4</sup> - عجم سلطنة عمان .. إندماج كلي ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/GGywz>

<sup>5</sup>- أحمد الإسماعيلي ، مرجع سابق ، ص 101.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

رغم تنوعها المعقد تظل عمان تشكل حالة طائفية فريدة بين دول مجلس التعاون، من حيث علاقات الطوائف وتشابكاتها، وقد ساهمت متغيرات عديدة في نظم العلاقات الطائفية، لعل منها سطوة الانتماءات الأخرى على حساب الانتماء الطائفي والمذهبي، إضافة إلى الصراع السياسي الطويل، وتحالفاته العابرة للطائفية، علاوة على الطبيعة الإمبراطورية لعمان التاريخية، وما فرضه موقعها ودورها من تشكل وعاء مجتمعي جامع ومتعايش بين المكونات المجتمعية. ومثل باقي دول الخليج، لا توجد إحصاءات وبيانات رسمية حول نسب الطوائف والمذاهب في المجتمع العماني.

### 1/ الواقع الديمغرافي والطائفي في قطر وتحديات الأكثرية الوافدة .

الكثافة السكانية في قطر انعكست على التنوع المجتمعي في المجتمع الأصلي، إلا أن التحدي الأساسي يتمثل في انخفاض الكتلة الديمغرافية بشكل كبير لصالح العمالة الوافدة، لا يظهر في قطر توتر طائفي بحكم انخفاض عدد السكان، وانخفاض الطوائف، إضافة إلى الوضع الاقتصادي المريح، والحرية النسبية في الممارسات الدينية .

حسب بيانات الجهاز القطري للتخطيط والإحصاء يبلغ عدد السكان في قطر حتى يناير 2020 نحو 2.773.221 نسمة<sup>1</sup>. يشكل المواطنون 12% منهم بينما يمثل الوافدون 88% المتبقية، معظم المواطنين هم من المسلمين السنة، لا تتوفر أرقام رسمية توضح التركيبة الطائفية، لكن هناك إحصاءات تشير إلى أن السنة يمثلون 90% بينما الشيعة 10% (حسب إحصاءات 2018)<sup>2</sup>. ينحدر سكان قطر من ثلاث موجات رئيسية من الهجرة : الموجة الأولى منها من القبائل التي كانت تسكن ما بين الكويت وساحل الأحساء في ستينيات القرن الثامن عشر، والموجة الثانية جاءت في نهاية القرن التاسع عشر، وهي الجماعات التي فرت بعد التوسع الوهابي ولجأت إلى شبه جزيرة قطر، أما الموجة الثالثة فأنحدرت من المناطق المجاورة ، ومن الساحل الشرقي للخليج<sup>3</sup>.

ينتمي الشيعة البخرانية في قطر إلى أصول من الأحساء والبحرين، بينما ينتمي الشيعة العجم إلى أصول إيرانية، ومعظم شيعة قطر من مقلدي آية الله علي السيستاني، وفي عام 2005 تم إنشاء فرع في

1 - جهاز التخطيط والإحصاء، متوفر على الرابط التالي : <https://www.psa.gov.qa/ar/Pages/default.aspx>

2 - مؤسسة فنك الإعلامية ، السكان في قطر ، متوفر على الرابط التالي : <https://fanack.com/ar/qatar/population/#ethnic>

3 - مصطفى عقيل الخطيب، مرجع سابق ، ص 23.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

المحاكم للشريعة، يَبُتُّ في قضايا الأحوال الشخصية. وللشريعة في قطر العديد من الحسينيات والمساجد، ولديهم بعض المراكز الدينية.<sup>1</sup>

تُقارب نسب الشيعة في قطر ذات النسبة في السعودية، مع اختلاف المعنى العددي للأرقام، كما تُقارب الكثافة السكانية في البحرين، لكن لا يسجل فيها حالة طائفية، تنعكس على الاجتماع والسياسة، وتفرز تفاعلات تستدعي البحث. لكن التحدي المجتمعي ذو البعد الديمغرافي في قطر هو أكثرية العمالة الوافدة، مع حولتها الثقافية، ما يجعلنا أمام مجتمعات مهاجرين من أديان وطوائف وممل ونحل متباينة، تشكل كتلة مجتمعية ذات كثافة عديدة تؤثر في البنية الديمغرافية الهشة للبلاد.

### 2/ التنوع المجتمعي في الإمارات :

يتشابه الواقع الديمغرافي والمجتمعي في الإمارات مع قطر، لكن مع تركيز طائفي أكثر في الإمارات، بفعل الطبيعة التجارية الكثيفة تاريخياً وحاضراً. انعكس سياق النشأة في الدولة القائم على اتحاد ثمانية إمارات على شكل التركيبة الطائفية، حيث تحتضن دبي وأبو ظبي أغلب التشكيلات الطائفية بحكم النشاط الاقتصادي تاريخياً. لكن التحدي الأساسي للمجتمع ليس في تنوعاته الطبيعية الأصلية من محيطه الحضاري، بقدر ما هي تحديات ناتجة عن العمالة الوافدة، والهجرة الاقتصادية ذات الطابع الرأسمالي، وهذا ما يعني تحديات ثقافية وذوبان للمجتمع الأصلي في كتلة ديموغرافية وثقافية مغايرة.

يقدر عدد السكان حسب بيانات الهيئة الاتحادية للتنافسية والإحصاء بـ 9.304.277 نسمة حسب بيانات 2017<sup>2</sup>، بينما تقدم إحصاءات أمريكية عدد السكان في يوليو 2018 بـ 9.7 مليون نسمة يمثل المواطنون منهم 11% فيما يمثل الوافدون 89%، أما عن الإحصاءات الطائفية فالسنة يشكلون 85% من المواطنين، ويمثل الشيعة نسبة الـ 15% المتبقية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - خليل علي حيدر ، مرجع سابق ، ص 2309.

<sup>2</sup> - الهيئة الاتحادية للتنافسية والإحصاء ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/bwBog>

<sup>3</sup> - United States Department of State , Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor, United Arab Emirates 2018 International Religious Freedom Report , the link : <https://www.state.gov/reports/2018-report-on-international-religious-freedom/united-arab-emirates/>

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

تختلف التقديرات حول بداية الوجود الشيعي في الإمارات، فمن قائل أنها سنة 1783، من خلال القادمين من البحرين والأحساء، بينما يرى آخرون أن التاريخ يعود إلى العام 1850، حينما بدأ الشيعة من البحرين والسعودية بالتوافد إلى الإمارات عامة، وإلى إمارة دبي خاصة، وتبعهم من ثم شيعة إيران والهند<sup>1</sup>. تضم دبي أكبر تجمع شيعي في الإمارات، ولذلك تم إنشاء مجلس الأوقاف الجعفرية الخيرية لتسيير أمور الشيعة، ويوجد في دبي أبرز مسجد للطائفة، والعديد من المآتم والحسينيات، وتعتبر كافة مساجد الشيعة وحسينياتهم في الإمارات ملكا خاصا لا تتلقى أي تمويل من الحكومة، كما لا يتم تعيين أئمة مساجد الشيعة من قبل وزارة الأوقاف. وتتمتع الأقلية الشيعية بالازدهار الاقتصادي، لكنها لا تشغل مناصب إدارية أو سياسية بارزة<sup>2</sup>.

إن التركيبة المجتمعية والطائفية شديدة التعقيد في دول الخليج، تشطرها انتماءات هوياتية مختلفة تتشابه وتتمايز في انتماءاتها الأولية، تشكلت هذه البنية الديمغرافية بفعل سياقات تاريخية أساسها الهجرات التاريخية والتبادل التجاري بحكم طبيعة المنطقة ذات السواحل الممتدة على كتل حضارية متنوعة، انعكست على الفسيفساء الاجتماعية في دول مجلس التعاون. تختلف الأهمية السياسية والمجتمعية للانتماءات الأولية من بلد لآخر، فقد تكون الطائفة أساس التمايز كما قد تكون القبيلة، أو الأصول العرقية، لكن السمة الثابتة والمشاركة هي قوة هذه الانتماءات الفرعية وتأثيرها الواضح، وأيضا تقليدية المجتمع وانتماءاته. كما تجمع أغلب دول خليج خاصية الإغراق الديمغرافي بالعمالة الوافدة والهجرات العمالية التي أضحت تشكل تهديدا ثقافيا وهوياتيا قد يعقد الواقع الديمغرافي

### المبحث الثاني: بنية الدولة والسلطة في دول مجلس التعاون .

تتشترك النظم السياسية لدول مجلس التعاون في كونها نظما سلالية وراثية، تُعتبر امتدادا لقبائل تحتكر الحكم والسلطة بحكم عقد اجتماعي مفترض. رغم الاختلافات التفصيلية في شكل السلطة وانتقالها داخل الأسر الحاكمة، أو حتى في مساحة المشاركة السياسية لبقية الشعب، حيث تُمثل الكويت الاستثناء في هذا، إضافة إلى البحرين في مراحل تاريخية سابقة .

<sup>1</sup> - خليل علي حيدر ، مرجع سابق ، ص 2315.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص 2316.



## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

بعد عرض البنية المجتمعية بتنوعياتها وتفرعاتها الهوياتية، نشرع في التعرض لبنية السلطة والدولة وفلسفة الحكم في بلدان الخليج، من حيث أطرها العامة وسماتها المشتركة، من أجل فهم موقع الهوية والتضامنيات في سياساتها الداخلية والخارجية، وكيف تتأسس شرعيتها، وكيف انعكست التحولات المجتمعية والاقتصادية والوظيفية على أدوار هذه السُّلط ؟ وكيف تكيفت مع هذا الواقع ؟.

#### المطلب الأول : الدولة كغنيمة : السلطوية التقليدية وسياسة النظم بأدوات الماضي .

يقول محمد جابر الأنصاري " في عملية النمو التاريخي للسلطة والدولة في المجتمعات العربية المعاصرة، ليس من السهل الفصل الواضح بين ما للسلطة وما للدولة، فالسلطة هي التي تبني الدولة ومؤسساتها وأجهزتها، والسلطة هي حاضنة الدولة لا العكس، أو كما يجب أن يكون"<sup>1</sup>.

الدولة في الخليج العربي هي امتداد لسلطة القبيلة، من خلال تجميع قبائل تدين بالولاء لأسرة حاكمة، عبر عقد اجتماعي افتراضي. عرف المجتمع الخليجي تحولات ناتجة عن الطفرة النفطية وتشكّل النظم السياسية وتزايد أدوارها، انعكست هذه التحولات على الأدوار الاجتماعية والسياسية للتضامنيات الفرعية، حيث لم تختفي بقدر ما تحولت أدوارها. كما بقي الطابع الأبوي والسلطوي لينتقل من سلطان القبيلة، ويمتد عبر مؤسسات الدولة وسياساتها، حكما مطلقا في السياسة والاقتصاد والاجتماع .

مثلت الدولة العربية منذ نشأتها الحديثة، خليطا من تعاضد مكونات وأنماط انتمى بعضها إلى مرحلة ما قبل الدولة، وأخرى على الرغم من حداثتها ودورها في إنشاء الهياكل الخارجية للدولة الحديثة، إلا أنها عجزت عن الارتقاء بممارساتها بعيدا عن سطوة التضامنيات التقليدية وقوتها، التي أصبحت بفعل اتساق موجاتها الثقافية ومصالحها الذاتية مع عناصر البناء الثقافي، قادرة على تعطيل أي تطور جوهري في البنى السياسية والثقافية الحاكمة لمعطيات العمل السياسي<sup>2</sup>.

الدولة التسلطية ليست نظام حكم فحسب، وإنما هي التعبير السياسي عن نظام اجتماعي-اقتصادي، أو نمط إنتاج اصطلح على تسميته رأسمالية الدولة التابعة، تمد الدولة فيه تسلطها إلى النظام

<sup>1</sup> - محمد جابر الأنصاري ، تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القطرية : مدخل إلى إعادة فهم الواقع العربي ، ط2 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1995 ، ص 190.

<sup>2</sup> - باقر سلمان النجار ، الدولة العربية : بين إخفاقات البناء وتعطل الاندماج ، في جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي ،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، ط1 ، 2014 ، ص 51.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

الاقتصادي، فتحتكر ملكية الإنتاج، وإلى النظام الاجتماعي فتقدم نفسها بديلا عن مؤسساته، وتستبدل الأيديولوجيات المتنافسة بأيديولوجيات التسلط، وقيمه الأصلية بقيم الاستهلاك المُتعي، وحضارته بحضارة الخوف والرعب. وتقوم الدولة التسلطية بكل هذا مع بقاء علاقات الإنتاج رأسمالية، أو مبنية على الاستغلال الطبقي، مهما مؤه عليها<sup>1</sup>.

الباتريمونيالية بصيغتها التقليدية هي في الأساس علاقة تقوم على قواعد غير رسمية تكون الزبونية هي شكلها الأساس، ويستخدم فيها الفرد ذو الوضع السيئ - اقتصادي الأعلى (الراعي Patron) نفوذه وموارده الخاصة لإيجاد الحماية أو المنافع، أو كليهما لشخص أدنى منزلة منه (العميل Client) يعرض من جانبه الدعم بمعناه العام، ومنها الخدمات الشخصية<sup>2</sup>. تمثل هذه العلاقة العقد الاجتماعي المفترض بين المجتمع والسلطة في النظم التقليدية، وهي امتداد أو تطوير بالأحرى للعقد القبلي .

إن من سمات المجتمع العسبوي عدم استقلال الدولة فيه كصعيد خاص، بل تحولها إلى كيان يمثل امتدادا للطائفة والقبيلة والمذهب، وهو ما يُشرِّع بالتالي لصيرورة النظام السياسي نظاما عسبويا: قبليا أو طائفيًا<sup>3</sup>. ما تستدعيه هذه الطبيعة من أدوات الماضي في الولاء والطاعة والحكم المطلق والمواجهة مع الآخر. كما تُحدث حالة من التوحد بين السلطة باعتبارها تمثيلا للأسرة والقبيلة، وبين الدولة بأجهزتها ومؤسساتها والانتماء لها، هذا التداخل يجعل أي مطالب إصلاحية، مزاحمة للقبيلة أو الطائفة في حيز النفوذ، وهذا يستدعي ردة فعل.

التوزيع اللامتكافئ للفرص والمنافع، في أي مجتمع من المجتمعات في ظل الصراع مع الآخر ومحاربتة، يدفع بالأفراد إلى الاحتماء الشديد بالجماعة، مما يعزز من مكانة الجماعة عند الفرد وتضخمها على حساب الانتساب الأوسع والأشمل. ويتحول عنصر الانتماء للجماعة: القبلي أو الديني أو المذهبي أو الإثني إلى هوية أو هويات يرى الفرد نفسه من خلالها، لقدرتها على تحقيق قدر أكبر أو

1- خلدون النقيب، المجتمع في الخليج والجزيرة العربية من منظور مختلف، مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي محور المجتمع والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008، ص 160.

2 - أشرف عثمان محمد الحسن، الدولة النيوباتريمونيالية في المشرق العربي: في المنطق العسبوي وإعادة إنتاج الطائفة، في المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2017، ص 196.

3 - عبد الإله بلقزيز، دور الدولة في مواجهة النزاعات الأهلية، في النزاعات الأهلية العربية: العوامل الداخلية والخارجية، ص 55.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

أصغر من حاجاته، ويتم تلبية حاجات الفرد من خلال الجماعة، بدءاً بالحاجة للانتماء، وانتهاءً بالكسب والعيش والزواج<sup>1</sup>. تصبح الجماعة هي حيز الرعايا والأفراد، ويتآكل الانتماء لصالحها .

يتحدث عبد الله العروي على الحد الأدنى من الإجماع الذي يفضي إلى تشكل الدول وثباتها، فيقول: لكي تتكون أدلوجة دولية لا بد من وجود قدر معين من الإجماع العاطفي، والوجداني، والفكري بين المواطنين، وهذا الإجماع ولید التاريخ، وفي نفس الوقت تعبير عن مصلحة حالية<sup>2</sup>.

حافظت الدولة العربية عموماً والخليجية على وجه الخصوص، على مجموعة من التراتبيات والتمميزات التاريخية، أي: أنها كانت تخلط التاريخي بالسياسي وبعملية بناء الدولة. وبكلمة مجردة كانت هذه الدولة تمزج بين حقل الدولة وحقل التاريخ، بحيث يكون التاريخ جزءاً من بناء الدولة. مساحة التاريخ هذه في جسد الدولة هي ذاكرتها. غير أنها (الذاكرة) لم تستطع أن تكون النسيج الموحد للأمة، إنها ذاكرة انقسامية تعيد إنتاج الماضي، وتراتبياته، وطبقاته، ووجوه حكامه ومحكوميه<sup>3</sup>. لأن التاريخ لا يمثل الجميع، بقدر ما يمثل تاريخ هوية فرعية من المجتمع، كان الحكم لها غالباً بالضم القسري، فالعجز المواطني يجد مورده كذلك في سردية النشأة وتاريخ الدولة المختزل في ماض الأسرة الحاكمة.

إن محاولة تحقيق الاحتكار الفعال لمصادر القوة والسلطة في المجتمع، تفترض خلق تقسيمات عمل جديدة بين القوى الاجتماعية والسياسية الممثلة في التضامنيات، بحيث تتمكن الأسر الحاكمة من التلاعب بها للحفاظ على الوضع القائم والترتيبات الاجتماعية المختلفة في المؤسسات القبلية والطائفية والدينية، وهذا هو العنصر الذي يعطي صفة الفعالية لاحتكار مصادر القوة والسلطة في المجتمع<sup>4</sup>. فتصبح السلطة كتلة موحدة تمثل مصالح أسرة أو طائفية أو قبيلة، تحتكر الحكم المطلق والنفوذ على السياسة والاقتصاد والأمن، في مواجهة تضامنيات مستنفرة تجاه بعضها، تسعى للتقرب من المركز السلطوي عبر الولاء، والذي يعني زيادة المنافع والمصالح للجماعة.

1 - باقر سلمان النجار، الفئات والجماعات : صراع الهوية والمواطنة في الخليج العربي، في الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط2013، ص316.

2- عبد الله العروي ، مفهوم الدولة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1981، ص06

3- حيدر سعيد، المسألة الشعبية في المخيال السياسي العربي، مجلة آفاق المستقبل، الإمارات، العدد 8 نوفمبر/ ديسمبر 2010، ص 10.

4 - خلدون النقيب، مرجع سابق ، ص 152.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

يرى رامي خوري بأن المجتمعات العربية مازالت في مرحلة ما قبل الدولة، حيث أن الدول التي تم رسم حدودها، تم تسليمها بعد ذلك إلى رؤساء محليين. ومع غنى هذه الدول بعوائد النفط، وانخراطها في صراعات القوى الكبرى، إلا أنها لم تكن مؤهلة لإدارة ذاتها ككيانات سياسية مستقرة ومعاصرة، فلم يتواجد في تاريخها ما يؤهلها لهذا الدور لا في ذلك الوقت ولا الآن<sup>1</sup>. إذ وجدت ككيانات وظيفية في إطار استراتيجيات القوى الكولونيالية، التي حددت لها حيزها وحدودها، ورافقت تشكل جهازها الإداري والأمني، وعلاقاتها الدولية. وهذا عوض أن تُعبر عن كتلتها المجتمعية في إطار التشاركية.

تأسست الدولة في الخليج العربي على قاعدة تمكين عصابات محلية: طائفية أو قبلية أو عشائرية، من كيان سياسي تتوسع به حدود سيطرتها الاجتماعية والسياسية إلى نطاق جغرافي يفيض عن حدودها البشرية، أي على نحو تتجاوز فيه الجغرافيا السياسية مجال الجغرافيا البشرية. بناء عليه جاءت ظاهرة الدويلات في المشرق العربي عموماً - ومنها دول الخليج- تمثل تسوية استعمارية بين بنية الدولة - الأمة، وبنية القبيلة<sup>2</sup>.

النظام الميراثي ورغم إبداءه الاستعداد لقبول بعض مظاهر التحديث، إلا أنه كان عاجزاً عن وضع تصورات تخص الدولة والمجتمع، وبالتالي فإن الحدود الواقعة بين السلطة السياسية والسياسة المجتمعية كانت تعوزها الخبرة المشتركة، التي تضمن للتحديث السياسي بالعمل داخل نطاق الدولة. ولمّا كان مفهوم الدولة مفهوماً غائباً لم يتبلور بعد، حتى السنوات الأخيرة للنظام الميراثي، فقد ظلت الأمور تدار بآليات مشابهة لتلك الآليات المعمول بها في النظام المشيخي<sup>3</sup>. فأضحت الدولة امتداداً جغرافياً لسطوة القبيلة، وأصبح الرّيع مغنماً لهذا السلطان .

إن الدولة العصبوية هي بالضرورة، دولة طائفية (بالمعنى الشامل للطائفة لا بالمعنى الديني حصراً)، وهي ليست دولة الأمة أو المجموع الاجتماعي حتى لو كانت سلطتها وقوانينها سائدة في مجموع التراب الوطني، إنها في اللغة النظرية للفكر السياسي الحديث ما قبل الدولة. وبمقدار ما تبدو الدولة متصالحة

1- ديبورا أموس، أفول أهل السنة: التهجير الطائفي وميليشيات الموت وحياة المنفى بعد الغزو الأمريكي للعراق، ترجمة: محمد فاضل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2014، ص 96.

2- عبد الإله بلقزيز، دور الدولة في مواجهة النزاعات الأهلية، في النزاعات الأهلية العربية: العوامل الداخلية والخارجية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص 57.

3- عباس المرشد، الطائفية الجديدة والتحرّك المذهبي في البحرين، مرجع سابق.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

مع المجتمع العسبوي، متقومة على توازناته، تبدو غريبة عن المجتمع ومصالحة وخلفيته الثقافية ونظمه القيمة، بل هي لا تميل إلى مصالحة البنى العسبوية إلا لإخفاء حالة الانكشاف لمضمونها غير الوطني وغير الاجتماعي الأصيل<sup>1</sup>. لأن سياقات نشأتها لم تكن تعبيراً عن متطلبات الداخل وتوافقاته، بقدر ما كانت غلبة عسبوية لغايات وظيفية ضمن استراتيجيات دولية .

إن مجتمعات الخليج العربي هي مجتمعات قديمة ولها ذاكرة تاريخية موعلة في القدم، ولكن دولها بالمعنى الحديث ليست كذلك، ولا تمتلك جذورا تاريخية ومعرفية في النسيج الاجتماعي الخليجي. وبفعل ضيق القاعدة الاجتماعية للسلطة، بقي النسيج الاجتماعي على انقساماته العمودية والأفقية، ولم يتبلور في الفضاء الوطني لكل دولة خليجية مشروعا فعليا يتجاوز حدود المذاهبات والقبليات والاثنيات<sup>2</sup>.

تتمتع الدولة في منطقة الخليج بخصوصية من حيث علاقتها بالمجتمع، حيث أن بعض السياسات والتنظيمات والتشكيلات في دول الخليج، تبدو في هياكلها الداخلية، ولربما في بعض آليات عملها منتسبة إلى عالم النظم الحديثة، لكنها تخضع في متوجها الرمزي لسياقات ثقافية ينتسب بعضها إلى مرحلة ما قبل الدولة أو قبل المجتمع الحديث، حيث السلطة في هذه المؤسسات تبقى أحادية النزعة، كما أن معايير الانتساب إليها قائمة على معايير الغزو والعسبوية<sup>3</sup>. لذلك تتعامل مع مؤسسات الدولة وريعتها باعتبارها غنيمة صراع اجتماعي. وكما توفر الآليات الحديثة إمكانات تحكم وسيطرة في تسيير الدولة، فإن سياسة الهوية، وآليات عمل مجتمعات ما قبل الدولة، توفر إمكانات سيطرة وتحكم على القوى المجتمعية، وتضمن الولاء والسلطة، وتُحيد أي منافسة على السلطة (الغنيمة) .

في مجتمعات ما زالت التشكيلات وحالات التضامن لما قبل الحداثة، كالقبيلة والطائفة والجماعة الإثنية، تؤدي وظائف سياسية واقتصادية وثقافية من حيث علاقتها بالدولة أو علاقتها بالفرد، فإن أي استئثار لها ستقود إلى قدر من الهيجان والحماسة العاطفية، يأخذ غالبا منحا عسبويا مدمرا. وهو في ذلك يثير معضلة عجز عمليات التحديث عن بلوغ مرحلة تشكيل مجتمع المواطنة<sup>4</sup>. وهي مآلات تحبذها

1 - عبد الإله بلقزيز ، دور الدولة في مواجهة النزاعات الأهلية ، مرجع سابق ، ص 58.

2- محمد محفوظ، الدولة والطائفية في الخليج العربي، متوفر على الرابط التالي : <https://annabaa.org/arabic/studies/22038>.

3 - عبد الله باعبود، عرض كتاب باقر سلمان النجار الحداثة الممتعة في الخليج العربي : تحولات المجتمع والدولة ، المستقبل العربي ، العدد 486، أغسطس 2019، ص 149.

4 - باقر سلمان النجار، مرجع سابق ، ص 330.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

النظم، حيث تمكنها من مواجهة المطالب الإصلاحية، بحجة أن الآليات التمثيلية ستعكس صراع هويات، وليس تنافس برامج. وهنا تظهر وظائف سياسية أخرى للتضامنيات، باعتبارها كاجبا للدمقرطة. وتصبح السلطة الحاكمة ضامنا لعدم الانفلات للحالة الهوبزية .

تمثل الدولة الخليجية المعاصرة، استمرارا لسلطة القبيلة والمجتمع التقليدي، لكنها في المقابل تمثل تغيرا عن هذا النمط، باتساع رقعة الحكم، وتغير علاقات السلطة بالرعايا بشكل يختلف عن النظام القبلي التقليدي، الذي يتضمن ندية بين عصابة الحاكم وبقية العُصب، وأيضا بوفرة الفوائد الريعية، التي زادت من نفوذ السلطة، وضمنت لها الحفاظ على الولاء. أبقى الدولة الخليجية المعاصرة على مكونات مجتمع ما قبل الدولة ووظائفها السيسو-سياسية، وجعلتها مرتبطة بالسلطة المركز، التي تضمن الأمن والثروة، رغم أنها لا تمثل في نشأتها تعبيراً عن توافق داخلي أو مشروع مجتمعي جامع، بقدر ما تمثل حاجة إستراتيجية لقوى دولية.

### المطلب الثاني: الدولة الخليجية والعوائد السياسية للريع بين الهندسة الاجتماعية

#### والرعاية الكولنيالية .

يعتبر نموذج الدولة في بلدان مجلس التعاون نموذجا فريدا في العالم المعاصر، يجمع بين الانتماءات التقليدية، وبين الهياكل البيروقراطية الحديثة. إذ تتأسس الدولة الخليجية على ركائز مجتمعية واقتصادية (ريعية)، توفر لها الأولى العصبية الاجتماعية التي تُسوغ سلطتها، وتمكنها الثانية من مد المصالح والمنافع على أساس الولاء، ولضمان استمراره. فتكون السلطة هي القطب الذي تلتف حوله التشكيلات الاجتماعية المتنافرة، وتصبح المركز الذي يضمن الرفاه والأمن. إن هذا العقد الافتراضي لا يقتصر على الداخل الخليجي، بل يمتد إلى صوغ العلاقات الدولية لهذه الوحدات، عبر تحالفات تضمن لها الحماية مقابل تدفق الطاقة .

يمكن تسمية نظام الحكم الذي برز في الخليج بالحكم المطلق المحدث نفطيا petro-modernized absolutism، بحيث قد يكون أدق وصف لدول الخليج من ناحية فنون الحكم هي أنها إمارات محدثة نفطيا، ويختصر هذا المصطلح أهم مميزات نظام الحكم في بلدان الخليج، باعتبارها إمارات تعتمد نظام الحكم المطلق، لكنه حكم مطلق مبني على بيروقراطيات القرن العشرين، كما اعتمدت هذه الإمارات على

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

النفط بصورة أساسية لبناء نفسها<sup>1</sup>. يجري فهم توسعة الجهاز البيروقراطي بوصفه تمديدا للشبكات الباتريمونالية، وهي الشبكات التي يمكن تفحص علاقتها بخطوط التقسيم الإثنية، وهذا الواقع من المتغيرات المساهمة في فهم حالة الانبعاث الطائفي التي تختبرها مجتمعات المشرق العربي<sup>2</sup>. إن هذه التوجهات السياسية تتقوّم على فكر سياسي يقارب الدولة كغنيمة، بحكم السلطة المطلقة للأسر الحاكمة، وتعتبر أي حالة تشاركية أو إدماجية في مؤسسات الدولة، بمثابة إشراك لمكونات اجتماعية أخرى في الغنيمة، بغرض الولاء والطاعة وصيانة الشرعية.

هناك علاقة بين النفط والديمقراطية في دول الخليج تتجلى في ثلاثة جوانب:<sup>3</sup>

- الأول: يتمثل في أن توافر المداخل النفطية يمكّن من شراء شرعيتها عبر زيادة الإنفاق الاجتماعي .

- الثاني: يتمثل في أن توافر مداخل نفطية كبيرة يمكّن من بناء آلة أمن قوية تساعد على القمع .

- الثالث: وفرة الربح تؤدي إلى ضعف التحديث الصناعي الذي يساعد على نشوء طبقة وسطى قوية تدعم التغيير .

بناء عليه، هناك علاقة تكوين متبادل بين النفط (الريع) والسلطة في الخليج، وأي انخفاض في هذه المداخل سيعمل على إدخالها في أزمات مركبة، ويدفع لظهور الهويات الفرعية كهيئات تحتضن المطالب الاجتماعية، في ظل ندرة أو انعدام الهيئات التمثيلية المدنية. كما أن شح الربح وانخفاض المداخل سيعني انتفاء الحاجة للنظم الوظيفية في السياق الدولي .

لعل من أبرز ظواهر عهد النفط هو تغير موقع القبيلة. وتتباين هذه الظاهرة بحسب مجتمعات الخليج العربي، وبحسب نوع المركز الحضاري وبعده عن العواصم. حيث كانت أقوى بين البدو والرعاة، مما هي عليه بين الحضر، ومراكز الصيد الساحلية. وقد ساهم تغير نمط الحكم وعلاقات الإنتاج في مرحلة الطفرة النفطية في تراجع القبيلة، نظرا لأن الدولة الجديدة سحبت منها كثيرا من عوامل قوتها

1- عمر هشام الشهابي ، نقيض المواطنة : تاريخ نشوء الحكم المطلق في بلدان الخليج العربية ، في تيارات المواطنة في الخليج ، مركز الخليج لسياسات التنمية ، الكويت 2019، ص 46

2- أشرف عثمان محمد الحسن ، ا مرجع سابق ، ص 192.

3- شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 193.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

الاجتماعية والاقتصادية والأمنية<sup>1</sup>. بحيث انتقلت وظائف القبيلة إلى الدولة، هذه الأخيرة التي بقيت "قبيلة" ولكن بسلطات وامتداد أكبر وموارد أكثر، وهذا راجع لتغير علاقات الإنتاج، ومصادر الثروة، التي لم تعد تستدعي العمل الجماعي الذي يفرض المشاركة في الثروة، تغير نمط الإنتاج أدى إلى تغيرات لافتة في البناء الاجتماعي والسياسي.

في ممالك النفط الخليجية، البذور الأولى للدولة تتكفل بغرسها وحدة ثقافية اجتماعية بدائية، تتمركز حول الموارد، بعد نجاحها في بسط السيطرة على الجغرافيا وتحديد الخصوم بالقوة والسياسة، وفي وقت لاحق، تنحصر مهمة هذه الوحدة أو "السلالة" في احتكار الثروات ومراكمة النفوذ السياسي، بالإضافة إلى بعض الأدوار الضرورية الأخرى، مثل حفظ أمن الجغرافيا والاتصال مع الجيران من جهة، وتوزيع الفوائد على بقية الوحدات الأصغر على أساس النفوذ والانتماء إلى "السلالة" المسيطرة من جهة أخرى<sup>2</sup>. تشكل مضامين هذه العلاقة أركان العقد الافتراضي بين الحاكم والمحكوم .

تُقن دساتير دول مجلس التعاون التمييز بين الأسر الحاكمة وبقية الرعايا، باستثناء الدستور الكويتي الذي يقيد بعض الشيء سلطات الأسرة الحاكمة، حيث أنه ينص في مادته السادسة من الباب الأول على أن " نظام الحكم في الكويت ديمقراطي، السيادة فيه للأمة مصدر السلطات جميعا، وتكون ممارسة السيادة على الوجه المبين بالدستور"<sup>3</sup>. إذ يتسم الخلل السياسي في دول مجلس التعاون بالعلاقة غير المتكافئة بين السلطة السياسية والمجتمع، فتتفرد العوائل الحاكمة بالتحكم في الموارد الطبيعية، وصنع القرار السياسي، ليغيب على هذا الأساس مبدأ المواطنة الكاملة، القائمة على تساوي الحقوق والواجبات بين جميع المواطنين، بل تطالب السلطة بقبول غير مشروط بهذا العقد الاجتماعي (أو ما يسمى بالولاء) في مقابل الحصول على امتيازات حصرية للمواطن، أي حصة من الربح<sup>4</sup>.

1 - بدرية البشر، وقع العولمة في مجتمعات الخليج العربي: دبي والرياض أنموذجاً، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008، ص 84.

2 - فريق التحرير لموقع نون بوست، آل الصباح .. جذور العائلة الحاكمة في الكويت ومستقبل الحكم، متوفر على الرابط التالي : <https://www.noonpost.com/content/35761>

3 - يوسف خليفة اليوسفي، مجلس التعاون الخليجي في مثلث الوراثة والنفط والقوى الأجنبية، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2011، ص 29.

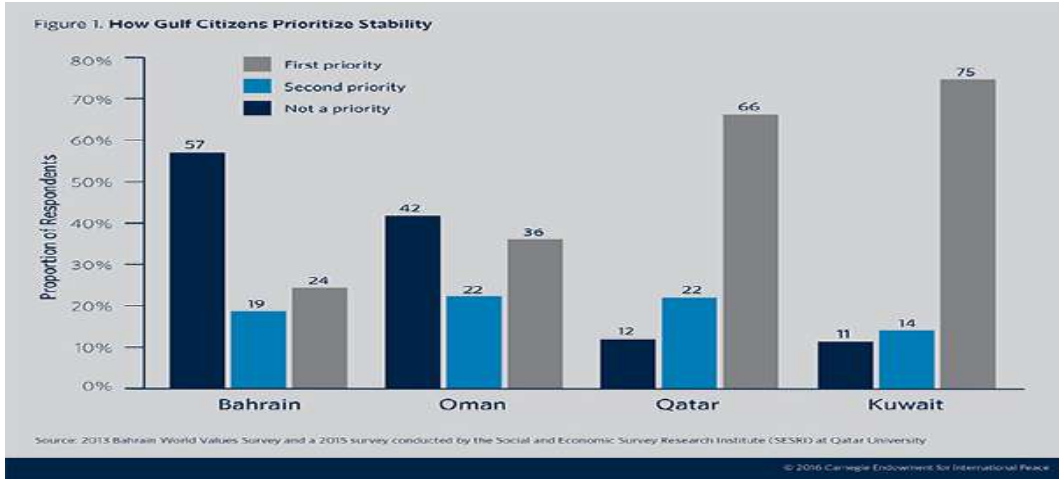
4 - عمر هشام الشهابي وآخرون، مرجع سابق ، ص 19.



## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

إن الهندسة الاجتماعية هي من أبرز خصائص الدولة في الخليج، والتي تشكلت بفعل المال النفطي، الذي أعطى النظم قوة في إعادة تشكيل نسيجها الاجتماعي الداخلي : حضر مقابل بدو، سنة مقابل شيعة، عرب مقابل عجم أو هولة، لليبراليون مقابل إسلاميين، مواطنون مقابل أجانب أو وافدين. بل إنه ساعدها على إدارة المنافسة والصراع فيما بينها<sup>1</sup>. إذ توفر هذه الثنائيات وظائف سيسيو - سياسية، من حيث كبح المطالب الإصلاحية، وتصوير السلطة باعتبارها الضامن للرفاه والأمن، والحامي من تغول الفئات الاجتماعية تجاه بعضها.

الشكل 04: مكانة الاستقرار السياسي بين أولويات المواطن الخليجي



المصدر : Justin Gengler, The Political Economy of sectarianism in the Gulf , the website :<https://carnegieendowment.org/2016/08/29/political-economy-of-sectarianism-in-gulf-pub-64410>

هذا النوع من الحكم ليس تقليدا متجذرا منذ القدم، كما في الصورة النمطية السائدة، بل هو حديث نسبيا على المنطقة، وقد برز أساسا في القرن العشرين، حيث تم رسم الإطار العام لهذا النوع من الحكم في الخليج من جانب الاستعمار البريطاني، بناء على ما كان يمارس في إمارات الهند المحلية، وبعدها تطور ليتخذ صورة فريدة في نوعها في العالم<sup>2</sup>. وقد بنت كل عائلة حاكمة سلطتها عبر التحكم في مفاصل القوة التالية :<sup>3</sup>

- الحصول على الدعم والاعتراف من القوى الغربية .

1 - عبد الله باعبود ، مرجع سابق ، ص 149.

2- عمر هشام الشهابي ، نقيض المواطنة : تاريخ نشوء الحكم المطلق في بلدان الخليج العربية ، المرجع السابق، ص 50

3- المرجع نفسه ، ص 51

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

- التحكم في إيرادات الدولة النفطية وأوجه إنفاقها .  
 - التحكم في مفاصل الأجهزة البيروقراطية ومؤسسات الدولة .  
 - التحكم في الموارد الاقتصادية الحيوية غير النفطية و خصوصا الأراضي .  
 وعليه فهذا النموذج السلطوي متمركز حول النفط، والعلاقات الاجتماعية-السياسية وكذلك العلاقات الدولية فيه مرتبطة بضمان استمرار هذا النمط من علاقات الإنتاج، لذلك فإن أي خلل أو تغير في نمط علاقات الإنتاج والنشاط الاقتصادي، سينعكس حتما على البناء الاجتماعي والسياسي .  
 انتقل نظام الحكم في الخليج من التحالف القبلي التقليدي، حيث يسود التحالف القبلي، ويكون الشيخ هو الأول بين متساويين، إلى حكم أسر مالكة تقوم على الغلبة، مع بقاء شيء من شكل التحالفات القبلية القديمة، وما يرتبط بها من علاقة نسب ومجاملات. ويعود هذا التحول إلى المعاهدات التي أبرمتها بريطانيا مع حكام الخليج، كما يعود إلى الموارد التي توفرت للحكومات من النفط. وقد أدت هذه التحولات إلى تراجع المشاركة السياسية، بشكل عام عندما ضعفت مراكز القبائل والعائلات وقويت مراكز الحكام والعائلات الحاكمة<sup>1</sup> . فلم تعد السلالات الحاكمة بحاجة إلى التحالفات القبلية لضمان السطوة والثروة، اللذين وفرتهما القوى الدولية والريع النفطي .

### جدول 01: العائلات الحاكمة في دول الخليج العربية

الدولة	العائلة الحاكمة	بداية فترة حكم العائلة	أول اتفاقية وقعت مع الإمبراطورية البريطانية
الإمارات - أبوظبي	آل نهيان	1761	1820
الإمارات - دبي	آل مكتوم	1833	1853
الشارقة ورأس الخيمة	آل قاسمي	1727	1820
البحرين	آل خليفة	1783	1820
السعودية	آل سعود	1744 (الدولة السعودية الأولى)	1915
قطر	آل ثاني	1847	1916
عمان	آل بو سعيد	1744	1798
الكويت	آل صباح	1752	1899

1 - علي خليفة الكواري، الخليج العربي والديمقراطية: نحو رؤية مستقبلية لتعزيز المساعي الديمقراطية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002، ص 55.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

المصدر : عمر هشام الشهابي ، نقيض المواطنة : تاريخ نشوء الحكم المطلق في بلدان الخليج العربية ، المرجع السابق، ص

50

تفاوتت حدة الاستعمار والنفوذ البريطاني بين دول الخليج في إطار سياسة "الحكم غير المباشر" (indirect rule)، فكانت على أشدها في البحرين وأضعفها نسبياً في الكويت. وتمثل الاستثناء الأبرز في العربية السعودية، التي كانت في خضم تكوين الدولة السعودية الثالثة، والتي لم يطلها الاستعمار مباشرة، إلا أنه كان له نفوذ محوري فيها أيضاً. لكن من الملاحظ أن الاستعمار البريطاني قد ثبتت حكم العوائل المختلفة في الخليج وشبه الجزيرة العربية.<sup>1</sup> ورافقها في تكوين مؤسساتها وهياكلها، وفي إدارة علاقاتها المجتمعية والدولية.

وحتى يتم ضمان استمرارية وإعادة إنتاج "الدولة" ونظام الحكم الذي ثبتت عليه\*، فقد كانت الطريقة تركز على تثبيت أفراد من العائلات الحاكمة في أسس مفاصل الدولة، وخصوصاً في مفاصل المؤسسات المتعلقة بالقسر والمال والتي سميت "بالسيادية"، أي الشرطة (ومن بعدها الجيش) والمحاكم، بالإضافة إلى وزارة المالية (ومن ثم انضمت وزارة الخارجية بعد الاستقلال)<sup>2</sup>.

كان لظهور النفط وما رافقه من تغير في علاقات الإنتاج، التي انتقلت من الندية التشاركية، إلى السيطرة المطلقة على موارد الريع، أثره في تغير البناء السياسي والاجتماعي في دول مجلس التعاون، فتحول دور القبيلة، سواء المتغلبة أو القبائل التابعة. لم ينفي هذا السياق الجديد دور الهويات الأولية، بل سحب من أدوارها لصالح الأسرة الحاكم، التي تركزت في يدها كل الأدوار، لكن بقيت المكونات المجتمعية لتمثل أفرادها، ولتحافظ على الوظائف السلطوية. إن هذا النموذج هو تعبير عن زمن النفط وتغير علاقات الإنتاج، والوظائف الإستراتيجية لهذه النماذج في تأمين مصادر الطاقة، وفي الحفاظ على التقسيمات الاجتماعية لمنع تشكل جبهة مطلبية موحدة، تمثل تحدياً لإعادة إنتاج السلطة ووظائفها .

<sup>1</sup>- عمر هشام الشهابي ، مرجع سابق ، ص 53.

\*- في غضون خمس سنوات بين 1965 و1970، تمكن البريطانيون من عزل 3 حكام قسراً في جنوب الخليج (الشارقة عام 1965، وأبوظبي عام 1966، وعمان عام 1970)، هذا بالإضافة إلى الحاكمين الذين تم تدبير "تنازلهما" في قطر في 1949 و1960. للمزيد أنظر عمر الشهابي ، مرجع سابق ، ص 53

<sup>2</sup>- نفس المرجع، نفس الصفحة.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

### المطلب الثالث: إدارة التضامنيات: الوظائف السييسيو - سياسية للتقسيمات المجتمعية في البلدان الخليجية.

الطبيعة الفريدة لأنظمة الحكم في دول مجلس التعاون، والتي تمزج بين البنية التقليدية والأدوات الحديثة في السيطرة، تقتضي آليات عمل خاصة بهذه البنية المركبة، حيث تقوم السياسة على إدارة الهويات الأولية، والحفاظ على حالة الولاء والتبعية للمركز السلطوي، عبر أدوات الريع والقهر. لا تقتصر المكونات على التشكيلات القبلية، بل تعتمد توظيف كل الثنائيات الانقسامية في المجتمع .

يشير عالم الأنثروبولوجيا لويس هنري مورجان أن المجتمعات القبلية توجد فيها مؤسسات اجتماعية وليست مؤسسات سياسية<sup>1</sup>. حيث تمثل القبيلة نظاما اجتماعيا تميزت به الجزيرة العربية، ويندر أن تجد إقليما آخر أو أي وحدة سياسية عاش فيها النظام القبلي آلاف السنين مثلما عاش وازدهر في هذه البيئة. وقد كان للإرث القبلي، كما للقبلية السياسية وجهها السلبي، فقد أدى رسوخ القبيلة في مجتمعات دول مجلس التعاون إلى اعتبار الانتماء إليها هو الهوية الحقيقية، الأمر الذي أثر سلبا في كثير من الأحيان، في إمكانيات نمو وتنظيمات المجتمع المدني الحديثة. كما تربط الوشائج القبلية حكام دول الخليج بمجموعات هائلة من شعوبها<sup>2</sup>. يمكن الإشارة إلى ثلاث صفات مميزة للنظام البدوي السياسي: <sup>3</sup>

1- أنه نظام في ذاته ولذاته: القبيلة هوية خاصة تجمع بين أعضائها وتميزهم عن الغير. فالنظام البدوي ينظر إلى العصابة القائمة على القرابة الدموية باعتبارها البيئة الطبيعية للسلطة وجودا وممارسة، ويرى في القوة المتأنتية من استثمار العصابة حقا لأهلها. فتحول القبيلة إلى دولة لم يترتب عنه تخلي القبيلة عن مفهوم العصابة القديم .

2- أنه نظام عضوي،تعتمد المكانة فيه على النسب لا الإنجاز: وهذا راجع لفلسفة النظام البدوي، باعتباره نظاما عضويا لا تعاقديا، والأعضاء المرتبطون قرابيا بالنظام هم شركاء طبيعيين، وكل من خارجهم أجنب .

<sup>1</sup> - Yagoub Yousif Al-Kandari and Ibrahim Naji Al-Hadben, Tribalism, Sectarianism, and Democracy in Kuwaiti Culture, digest of Middle East studies. Volume 19, Issue 2, September 2010, P270.

<sup>2</sup> - خليل علي حيدر ، مرجع سابق ، ص 2276.

<sup>3</sup> - توفيق السيف ، تفكيك الاستبداد : الاستبداد وآليات إعادة إنتاجه والسبل الممكنة لمواجهة (دراسة جالة) ، في الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1، 2005، ص ص 224-225-226-227.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

3- أنه نظام يتحدد مفهوم السلطة فيه بالقهر: لأن السلطة فيه ليست قائمة على العقيدة المشتركة بين الحاكم ومجموع رعيته، بل بينه وبين الأقلية التي يعتمد عليها لإخضاع الأكثرية . في هذه البنية التقليدية فإن آليات العمل هي ذاتها لكل التكوينات الاجتماعية، سواء كانت قبيلة أو طائفة أو قومية، فالعبرة هي بوجود جماعة متميزة، تتنافس مع جماعات مقابلة. هذه المنظومة تتيح للسلطة العمل على مستويات انقسامية متنوعة، بذات الآليات ولذات الأهداف .

تتحكم الأسر الحاكمة عبر التضامنيات corporations غير الرسمية، وعن طريق التلاعب بالقوى الاجتماعية في تقسيمات عمل مستجدة، والمقصود بالتضامنيات هو القوى الاجتماعية المتضامنة، التي يتاح لها التعبير عن نفسها ضمن مؤسسة الحكم، بواسطة رؤساء معينين أو محددين تعترف بهم الدولة، وهناك تضامنيات غير رسمية من هذا النوع (عدا الأسر الحاكمة) منها :<sup>1</sup>

- المؤسسة القبلية : شيوخ القبائل الذين تتعامل معهم الحكومة على المستوى المحلي .
- التجار : كبار التجار ورؤساء العائلات التجارية .
- المؤسسة الطائفية : قادة الطوائف الدينية .
- المؤسسة الدينية : القادة الدينيين الممثلون للحركات الدينية .

إن حجة الحكم الأسري في بلدان عربية متعددة، أن دور الأسرة والفرد المنتمي لأسرة لها "جذور وأدوار سياسية تاريخية"، يبرز بسبب غياب المؤسسات السياسية والاقتصادية المتطورة، ونسب التعليم العالية. وعليه فطبيعي في مثل هذه المجتمعات الانتقالية أن يتعزز دور الأسرة، لأنه يصبح السبيل الأمثل لإبقاء حالة الوحدة بين الطوائف والفئات والقبائل غير المتجانسة، والشرعية العامة للأسرة تتحول إلى مؤسسة متكاملة للحكم تعوض نسبيا غياب التجانس الاجتماعي، وغياب المجتمع المدني، وضعف المؤسسات السياسية الفعالة<sup>2</sup>. لكن التطور التاريخي للتجربة السياسية في بلدان المجلس يبين أن هذا الواقع سياسة موجهة وإستراتيجية مقصودة، تعتمد إضعاف الهيئات المدنية العابرة للهويات، لأنها تصوغ وعيا جامعا، متجاوزا للانتماءات الأولية، يشكل أرضية لمطالب إصلاحية، قد تكون جذرية ومزعجة

<sup>1</sup> - خلدون النقيب ، مرجع سابق ، ص 149.

<sup>2</sup> - ثناء فواد عبد الله ، الدولة والقوى الاجتماعية في الوطن العربي: علاقات التفاعل والصراع ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1، 2001، ص 200.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

للسلطة، عكس التضامنيات التي تعبر أكثر عن الممارسة الأنانية للمنافسة الصفرية. إن الكابح الرئيسي لمثل هذه التناقضات هو الريع الذي يمكّن العصبية الحاكمة من شراء السلم الاجتماعي، وإحكام القبضة الأمنية، والأهم أنه يوفر لها الغطاء الدولي عبر التحالفات .

نموذج الحكم الحالي في بلدان مجلس التعاون مُصادم ومتعارض مع النظام القبلي الذي كان سائداً قبل ظهور النفط والوجود الأجنبي. علاوة على كونه نموذجاً نتج عنه كثير من التبذير لموارد المجتمع.<sup>1</sup> فالنظم الحالية هي عبارة عن اختزال للنظام القبلي في أسرة واحدة، اعتمدت في فترة ما على بقية الأسر والقبائل، مالياً وأمنياً، لتكوين إمارتها، ومع ظهور النفط والوجود الأجنبي في المنطقة، تخلت هذه الأسر عن بقية القبائل مالياً وأمنياً. وأصبحت تستقرد بالثروة والسلطة وأصبحت شبيهة بالنظام الطبقي.<sup>2</sup> بفعل التمايز المُدسّر بين الطبقة الحاكمة وباقي تكوينات المجتمع، لكن روح النظام القبلي مازالت مستمرة، وتبرز جلياً في سياسات الهوية المتبعة، التي تصنف المجموعات بناء على انتماءاتهم الأولية قبلية كانت أم طائفية، كما تشير التجربة السياسية والمجتمعية إلى عدم توفر الرغبة في تكوين هيئات مدنية أساسها الانتماء الوطني وتمثل فضاء جامعاً، وهذا من أجل الحفاظ على البنية التقليدية وعوائدها السياسية .

تراجع دور القبيلة لا يعني أن ترسبات النظام القبلي قد زالت من النفوس نهائياً، فما تزال تظهر في صور أخرى كلما دعت الحاجة، ولعل أوضح هذه الصور هو اعتبار قطاعات واسعة من المجتمع أن القبيلة هي المرجع الأول لتقييم الفرد وتحديد طبقته القبلية، وكذلك في تحزّب أفراد القبيلة وتفضيل مصلحتهم على المصلحة العامة، وأيضاً في توزيع الوظائف والمناصب الحكومية من قبل المتنفذين.<sup>3</sup> وهذا لا يعني أن القبيلة هي الأساس الوحيد للتمايز في البنية الخليجية، فتوجد أيضاً الطائفة والمذهب والأصول العرقية والمكانة الطبقية، وكذلك الجهوية، إلا أن القبيلة هي أقوى التكوينات وأكثرها تأثيراً، مع اختلاف التأثير للهويات الأولية من منطقة لأخرى، فالحالة البحرينية يبرز فيها الفرز الطائفي أكثر، أما الواقع العماني فتبرز فيه القبيلة بشكل أكبر، وهذا لا يعني أن دورها مطلق في الدولة، أي أن الظروف

1 - يوسف خليفة اليوسفي، مرجع سابق ، ص 30 .

2 - المرجع نفسه ص 35.

3 - بدرية البشر ، مرجع سابق ، ص 85.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

والسياقات وتفاعلاتها هي التي تتحكم بالمتغير المؤثر. فالعبرة بنظام عمل السلطة وتوظيفها للهويات الفرعية .

ينتج الاضطراب أو الصراع من حقيقة أن جزءا من التناقض الاجتماعي نابع من الأنظمة ذاتها، أو من مصفوفة الموجهات الثقافية ذاتها التي تعمل هذه الأنظمة في نطاقها. بمعنى أن طبيعة الأنظمة والفضاءات التي تعمل فيها أو الضغط الذي تخضع له، قد تولد شحنات من الصراع. كما قد يكون سبب هذا التناقض أو الصراع محاولات فرض هذه الرؤى والموجهات الثقافية، أو محاولة مد تطبيقها في المجموعات المؤسساتية الأوسع<sup>1</sup>. فتتحول الهوية الجزئية للفئة الحاكمة لتكون هوية الدولة، وتاريخها هو تاريخ الدولة، وينسحب هذا على المذهب والطائفة، وهذا الأخطر، خاصة إذا اقترن بمحاولة الفرض، وتعميمه قسرا على مؤسسات التنشئة العامة.

عادة ما تقوم الدولة الخليجية بإدماج أو احتواء الجماعات المختلفة ومنها الطوائف، من خلال كيانات اجتماعية سميت بالتضامنيات، وهي عبارة عن جماعات قائمة على أساس التضامن الاجتماعي بين أفراد الجماعة Group Solidarity، وتشمل ما أسماه ابن خلدون بالعصبية<sup>2</sup>. الدولة وبفعل تباطؤ بنائها المؤسسي والثقافي، تبدو انعكاسا لمنظومة التحالف القائمة بين التضامنيات في المجتمع، بل يمكن القول إن هذا التحالف أو هذا التوافق بينهما يمثل العصب الأساسي الذي يحافظ على كيان الدولة والمجتمع في منطقة الخليج، برغم المتغيرات المتسارعة في محيطها خلال العقود الأخيرة<sup>3</sup>.

النمط الخليجي يريد الدولة، وفي نفس الوقت يريد القبيلة والطائفة، أو التقسيمات الاجتماعية التقليدية. يريد أن يدمج فيما بين الشكلين: شكل الدولة القبلية أو الطائفية. ويخوض في العالم الحديث، ودولة المؤسسات، وهذه إشكالية سببها سطوة النظام الأبوي، الذي يلغي الإنسان المواطن المشارك<sup>4</sup>. وأيضا بفعل الإمكانيات التوظيفية للهويات من حيث كبحها للإصلاح السياسي والاقتصادي، وتحويلها المجتمع إلى كتل متخوفة، ترى في السلطة الحالية الضامن من حالة الفوضى.

1 - باقر سلمان النجار ، الدولة العربية : بين إخفاقات البناء وتعطل الاندماج ، مرجع سابق ، ص54

2 - عمر الشهابي وآخرون، الثابت والمتحول 2014: الخليج ما بين الشقاق المجتمعي وترابط المال والسلطة ، مرجع سابق ، ص 60.

3 - عبد الله باعبود ، مرجع سابق ، ص 149.

4 - برنامج محاور، علي الطراح : أي مستقبل لـ دولة الرعاية في الخليج ؟ تاريخ الحلقة: 2019/03/30، متوفر على الرابط التالي :

<https://www.youtube.com/watch?v=AGd5V-4F9Ts>

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

الطائفية هي أداة سياسية، وإستراتيجية للحكم، تمنع المعارضة واسعة الشرائح، وتضمن الولاء بين شريحة أساسية من المجتمع. وهي إستراتيجية سلطوية في دول الخليج. فرغم أنها تلحق ضررا جسيما بالعلاقات الاجتماعية، فإن لها أيضا مزايا كبيرة. إذ أنها أقل تكلفة في شراء ولاء الشعب عبر مؤسسات الدولة، لأنها تستثمر في الخوف المتبادل بين القوى الاجتماعية من استيلاء طرف معادي على مؤسسات الدولة، أو تغيير موازين القوى لصالح قوى اجتماعية معادية<sup>1</sup>. إن اعتماد الدولة التسلطية على التضامنيات في بيئة الخليج والجزيرة العربية، وفي غياب الأحزاب الممثلة للسكان والتنظيمات المجتمعية التي تسهل الانصهار، يؤدي بالضرورة إلى مأسسة القبلية والطائفية، مقابل الاندماج القومي<sup>2</sup>.

بروز مركزية الدولة في الخليج يعني بالضرورة بروز دور الأسر والنخب الحاكمة التقليدية التي جمعتها معاهدات الحماية الاستعمارية في مركز الحكم، ولذلك ظهرت الأسر الحاكمة كأنها مؤسسات سياسية تملك الدولة، ولم تأت عن طريق الاختيار أو الانتخاب، بل بحكم وضعها السابق، وهذا يعني تكييف أجهزة الدولة الحديثة الرأسمالية لمتطلبات القبيلة - الطائفة، ومحاولة النخب الحاكمة المحافظة على العلاقات التقليدية القديمة في ظل النظام السياسي الحديث والأوضاع الاقتصادية المستجدة<sup>3</sup>.

بغرض إعادة إنتاج السلطة، وتجديد آليات الحكم المطلق. وتعويض مؤسسات الدولة الوطنية الحديثة بالهيئات الاجتماعية التقليدية.

قطبي الدولة والمجتمع لا يمثلان كينونتين منفصلتين بحدود وهياكل ومؤسسات تنتظم فيها العلاقة بين الدولة والمجتمع، كما هي في المجتمعات الحديثة، فالعائلات الحاكمة لم تأت من خارج الإطار الجغرافي والإقليمي للمنطقة، وإنما هي متداخلة مع المجتمع عبر القنوات القرابية والاجتماعية والثقافية. وعليه فإن هناك علاقة تعاضدية بين المجتمع والعوائل الحاكمة، تمثل حدا من التوازن والاستقرار حتى في الأزمات<sup>4</sup>. وهذا راجع إلى تكوين السلطة لشبكات ترابطية تجعل المكونات الاجتماعية تحافظ على كينونتها، لكنها لا تنافس بل تُختزل في شكل السلطة، ويصبح بقائها وامتيازاتها رهينة بديمومتها

<sup>1</sup> - Toby Matthiesen and others , Workshop Sectarianism in the Middle East ,Policy Department, Directorate-General for External Policies ,the European Parliament's Committee on Foreign Affairs. Belgium , 2017.p07.

<sup>2</sup> - خلدون النقيب ، مرجع سابق ، ص 151.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص 125.

<sup>4</sup> - عبد الله باعبود ، مرجع سابق ، ص 148.



## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

رغم حجم التغيير الذي خضع له المجتمع في الخليج ورغم التحولات التي أصابت أفراد وجماعاته، إلا أنه يبقى مع ذلك محكوماً بمنظومة من الأنساق الاجتماعية - الثقافية التقليدية، ما زالت مُحدّدة لمواقع جماعاته وأفراده في مركب القوة القائم، فانتماءات الفرد الأولية رغم خضوعها للتغيير، إلا أنها مازالت فاعلة في قراراته الحاسمة، بل إنها باتت تُكوّن هويات هؤلاء الأفراد ومواقعهم المعاصرة في المجتمع<sup>1</sup>. وهذا تعكسه التجربة الديمقراطية في الكويت -خصوصاً- حيث ما للقبيلة والطائفة من نفوذ وقوة تمثيلية تستخدم الآليات الديمقراطية. أما في بقية الدول فينعكس هذا الإدراك في توجيه الوظائف والامتيازات والمشاريع الحكومية.

القوى القبلية المتضامنة تحولت إلى مؤسسة من مؤسسات الدولة الحديثة، وتكيفت مع الأوضاع المستجدة، وهكذا تطرح القبيلة نفسها (والمؤسسة الطائفية بشكل مواز لها) بدلاً عن المؤسسات الدستورية الديمقراطية المنتخبة، كنوع بدائي للديمقراطية القبلية، وفي حقيقة الأمر، ليس هناك ديمقراطية في المؤسسة القبلية، وإنما هناك علاقات غير متكافئة بين سلالة الشيخ والأغنياء القبليين، وعامة أفراد القبيلة، كمشروع جنيني لعلاقات طبقية استغلالية في طور التبلور، إن المؤسسة القبلية بتمائل علاقاتها لعلاقات الأسر الحاكمة بالسكان، توفر لهذه الأسر الأدوات الأيديولوجية و"الهيغيمونية" والقمعية لفرض نظام حكمها واستقراره<sup>2</sup>.

كما أن إثارة النزعات الطائفية والقبلية هي جزء من منظومة النظام، وعامل لاستمراره وتبرير وجوده، على اعتبار أن غياب هذا النظام سيجعل القبائل والطوائف تتناحر، وبالتالي فهذا السياق يولد شرعية النظام، فبدون القبيلة والطائفية تنتفي الحاجة لبقاء النظام<sup>3</sup>. تاريخياً احتاجت كثير من الدول الخليجية الناشئة إلى إجراء تسويات قبلية وطائفية عديدة، حتى تستقر على كيان سياسي متوافق عليه من قبل مجموع العصبية التي يتشكل منها مجالها الجغرافي المنقطع، مثلما صُمم النظام السياسي فيها ليتجاوب

1 - باقر سلمان النجار ، الهوية وصراعات الإقليم في الخليج العربي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد 484 ، يونيو 2019 ، ص 134 .

2 - خلدون النقيب ، مرجع سابق ، ص 151.

3 - برنامج بلا حدود، لقاء مع الدكتورة مضاوي الرشيد ، تاريخ البث 2017/10/11. متوفر على الرابط التالي : <https://www.youtube.com/watch?v=ApOYEgarypl>

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في

### الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

مع هذا التركيب، ولُيعبر عن مستوى التوازن في القوى بين القبائل والعشائر والطوائف والمذاهب<sup>1</sup>. ورغم أن تأثيرات الطفرة النفطية أربكت هذا النظام السياسي- الاجتماعي، إلا أن فاعليته مازالت موجودة . إن جوهر فكرة الدولة الحديثة لا يزال بعيدا عن واقع المنطقة، ولا تزال السلطة الفردية في اتخاذ القرار تُتحي مؤسسات المجتمع المدني، ولم يتحول الناس بعد من رعايا إلى مواطنين، ولم تحل الحقوق محل العطايا، ولا يخضع الحاكم والمحكوم إلى السلطة الدستورية العليا المبنية على القانون<sup>2</sup>. توضح هذه العناصر باختصار فلسفة الحكم في الدولة الخليجية المعاصرة، وكيفية عمل مؤسساتها، وفكرها السياسي الذي يدير واقعا فسيقائيا.

جاءت غالبية دساتير بلدان الخليج منحة مكتوبة على شكل وثيقة من الحاكم إلى المحكومين، باستثناء دستور الكويت الذي اختلف قليلاً نتيجة توافقٍ نسبي بين إرادة الحاكم، وبين الإرادة الشعبية المتمثلة في الأعضاء المنتخبين في المجلس التأسيسي، الذي تم إقراره عام 1962. غير أن جميع هذه الوثائق، بلا استثناء، ضمنت صلاحيات مُطلقة للحكام (من شيوخ وأمراء وملوك وسلطين) بحيث لا يجوز اقتراح تعديل هذه الصلاحيات، فيؤيد بذلك أنظمة حكم وراثية في سلالات قبلية محددة. كما أن ذوات حكام هذه البلدان "مصونة، ولا يجوز المساس بها"، ويتم تجريم كل من يطرح أسئلة مباشرة حول شرعية أنظمة الحكم وإشكالات تسييرها للشؤون العامة<sup>3</sup>.

قامت الدولة على عناصر انشقاكية دينية وإثنية لم يجر استبدالها أو لجم تصاعد حدثها، نتيجة عامل التحول في الجهاز الإداري للدولة، والانتقال من نظام القبيلة إلى نظام المؤسسة الحديثة. فقد ظلت تلك العناصر ناشطة في تسيير الحكم والإدارة، كما فرضت نفسها على سياسات الدولة وخطتها، وأصبحت جزءا جوهريا من سلوك الطبقة الحاكمة ومنهج التفكير السائد فيها. إن سيرورة الدولة أكدت مرة تلو أخرى أنها تكفل استقرارها وديمومتها ووحدتها من خلال تقسيم المجتمع أو الإبقاء على انقسامه المذهبي والمناطقية، بل إن الدولة تستمد من تناقضات المجتمع، قوتها وهيمنتها، وتاليا وحدتها<sup>4</sup>. وبالتالي

1 - عبد الإله بلقزيز ، دور الدولة في مواجهة النزاعات الأهلية ، مرجع سابق ، ص 57.

2 - فتحي العفيفي ، الاستعصاء اللبرالي في الخليج العربي ، في مجلس التعاون لدول الخليج العربية : تحديات الراهن وأسئلة المستقبل ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2008 ، ص 172.

3 - سعيد الهاشمي ، المواطنة المثلمة: محاولة لفهم واقع المواطنة في بلدان الخليج العربية ، في الثابت والمتحول 2019: المواطنة في تيارات الخليج، مركز الخليج لسياسات التنمية، 2019، ص 29.

4 - فؤاد إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 55.

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

فإن بقاء القبيلة والطائفة جماعات مؤثرة اجتماعيا وغير منافسة سياسيا واقتصاديا، يمثل ضمانا لاستمرار المنظومة الحالية في دول المجلس، لذلك تسعى النظم لتثبيت هذا الواقع، وقد تعتمد إلى دسترته .

تمكّن إستراتيجية التطييف النظم الخليجية من تعزيز شرعيتها، كما توفّر أيضاً الموارد التي ربما كانت ستُنقذ على شراء الدعم. وعبر الاستثمار في الشك بين الطوائف، والتأكيد على قدرتها الفريدة على ضمان الأمن، يمكن للنخب الحاكمة أن تعزّز تأييدها في أوساط الموالين وتضعف محفّزات الاحتجاج بين الإصلاحيين، بتكلفة تقل عن عملية تقديم المنافع المادية المعتادة. وبالتالي، ينطوي إتباع إستراتيجية طائفية على احتمال تحقيق مردود سياسي واقتصادي كبير، حين يُقارَن بالنظام التقليدي الذي يعتمد على الزبائنية المباشرة، كما أنه يمثل في آن تدبيراً لبناء الولاءات وتوفير التكاليف<sup>1</sup>. وإذا كان الربيع ركيزة النظم، عبر سياسات الدعم والرفاه، فقد تكون الطائفية والقبلية ركيزة مرحلة ما بعد الربيع، عبر تفعيل الخوف من الانهيار الشامل ورهانات الفوضى .

<sup>1</sup> - Justin Gengler, The Political Economy of sectarianism in the Gulf , the website <https://carnegieendowment.org/2016/08/29/political-economy-of-sectarianism-in-gulf-pub-64410>

## الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم .

### خلاصة الفصل الثاني :

البنية السيسولوجية وتنوعاتها ذات المستويات المختلفة، التي تتقاطع وتتوازي هي مُخرج طبيعي للموقع الجغرافي الذي يحاذي دوائر حضارية عديدة، علاوة على الهجرات الداخلية بين أقطار الجزيرة العربية، وأخيرا بفعل تأثيرات الطفرة النفطية، التي أُرمت الوضع الديمغرافي في دول الخليج العربي. يجد الواقع الطائفي روافده في عوامل كثيرة، فالتنوع المجتمعي في البيئة الخليجية واقع تاريخي، وليس وضعا طارئاً، كما أن الاحتكاك الجغرافي والاجتماعي بالفضاءات المجاورة ترك أثره على سيسولوجيا الخليج. أهمية الانتماءات المؤثرة تختلف من قطر لآخر، فقد تنصدر القبيلة أو الطائفة، لكن هذا لا يعني عدم فاعلية وتأثير باقي التقسيمات. إلا أن الثابت هو أن الانتماءات الأولية قوية ومؤثرة وفاعلة في السياق الخليجي، ويمكن اعتبارها البديل عن الهيئات في الدولة الحديثة.

يمثل الشيعة نسبة معتبرة ووازنة ديموغرافيا تقارب النصف، وينتشرون في امتداد جغرافي حساس لأمن الطاقة عالميا، وأيضا تضعهم في مقارنات سيسولوجية تخص العدالة الاجتماعية في مناطقهم .

تشارك النظم الخليجية في فلسفة الحكم المطلقة، والخلفية القبلية والسلالية. وأيضا في الاعتماد على الربيع، الذي كان له الأثر الأكبر في الهندسة السوسيو-سياسية، إذ مع تغير أنماط الإنتاج تغيرت أدوار الدولة وباقي الكتل المجتمعية، وتركزت السلطة والثروة في العصابة الحاكمة، وضعفت التقسيمات الاجتماعية من حيث المنافسة على السلطة، لكنها بقيت بوظائف تساعد في السيطرة على المجتمع .

تمثل دول مجلس التعاون هياكل حديثة تدار بأدوات الماضي القبلي، حيث يغيب المجتمع المدني ودوره الإدماجي للمكونات المجتمعية، كما تعمل التوجهات السياسية على إعادة إنتاج السلطة واستمرارها باستمرار "وظيفيتها"، داخليا بحفظ استمرار الرفاه والأمن، والحؤول دون الحالة الهوبزية، وخارجيا بتأمين تدفق الطاقة ومصالح النفوذ .

## الفصل الثالث:

الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف: قراءة في التوجهات  
المشتركة والتمايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس  
التعاون

**توطئة :**

المسألة الطائفية رغم تأثيرها، وحضورها البارز في مجتمع تقليدي، ونظم سياسية مشيخية، تتأسس على الولاء العصبوي وتمثل امتدادا لمكونات ما قبل الدولة، إلا أنها لا تُحدث ذات الانعكاس في كل وحدات مجلس التعاون، وهذا راجع إلى تباين التوازنات الديمغرافية، والسياق السياسي والاقتصادي الداخلي. وعليه وسعياً نحو فهم أكبر لإدارة النظم الخليجية للمسألة الطائفية داخل وحداتها، ولمعرفة المتغيرات النازمة لهذه التوجهات، يسعى هذا العنصر لعرض تفاعلات الحالة الطائفية في كل قُطر خليجي على حدة، لتوضيح السمات المشتركة مع الجوار الخليجي، وأيضاً لرصد الملامح الخاصة به، والتي تحدد التوجهات السياسية للسلطة وللمكونات الطائفية. خاصة وأن إدارة الأزمة الطائفية، وحادّة الظاهرة وتصدّرها تختلف. كما يهدف الفصل لاستقراء الاتجاه التصاعدي للحالة الطائفية من الطوائف تجاه السلطة، وتنويعات الحركات الشيعية، وتحولاتها وتبايناتها وملامحها المشتركة في الأقطار الخليجية.

- **المبحث الأول:** التوجهات والملاح العامة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون الخليجي
- **المبحث الثاني:** الواقع الطائفي في السعودية .. بين تحالف القوة والفكرة والمال
- **المبحث الثالث:** توجهات السياسة الطائفية في البحرين: بين ضغط الثنائيات الداخلية

**والمتغيرات الإقليمية**

- **المبحث الرابع :** المسألة الطائفية في الكويت: التوافقية وتحديات إدارة الطوائف
- **المبحث الخامس :** إدارة المسألة الطائفية في عمان وقطر والإمارات

#### المبحث الأول: التوجهات والملاح العامة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون.

لا تأخذ المسألة الطائفية ذات القدر من التأثير في كل الوحدات الخليجية، لكن السياق الخليجي يحتفظ بقواسم مشتركة في تعاطي النظم وتوجهات سياساتها الهوياتية، بحكم التقاطع في سمات نظمها وفلسفة حكمها. وفي المقابل فإن الحركة الشيعية والتنظيمات الطائفية ليست بذات التوجه ولا نفس الواقع، رغم ما تحمله من عوامل تشابه، حيث تأثرت بمستويات متباينة بسياقها الداخلي والإقليمي، وتعاطت بتباين مع سياسات النظم .

#### المطلب الأول: الأطر المشتركة للسياسة الخليجية تجاه الطوائف

تشابهت سياقات النشأة داخليا وخارجيا في دول مجلس التعاون، باعتبارها تجمعا لمكونات سيسيولوجية أو تجميعها لها بالقرس والتمدد، تصادف هذا البناء الاجتماعي مع توجه كولنيالي ثبتت هذه التوازنات، خاصة مع اكتشاف مصادر الطاقة. وعليه فإن هذه القواسم المشتركة والتحويلات التي شملت الجميع تجعل من بعض السياسات متقاربة، مع الاحتفاظ بالخصوصية الوطنية لكل تجربة .

برز تهديد الشقاق المجتمعي لنسيج دول مجلس التعاون الخليجي، الناتج عن تزايد حدة الانقسامات السياسية بناء على الطائفة أو الإثنية أو القبيلة أو غيرها من الهويات الفرعية، حتى أصبح خطر الاحتقان الأهلي واقعا حقيقيا يواجه بعض الدول. في مقابل هذا الشقاق المجتمعي يبرز ترابط المال والسلطة عبر تركز الثروات الخاصة والنفوذ السياسي في فئة صغيرة من الأفراد، بحيث بات الشقاق والتصادم على المستوى السياسي - المجتمعي، يقابله تشابك وتمركز في النفوذ والسلطة على المستوى السياسي - الاقتصادي<sup>1</sup>. هذا الواقع المشترك بين دول الخليج أصل لتوجهات متشابهة تقارب الحالة الطائفية.

يعد العامل السياسي من أكبر مهددات الاندماج الاجتماعي في الواقع العربي المعيش، فالسياسة بأساليبها وأدواتها الباطشة والناعمة تشتغل في كثير من الأحيان على فرق لتسد، ولذا فهي تسعى لتوتير المشهد الاجتماعي وتقنيت قواه وتوهين تكتلاته، وذلك في مسارات عديدة. ويعد البعد الطائفي من أبرز تلك المسارات، وقد يكون ذلك من جراء الفعل السياسي العربي / أو الإقليمي، أو بفعل الاستراتيجيات

1 - عمر الشهابي وآخرون، مرجع سابق، ص ص 15-16.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

الدولية<sup>1</sup>. وتجد هذه الاستراتيجيات استعدادات في المجتمع التقليدي، خاصة وأن مكونات الدولة الحديثة التي تصهر الهويات ضعيفة، ويراد لها أن تبقى كذلك .

إن غياب العدالة الاجتماعية هو الذي يحول عناصر التمايز (المادية أو الثقافية) إلى خطوط انكسار في علاقة الأقلية بالنظام السياسي. الذي يولّد المشكلة ليس التعدد المذهبي، بل التمييز الطائفي. والتميز سياسي في حقيقته ولو تلبّس بالدين، ولو لم يكن التبرير المذهبي فعّالاً لرأينا واجهات أخرى تلعب الدور ذاته، إذ تميل النخب السياسية إلى تنشيط الخطاب المذهبي الطائفي بالنظر إلى عاملين : أولهما قدرة هذا الخطاب على التعبئة وتوفير المشروعية، وثانيهما قدرته على ترسيم الحدود الجغرافية أو الاجتماعية لموضوع المشكلة<sup>2</sup>. التعدد المذهبي والطائفي فرصة سلطوية يتم توظيفها، وقد توجد إمكانات انقسامية أخرى في كل قطر يحددها السياق، لكن القصد يبقى واحداً وهو منع تشكل جبهة اجتماعية موحدة بمطالب مشتركة، عابرة للهويات، تهدد بتحويلات في البناء السياسي .

الانتماء العرقي غير ثابت أبداً، فهو قابل للتكيف وإعادة تعريف نفسه على الدوام، وعليه فالخلافات الطائفية تشجعها الحكومات التي تستفيد منها سياسياً. ونظراً لغياب الخيارات البديلة لتشكيل مجموعات المجتمع المدني، والأحزاب السياسية التي يمكن أن تهدد الحكومة وفق أسس أيديولوجية، انقاد الناس للعودة إلى الهويات البدائية مثل القبيلة والدين<sup>3</sup>. حيث شكلت هذه المكونات ملاذات مجتمعية تحتضن مطالب الرعايا وتُشكّل لهم دعماً في مواجهة السلطة، مع ما لهذا الواقع من انعكاسات سلبية .

فوجود أعداد غفيرة من ذوي المنحدرات الإيرانية والآسيوية والإفريقية في معظم مناطق دول الخليج - وفي مقدمتها المملكة- ومعظمهم سنة، لم يثر التحفظات والتشكيك من قبل السلطات الدينية الرسمية، وهذا يدل على التوظيف السياسي الذي يستخدم الدين، أو يتبنى القومية إزاء مطالب واحتجاجات وحقوق الأقليات الإثنية والدينية والطائفية، ومن بينهم الشيعة<sup>4</sup>. تهدف مسألة الأعمية -أو الفرس بالتحديد- في أصول شيعة الخليج، إلى صناعة إدراك عام بمغايرة هذه الكتل للمجتمع، باعتبارهم فضاء حضارياً

1 - عبد الله البريدي، السلفية الشيعية والسنية: بحث في تأثيراتها على الاندماج الاجتماعي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط2، 2014، ص8.

2- توفيق السيف ، أن تكون شيعياً في السعودية: إشكالات المواطنة والهوية في مجتمع تقليدي، مرجع سابق ، ص 180.

3 - لورانس ج. بيتر ، مرجع سابق ، ص 02.

4- سلمى حمدي وآخرون ، مرجع سابق ، ص 176.



## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

مختلفا، مع محاولة ربطها بسياقات تاريخية وتوجهات توظف التاريخ الصراع. كما أنها تخلق ثنائية جديدة، علاوة على ثنائية الوافدين في مقابل السكان الأصليين، لتضييق حيز الحقوق الاقتصادية والسياسية

هناك ثلاث سمات مميزة لمنطقة الخليج تشرح طبيعة ووظيفة الطائفية في سياقها: حيث تتضمن مؤسسات سياسية واقتصادية فريدة من نوعها، تشجع على التعبئة الجماعية على أساس الفئات الاجتماعية المنتسبة، فضلا عن عدم المساواة في توزيع موارد الدولة. وعلى هذا المنوال نفسه تراث تاريخي يشوبه الشرخ الديني والسياسي، تليه عملية متعمدة، ولكن انتقائية لبناء الدولة. وأخيرا منافسة جيو-سياسية للنفوذ الأيديولوجي والمادي تشمل إيران والدول العربية في الخليج، وعملاء كل منهما، والمناصرين لهما، وبهذا التصور يُفهم تسييس الهويات الدينية والعرقية، لا كقضية من التجارب السياسية للدول، ولكنه تأثير منهجي لخصائصها المجتمعية المؤسسية، فضلا عن البيئة الخارجية<sup>1</sup>. فهي واقع مقصود وممارسة سياسية موجهة.

تسعى النخب السياسية الطائفية أن تكون الطوائف كيانات مستقلة منغلقة قائمة بذاتها، ولا تقوم علاقات اجتماعية سوى بين الطوائف، ولا يمكن لمثل هذه العلاقات أن تتحدد إلا كعلاقات طائفية. وهي في وجودها الكياني هذا بالذات بحاجة إلى الدولة التي تؤمن لها ديمومة وجودها. إذن الدولة في هذا المنطق الطائفي، تكون شفيعة الطوائف، وكفيلتها. والدولة بدورها، تكون بحاجة إليها، فلو لم تكن الطوائف، لما وجدت الدولة الطائفية بالطبع. هكذا يعزز كل طرف وجود الآخر تبادلا للمصلحة<sup>2</sup>. بل إن هذا الواقع قائم على التكوين المتبادل للطرفين، إذ تغطي العلاقات الطائفية شبكة مصالح ومنظومة طبقية.

الدولة الحديثة عامل حاسم في استحداث التوتر المذهبي، فمقارنة الحالة الشيعية بين ثلاثة دول خليجية تقضي إلى أن عملية بناء الدولة ذاتها، والرواية التي تقوم عليها، هما العاملان الجوهرين اللذين يجعلان الصراع الطائفي في كل من السعودية والبحرين حاضرا، بينما تتمتع الكويت بأقلية شيعية أكثر

<sup>1</sup> - جاستن جينغلر ، فهم السياسة الطائفية في منطقة الخليج ، في السياسة الطائفية في الخليج، مركز الدراسات الدولية والإقليمية، جامعة جورج تاون في قطر، 2015، ص 04.

<sup>2</sup> -عباس المرشد، الطائفية الجديدة والتحريك المذهبي في البحرين، مرجع سابق.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

اندماجا. يذهب باحثون آخرون إلى فكرة مفادها أن الصراع الطائفي أكبر من كونه نتيجة غير مقصودة لبناء الدولة، بل هو إستراتيجية واعية من الأنظمة، فالمسئول عن التصعيد المذهبي هي الحكومات، التي تخشى ظهور أي حركة احتجاجية موحدة. بناء عليه تصبح الطائفية إستراتيجية تستخدمها النخب لتحافظ على مصالحها<sup>1</sup>. يشدّد توظيفها خلال الأزمات التي تهدد بتغييرات في الواقع السياسي والاقتصادي.

النظام الطائفي يقوم بإعادة إنتاج نفسه باستحضار الأزمات واستحداثها، فحالة الأزمة بالنسبة إليه مناسبة لتجديد شرعيته، وخصوصا أن حلها يمر حتما بإجراءات هي صلب العملية الطائفية ولمصلحتها، أي المحاصصة. إن الأزمة هي لحظة ولادة جديدة للنظام، كونها تستجيب لحاجة ملحة في إعادة صوغ التوافق، كما أنها توفر بيئة ملائمة للخطاب الشعبي المتسبب بالاستقطاب الطائفي. إن حاجة النظام الطائفي إلى الأزمة تدفعه نحو إنتاج الأزمات، من أجل الحفاظ على شرعيته<sup>2</sup>. خاصة إذا رافق الأزمات ظهور مطالب هوياتية، حيث يوظفها النظام بمنطق المؤامرة، لصناعة تصور أن الوضع الراهن أفضل من المجهول، الذي يعني تمكّن مكونات اجتماعية منافسة، فيخلق بهذا معضلة أمنية مجتمعية .

للدولة دور مركزي في التعاطي مع المسألة الطائفية، خاصة في المجتمعات الخليجية، حيث تتمتع بنفوذ خارق، وسقف رفيع لحرية الأفراد في التصرف. ولكن مدى اعتماد الدولة على حالات الشقاق المجتمعي كالتائفية - ولو ضمنا - يعتمد على أيديولوجيا صناع القرار<sup>3</sup>، إضافة إلى الظروف السياسية المحيطة بهم. والواقع أن توظيف الحالة الطائفية أو تصدّرها كأزمة اجتماعية سياسية يختلف بين أقطار المجتمع الخليجي، كما يختلف تأثيرها في التاريخ التراثي لكل مجتمع .

تعاملت الدولة في الخليج مع مواطنيها بوصفهم أعضاء إما في قبيلة أو مذهب، فأصبح الانتماء التقليدي للمواطن، هو العنوان الواقعي والحقيقي الذي يتم التعامل به معه. فالدولة في بلدان الخليج العربي، ولكونها لا تمتلك مشروعا وطنيا ولا عقدا اجتماعيا ( بالمعنى الحديث) يربطها بمواطنيها، عملت

<sup>1</sup> - أحمد سعد العوفي، الهوية الشيعية في صيرورة تطور مجال القوة وإعادة إنتاج الهوية الشيعية في السعودية، في المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2017ص ص 520-521.

<sup>2</sup> - زين الدين خرشي، مرجع سابق، ص 234.

<sup>3</sup> - عمر هشام الشهابي وآخرون، مرجع سابق، ص ص 56-57.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

كبدل عن ذلك، على إبقاء الانتماءات التقليدية حية، وكانت تعالج الآثار السلبية المترتبة على بقاء انتماءات تقليدية متجاوزة ومتوترة في آن، بطريقتين أساسيين وهما: العطاء المالي والتعامل الأمني.<sup>1</sup> يمكن القول إنه على الرغم من تباين مستوى انفتاح النظم الحاكمة على الأقليات الدينية وطبيعة نظرتها إلى هذه الأقليات باختلافها، فإنها تشترك جميعاً في وجود نوعٍ من التوجُّس تجاه توجهات بعض الأقليات الدينية ومطالبها، وبالأخص الشيعية منها. هذا التوجس والحذر يكاد يتلاشى في أوضاع الأقليات الدينية الصغيرة جداً، إن لم تكن هذه الأقليات عنصراً مسانداً وداعماً للنظم الحاكمة. وإذا ما انتقلنا إلى مجال السياسات الحكومية إزاء الأقليات الدينية، فيمكن القول إن هناك تبايناً واضحاً إزاء التعامل مع الأقليات الدينية اعتماداً على حجم الأقلية وسياساتها تجاه الدولة أو السلطة الحاكمة. ويضاف إلى ذلك أن الأنظمة الحاكمة تتخذ نماذج متعددة من السياسات إزاء كل أقلية، فهي تنتهج نموذج التسامح أو الاحتواء مع أقلية، وتلجأ إلى نموذج الإدراج أو نموذج الانفتاح المحدود مع أقلية أخرى.<sup>2</sup> كما أن الوضع الاجتماعي والواقع الديمغرافي للمكونات الطائفية، وتاريخ علاقاتها بصناع القرار كلها عوامل تتحكم بعلاقة السلطة بالطائفة، إذ يلاحظ أنه كلما زاد المستوى المعيشي لأفراد الطائفة وتحسّن وضعهم الاقتصادي، كلما ساهم ذلك في انخفاض التوتر في علاقتهم بالسلطة .

يعتقد الباحث عبد الرحمن المري أنه من الصعب تحديد ما إذا كانت النظم والمؤسسات والحكومات في دول مجلس التعاون تعتقد بوجود مسألة طائفية، وذلك لعدة أسباب، لعل من أهمها الاختلاف الديمغرافي من دولة لأخرى، خاصة في شق التنوع المذهبي. فالفكرة المركزية هي أن التنوع الديمغرافي ينتج تصورات مختلفة لكل نظام تجاه الحالة الطائفية، وعليه فلا وجود لمسألة طائفية صريحة في دول مجلس التعاون، باستثناء مملكة البحرين، ولكن هناك استحضار للبعد الطائفي في أذهان القادة، تحديداً بعد تفجر هذه المسألة في دول الجوار، إضافة إلى تنامي الخطر الإيراني الذي يصدر نفسه كممثل للشيعية.<sup>3</sup>

1- محمد محفوظ، الدولة والطائفية في الخليج العربي، مرجع سابق.

2 - عباس المرشد ، نماذج السياسات الخليجية تجاه الشيعة ، متوفر على الرابط التالي : <https://gulfhouse.org/posts/3692>

3 - مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور عبد الرحمن المري باحث في أنثروبولوجيا الخليج والجزيرة العربية عبر مراسلات إلكترونية بتاريخ

. 2020/10/03

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

مثل المتاجرون بالهوية الطائفية أبرز العوامل التي دفعت لاستفحال المسألة الطائفية في الخليج، وبالتحديد، الأشخاص الذين استخدموا سياسة الهوية الطائفية في تعزيز مواقعهم، وبإلقاء نظرة عن قرب على دور هؤلاء، يتبين أن الطائفية لم تكن نتيجة تدخل حكومي فحسب، بل كانت ثمرة خليط من نخب سياسية ودينية واجتماعية واقتصادية، استخدمت جميعها الطائفية للدفع بأهدافها الشخصية، وبعد أن غدت الطائفية طريقة ناجعة لتشويه الخصوم السياسيين، تسربت إلى طبقات المجتمع كافة وأصبحت عملية تبدأ من أسفل الهرم إلى قمته، أكثر من قمة الهرم إلى أسفله.<sup>1</sup>

إن للطائفية عوائد سياسية لا تشمل السلطة فقط، بل تنسحب كذلك على المتعهدين الطائفيين، الذين يدعون تمثيل المكونات الاجتماعية، إذ أن الواقع الطائفي يعزز مواقعهم ليكونوا وسيطا لتحويل المصالح وعبورها. وكما يتحول النظام لمركز تطوف حوله المكونات المتنافسة للتقرب منه، والذي يعني القرب من مصدر الثروة والسلطة، فكذا وكلاء الطائفية يقومون بذات الوظيفة، لكن داخل الطائفة، ليصبح لدينا نظام طائفي تتسلسل فيه السلطة والممارسة الطائفية والمنافع الاقتصادية. تعبر الحالة اللبنانية أكثر عن هذه الظاهرة لكنها لصيقة أيضا بكل سياق طائفي، والواقع الخليجي ليس بعيدا عن ذلك .

علاقة الشيعة بالدولة في منطقة الخليج متباينة ومتغايرة جدا، والعامل الرئيسي في شرح الأوضاع المختلفة في البلدان الخليجية هو شروط تشكل الدولة من القرن السابع عشر والثامن عشر فصاعدا، إن دولتي البحرين والعربية السعودية اللتين تبنتا سياسات معادية للشيعة على نطاق واسع، أُسستا بعد عمليات غزو كان خلالها الشيعة في جانب المهزومين، وأسست النظم السياسية التي نُظمت أوليا بشكل كبير لكي تكافئ الفاتحين على حساب المحتل، وعززت الفجوة السنية / الشيعية نتيجة تداخلها بالهويات الاجتماعية المستقطبة الأخرى.<sup>2</sup>

هناك سمات مميزة للطائفية في السياق الخليجي: مؤسسات سياسية واقتصادية فريدة من نوعها تشجع على التعبئة الجماعية على أساس الفئات الاجتماعية المنتسبة، فضلا عن عدم المساواة في توزيع موارد الدولة. وعلى هذا المنوال نفسه تراث تاريخي يشوبه الشرخ الديني والسياسي، تليه عملية متعمدة

<sup>1</sup> - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص 16.

<sup>2</sup> - لورنس ج. بوتز، مقدمة تقرير السياسة الطائفية في منطقة الخليج ، مركز الدراسات الدولية والإقليمية، جامعة جورج تاون في قطر، 2015، ص 09.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

ولكن انتقائية لبناء الدولة. وأخيرا منافسة جيوسياسية للنفوذ الأيديولوجي والمادي تشمل إيران والدول العربية في الخليج، وعملاء كل منهما والمناصرين لهما. وبهذا يفهم تسييس الهويات الدينية والعرقية لا كقضية من التجارب السياسية للدول، ولكنه تأثير منهجي لخصائصها المجتمعية، فضلا عن البيئة الخارجية.<sup>1</sup>

لا يمكن حصر روافد الطائفية في سردية النشأة فقط وإن كانت مؤثرة جدا في حالي السعودية والبحرين، كما أن تشكل أغلب الكيانات الخليجية كان نتيجة تجميع لمكونات اجتماعية مهاجرة أو قارة ضمن حيز جغرافي، لكن الثابت أن الهجرة كانت نمط حياة بدوي ثابت، كما أنها كانت ضمن الحيز الثقافي والجغرافي للجزيرة العربية، ولم تكن واردة من خارج هذا الفضاء الثقافي. إن ما يجعل متغير الهجرة الاجتماعية ومسألة الغزو " البدوي " ملحة، هو ما رافقها من تباين طائفي، وما نتج عنها من ممارسات إكراه عمقت الانقسام. لذلك ربما يكون العامل الرئيسي في علاقة الشيعة بالأنظمة الحاكمة في منطقة الخليج هو الحجم الديمغرافي، والوضع الاقتصادي، وقرب الشيعة من مراكز السلطة، فهي جملة متغيرات ناظمة للعلاقة الطائفية .

#### 1/ الأسر الحاكمة واحتواء الحالة الشيعية : بين نموذج المشاركة ونموذج الإقصاء .

لا توجد سياسة ثابتة تجاه الحالة الشيعية في الخليج، سواء في مناطق التوتر أو الاحتواء، فالسياقات الداخلية والإقليمية والوضع الاقتصادي عوامل مؤثرة في صياغة السياسة السلطوية تجاه الداخل عموما والطوائف على وجه الخصوص.

تستخدم دول الخليج الأساليب القديمة نفسها التي توسلتها منذ نشأتها في التعامل مع الحالة الطائفية لديها، حيث حاولت احتواء مطالب الشيعة والسيطرة على حماسهم، حينما تعرضت للضغوط الخارجية، وبعد الضغوط الداخلية. لكنها ارتدت مرة أخرى إلى أسلوب التشكيك في الولاء، أو اللعب على التناقضات الطائفية بمجرد تراجع هذه الضغوط، خاصة الخارجية، وهذه إستراتيجية كلاسيكية تكررت كثيرا بالتفاصيل ذاتها، ولذلك تظل المشاكل نفسها مستمرة وبذات التفاصيل، إلا أن مصادر خطرنا على الأمن والاستقرار

1 - جاستن جينغلر ، مرجع سابق ، ص 04.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

الداخليين تتصاعد وبقوة<sup>1</sup>. لأن السياقات تتغير إلى مآلات تتقلص فيها خيارات المناورة، مع دخول الربيع مرحلة الانحدار، وبالتالي تتحسر سياسات السلم الاجتماعي، كما أن ارتفاع مستوى التعليم وزيادة الكتلة الديمغرافية، عوامل ستضغط أكثر نحو خيارات أكثر تطرفاً .

في الأعوام التالية للثورة الإيرانية، غادر مئات الشباب السعوديين الشيعة المحافظة الشرقية للالتحاق بالحركة الشيرازية في إيران. وبعد أن هزّت الكويت حملة تفجيرات دبرها مسلحون شيعة، وعقب المحاولة الانقلابية التي قام بها الجناح الشيرازي في البحرين سنة 1981، غدا اعتبار الشيعة امتداداً لإيران، وعدواً من الداخل، يعمل سرا لتخريب البلاد، هو الأساس في التفكير الاستراتيجي لحكام الخليج<sup>2</sup>. طبعت هذه المرحلة الإدراك العام حكومياً وشعبياً، وامتدت آثارها إلى اليوم، رغم أن عدد المنخرطين قليل، إلا أن حاضنتهم الشعبية تحملت الأثر الأكبر.

عرفت الأربعين سنة الأخيرة تغيرات جوهرية في الثقافة السياسية للمجتمع الشيعي، وهو يظهر أنه قد تحول من الانكفاء قبل 1979، إلى التمرد والفاعلية الشديدة بين 1979-1990، ثم إلى الميل إلى البراغماتية بعد 1990، وأخيراً البراغماتية السياسية بعد 2003. تستند هذه المقارنة على الفعل ورد الفعل السياسي للتيار العام في المجتمع الشيعي، بين الفترات المذكورة. وعوامل التغيير كانت خارجية بالدرجة الأولى، لكنها ترافقت مع، وأثمرت عن تغيرات في ذهنية الجماعة الشيعية وفي تفكيرها<sup>3</sup>. هذه التغيرات التي فرضت أزمة في الواقع الخليجي، وأجبرت الحكومات الخليجية على التعاطي معها بأساليب متفاوتة بين التقارب والقمع، لكن دائماً ما كانت العلاقة رهينة أساليب تكتيكية وليست تسويات جذرية .

قبل العام 2003 برزت ثلاثة أنماط في التعامل مع مطالب الشيعة، مع ملاحظة أن كل نمط من هذه الأنماط يمثل الأسلوب الطائفي أو الغالب، بدون أن يعني ذلك أنه النمط الوحيد: نمط القمع والانفتاح الحذر (والذي يعبر عن الحالة البحرينية). نمط الاحتواء والمشاركة (خاصة في الكويت). نمط الإقصاء

1 - شحاتة محمد ناصر، مرجع سابق، ص 368.

2- توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص ص 50، 51.

3- توفيق السيف ، أن تكون شيعياً في السعودية، مرجع سابق ، ص 59.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

والتهميش (في السعودية)<sup>1</sup>. على اعتبار أن البلدان الثلاثة هي أكثر الدول التي تنشط فيها المسألة الطائفية، وتأخذ فيها تجليات متميزة، عكس باقي الدول .

كما توصلت بعض النظم نموذج التسامح والتوظيف، حيث يتأسس هذا النموذج على سياسات متبادلة بين الطوائف أو الأقليات وبين النظم الحاكمة، تقوم على الاعتراف الضمني بقواعد التكيف الاجتماعي والسياسي، وتمثله الأقليات الدينية الصغيرة جدا كما في حالة الشيعة في قطر والإمارات وعمان. فمن جهة النظم الحاكمة فهي تتبع سياسة الاحتواء للأقليات الصغيرة، بل تعمل على دعمها ومساندتها اجتماعيا ودينيا، كي لا تدخل في تحالفات مع الجماعات السياسية التي يبدو عليها طابع المعارضة، في حين تعتبر هذه الأقليات الدولة الجهة القادرة على حمايتها من طغيان الأكثرية، وعليه فهناك تبادل منفعة<sup>2</sup>.

إذا كانت العلاقة بين الدولة والمؤسسة الدينية محكومة بمعادلة تاريخية مرتبطة بطبيعة الشرعية السياسية والدينية للدولة كما هو حال العربية السعودية، فهي تمارس التمييز على بعض مكونات شعبها بطريق متعددة. وإذا كانت الدولة علاقتها بمؤسستها الدينية ومؤسساتها المدنية الأخرى متوازنة ويربطها بشعبها تعاقدا دستوري كدولة الكويت، فإن علاقة هذه الدولة بمكوناتها المذهبية علاقة إيجابية واستيعابية لها، لأنها تُفصح للجميع ضمن إدارة واعية ومرنة، ممارسة خصوصياتهم، ضمن ضوابط وطنية تشمل جميع المكونات<sup>3</sup>. لكن الواقع أن هذه المواقف لا تمثل المؤسسة الدينية بتبايناتها بل تمثل موقف السلطة، على اعتبار أن المؤسسة الدينية ما هي إلا امتداد للسلطة أو شريكها كما في الحالة السعودية، كما أنها لا تملك الاختيار أو الاجتهاد في ظل انخفاض سقف الحرية الاجتهادية، علاوة على أن المؤسسة الدينية لا تمثل مواقف باقي التوجهات الدينية والمجتمعية .

يمكن الإشارة إلى ثلاثة نماذج أو أنماط للتعامل مع الشيعة في الخليج العربي. تعبر عنها سياسات

كل من البحرين والسعودية والكويت بعد 2003 :<sup>4</sup>

1 - شحاتة محمد ناصر، مرجع سابق ، ص 169.

2 - عباس المرشد ، نماذج السياسات الخليجية تجاه الشيعة ، متوفر على الرابط التالي : <https://gulfhhouse.org/posts/3692>

3- محمد محفوظ، مرجع سابق.

4 - شحاتة محمد ناصر ، المرجع السابق ، ص ص 333-334.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

- **النموذج الأول** : تمثله البحرين، ويقوم على فكرة المشاركة المقيدة، حيث فتحت الحكومة مجال المشاركة أمام الشيعة، إلا أنها عملت على تكبيل هذه المشاركة، حفاظاً على التوازن السياسي- الطائفي.

- **النموذج الثاني**: تمثله الكويت، وعنوانه المشاركة في ظل توترات طائفية، حيث أدى تزايد مطالب الشيعة المذهبية والسياسية، إلى إثارة بعض التوترات الطائفية في المجتمع.

- **النموذج الثالث**: تمثله السعودية، حيث اتخذت السلطة بعض الخطوات الانفتاحية تجاه الشيعة على المستويين السياسي والمذهبي. إلا أن هناك العديد من المحددات تجعل هذا الانفتاح حذراً ومحدوداً .

ينتج نموذج الانفتاح المحدود بفعل ضعف قوة الدولة في تحقيق السيطرة الاجتماعية، ونتيجة لذلك ينشأ صراع من أجل السيطرة بين الفئات القوية المترعمة للوحدات الاجتماعية، التي عادة ما تكون غير راغبة في التخلي عن الامتيازات الخاصة بها، وبين الدولة. يكثر هذا النمط في وضع الجماعات الشيعية في الكويت والبحرين، حيث تُشكّل الجماعات الشيعية الأكثرية العددية في البحرين، والأقلية الكبرى في الكويت<sup>1</sup>. أي أنها تُمثل قوة وازنة تُمكنها من ممارسة تأثيراتها، خاصة في حال احتاجت السلطة إلى تحالفات، أو وقعت تحت ضغوط الواقع السياسي وما يستتبعه من ضغط اجتماعي .

هناك فجوة كبيرة بين فهم السلطة للإصلاح في دول الخليج، وبين فهم الشيعة له، إذ يرى الشيعة أن أي إصلاح حقيقي يجب أن يمنحهم حقوقهم المذهبية والسياسية والاقتصادية، بما يتفق مع حجمهم العددي في المجتمع، فيما تعتبر السلطة ذلك بمنزلة تهديد جدي لها، كما في البحرين (الشيعة هم الأغلبية) ،أو تهديد لشرعيتها كما في العربية السعودية، حيث أحد مصادر شرعية الحكم تحالفه مع الوهابية السلفية المعادية للشيعة، أو تهديداً للاستقرار في المجتمع، كما في الكويت، حيث يقف السلفيون بحزم وشدة في مواجهة مطالب الشيعة بعد 2003، مما أوجد بعض التوترات الطائفية<sup>2</sup>. أما في باقي

1 - عباس المرشد ، نماذج السياسات الخليجية تجاه الشيعة ، متوفر على الرابط التالي : <https://gulfhouse.org/posts/3692>  
2 - شحاتة محمد ناصر ، سياسات النظم الحاكمة في البحرين والكويت والعربية السعودية في التعامل مع المطالب الشيعية (2003-2008) : دراسة مقارنة ، مجلة المستقبل العربي ، العدد 387، مايو 2011 ، ص 46.



الدول فلا توجد حالة شيعية مطلية ناشطة، بل توجد في بعض الأحيان مجموعات، قد يكون من ضمنها بعض الشيعة تطالب بإصلاحات أكبر.

تُعزّز الدور السلفي في عموم منطقة دول مجلس التعاون لعدة أسباب، أبرزها إيجاد قوة توازن مذهبية بعد نجاح الثورة الإيرانية الشيعية المذهب. إضافة إلى اعتراض الإخوان المسلمين على السياسات التي أعلنت رسمياً إزاء الغزو العراقي للكويت، ومسألة الاستعانة بالقوات الدولية، وبخاصة الأمريكية، إذ تبين لهذه الدول الخليجية مخاطر الاعتماد على الإخوان منفردين، والحاجة إلى جماعة أقل اهتماماً بالتوجهات السياسية، وبخاصة الدولية منها، مما أعطى ذلك المجال لتنامي دور التيار السلفي<sup>1</sup>.

ولم يقتصر الدور السلفي على الداخل الخليجي، بل مثل قوة ناعمة لبعض دوله على غرار السعودية والإمارات، حيث شهدت الكثير من الدول العربية ظهور تشكيلات سلفية تدعم سياسات البلدين في سياق وظيفي مرتبط بهذه الدول. لكن تجب الإشارة إلى أن المدرسة السلفية لا تحمل ذات التوجهات وليست قالباً نمطياً، بل هناك تباينات كثيرة تعتمل داخلها، رغم ثبات موقف جميع فروعها تجاه الحالة الشيعية.

من المرجح أن يستمر تصاعد الصراع الطائفي في دول الخليج، نظراً لأن العوامل التي توجّه ما زالت قائمة كالخطاب الديني الطائفي المتطرف، والذي يمتد للإعلام ووسائل التواصل، إضافة إلى الشرعية السياسية المهتزة للحكام، والتوق للأمان والمشاركة التي لا يتم الوفاء بها، ويجري استغلال مثل هذه التوترات من قبل الحكومات التي تسعى إلى التقسيم للحفاظ على السلطة<sup>2</sup>. وبما أن التطييف مسألة وجودية للنظم السلطوية في بيئة تقليدية متنافرة، ستبقى هناك حاجة لاستمرار المسألة الطائفية .

#### 2/الاستجابة الخليجية لتحديات الربيع العربي : التطييف في مواجهة مطالب الإصلاح .

وظّفت بعض دول الخليج ومحيطها الهوية في محاولاتها لإبعاد تأثير أحداث قريبة أو بعيدة أو تحولاتها عن الداخل المحلي. كما هي في إبراز تشكيل الهوية السياسية للإسلام في مقابل العربية، أو في تأجيج السنّة في مقابل الشيعيّة أو العكس. كما أنها استطاعت بفعل هذه الهويات أن تتسج تحالفات على مستوى الإقليم، مع ما لهذه الإستراتيجية من انعكاسات داخلية وإقليمية<sup>3</sup>.

1 - خليل علي حيدر ، مرجع سابق ، ص ص 2289-2290.

2 - لورانس ج. بيتر ، مرجع سابق ، ص 02.

3 -باقر سلمان النجار ، الهوية وصراعات الإقليم في الخليج العربي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد 484 ، يونيو 2019 ، ص130.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

أسكتت النظم في أنحاء الخليج كافة الدعوات المطالبة بالديمقراطية بخطاب طائفي، واتهام للمحتجين بتنفيذ أجنداث أجنبية كي تنزع صفة الشرعية عن الحركات الاحتجاجية، وكان لذلك ارتدادات تجاوزت البحرين والسعودية والكويت، إذ وصلت إلى الإمارات وقطر وعمان، فضلا عن سوريا و العراق ولبنان وإيران، عمل الخليج الطائفي في الداخل والخارج كقوة تقسيمية، وأداة تشريعية للإمارات<sup>1</sup>. إن إضفاء الطابع الطائفي على العمليات الاحتجاجية واتهام الخارج (إيران) يخدم غرضين :<sup>2</sup>

- الأول: أنه مكن النظام (السني) من نزع شرعية المعارضة (بقيادتها الشيعية) ونشاطها ومطالبتها بالإصلاح)، بربط قضايا الولاءات الشيعية مع التدخلات الإيرانية في صورة تهديد لا شكل له .
  - والثاني: هو بتصوير المتظاهرين على أنهم متطرفين، ومنع بروز معارضة توحد الطائفتين.
- وقد استخدمت هذه الإستراتيجية في أغلب دول الخليج في عام 2011.

يعتبر توجه القيادة الحاكمة من أبرز العوامل الداخلية المحددة لتوجهات الدول الخليجية مع رعاياها الشيعية، ويبرز الأمر في كل من السعودية والبحرين، حيث هناك انقسامات لا تخفى داخل الدائرة القيادية بشأن الموقف من عملية الإصلاح بشكل عام، وطرائق التعامل مع مطالب الشيعة بشكل خاص، وقد أحدثت هذه الانقسامات أثرها بوضوح بعد عام 2003<sup>3</sup>. الردود السعودية و البحرينية على الربيع العربي هي التي أوجدت الخليج الطائفي، ما شكل حاجزا حجب عن الأسر الحاكمة المطالب المشروعة للمواطنين ، وجعل هذه الأسر تقف موقفا منسجما مع خطاب الغرب المعادي لإيران<sup>4</sup>.

إن اصطدام محاولات الإصلاح والدعوات للتغيير في الخليج بالمنطق الطائفي الذي تُشيعه السلطة وتُقدمه كورقة ضغط لتخفيف هذه الدعوات وتحجيمها، يُذكر بالتضاد بين الحالة الديمقراطية المؤسساتية المدنية والحالة الطائفية. لكن المشكلة أن التركيبة الحالية للمجتمعات الخليجية ومجتمعات

1 - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص 146.

2 - كريستان كوتس أريتشن ، انتفاضة البحرين : المضامين المحلية والاحتمالات الإقليمية والدولية ، في الشرق الأوسط الجديد : الاحتجاج والثورة والفضى في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1، 2016 ، ص ص 308-309.

3 - شحاتة محمد ناصر ، سياسات النظم الحاكمة في البحرين والكويت والعربية السعودية في التعامل مع المطالب الشيعية (2003-2008) : دراسة مقارنة، مركز دراسات الوحدة العربية، مرجع سابق ، ص 304.

4 - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص 57.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

المشرق العربي في العموم، تجعل من مطالب الإصلاح عرضة بالفعل للصراعات الطائفية التي تستفيد منها السلطة.<sup>1</sup>

السياسات التي تتبناها النخب السياسية الحاكمة لا تقدم حولا لمشكلة الإقصاء، ولا دعما لسياسات الاندماج وبرامجه، بقدر ما تزيد المشكلة القائمة تعقيدا، أي يؤدي إلى لجوء النظام القائم إلى استئثار العصبية/العصبية الإثنية أو القبلية أو الجهوية، أو البطش بالجماعات الإثنية أو القبلية المعارضة لسياساته الإقصائية، أو الدخول في مزيد من الانغلاق الفئوي واحتكار السلطة والاستفراد بها.<sup>2</sup>

استجابت الدول ذات التركيبيات الطائفية أو متعددة الأعراق لتحديات الانتفاضات العربية، باللجوء إلى التكتيكات القديمة المتمثلة في سياسة فرق تسد، إضافة لتحميل القوى الأجنبية مسؤولية الأحداث عبر التدخل في شؤونها الداخلية. في تونس ومصر، لم يصلح التكوين الاجتماعي لتوظيف الحجة الطائفية. لذلك توسلت النظم، ثنائية الإسلامي في مقابل العلماني. أما في سوريا والعراق والبحرين والكويت والعربية السعودية واليمن، فقد طوّعت النظم الحاكمة المسألة الطائفية بشكل كبير مستغلة الانقسام السني الشيعي، لتقسيم سكانها ومنع تشكل جبهات المعارضة العابرة للطائفية<sup>3</sup>. على الصعيد الداخلي قسّمت الطائفية الحركات الاحتجاجية، وعلى الصعيد الخارجي، خدمت في عزل إيران وتعبئة السنة.<sup>4</sup>

تباطؤ الحكومة في التعامل مع التحولات في المجتمع والثقافة يرجع جزئيا إلى قلق من القبول بمبدأ تجديد السلطة، أو توسيع دائرة المشاركين فيها، أو وضعها تحت الرقابة العامة. تتبنى النخبة السياسية فلسفة تميل بشدة إلى التمرکز، الأمر الذي يضطرها للاعتماد على التيار الديني كأداة لتوليد الشرعية السياسية. ويتخذ هذا التيار ممثلا في المؤسسة الدينية الرسمية موقفا معاديا لمبدأ التحديث بكل تجلياته.<sup>5</sup>

### المطلب الثاني : الحالة الشيعية في الخليج العربي قراءة في التوجهات العامة

تأخذ المسألة الطائفية اتجاهين، اتجاه تنازلي، تُعبر عنه التوجهات الطائفية لسياسات الهوية التي تتوسّلها النظم لتحقيق مصالح سياسية، والاتجاه الثاني اتجاه تصاعدي، يمثل توجهات الطوائف وممثليها

1- عباس المرشد ، الطائفية الجديدة والتحريك المذهبي في البحرين، مرجع سابق.

2- باقر سلمان النجار ، الدولة العربية : بين إخفاقات البناء وتعطل الاندماج ، مرجع سابق ، ص 65.

3 - Toby Matthiesen and others ,op. cit.p06.

4 - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص 146.

5- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 44

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

ووكلائها، وخياراتهم السياسية ذات البعد الطائفي، وكيف تتعكس على المسألة الطائفية. بناء عليه يبتغي هذا العنصر البحث في الأطر العامة والتوجهات المشتركة للمجتمع الشيعي وحركاته في الخليج، بعد أن عرض للخطوط العامة للسياسة الطائفية للنظم الخليجية .

مقاربة المسألة الشيعية سواء في بعدها العربي الإسلامي أو بعدها الخليجي لا تبدو بسيطة وسهلة، بقدر ما هي معقدة ومتداخلة مع تراث سياسي واجتماعي يمتد لعقود طويلة، تقارب بجذورها التراث السياسي الإسلامي والعربي، وما يحفل به من تناقضات. فما يبدو أنه صراع عقائدي قد يكون صراعا سياسيا، وما يبدو أنه صراع سياسي قد يكون صراعا حول حدود الجماعات ومساحات الانتماء، التي تسمح بها الهويات الفرعية والهويات الوطنية<sup>1</sup>. وهذه إحدى جوانب تعقيدات الظاهرة الطائفية، وصعوبات دراستها، حيث يصطدم الباحث بعمق التشابك والتداخل وهلامية الحدود بين الظاهرة ومكافئاتها .

نظرا إلى أن خطوط التقسيم الطائفي والديني والإثني، تلتقي مع خطوط التمايزات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالنسبة للعديد من المكونات في الوطن العربي، فإن انخراط بعضها في أعمال العنف المضادة للنظم الحاكمة غالبا ما يرتبط بمطالب اقتصادية واجتماعية، تتمثل في الحصول على نصيب عادل من الثروة والخدمة العامة في المجتمع<sup>2</sup>. خاصة إذا ارتبط الحرمان بتمييز هوياتي أو مناطقي، أو وُظفت الانتماءات لتبرير المطالب باعتبارها تهديدا أمنيا يستوجب القمع .

ينعكس هذا خصوصا على العلاقات بين الأفراد والمجموعات من جهة، ومراكز السلطة والنفوذ من جهة أخرى. يتزايد شعور الناس بذاتهم وخصوصياتهم وعناصر تمايزهم، ويزداد إلحاحهم على إقرار المجتمع الوطني والدولة لهذه الخصوصيات باعتبارها حقوقا<sup>3</sup>. تستوجب الاعتراف، ومنه يزداد الانكفاء على الجماعة بسبب التهديد الخارجي .

غالبا ما تتمتع المجتمعات الشيعية بهوية طائفية قوية تسمح لهم بالتعبئة والتسييس في سياقات معينة، وزادت هذه الظاهرة مع التمدد الفكري لولاية الفقيه، إذ أصبح لها تأثير كبير على المجتمعات الشيعية، بسبب الافتقار إلى هوية وطنية قوية، وإحساس بالوحدة الوطنية في معظم الدول العربية، علاوة

<sup>1</sup> - عباس المرشد، مرجع سابق.

<sup>2</sup> - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 144.

<sup>3</sup> - توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 44.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

على هشاشة أو انعدام الممارسة الديمقراطية<sup>1</sup>. لكن هذا الواقع ليس حكرا على المجتمعات الشيعية، بل هو تحدي تواجهه كل الطوائف في المجتمعات العربية وأفرادها، في ظل الاستعصاء الديمقراطي والبنية السلطوية للنظم. وهذا لا ينفي دور هذا الواقع في دفع الحالة الشيعية للبحث عن دعم في ظل سياسات التمييز التي قد تطالها، خاصة مع قوة الدعاية الإيرانية، واستثمارها في فكرة مركزية إيران بالنسبة للشيعية، والعمل على محاربة المرجعيات المنافسة لولاية الفقيه، هذه الأخيرة التي تمثل موقفا فقهيا وسياسيا .

تتأثر العلاقة بين الحكومات والشيعية بعوامل عديدة، من بينها التحولات الجارية في المحيط الإقليمي، ولاسيما التي يلعب الشيعة فيها دورا ملموسا. كما أن استقلال المؤسسة الدينية الشيعية يثير قلق النخبة السياسية، فرجوعهم في الأمور الدينية إلى فقهاء خارج البلاد يحيي ارتيابا تقليديا عند النخبة من دور الخارج وتأثيراته المحتملة. فالنهوض الشيعي الذي تجلّى بعد الثورة الإيرانية، واتسع بعد اجتياح العراق، عزز اختلاط المشاعر الدينية بالمخاوف السياسية، وكرس حالة الارتياب وعدم الثقة التي تطبع العلاقة بين الشيعة والحكومة.<sup>2</sup>

هناك سمة للطائفية في منطقة الخليج، وهي أن العديد من المجموعات عابرة للحدود الوطنية، وغالبا ما توجد في المناطق الحدودية، حيث كانت في الماضي تتمتع بقدر كبير من الحكم الذاتي، إذ تمتلك شعوب هذه المنطقة هويات متعددة يمكن تنشيطها في أوقات مختلفة<sup>3</sup>. بحسب العوائد الإستراتيجية لكل سياسة هوياتية تتوسل انتماء بعينه، في ظل التقاطعات المجتمعية، حيث تتشابه دول مجلس التعاون في البنية الفسيفسائية والامتداد الجغرافي للقبائل والبطون والعشائر والطوائف والمذاهب، ومنه فأي توجهات تستهدف فئة معينة، سيكون لها تأثير يتجاوز الداخل .

### 1/ من الفكري إلى السياسي: الخارج وأثره في صياغة الحالة الشيعية في الخليج .

من اليسير ملاحظة التشابكات فوق الوطنية للحالة الشيعية في الخليج، سواء بين دول المجلس، أو خارجها ضمن الإقليم الخليجي الموسع، بفعل التركيبة الاجتماعية وتاريخ الهجرات، والأهم، بفعل الارتباطات الدينية المتأسسة على تقليد المرجعيات في العراق ولبنان وإيران، وما لهذا التقليد من دور

<sup>1</sup> - Cenap çakmak, The Arab Spring and The Shiit crescent: Does ongoing change serve Iranian interests? . The Review Of faith and international affairs, V 13 , N° 02, Summer 2015, P54.

<sup>2</sup> - توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص ص 93-94.

<sup>3</sup> - لورانس .ج. بيتر ، مرجع سابق ، ص 01.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والمتميزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

مركزي يصوغ حياة الفرد الشيعي. كما لا يخفى التأثير الكبير والحساسية المفرطة للواقع الشيعي الخليجي بمتغيرات الخارج، وليس أدلّ على ذلك من تأثيرات الثورة الإيرانية وما تبعها، وصولا لاحتلال العراق وبعثه للمسألة الشيعية، وأخيرا بتفاعلات الربيع العربي، واصطفافاتها الطائفية .

يعتبر باقر النجار في كتابه الحركات الدينية في الخليج العربي أن الحركات الشيعية في الخليج العربي هي امتداد لتلك التيارات السياسية في العراق وإيران ولبنان، التي تحمل قضايا لم تعكس حاجات المجتمع البحريني والخليجي. وعليه مثلت الثورة الإيرانية الإطار المرجعي والمعرفي والأيدولوجي للجماعات الدينية الشيعية في الخليج عموماً<sup>1</sup>. وزاد الارتباط مع تمدد الدور الإيراني وتراجع قوة المرجعيات العربية وكان بعض هذا التراجع يعتمد إيراني .

نظرت الطوائف الشيعية في منطقة الخليج إلى الخارج بحثاً عن الدعم والأيدولوجيات الثورية لتغيير النظم الملكية، مثل الناصرية والشيوعية والبعثية والثورة الإيرانية، وقد استفادت الطوائف الشيعية في منطقة الخليج من الروابط العائلية والدينية التي تربطهم بنظرائهم في لبنان وإيران والعراق، والتي دعمت بدورها نشر الفكر الشيعي في محاولات التخلص من النظم الملكية<sup>2</sup>. فكان الخارج دائماً هو مصدر الدعم الفكري والتأثير الكبير على الداخل الخليجي المنفعل بتأثيرات سياقه.

أحدثت الثورة الإيرانية تحولا عميقا في الهوية السياسية للشيعية، نال بصورة خاصة رؤيتهم لذاتهم ومحيطهم السياسي وتطلعاتهم. تحوّل المجتمع الشيعي إلى مجتمع متفاعل وطالب للمشاركة، وبدأ بفهم السياسة والسلطة، كمولدة لفرص جديدة بالاهتمام، بعدما بقي منكفئا على ثنائية الإمامة والغضب. وخلال السنوات الخمس التي أعقبت الثورة الإيرانية ظهرت عشرات التنظيمات الشيعية، التي تسعى لتعبئة الجمهور وراء مطالب سياسية قائمة على تبريرات دينية، أو استعمالها لغة تعبوية مستمدة من التراث الديني<sup>3</sup>. وتحولت الكتلة الشيعية من سلبية الانتظار إلى الفعل المؤثر عبر الدخول في الحسابات الإقليمية، وتبعاً لذلك تغير الخطاب السياسي وظهرت ملامح المعارضة الراديكالية، والتي عبّرت عن

1 - عبد القادر عبد الله عرابي، عرض كتاب الحركات الدينية في الخليج العربي، مجلة المستقبل العربي، المجلد 30، العدد 346، ديسمبر 2007، ص 155.

2- فريدريك ويرلي، السياسة الطائفية في الخليج منذ حرب العراق إلى الانتفاضات العربية. متوفر على الرابط التالي:

<https://cutt.us/clry3>

3- توفيق السيف، مرجع سابق، ص 72.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

تحول اجتماعي يُغير البنية الأفقية الطبقيّة للمكون الشيعي، الذي غلب عليه الوكلاء البرجوازيون، الذين يمثلون العائلات التاريخية .

يكشف التحليل التاريخي للتحوّلات التي مرت على المجتمع الشيعي، أن ظروف العسر عمّقت الميل الحمائيّة والتمسك بتقاليد الجماعة وخصوصياتها، بينما أسهمت ظروف اليسر في تعزيز ميل الشيعة للانفتاح على المحيط، ومراجعة المتبنيات، واتخاذ منهج أكثر عقلانية وعصرية<sup>1</sup>. وهذا منطوق عمل كل الجماعات، إذ أن التراجع الاقتصادي والتفاوت في مستوى المعيشة يدفع نحو المقارنات، ويعمل على ممارسة التمييز، وهو ما ينشأ عنه من ردة فعل موازية، تتوسل الهوية للمطالبة بالحقوق الاقتصادية. كما يعمل الترابط الاقتصادي على خلق فضاءات تتجاوز الانتماءات الأولية، ويدفع نحو مصالح مشتركة.

أدت عملية الرد على مذهب السياسة إلى حالة من التشنج الطائفي الواضح والصريح، فقد سُيس الانتماء المذهبي في الحالة الشيعية ليكون في مواجهة الدولة التي تقوم بمذهبة السياسة، وهذا ما جرّ، منذ ذلك الوقت، إلى حالة من التوتر الطائفي، مرت بمراحل مختلفة، وجعلت من الشيعة جماعة سياسية، وتزامنت مع حالة تسييس للانتماءات المذهبية والإثنية في عموم المشرق العربي، اتضحت بشكل أكبر وأوسع حين سقطت بعض الأنظمة، أو فقدت سلطتها المركزية على بلدانها<sup>2</sup>. بسرعة ظهرت التنظيمات الاجتماعية المتوارية تحت سطوة السلطة، وظهر جليا قدرتها على الحشد، وقوة الانتماء لها.

تَعْرُض الشيعة للعزل السياسي والاضطهاد في بلدانهم -بما في ذلك التي يشكلون أكثرية سكانها- قد همّش في نفوسهم مفهوم الوطن، الذي يعبر عن حالة سياسية وقانونية، أبرز تجسيدات المساواة والحماية القانونية للحريات الشخصية والمدنية. الثقافة الأقلوية هي شكل من أشكال الثقافة السياسية التي تكونت بتأثير العزل والإحباط، الناتج عن اللامساواة، وهي تتسم بأنها دفاعية تركز على حماية الذات<sup>3</sup>. لكن هذه الممارسات لم تشمل الشيعة فقط أو تقتصر عليهم، بل في كثير من الأحيان كان واقعهم أحسن من ظروف بعض التنظيمات أو المذاهب أو التيارات، التي تحمّلت الممارسات الأمنية والتضييق والاستبعاد الاجتماعي، على أسس فكرية أو عقديّة أو جهوية، فالحالة القمعية ممارسة شاملة تستهدف الجميع في

1- المرجع نفسه ، ص 77.

2- بدر الابراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 29

3- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 72.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

ظل البنية التقليدية للسلطة والمجتمع، لكن ربما تظهر الحالة الشيعية بصورة أبرز بفعل الكتلة الديمغرافية الكبيرة، وحجم التمايز الاعتقادي، وأيضاً بفعل وظيفية الحالة الطائفية داخليا وإقليميا.

إن نحت ثقافة المظلومية في الوجدان الشيعي، ليست هدفاً بحد ذاتها لدى الجماعات السياسية داخل الطائفة الشيعية، بل للمظلومية وظيفة أساسية، هي استنهاض الفرد للعمل السياسي المنظم (الفرد الرسالي كما تصفه أدبيات التيار الشيرازي)، وتبرير الاصطفاف الطائفي، ومنح فكرة المصير المشترك للجماعة مشروعياً، وتورية الخطاب السياسي الانفصالي أو المحاصصي بورقة المظلومية، وذلك بالعمل على صناعة هوية خاصة بالشيعية وخطاب سياسي عام يحتوي الجماعات الشيعية حول العالم، في مشروع دولة إنقاذية دون الحاجة إلى مشاركة الآخرين.<sup>1</sup>

احتل البعد المذهبي حيزاً مهماً ضمن المطالب التي طرحها الشيعة في الخليج بعد 2003، واختلفت مساحة هذا الحيز وفقاً لواقع الحرية والحقوق المذهبية للشيعة فيها، ومن هذا المنطلق كان الشيعة السعوديون هم الأكثر تركيزاً على المطالب المذهبية، وتلاههم شيعة الكويت، ثم شيعة البحرين.<sup>2</sup> وهذا ما يُعرف في الخليج بسياسة العرائض، والتي تمثل المطالبة اللطيفة بالحقوق من السلطة، حيث كانت استجاباتها لمؤشرات المعارضة متباينة بين الإصلاحات المحدودة أو القمع للموقعين، هذه الواقع يمثل حالة استجدائية تجعل الإصلاح منّة سلطوية من الأعلى إلى الأسفل، ودائماً ما يبقى إصلاحاً محدوداً على مقياس السلطة ومصالحها، باعتبارها في تنافس مع المجتمع حول مساحة النفوذ، لكن التجربة السياسية التي تتحكم فيها الأسر الحاكمة لم تترك بدائل يمكن العمل عليها .

يمكن القول إن النصف الثاني من عام 2006 حمل التغيير في المزاج الشيعي العام مع تراكم النتائج المحلية والإقليمية، ويمكن القول أيضاً أن تعزيز الهوية المذهبية جاء بعد غزو العراق، لكنه أحدث زخماً أكبر مع الوقت وصولاً إلى عام 2006، حيث انفجرت الأوضاع في العراق ثم في لبنان تزامناً مع الإحباطات الداخلية، وكل هذا صب في اتجاه تأكيد الذات المذهبية في مقابل الهويات الأخرى.<sup>3</sup> برزت بقوة فكرة الهلال الشيعي، وشهد المشرق العربي حالة انبعاث طائفي، عززه الاستقطاب الإقليمي، وأصبح

<sup>1</sup> - بدر الإبراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 47.

<sup>2</sup> - شحاتة محمد ناصر، مرجع سابق ، ص 287.

<sup>3</sup> - بدر الإبراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 258.



## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

الشيعة قوة سياسية عبر قومية، لها تأثير بفعل الدعم الإيراني الذي استثمر في الحالة الشيعية وخصوصا بعد احتلال العراق.

#### 2/ الحوزة فوق الوطنية: استقلال المرجعية وتشابكات الديني والسياسي في الخليج .

تعتبر مرجعية الحوزة متغيرا مركزيا في نظام الجماعات الشيعية، وهذا راجع للدور المحوري للمرجعية فقها وتعبديا واجتهاديا وحتى سياسيا واقتصاديا، باعتبارها تحوز على خمس الزكاة من جموع المقلدين عبر العالم، ما يجعلها تراكم ثروات ضخمة\*، علاوة على استثماراتها وأملاكها، وهو ما يُكون شبكة نفوذ وتأثير واسعة وفوق وطنية. يزداد تأثير الحوزة في المجتمع الشيعي في الخليج، بفعل غياب حوزة محلية، ما جعل شيعة الخليج يتوزعون بين تقليد مرجعية النجف بقيادة الخوئي، ومن بعده السيستاني، وبين مرجعيات إيران، وبين المرجعيات في لبنان. مع ما للمرجعية من تأثير بالغ في حياة الفرد الشيعي .

نظريا سلطة المرجعية غير محدودة، ولا تنتقد بالحدود الوطنية، لذا كان لها تأثيرها في إشكالية تكامل واندماج الشيعة في مجتمعاتهم، حيث تولدت لدى الطوائف السنية شكوك بعدم ولاء الشيعة لدولهم، ويكمن داخل هذه الشكوك تساؤلات وهي: هل للمؤسسة المرجعية العابرة للحدود سلطة توجيهية، أم إرشادية؟ وهل يخفي وراء المطالب الدينية والاجتماعية أهداف سياسية<sup>1</sup>؟ تثبت الوقائع التاريخية وتحولات الإقليم مدى تأثير المرجعية فوق الوطنية، ومدى نفوذها وسطوتها، لكن هذا الواقع سيستمر في ظل عدم السماح بوجود مرجعية محلية، قد تكون بتصوير مغاير يفهم أكثر تعقيدات الواقع الداخلي، ويُجنب المجتمع استقطاب السياسات الإقليمية .

يذكر عبد الله النفيسي أنه مما عمق الخلاف بين رجال الدين السنة والشيعة، وكان له أثر فعال في وجهتي النظر السياسية لدى الطرفين، هو مصدر الدخل لدى كل طائفة منهما، فالمؤسسة الدينية السنية تعتمد في دخلها على ما تصرفه وتقدمه الدولة، أي أن العالم السني يُعتبر موظفا حكوميا يتقاضى مرتبا، بينما العالم الشيعي والمؤسسة الدينية الشيعة قادرة على تمويل نفسها والاستقلال عن مؤسسة الدولة\*، وإن

\*- تقدر وكالة رويترز ثروة حوزة آية الله خامنئي في 2013 بـ 95 مليار دولار، كما تشير وكالة فوربس إلى ثروات المؤسسات الدينية والحوزات في العراق وإيران. للمزيد حول الموضوع أنظر : : <https://www.forbes.com/global/2003/0721/024.html#43ee894c4108>  
رويترز، خامنئي يتحكم بثروات ضخمة، متوفر على الرابط التالي : <https://ara.reuters.com/article/idARACAE9B2FR620131111>

<sup>1</sup>- فريديريك ويرلي، مرجع سابق.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

قبلت الإعانة في بعض الأحيان. ومن الملاحظ هنا أن رجل الدين السني يعتبر الحكومة القائمة وسلطتها سلطة شرعية يجب الامتثال لها، أما عالم الدين الشيعي فهو قادر على اتخاذ مواقف معارضة وانتقادية للحكومة، بل إنه يمتلك من الوسائل الاحتجاجية السلمية ما يثبت به معارضته للنظام أو الحكومة<sup>1</sup>.

إن بقاء الحيز الديني الشيعي خارج إشراف الحكومة يثير عند المسؤولين شكوكا حول طبيعة النشاطات التي يقوم بها الشيعة، حيث يشار دائما إلى أن علاقة الجمهور الشيعي بالمراجع المقيمين بالخارج، وإرسال الزكوات والتبرعات إليهم، تفهم باعتبارها ولاء لجهات خارجية، رغم تأكيد الشيعة المستمر على المضمون الروحي المحض لهذه العلاقة. إلا أن سلبية الجمهور الشيعي إزاء الحكومة، تُتخذ كدليل على أن علاقتهم مع مراجعهم تتجاوز البعد الروحي<sup>2</sup>. والحقيقة أن هذه الرابطة وما ينجم عنها من تأثير ومن ثروات متراكمة تمكّن الحوزة من دور مؤثر بغض النظر عن توظيفها له، كما تُبرز النظرة الأمنية والسياسية لدور العبادة، وسعي السلطة للسيطرة عليها، فإن أفلحت في الجانب السني، فهذا يصعب بالنسبة لمؤسسة المرجعية، باعتبارها خارج الحدود، وتمتلك النفوذ في الداخل الخليجي .

من المهم التفريق بين النزعة الشيعية فوق الوطنية بوصفها تيارًا سياسيًا، والتشيع فوق الوطني بوصفه هوية دينية، ولاسيما في حالات المواجهة مع الهوية السنية، أو المشتركات العقائدية التي تسهم في إعادة إنتاج تلك الهوية لجماعة متخيلة فوق وطنية، أو في المؤسسات الدينية التي تقوم بوظيفة حراسة هوية الجماعة عبر إنتاج سياسات للتعامل معها<sup>3</sup>. زاد توظيف هذه النزعة مع تمدد الدور الإيراني والتنظيمات المرتبطة به، واستفاد من احتلال العراق وما نتج عنه من تداعيات، شكّلت عامل ضغط على الحكومات.

في ظل الانبعاث الشيعي والاستقطاب الطائفي ظهرت طُروحات لتنظيم الحالة الشيعية سياسيا لعل منها ما طرحه السيستاني، الذي يتكئ فكره السياسي على أن الانتخابات والمشاركة، تعمل لصالح الأغلبية

1- عباس المرشد، مرجع سابق.

\* آية الله علي السيستاني هو المرجع الأكثر نفوذا وتأثيرا على الإطلاق وسط شيعة العالم، حيث يقلده نحو 80% من الشيعة، بينما يتوزع الباقيون على بقية المراجع ومنها مرجعية خامنئي. ولدى السيستاني أكثر من 2000 ممثل ديني حول العالم، ويصل دخل مؤسساته الاجتماعية من 500 إلى 700 مليون دولار، وتزيد قيمة أصول مرجعيته عن 3 مليار دولار، هذه الأرقام تدلل على مدى أهمية التأثير الذي تحمله مرجعية السيستاني على توجهات الجمهور الشيعي. للمزيد حول الموضوع أنظر: أكرم إلفي، مرجع سابق، ص 98.

2- توفيق السيف، مرجع سابق، ص 82.

3- فراس الياس، مرجع سابق.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

العديدية للطائفة الشيعية في بلدان العراق والبحرين، كما تُسهم في زيادة حصص الشيعة سياسيا واجتماعيا وحتى اقتصاديا، على حسب قوتهم الديمغرافية في كل من السعودية والكويت، كما يدعو للالتزام بقائمة شيعية موحدة وفق قاعدة شخص واحد/صوت واحد ، وذلك للاستفادة من الوزن الديمغرافي.<sup>1</sup>

### 3/تحولات الثقافة السياسية للحركات الشيعية .. بين المغالبة والمشاركة :

تتشرك المجموعات الشيعية في جملة سمات وخصائص وتوجهات، وتتقاسم أيضا التأثير بتحولات البيئة السياسية والثقافية، ما يجعلها تتقارب أو تتنافر مع مركز السلطة، بحسب مقتضيات السياق الإقليمية والتوجهات السياسية داخليا.

انعكس التحول لصالح الثورة في إيران على بنية المجتمع الشيعي في دول الخليج، الذي انقسم بدوره بين تيار محافظ يمثل الطبقة الثرية والوسطى، ويكتفي ببعض المطالب الإصلاحية، ويقدر أكبر من الحرية الدينية للطائفة، والتيار الشيعي الثوري، الذي يتبنى مطالب راديكالية معادية للأنظمة ولتحالفاتها الغربية. وعليه حدثت تحولات في طبيعة الجماعات الإسلامية عموما والشيعة خصوصا، وعلاقتها بمؤسسات الحكم في الخليج، فاتجاهات هذه الجماعات الجديدة هي في طور التحول، من حالة التحالف مع مؤسسات الحكم، إلى العمل على مناهضتها<sup>2</sup>. كما أنه تحول طبقي لقوة التأثير في المجتمع الشيعي، من طبقة التجار إلى الشرائح الشعبية، وما لهذا من انعكاسات على خيارات الجماعة الشيعية .

إن التعامل مع الشيعة في السعودية - والخليج عموما- و كأنهم كتلة صماء، أو أن علاقتهم بإيران علاقة ولاء ديني يستتبع ولاءً سياسيا، هو افتراض خاطئ، وفيه كثير من غياب المعرفة بالواقع الشيعي الخليجي، فالمجتمع الشيعي ليس كتلة صماء، وإنما مجموعات متنوعة في أفكارها وتصوراتها، وفي بنائها العقدي، وفي رؤيتها للعلاقة مع بعضها البعض، بل وفي العلاقات مع الدولة<sup>3</sup>.

لا يمكن مقارنة الحالة الشيعية في منطقة الخليج بالوضع الشيعي في العراق أو لبنان. وإنه لأمر شديد الصعوبة أن تُعمم التجربة السياسية للشيعة في الدول ذات الأنظمة الديمقراطية على غيرها من الحكومات التسلطية. كما قد تتفاوت الحالة الشيعية نفسها في إقليم جغرافي واحد، فالتجربة الشيعية في

1 - أكرم إلفي ، شيعة الخليج من المصادمة إلى المشاركة السياسية، في الطائفية صحوه الفتنة النائمة، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، 2011، ص 99.

2 - خليل علي حيدر ، مرجع سابق ، ص 2248.

3- مصطفى الحباب وآخرون ، مرجع سابق ، ص 59.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

الكويت تختلف اختلافا كبيرا عن مثيلتها في السعودية أو الإمارات، لعوامل تاريخية، أو تبعا للنظام السياسي الحاكم في هذه الدول، أو لثقل السكاني لأتباع هذه الطائفة في كل دولة<sup>1</sup>. وفهم هذه التمايزات وهذه الخصوصية المحلية، يمكّن من فهم أكبر لتفاعلات الحالة الشيعية، وابتعد عن المقاربة التعميمية . الحركات والتيارات الإسلامية الشيعية الخليجية، مفهوم الدولة الوطنية الحديثة لدى الكثير منها متطابق مع التيارات السنية من حيث الهلامية التي تعتريه، والتي يشهد عليها تبني معظمهم فكراً دينياً سياسياً أممياً عابراً للوطنية ذا صبغة عالمية، والارتكان في ذلك إلى أفكار خط الإمام-ولاية الفقيه، وهو ما يعتبره البعض وفقا للتوصيف السياسي خيانة وطنية، في ظل استمرار الجدل والضغط على التيارات الدينية الخليجية الشيعية الرئيسية لاتخاذ موقف محدد إزاء دور الفقيه. ثم تطور هذا الضغط نحو الجدل حول علاقة الدين بالسياسة بشكل عام وقضايا مثل الحريات العامة وسيادة الشعب والعلاقة الممكنة مع الأنظمة السياسية العلمانية والمدنية والقوى الدولية ذات التأثير<sup>2</sup>. لكن هذا الاستهداف إذ اقتصر على الشيعة يعتبر حالة انتقائية، فتنازل بعض الشيعة عن تقليد الولي الفقيه، أو عن تقليد المرجعيات الأجنبية، يستلزم أن يسبقه مشروع وطني يحمل تصورا مشتركا لمآل الدولة، وكيفية تنظيم المجال الديني والسياسي والمجتمعي، في مشروع وطني مواطني جامع .

يوجد ثلاثة تيارات رئيسية للإسلام السياسي للشيعة العرب وهي: حزب الدعوة، وحزب الله، والشيرازيون. تأسس حزب الدعوة على يد محمد باقر الصدر في العراق، وامتد إلى الكويت والبحرين خصوصا، لكنه لم يتحول إلى تيار قوي في أوساط شيعة المملكة. وانبثق تيار حزب الله من حزب الدعوة في بعض دول الخليج، ولا سيما الكويت، وهو يتضمن الشيعة المقلدون للمرشد في إيران، وهذا التيار هو الذي يورق النظم الخليجية التي تخشى من نشاطاته. وينتمي الكثير من كوادر جمعية الوفاق البحرينية إليه.<sup>3</sup>

1 - حسن عبد الله جوهر وحامد حافظ العبد الله، الشيعة والمشاركة السياسية: حالة الكويت ، في الشيعة العرب المواطنة والهوية، تحرير حيدر سعيد ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة ، 2019 ، ص 300.

2 - علي الزميع ، المواطنة الدستورية في فكر الحركات الإسلامية السنية و الشيعة الخليجية ، في تيارات المواطنة في الخليج ، مركز الخليج لسياسات التنمية ، الكويت، 2019 ، ص ص 84، 83.

3 - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص ص 75 ، 76.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

إن تفاعل القوى السياسية الشيعية في دول الخليج، مع المتغيرات المحيطة خلال السنوات الماضية، يشير إلى أن التيار السياسي الشيعي الرئيسي يتجه نحو تغليب البراغماتية السياسية على الأيديولوجيات السياسية - المذهبية، وإلى الاندماج في الوطن والمشاركة السياسية، والتماهي مع الحركة المطلوبة الوطنية على حساب نزعات الانعزال أو التوجه إلى الخارج<sup>1</sup>. وهذا لا يعني عدم وجود مجموعات تحمل خطابا راديكاليا يدعو للطبيعة والانفصال التام، لكن النموذج المهيمن هو النموذج البراغماتي .

يختلف التأثير السياسي لشيعية الخليج من دولة لأخرى، وذلك طبقا لمدى تأثير الطائفة الشيعية وعلاقتها بالسلطات الحاكمة، ويتضح ذلك جليا إذا ما تم التطرق إلى نموذجين هامين، أحدهما يأخذ حرية واسعة في العمل السياسي وهو النموذج الكويتي، والآخر لا يستطيع الحراك بالشكل المطلوب وهو النموذج السعودي. ففي الكويت رغم أن القانون الكويتي لا يجيز تشكيل الأحزاب السياسية، فإن الحكومة تتسامح مع إقامة التجمعات السياسية، والشيعية مثل باقي المواطنين لهم تشكيلاتهم السياسية، أما في السعودية فلا توجد منظمات أو تجمعات سياسية قانونية للشيعية، إلا أنه توجد لهم شبكات غير رسمية<sup>2</sup>. وهذا سائد أيضا في باقي دول مجلس التعاون، خصوصا في ظل اعتماد المجتمع الشيعي على المنظمات والهيئات التي تنظم فعالياته الدينية والاجتماعية .

شهدت الحركة الشيعية مراجعات فكرية، إلا أنه يمكن القول، أن هذه المراجعات على الرغم من عمقها لم تكن قادرة على إخراج أعضاء المنظمة من الحالة المذهبية، إلى حالة أوسع على الصعيد الوطني، وكان الحديث عن حقوق الإنسان يستبطن خطابا سياسيا معنيا بحقوق "الإنسان الشيعي"، ما يعني أن عملية "تسييس المذهب" ظلت قائمة في أثناء المراجعات وبعدها<sup>3</sup>. وهذا ما تستهدفه السلطة، حيث تبقى المطالبات الإصلاحية أسيرة الحيز الطائفي، ولا تُمكن من نسج شبكة مشتركة تؤسس لهيئات وطنية.

1 - شحاتة محمد ناصر ، سياسات النظم الحاكمة في البحرين والكويت والعربية السعودية في التعامل مع المطالب الشيعية (2003-2008) : دراسة مقارنة ، مجلة المستقبل العربي ، مرجع سابق ، ص 37.

2 - جلال الدين محمد صالح، ولاية الفقيه وإشكالية السلطة في الفقه الشيعي ك المنطلقات الفكرية ، الأسس الإستراتيجية، الآثار الأمنية ، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض ، ط1 ، 2015، ص 48.

3 - بدر الابراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 185.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

إن خيار المشاركة الشيعي، يمثل استجابة لاتجاه النظم الخليجية - بطرق متفاوتة - إلى تبني خيار الإصلاح السياسي منذ التسعينات، وقد تسارعت وتيرة الإصلاحات بعد احتلال العراق، حيث شهدت دول الخليج ممارسة انتخابية، مثل الانتخابات البلدية في السعودية، والانتخابات البحرينية في 2006، ومشاركة المرأة في الانتخابات الكويتية علاوة على إجراء انتخابات جديدة في الإمارات<sup>1</sup>. والقاسم المشترك بين هذه الإصلاحات جميعها قائم على ضغط السياق الدولي والإقليمي، وعلى الاتجاه التنازلي للإصلاحات باعتبارها منحة سلطوية تحدد مساحة الإصلاح وحدوده.

على الرغم من تنامي مطالب الشيعة بعد عام 2003، فإن التيار الرئيسي بينهم اتخذ الأسلوب السلمي طريقاً لطرح هذه المطالب، عدا بعض القوى الصغيرة التي لا تؤثر في الاتجاه العام. وهذا على عكس ما حدث بعد الثورة الإيرانية عام 1979، حينما اتجه الشيعة العرب إلى تبني أساليب عنيفة في العلاقة مع نظم الحكم في بلادهم، وهذا التحول كان بفعل استقرار تجارب المواجهة في الماضي، خاصة فيما بعد عام 1979، وإدراك موضوعي لنتائجها السلبية، أي أن الكفاح السلمي أصبح خياراً استراتيجياً للتيار الرئيسي بين الشيعة، وهذا يفتح المجال لتعزيز الثقة بين الشيعة والنظم الحاكمة<sup>2</sup>.

الشيعة في الخليج وإن امتلكوا خصوصيات ثقافية ومذهبية، فإنهم ليسوا جالية تعيش في الخليج، ولا يصح التعامل مع قضاياهم ومطالبهم وكأنهم جالية وافدة إلى الخليج. هم جزء أصيل، ولهم مساهماتهم التاريخية في الدفاع عن وجودهم العربي وقضايا الأمة العربية، كما أنهم كأى مجتمع آخر، ليسوا إطاراً مغلقاً، وبتعبير أكثر وضوحاً ليسوا حزباً سياسياً، وإنما هم مثل أى مجتمع يحتضن آراء وقناعات وميولات وتوجهات مختلفة ومتعددة، ولا يجوز التعامل معهم بوصفهم كتلة بشرية مغلقة<sup>3</sup>. إن هذه المعاملة تعمل على انكفائهم أكثر على حدودهم الطائفية، وتشيع التخاوف المجتمعي، وتسهل عملية توظيفهم داخلياً وخارجياً.

تتسم الحالة الشيعية في دول مجلس التعاون بجملة خصائص تميز المجتمعات الشيعية، وظروف نشأتها وواقع ممارساتها الدينية وعلاقتها بمجتمعها وبالخارج، لكن هذا التلاقي والتشابه لا يعني التناظر

1 - أكرم إلفي، مرجع سابق، ص 110.

2 - شحاتة محمد ناصر، مرجع سابق، ص 44.

3 - مصطفى الحباب و آخرون، مرجع سابق، ص 37.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

التام، فلكل دولة سياقها الداخلي وتجربتها الداخلية وواقعها الديمغرافي والاقتصادي، وكلها متغيرات فاعلة في صياغة علاقة الطوائف بالسلط. وعليه تستهدف المباحث الموالية مقارنة المسألة الطائفية في كل دولة على حدى، من أجل فهم أكبر للخصوصيات الداخلية، وكشف أوجه الاختلاف والتشابه.

#### المبحث الثاني : المسألة الطائفية في السعودية بين تحالف القوة والفكرة والمال .

المسألة الطائفية في السعودية ظاهرة مؤثرة، ليس فقط على مستوى الجوار الخليجي، بل حتى على المستوى الإقليمي والدولي، حيث توظف السعودية الاصطفاف الطائفي والمذهبي في سياساتها باعتبارها ممثل العالم السني، خاصة في تنافسها مع إيران. كما أنها تعيش داخلها حالة طائفية تظهر وتخفت تبعاً للسياقات الداخلية والتأثيرات الإقليمية، مع وجود تنوع طائفي وكتلة شيعية كبيرة ديموغرافياً.

#### المطلب الأول : سردية النشأة وانعكاساتها الطائفية .

تتميز السعودية عن باقي دول مجلس التعاون بكونها دولة تشكلت بفعل تحالف المؤسسة الدينية (الوهابية) مع العائلة الحاكمة (آل سعود)، حيث مثلت الأولى المبرر الشرعي لتمدد الأسرة في الجزيرة العربية. وعليه فإن التوجهات السياسية للسلطة والمعارضة، ولباقي المكونات المجتمعية طبعتها مرحلة التأسيس وما انجر عنها من فعل ورد فعل .

#### 1/ الوهابية ونشأة الدولة السعودية: في علاقة التكوين المتبادل .

يصنف النظام السياسي في العربية السعودية بين الأنظمة التقليدية، المحكوم بفلسفة الدولة القديمة. لا تشير أي وثيقة رسمية\* منذ تأسيس المملكة إلى علاقة تعاقدية بين المجتمع والدولة<sup>1</sup>. البلاد والأسرة التي تحكمها ليستا كيانات منسجمين، إنها ملكية مطلقة تحكم من خلال قاعدة سلطة ضيقة، مؤلفة من كيانات مترابطة بإحكام، قوامها قرابات وتحالفات مع نخب محلية، ومع المؤسسة الدينية الوهابية، ويشكّل رجال الأعمال من غير الأسرة الملكية، وزعماء القبائل، وأعيان المدن جزءاً من حاشية أمير معين<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 39.

\*بين 83 مادة يتألف منها النظام الأساسي للحكم ، وهو بمثابة دستور المملكة ، ثمة ثمانية (08) مواد يمكن القول – مع بعض التحفظ- أنها تتناول حقوق الإنسان . لكن ليس ثمة نص واضح على حرية الاعتقاد ، ولا حرية التعبير ، ولا حرية التجمع وتنظيم الجمعيات، كما لا ينص أن الشعب مصدر السلطة، ولا ينص على حق جميع المواطنين في تقلد الوظائف العامة، أنظر توفيق السيف ، أن تكون شيعياً، ص 202.

<sup>2</sup> - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص 54.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

يمكن مقارنة إشكالية هوية الدولة في الحالة السعودية من خلال الحديث عن العقيدة الوجدانية للدولة ومكوناتها، فقد تأسست الدولة على هوية خاصة بفئة معينة عُممت على جميع المكونات. ويمكن الحديث عن إشكالية الدولة في السعودية، بالرجوع إلى المكونين الرئيسيين اللذين يفترض توفرهما لإيجاد حالة ولاء من المواطنين لها: التاريخ المشترك والمصلحة المشتركة<sup>1</sup>. ويبدو أن هذين المتغيرين يغيبان جزئياً في الحالة السعودية، التي كانت عبارة عن إمارات ومناطق منفصلة ومستقلة ومتباينة، وكانت عملية الاندماج القسرية والتوجهات السياسية للعائلة الحاكمة، عوامل كابحة لتشكل مصلحة مشتركة.

تبادلت الأسرة الحاكمة والحركة الوهابية التسويغ والتمكين، فمكّنت الدعوة الوهابية المشروع السعودي التوحيدي في الجزيرة من شرعيته الدينية، ومكنت الدولة المؤسسة الوهابية من الصيرورة مؤسسة رسمية ذات سلطان في الشؤون العامة. وكان على الدولة أن تراعي باستمرار هذا التحالف، الذي هو في صلب تكوينها، فتكيف سياساتها مع مطالب المؤسسة الدينية ومعاييرها. وعليه استمرت الشراكة بين الأسرة السعودية والمؤسسة الوهابية في إعادة إنتاج نفسها كحاجة مزدوجة<sup>2</sup>. لكن العلاقة لم تبقى بذات الندية ومالت لصالح الأسرة الحاكمة.

تمايزت مناطق الجزيرة العربية عن بعضها بفوارق مذهبية، ومعيشية، واختلاف في مستويات الثقافة، كما كانت هناك منظومات سلطة محلية شبه مستقلة. وبالتالي فإن الذي جرى تجميعه في الإطار الوطني هو منظومات اجتماعية يحمل كل منها هوية خاصة قابلة للمقارنة بالهويات الأخرى. من هذه الزاوية فقد كان المؤمل، أن يُترجم توحيد المملكة في احتواء هذه الهويات الخاصة، ضمن هوية جامعة هي الهوية الوطنية. لكن ما حصل فعلاً يتراوح بين الإهمال التام لهذه الهويات حيناً، ومحاولة القضاء عليها وإحلال الهوية الثقافية للقوة الغالبة بالقوة حيناً آخر<sup>3</sup>. وهذه السياسات تعمل على استفزاز المكونات الاجتماعية المختلفة، والتي لم ترى في الدولة الجديدة معبراً عن هويتها، بقدر ما كانت غلبة لفئة اجتماعية ومناطقية مغايرة، بمنطق التغلب البدوي، لا بمنطق الشراكة السياسية لتشكيل دولة .

<sup>1</sup> - بدر الإبراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص ص 25 ، 26.

<sup>2</sup> - عبد الإله بلقزيز ، الدين والدولة في الاجتماع العربي المعاصر : نظرياً ، وتاريخياً ، واستشرافاً ، في الدين والدولة في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 2013 ، ص ص 50-51.

<sup>3</sup> - توفيق السيف ، تفكيك الاستبداد : الاستبداد وآليات إعادة إنتاجه والسبل الممكنة لمواجهة (دراسة حالة) ، في الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 2005 ، ص 222.



## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمتية للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

ثمة ثلاث مفارز رئيسية تفرض نفسها على التركيبة الاجتماعية في السعودية وهي: المذهب، القبيلة، المنطقة، وفي داخل كل واحدة من هذه المفارز، تظهر تمايزات فرعية تعكس صورة الانقسامات الاجتماعية. ثمة سلسلة من الانتماءات تطبع المذهب والقبيلة والمنطقة، وهي إجمالاً تعبيرات ساطعة عن طبيعة الانقسام السكاني<sup>1</sup>. فالتكوينات الطبقيّة الاجتماعية في العربية السعودية مازالت متكئة على مفهوم القبيلة والعشيرة كمقابل للتنظيمات الدستورية المعتمدة على مفهوم المواطنة والحقوق والواجبات، إذ نشأت الهويات المناطقية والفئوية وغابت الهوية الوطنية الجامعة<sup>2</sup>. لأن هذا هو منطق العملية السياسية، في ظل انعدام مشروع وطني يستوعب الجميع، ومؤسسات عابرة للانتماءات تُترجم هذا الاستيعاب.

يؤدي المذهب الرسمي (مذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب) دوراً مهماً في تسوير وصيانة التماسك ضمن البيئة الاجتماعية الخاصة بالنظام (نجد). بالنسبة للمناطق الأخرى، فإن الوظيفة السياسية للدين ليست مماثلة في كل الأوقات لوظيفته في نجد. إن زيادة نفوذ المذهب الوهابي تؤدي بالضرورة إلى تدهور العلاقة بين الدولة وأتباع المذاهب الأخرى، ومن هنا فإنه يمكن القول إن المذهب الذي تتوسل به الدولة لضمان شرعيتها في نجد، يلعب دوراً معاكساً تماماً في خارجها<sup>3</sup>. حيث يعمل على التفتير الاجتماعي رغم الاختراقات التي حققها في البيئات المقابلة. لكن يبدو أن الهدف ليس الاستيعاب أو تكوين جبهة وطنية متماسكة، بقدر ما هو ترسيخ حالة الانقسام الاجتماعي وفق الحدود الهوياتية، من أجل الحؤول دون وجود مشروع وطني جامع.

في مرحلة التأسيس سلطة الدين كانت قابلة للتوظيف في تجاوز سلطة القبيلة، ولكن حين أُريد لهذا العامل الديني أن يُوظف خارج نجد، كانت هناك سلطات دينية موازية في الحجاز والمنطقة الشرقية ونجران. وعليه، لم يكن العامل الديني قادراً على صنع هوية ثقافية ودينية مشتركة. ولذلك ارتبط الدين بالإقليم وأيضاً بالمجموعة، وقد تحولت هذه المكونات في مجملها إلى سلطة شخصية ذات طبيعة مستقلة،

1 - فؤاد إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 19.

2 - عبد المحسن هلال ، الحاجة إلى الإصلاح في المملكة العربية السعودية ، مجلة المستقبل العربي، العدد 402، أغسطس 2012، ص 54.

3 - توفيق السيف ، تفكيك الاستبداد : الاستبداد واليات إعادة إنتاجه والسبل الممكنة لمواجهته (دراسة حالة) ، مرجع سابق ، ص 245.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

لا تنتمي إليها غالبية سكان السعودية<sup>1</sup>. يبدو أن السردية الدينية كانت تستهدف الحاضنة الشعبية للعائلة الحاكمة في نجد، من أجل تكوين عصب اجتماعية، وحشد على أسس عقديّة، يمكّن من التمدد . لم يقتصر التضييق والاستبعاد الاجتماعي-الذي رافق نشوء الدولة في السعودية- على الشيعة الجعفرية فقط، بل امتد إلى الأشراف في الحجاز، والقبائل المصنفة في خانة الأعداء السابقين، والشيعة الإسماعيلية، وكذا الجماعات السياسية الحديثة كالأحزاب القومية والبرالية واليسارية<sup>2</sup>. وتُوفّر المؤسسة الدينية المسوغ الشرعي لهذا الاستبعاد، باعتبارها الممثل للفهم الصحيح لتعاليم الدين، وباعتبار هذا التوسع خدمة للدعوة.

في فبراير 2009 أعاد الملك تشكيل هيئة كبار العلماء، المسؤولة عن الشؤون الدينية، وأضاف لها ثلاثة علماء يمثلون المذاهب الإسلامية المالكية والحنفية والشافعية، إلى جانب ثمانية عشر (18) عضواً من علماء المذهب الرسمي (الحنبلي)، لكنه استثنى الشيعة من هذا التشكيل<sup>3</sup>. وفي هذا مؤشرات بالغة الأهمية عن حجم الاستبعاد الاجتماعي على أسس مذهبية وطائفية حتى داخل الحاضنة السنيّة. ورسالة أيضاً للمكون الشيعي، أنه ورغم الانفتاح المحدود، إلا أن مسألة الاندماج في المشروع الوطني لا زالت تواجهها تحديات، أبرزها التصنيف الطائفي. إلا أن الإيجابي في الأمر أن هناك سعي نحو الاعتراف بخطأ بعض الممارسات .

لا يمكن للهابية السلفية أن تغذي ذاكرة جماعية تولّد هوية مشتركة لعموم المواطنين، فهي تقوم بعمل تقسيمي لتعيد الناس إلى هوياتهم الخاصة المقابلة لهذه الهوية، وهكذا فإنها تعمل بوصفها هوية طاردة لا هوية جامعة، كما أنها تصنع رواية تاريخية منفرة بكل الأحوال، فالرواية التاريخية المؤسسة للدولة تتحدث عن حرب الموحدين ضد الكفار، وعليه لا يمكن أن تنتج رواية تاريخية مبنية على تقسيم المجتمع إلى منتصر ومنكسر أي تاريخ مشترك أو وعي جماعي لأمة وطنية<sup>4</sup>. خاصة إذا كانت هذه الرواية التاريخية موجهة لمكونات لا زالت قائمة ولها أتباعها، حيث تورث ثقافة استعلائية فوقية تؤزّم الذاكرة الجماعية .

1- فؤاد إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 48.

2- المرجع نفسه ، ص 11.

3- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 34.

4- بدر الإبراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 26

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

الشروط الدنيا في بناء دولة الأمة مازالت غير مستدركة في خطاب الدولة، فمازال المسؤولون يتعاطون مفردات ذات مضامين فتوية\*. فالانقسام في البنية السكانية كأحد تجليات فشل مشروع التوحيد الوطني عكس نفسه في الواقع، ودل عليه خطاب انقسامي يتبناه ويُشيعه رجال الدولة، ومثل ذلك قول الأمير نايف: " إن المملكة دولة سلفية، وإننا لا نتردد أو نتحفظ بالتأكيد على أننا دولة ذات منهج سلفي". هذا الخطاب يترجم بصورة أمينة ودقيقة المنهج الانقسامي، والنزعة الفتوية داخل الجهاز الإداري للدولة<sup>1</sup>. تحديث الاقتصاد أنتج تحولات في جوانب الحياة المختلفة. لكن الدولة أغلقت تماما إقامة الإطارات القانونية والمؤسسية، التي يفترض أن تستوعب وتنظم الوضع الجديد. لهذا فإنه لا يزال هناك ظرف انتقالي، ليس بالتقليدي تماما، وليس بالحديث، تظهر فيه حداثة على المستوى الاقتصادي والمعيشي، إلى جوار حياة ثقافية وسياسية تسيطر فيها تقاليد قديمة وغريبة عن روح العصر ومتطلباته<sup>2</sup>.

بقدر ما كانت الوهابية الفكرة الدينية التي وفرت الحشد والدعم واللحمة في بداية الانبعاث السعودي من نجد نحو توحيد الجزيرة العربية، وبقدر ما وفرت المسوغ الشرعي لاستمرار حكم الأسرة الحاكمة، في ظل علاقة التكوين المتبادل، إلا أنها انعكست سلبا على التماسك الاجتماعي، وضمنت إعادة إنتاج الطائفية والفتوية، فقدرتها التوحيدية موجهة لحاضنة النظام، لكنها عجزت أن تمثل عقيدة جامعة للدولة .

### 2/ المكون الشيعي والسردية الوهابية : الواقع المرتهن لمرحلة التأسيس .

الإسلام في العربية السعودية مصدر جوهرى للتنازع: بين السلطة والإسلاميين من جهة، وبين الإسلاميين أنفسهم، لتعدد التصورات التي تُلهمهم، من جهة أخرى. وتتجلى هذه النزاعات أحيانا في صيغ عقدية وفقهية على صلة بالديناميات الاجتماعية المصاحبة: سواء أكانت صراعات رأسية بين أفراد ينتمون إلى طبقات مختلفة في الهرميات الاجتماعية، أم صراعات أفقية بين قوى تنتمي إلى قطاعات اجتماعية مختلفة<sup>3</sup>. فالميل نحو توصيف الهوية الأيديولوجية للدولة لا يزيد إلا في تعزيز التوجه الانقسامي،

\*صدقت المملكة العربية السعودية على الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري في 23 أكتوبر/تشرين الأول 1997، وعلى اتفاقية مناهضة التمييز في التعليم في 17 أغسطس/أب 1973، وعلى اتفاقية حقوق الطفل في 25 فبراير/شباط 1996. وقدمت الحكومة السعودية تقريرين إلى لجنة الأمم المتحدة المشرقة على اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز، للمزيد يمكن الاطلاع على الملف التالي : <https://www.hrw.org/ar/report/2008/09/22/223144>

1 - فواد إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 14.

2- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 46.

3 - ستيفان لاكروا ، زمن الصحوة : الحركات الإسلامية المعاصرة في السعودية ، (ترجمة : عبد الحق الزموري) الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، ط1 ، 2012 ، ص 12.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

خصوصا حين يراد تسييد تلك الهوية، في بلد يحتضن طيفا من الهويات المعبرة عن فئات اجتماعية ومذهبية وإقليمية<sup>1</sup>. وعليه نشأت ردّات فعل أعادت الناس لهوياتهم الأولية، ناتجة عن تصورهم بأن الهوية الملازمة للسلطة والتي تسعى لتعميمها، هي هوية مكونات اجتماعية منافسة وليس مشروعاً وطنياً جامعاً، ومنه تحولت العلاقة لصراع حول الحيز الاجتماعي للهويات .

انحصرت مطالب الشيعة عند التسليم لابن سعود بحكم المنطقة الشرقية في كفالة الحرية الدينية شرطاً من شروط الناس، والحرية التجارية شرطاً من شروط الوجهاء، لكن تمدد الدولة رافقه تمدد للحركة الوهابية، ومن هنا بدأ الناس في مواجهة مباشرة مع السلطة الجديدة تحت عنوان " حرية المعتقد"، ومع تطور جهاز الدولة بدأ ظهور المطالب الخدمية من قبل الوجهاء، ومع زيادة حجم المؤسسات الرسمية وتوسع الوظائف الحكومية برز " التمييز " في الوظائف، والتمهيش المناطقي في المشاريع الخدمية في مناطق الشيعة<sup>2</sup>.

مقارنة بالبحرين والكويت تبدو حقوق الشيعة الدينية والثقافية في العربية السعودية أكثر تقييداً بالنظر للتأثير الوهابي، لذلك فهناك الكثير من مظاهر التمييز التي تشير إليها المصادر الشيعية وغير الشيعية، كالتضييق في بناء المساجد والحسينيات ومعاهد التعليم الديني<sup>3</sup>. أما في مسألة التقليد لمرجعيات خارج السعودية، فالحكومة لم تكوّن مؤسسة دينية جامعة، ولم تقبل بتشكيل مؤسسة دينية شيعية داخل المملكة تكون مرجعاً لشيعتها، وبالشكل الذي يجدون فيه أقنية محددة وفاعلة تحل مشاكلهم اليومية<sup>4</sup>. وهو ما نجم عنه توجُّههم لحوزات خارجية لتلبية احتياجاتهم الفقهية وأمورهم التعبدية، مع ما لهذا من نفوذ.

إن من أهم العوامل التي أثنت الشيعة عن التمرد بعد اجتياح آل سعود للمنطقة الشرقية، هو نظرة الشيعة إلى آل سعود بوصفهم الحاجز الذي يفصلهم عن المواجهة المباشرة مع المؤسسة الوهابية. فعلى الرغم من تحالف آل سعود مع الوهابية، فإنهم لم يستجيبوا لتوجهاتهم الأكثر تطرفاً بشأن الشيعة. فضلاً على ذلك فإن الملك عبد العزيز، وتقديراً منه للموقف المسالم للشيعة في أثناء دخول قواته إلى مناطقهم،

1 - فؤاد إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 14.

2 - بدر الأبراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص ص 83 ، 84.

3 - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 162.

4 - حمزة الحسن ، علاقة شيعة السعودية الخارجية مذهبياً وسياسياً ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/ij2lz>

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

عمد إلى منحهم بعض الحقوق<sup>1</sup>. طبع هذا التوازن العلاقة بين الشيعة والسلطة ورسم حدود التعاون والصراع، باعتبار العائلة الحاكمة هي الضامن لبقاء الشيعة، والكابح لتوجهات المؤسسة الدينية، رغم أن هذا كان في بدايات النشأة، فقد استمر بصور مختلفة بعد ذلك.

التمييز الطائفي بكل أشكاله هو واحد من تجليات مشكلة أعمق، تتمثل في عجز المجتمع السياسي مغادرة المرحلة التأسيسية، التي ساد فيها تقليد التمركز والإقصاء، على الرغم من تبني إستراتيجية تنموية، كان يفترض أن تؤدي إلى توسيع قاعدة النظام، واستيعاب جميع الشرائح التي يتألف منها المجتمع الوطني، وهذا يرجع بدوره - جزئياً على الأقل - إلى قيام النظام السياسي على فلسفة تتحو بشدة نحو التمركز، الذي يقود بالضرورة إلى إقصاء الأطراف<sup>2</sup>. مكونات الأيديولوجيا السياسية للدولة السعودية ظلت هي ذاتها قبل التأسيس وبعده، وهذا ما جعل السلطة تتفوق على الدولة بل تحبط فرص نموها، وزاد من حدة التباينات بين الفئات السكانية في مجالات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية<sup>3</sup>.

إن الأطاريح التي أرجعت سياسات الهوية الشيعية إلى بناء الدولة، تعاملت مع الهوية على أنها انعكاس لمحددات بنيوية، بينما تميزت عنها المقاربات التي تابعت الفعل السياسي للحركة الشيعية، أي أن تطور الأفكار في السياق الشيعي، والتلاحق الخطابي مع الحركة في العراق كانا وراء ظهور الهوية الشيعية بهذه الصورة<sup>4</sup>. حيث انتقلت بسبب الانفعال مع المتغيرات الإقليمية وظروف الواقع الداخلي من السلبية إلى المعارضة السياسية، متأثرة بالسياق الإقليمي في ظل التشابك الديني والعائلي مع المحيط الشيعي .

على الرغم من مرونة المؤسسة الدينية الرسمية أو بعض أعضائها تجاه الشيعة، ورغم الضعف الذي لحق بهذه المؤسسة، فإن موقف التيار الديني من الشيعة ظل عامل كبح لسياسة الانفتاح الحكومية، وغير الحكومية تجاههم، وذلك بالنظر إلى ثلاثة عوامل<sup>5</sup>:

1 - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 227.

2- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 37.

3 - فؤاد إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 45.

4- أحمد سعد العوفي ، مرجع سابق ، ص 523.

5 - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 243.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

- المرونة التي أبدتها المؤسسة الدينية تجاه الشيعة، إنما كانت بضغط من السلطة، ولم تكن تعبيراً عن تحول جوهري .

- رغم أن تحدي التطرف السني بعد عام 1991 ساهم في تقارب آل سعود مع الشيعة، فإن العائلة الحاكمة كانت في ذات الوقت بحاجة إلى دعم المؤسسة الوهابية السنية، ضد تنظيم القاعدة الذي طعن في الشرعية الدينية للأسرة الحاكمة .

- على الرغم من التقارب النسبي بين الإصلاحيين، فإن مواقف بعض الإصلاحيين السنة من الشيعة ظلت سلبية. أي أن الأمر لم يتوقف عند موقف حذر أو عدائي من السلفيين. بل امتد إلى الإسلاميين الإصلاحيين أو الليبراليين، وهذا قلل من اندماج الشيعة في الحركة المطالبة السعودية .

إن ما يبقى مهمة التعايش بالغة الصعوبة هو أن التشيع والسلفية يتضمنان متشابهات مشتركة، ولكنها موجهة لتعزيز التمايز وليس التقارب. والتشيع المقصود هنا هو المذهب الإمامي الاثناعشري الذي يعتنقه أكثر من نصف سكان المنطقة الشرقية، كما يغلب على شيعة الخليج. من منظور سوسولوجي يمكن القول أن التشيع حركة ضد انحراف الدولة، والسلفية حركة ضد انحراف المجتمع، وكلاهما تحتفظان بقدرة تعبوية تعين على إنجاز مشروع الدولة. لكن كلا الحركتين تفتقران إلى إجابات حاسمة عن أسئلة تتعلق بسير عمل الدولة والمجتمع وإدارتهما<sup>1</sup>.

يرى توفيق السيف أنه يجب فهم دور الوهابية في التأسيس للدولة، وفي انعكاساتها الطائفية عبر زاويتين:<sup>2</sup>

أ- غلبة الدين (أي دين) لابد أن يُطلق رغبة في التوحيد والتفرد، وهذا يؤدي بطبيعة الحال إلى مزاحمة التفريعات المختلفة قليلاً أو كثيراً عن التيار العام.

ب- المذهب الوهابي توسع متوازياً مع توسع الدولة، أو لعله كان شريكاً للسلطة، أو ربما أداة لها، في كل الأحوال هو أيديولوجيا الدولة. ومن هنا فإنه يتعامل مع كل المذاهب المماثلة من منطلق كونه سيدياً وحاكماً. ونعلم أن الثقافة العربية التاريخية تعطي للحاكم والسيد حق الانفراد ومنع المنافسة.

<sup>1</sup>- فؤاد إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 142.

<sup>2</sup>- مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور توفيق السيف (أكاديمي وناشط سعودي) عبر مراسلات إلكترونية، بتاريخ : 2020/08/23.

المكونات الهوياتية بحد ذاتها تتضمن كوابح بنيوية للتعايش داخل الدولة، نظرا لأنها تقوم على نفي الآخر. ومنه فنفوذ كل منها في حيزه الاجتماعي يُعيق مسألة الاندماج. في ظل ضعف هيئات المجتمع المدني والمؤسسات المدنية المتجاوزة للانتماءات، والتي تحمل القدرة على تكوين أرضية مشتركة تصهر التكوينات. وعليه عملت السلطة على أن يُستأسر المجتمع في الفعل ورد الفعل الطائفي .

#### المطلب الثاني: النظام والشيعية: بين التضييق والانفتاح المحدود

شهدت إدارة السلطة السعودية للمسألة الطائفية وعلاقتها بالمكون الشيعي على وجه التحديد محطات فاصلة، غالبا ما امتزجت فيها تأثيرات الداخل والخارج، إلا أنها انحصرت بين التضييق والانفتاح المحدود، وكل نمط في العلاقة عبر عن تطورات مرحلة زمنية ورهاناتها.

#### 1/ سياسات النظام وسيقاتها : الثابت والمتغير .

يوظف النظام السعودي استراتيجيات عديدة حيال أقليته الدينية وقيادتها. وقد يكون التمييز المُمنهج الشامل ضدّ الشيعة سمةً للحظة تاريخية، لكنّ الوضع السياسي قد يستلزم بدائل للقمع. وأحيانا يترافق القمع مع استيعابٍ لأقلية. وعلاوةً على ذلك، قد يقيم النظام الشيعة بهدف معالجة قضايا تتعلق بالأكثرية السنّية، كأن يسعى ببساطة لاكتساب ولائهم في وقتٍ لا يكون فيه هذا الولاء مضمونا. ولذا، من المهمّ الإشارة إلى عدم وجود إستراتيجية اعتيادية ومتوقّعة يستخدمها النظام ضدّ الشيعة. فكلّ لحظة تاريخية تستلزم تعاملًا محدّدًا، يراوح من القمع المباشر إلى الاستيعاب والتساهل. وقد دفع الربيع العربي -وأثره المُحتَمَل على البلاد- النظام إلى إعادة تنشيط الخطاب الطائفي ضدّ الشيعة بهدف تجديد ولاء الأكثرية السنّية<sup>1</sup>. والحؤول دون تكوّن جبهة إصلاحية موحدة، وكبح أي مطالب من الأغلبية بمزيد من المشاركة، على اعتبار أن الوضع الأمني لا يسمح، في ظل التهديد المحتمل الذي تمثله المكونات الشيعية .

لا يمكن الحديث عن اضطهاد للشيعة في السعودية مثلما كان في بدايات نشأة الدولة، أو الأعوام التالية للثورة الإيرانية عام 1979، ولكن لا يمكن في الوقت نفسه الحديث عن وضع إيجابي لهم يندرج ضمن مفهوم المواطنة الكاملة. والسبب في ذلك أن الحاجز النفسي الذي بني ضدهم على مدى أعوام

<sup>1</sup> - مضايي الرشيد ، الطائفية كثورة مضادة السعودية و الربيع العربي ، متوفر على الرابط التالي : <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=611499&r=0>

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

طويلة يحتاج إلى وقت للتغلب عليه، فضلا عن أن القوى المعارضة لمنحهم مزيدا من الحقوق مازالت تدافع عن موقفها بضراوة<sup>1</sup>. كما أن البنية السياسية للدولة لا تعمل على الدفع نحو الاندماج والتشاركية، فلا وجود لعملية سياسية تفاعلية .

دفع السياق السياسي بعد حرب الخليج الثانية، إضافة إلى حصر الحركة الشيعية علاقتها مع بعض الدول التي تقيم فيها في حدود ضيقة، وأيضا نشاطها الإعلامي والحقوقي المؤثر في الغرب، كل هذه العوامل دفعت الملك فهد في صيف 1993 لمحاولة حل المشكلة الشيعية عبر عفو شامل، وسعى لإصلاحات تستجيب لبعض المطالب، لكن مرض الملك، ورفض بعض القوى المنتفذة - خاصة منها وزارة الداخلية - عطل الوعود والمشاريع الهادفة لإصلاح وضع الشيعة ودمجهم في النسيج العام، لتعود الأمور لوضعها السابق، وكذلك عاد بعض المعارضين إلى الخارج، للعمل وفق رؤية مختلفة تشير إلى أن إصلاح وضع المواطنين الشيعة لا يمكن أن يتم دون إصلاح سياسي شامل يكون الشيعة جزء منه فقط<sup>2</sup>. لا يمكن البناء دائما على فكرة انقسام النظام بين محافظين وإصلاحيين، لأن فرصة المعارضة حتى داخل النظام محدودة، فقد يكون هذا الانقسام والتباين مفتعلا، من أجل تصوير أي تنازلات أو انفتاح على محدوديته، أنه توجه يلقى معارضة من تكوينات نافذة ومؤثرة، ولا تسمح بالمزيد. دون التقليل من دور ووجود هذه المكونات، خاصة وزارة الداخلية التي عبرت دائما عن نفوذ التيار المحافظ .

على إثر التسوية مع الحكومة، عادت شخصيات المعارضة الشيعية البارزة من المنفى. حدثت التسوية بعد أن وعدت الحكومة بالسماح للشيعة بحرية دينية أكبر وبزيادة دمجهم في الاقتصاد. ومع ذلك، بقيت جماعة من الناشطين الشيعة في الخارج واصلوا حشد أنصارهم داخل العربية السعودية. يمكن القول أن هناك ثلاثة أسباب رئيسية دفعت الدولة للتفاوض مع المعارضة الشيعية :<sup>3</sup>

1- أن هذه المعارضة أضحت مؤثرة فعلا بين عامي 1991 و1993، وبانتت تحقق تقدما على

الصعيد الإعلامي، وفي علاقاتها مع المؤسسات الحقوقية الغربية .

1 - شحاتة محمد ناصر، مرجع سابق ، ص 166.

2- سلمى حمدي و آخرون ، مرجع سابق ، ص 179.

3 - مضايي الرشيد ، الطائفية كثورة مضادة السعودية والربيع العربي، المرجع السابق.



## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

2- خشية الدولة من أن يتطور التنسيق والتواصل بين المعارضة الشيعية والسنية ليشكل لبنة لعمل سياسي وطني موحد عابر للطوائف .

3- التراجع الاقتصادي في السعودية خاصة بعد حرب الخليج، جعل الحكومة تخشى أن يؤدي إلى مزيد من الاضطرابات السياسية .

أصدر الملك فهد عفوا عاما أثناء جلسات التفاوض في 28 تموز يوليو 1993، كما أبرق لسفارات المملكة حول العالم يُعلمهم بأن التوجيهات الملكية قضت بالعمو عن كل من عمل في المعارضة من الطائفة الشيعية، والسماح لهم بالعودة إلى المملكة، وهي إشارات سمحت بأن يصل الحوار إلى نتائج في وقت سريع<sup>1</sup>. ضمن تسوية الحكومة مع المعارضين الشيعة سنة 1993، وعدت الحكومة برفع الحظر على السفر بحق النشطاء، وتخفيف التعاليم المعادية للشيعة في نظام التعليم المدرسي، والعمل على تحسين درجة المساواة بين الشيعة والسنة، لا سيما في التوظيف، قدمت الحكومة بعض التنازلات، لكن لم يتم إحراز تقدم يذكر في شأن الخطاب غير المتسامح أو التمييز<sup>2</sup>.

أثر مسار المفاوضات بين الحكومة والشيعة عن حلول جزئية لبعض مظاهر التمييز، لكنها فشلت في إطلاق المرحلة الحاسمة، أي ضمان الحقوق المدنية والسياسية في إطار القانون<sup>3</sup>. إن هذا الانفتاح هو أقصى ما تستطيع البنية الحالية للنظام تقديمه، فهي تسعى لتقديم إصلاحات موجهة لفئات بعينها توظفها في السياسة العامة، لذلك اقتصر الانفتاح مع الشيعة على ما يعينهم كطائفة من ممارسات دينية في إطار محدود، وبعض الإصلاحات الاقتصادية في مناطقهم، لكن هذا سقف الانفتاح، لأن أي تجاوز لهذا المستوى يعني الدخول في إصلاحات أعمق تتجاوز الطائفة لتشمل جميع المواطنين، لأن ما يواجهه الشيعة من تحديات تواجهه أيضا بقية المكونات، وتسعى لإصلاحه .

أحد الدوافع لإقدام الحكومة السعودية على مبادرة المصالحة مع المعارضة الشيعية في المنطقة الشرقية ممثلة في الحركة الإصلاحية في سبتمبر 1993، هو الخوف من نشوء تحالف سياسي بين هذه الحركة والمجموعة السلفية الاعتراضية الناشئة إبان حرب الخليج الثانية، والتي عبرت عن نفسها لاحقا

1 - بدر الأبراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 196.

2 - كريستوف ويكلي، الحرمان من الكرامة : التمييز المنهجي والمعاملة المتسمة بالعدوانية بحق المواطنين السعوديين من الشيعة، هيومن رايتس ووتش ، سبتمبر 2009، ص06.

3- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 139.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

في (لجنة الحقوق الشرعية)، فانعقاد رابطة تنسيق بين طرفين متناقضين كشف خطورة التقاء طرفين فاعلين في الساحة المحلية، وهو ما يحمل تهديدا خطيرا للسلطة<sup>1</sup>. وهذا التقارب في حد ذاته دليل على بروز فكر سياسي جديد حتى داخل الفئات المحافظة، وأنه بالإمكان وجود مساحة مشتركة رغم حجم التناقضات، وهذا ما تخشاه السلطة.

بالتزام مع انفتاح السلطة على الشيعة في التسعينات، من خلال توجيهات الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد الذي شجع عملية الانفتاح، حدث انفتاح مماثل وإن كان محدودا - من قبل المؤسسة الدينية الرسمية، وبعض رجال الدين السنة، وهذا ما عبّر عنه اللقاء الذي جمع الشيخ الصفار والمفتي العام الشيخ عبد العزيز بن باز، على الرغم من أن الأخير كان قبل ذلك يرفض حتى مصافحة الشيعة<sup>2</sup>. مع التطور التاريخي للسلطة السعودية، فقدت المؤسسة الدينية تدريجيا القدرة على المعارضة، حتى في إطارها المحدود، لذلك فأى معارضة ذات خلفية دينية تكون من خارجها، وهذا بحد ذاته تحدي للنظام ولننفوذ المؤسسة تسعى لتقليصه .

سعيها منها لاحتواء الظاهرة الشيعية خشية المؤثرات الخارجية، اتخذت السلطات بعض الإجراءات، ففي عام 2003 بدأ ولي العهد السعودي عبد الله ابن عبد العزيز برامج الحوار الوطني، وفيها جلس للمرة الأولى قيادات من الشيعة والسنة في السعودية على طاولة واحدة. كما خففت السلطات في عام 2005 من الحظر على احتفالات عاشوراء، فسمحت ببعض المراسم في القطيف، ولم تتدخل السلطات بعد اكتساح القوائم الشيعية لجميع المقاعد الستة المتنافس عليها في القطيف، وخمسة من ستة مقاعد في الأحساء، ضمن الانتخابات البلدية<sup>3</sup>. في العام 2008 اقترحت وزارة الإعلام على الشيخ حسن الصفار - وهو من أبرز علماء الشيعة في المملكة - تقديم برنامج ديني، وكان هذا سيمثل أول ظهور لشخصية دينية شيعية معروفة في التلفزيون الرسمي، للتحدث في الشأن الديني. لكن جرى إيقاف هذا البرنامج بفعل ضغوط مجموعات سلفية<sup>4</sup>. حيث يمثل الخطاب الديني والإعلام رمزية بالغة في دولة محافظة مثل

1 - فؤاد إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 57.

2 - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 241.

3 - كريستوف ويكلي، مرجع سابق ، ص 07

4 - توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 210.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

السعودية، وعليه تعتبره السلفية حيزا اجتماعيا من الصعب أن تتنازل عنه. رغم أن هذا الرفض يُضعف التيار الإصلاحية في المجتمع الشيعي في مقابل المجموعات الراديكالية .

سعيًا لاحتواء حالة التوتر الداخلية والخارجية مع أحداث الربيع العربي، أقدمت الحكومة السعودية على خطوات محدودة على غرار إغلاق بعض القنوات التي يعتبرها الشيعة تحرض عليهم، إضافة إلى تعيين أعضاء من الشيعة في مجلس الشورى، وهو ما رفع عدد الشيعة في المجلس إلى ستة أعضاء من أصل مائة وخمسين عضواً، كما أنشأ مركز حوار الأديان، وإن كان مقره في فيينا لا في العربية السعودية، إضافة إلى عزل الأمير محمد بن فهد، الذي شغل منصب أمير المنطقة الشرقية منذ العام 1985، بسبب شبهات انتهاكات حقوق الإنسان التي تلاحقه، حتى أضحي عامل توتر في المنطقة<sup>1</sup>.

اعتماد المملكة على المنطقة الشرقية التي يتركز فيها النفط، والصناعة المرتبطة به، يعطيها أهمية استثنائية، ويترجم هذا غالباً في شكل تفكير أمني في قضايا الشيعة. خاصة وأن مناطق انتشار الشيعة تصنف رمزياً كمناطق طرفية، في بلد يتميز بحكم شديد المركزية، وعليه فلا توجد حياة سياسية خارج العاصمة<sup>2</sup>. الواقع أنه رغم العلاقة المتوترة بين السلطة والمجموعات الشيعية وخاصة الراديكالية منها إلا أن استهداف المنشآت النفطية كان محدوداً إن لم ينعدم، إضافة إلى أن الشيعة يمثلون نصف القوة العاملة في القطاع النفطي تقريباً.

قدّمت الانتخابات البلدية لسنة 2005 نموذجاً مصغراً لما يمكن أن تكون عليه عملية انتخابية في غياب الأحزاب والقوى المدنية الحديثة، وبينت تسيد الجماعات المذهبية للساحة، وكيف تنتج الطائفية الناعمة، وعملية تسييس المذهب حالة الصراع الطائفي داخل اللعبة السياسية، بما يكرس الطائفية ويعيد إنتاجها، وعليه، لا يمكن الاقتناع باندماج وطني تدعو إليه جماعات تقوم معركتها الانتخابية على صراع النفوذ الاجتماعي والتمثيل الطائفي، لا على التنافس على برامج العمل<sup>3</sup>. فأى عملية ديمقراطية بهذا الشكل ستمكن المكونات الهويةتية من السطو على الآليات الديمقراطية، وتعيد إنتاج الطائفية بشكل آخر.

<sup>1</sup> - بول آرنتس و كارولين رولانتس، العربية السعودية : مملكة في مواجهة المخاطر (ترجمة : ابتسام الخضرا)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2016، ص 124.

<sup>2</sup> - توفيق السيف، مرجع سابق، ص 30.

<sup>3</sup> - بدر الأبراهيم و محمد الصادق، مرجع سابق، ص 248.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

حتى في الوقت الذي تتبنى فيه الدولة قضية الحوار الوطني، هنالك جهات من داخل الدولة تنزع إلى استدرج المجتمع إلى المآزق الطائفي، والإبقاء على نشاطية الفكر التقسيمي على قاعدة مذهبية. وبذلك يمكن للدولة أن تحمل خطابا ملتبسا ولكنه ذو غاية مزدوجة، فبإمكانها دفع تهمة الطائفية عن نفسها من خلال رفع لواء الحوار الوطني. ومن جهة أخرى الاحتفاظ بأصول اللعبة التقسيمية في الداخل، من خلال التيار الديني المتطيف<sup>1</sup>. هذا التوجه في سياسة الهوية على خطورته الاجتماعية وبما ينجم عنه من معضلة أمنية مجتمعية، إلا أنه يمكن السلطة من إعادة إنتاج نفسها كمركز للجميع .

المشاريع الحكومية كانت أحد الإشكالات الرئيسية في العلاقة بين الجماعات الشيعية والحكومة، وبدلا من تسهيل عملية الاندماج ازدادت الهوة بين الطرفين حتى وصلت إلى المواجهة المباشرة في انتفاضة محرم 1400 هـ (1979)، ويعود ذلك بشكل أساس إلى شعور الشيعة بعدم المساواة في الفرص الوظيفية والخدمات التي توفرها الدولة، وعدم ترجمة الوفرة المالية إلى مشاريع تنموية في منطقتهم<sup>2</sup>. رغم أن هذا الواقع لا يقتصر على الشيعة أو المنطقة الشرقية، إلا أن الرمزية تتضاعف بحكم التباين الطائفي، وأيضا بحكم الطبيعة الاقتصادية للمنطقة التي يتواجدون فيها.

منذ تأسيس المملكة في 1932 حُرِم الشيعة من تولي أي وظيفة في الدرجات الثلاث العليا\* (الدرجة الخامسة عشرة، الممتازة، درجة وزير)، خلال هذه المدة الطويلة حصل ثلاثة منهم (03) فقط على المرتبة الخامسة عشرة وحصل سبعة آخرون (07) على المرتبة الرابعة عشرة بحكم عضويتهم في مجلس الشورى. وفي مجلس المنطقة الشرقية المكون من أربعة عشرة (14) عضوا تعينهم الحكومة، هناك عضو واحد فقط يمثل الشيعة، رغم أنهم يشكلون نصف السكان على أقل تقدير<sup>3</sup>.

لا يوجد قضاة شيعة باستثناء سبعة قضاة يخدمون في ثلاثة محاكم للشيعة، محكمتا ابتداء في القطيف والأحساء، ومحكمة نقض في القطيف بدورها. إلا أن أحكامهم تقتصر على الأحوال الشخصية والإرث والوقف. وفي أغسطس 2005 صدر قرار ملكي حدّ كثيرا من اختصاص محكمتي الابتداء

<sup>1</sup>- فؤاد إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 59.

<sup>2</sup> - بدر الأبراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 75

\*يعين شاعلوها بأمر ملكي ، أما الدرجة الرابعة عشرة (14) فيعين شاعلوها بمرسوم ملكي ، باعتبار الملك رئيس مجلس الوزراء .

<sup>3</sup>- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 34.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

الشرعيتين، ومنح المحاكم السننية سلطة الإشراف على محاكم الشيعة، ونقل القضايا المتأخرة إلى محاكم السنّة.<sup>1</sup>

إن فعالية الجهاز البيروقراطي تساعد على احتواء الأقلية من خلال توفير الوظائف لأبنائها، وبالتالي خلق شعور عام لدى هذه الأقلية بوجود مصلحة مباشرة مرتبطة ببقاء الدولة وقوتها خلال عملية تكون الهوية الوطنية، مما يسهل عملية الاندماج، لكن ما حدث مع شيعة السعودية هو العكس، فقد عزز نمو هيكل الدولة وتطوره شعور الأقلية بالتمييز الطائفي، من خلال حرمان الشيعة من الوصول إلى بعض المناصب الإدارية العليا، أو دخول القطاعات العسكرية<sup>2</sup>. وبقراءة متأنية في انخفاض نسب التمثيل الشيعي في أجهزة الدولة، يمكن تخيل رؤية الفرد الشيعي لنفسه بكونه عضوا في مجتمع يعيش فيه، أو بالأحرى في دولة من دون خصائص وطنية. فالاغتراب السياسي الذي يعيشه الشيعة يدفع بهم نحو العزلة ومقاومة الشعور بالانتماء إلى دولة لا تعترف بحقوقهم السياسية<sup>3</sup>.

هذا الواقع والسقف المحدود لا يقتصر على الشيعة فقط، رغم أن الرمزية الطائفية قد تفاقم من التمييز، لأن هذا يمتد على باقي الشرائح أيضا، خاصة منها التي تحمل توترات تاريخية مع السلطة الحاكمة أو المؤسسة الدينية، فكما يكون الاستبعاد على أسس طائفية، يكون أيضا على أسس فكرية وتوجهات سياسية وأصول عرقية أو مناطقية، كما أن المناصب العليا الفاعلة محصورة في الأسرة الحاكمة وهي أسرة ممتدة جدا، وهذا يمكّنها من السيطرة على مفاصل الدولة، وعليه فتصوير الاستبعاد على أنه يقتصر على الشيعة فقط، فيه بعض المجانبة للواقع، رغم أنه لا يمكن نفي التمييز والاستبعاد الاجتماعي الذي يقتصر في بعض مظاهره على المكون الشيعي .

يمثل الشيعة نحو 25% من سكان مدينة الدمام، لكنهم كانوا يضطرون إلى دفن موتاهم في القظيف أو الأحساء، حيث لم يسمح لهم بالدفن في مقبرة البلدية، ولا بشراء أرض وتخصيصها كمقبرة لموتاهم وهذا

1- كريستوف ويكلي، مرجع سابق، ص 11.

2 - بدر الأبراهيم و محمد الصادق، مرجع سابق، ص 88.

3- فؤاد إبراهيم، الشيعة في السعودية، مرجع سابق، ص 10.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

منذ 2001. رغم أنه تم تسوية الملف إلا أن مثل هذه القضايا الصغيرة تستفز المكون الشيعي، وتشكل مصدرا ثابتا للضغط على النخبة الشيعية التي تؤمن بالإصلاح الوطني<sup>1</sup>. في سبتمبر 2009 صدر تعميم من وزارة الداخلية يقضي بمنع الشيعة من إقامة مساجد أو أماكن للعبادة خارج المدن التاريخية، أي القطيف والأحساء ونجران<sup>2</sup>. بلغ عدد المساجد في المنطقة الشرقية الواقعة تحت إشراف وزارة الأوقاف نحو 4000 مسجد ودور للصلاة بحسب إحصاءات عام 2002، لم يتجاوز عدد مساجد الشيعة في المنطقة الشرقية 150 مسجدا، بنيت جميعها على نفقة الأهالي، ومن دون ترخيص رسمي، وكذلك الحال بالنسبة للحسينيات. وحتى صالات الأفراح<sup>3</sup>. كما أدت حادثة البقيع\* في 2009 إلى تدهور مربع في العلاقة بين الشيعة والحكومة السعودية، وتوقفت الحوارات الوطنية التي كانت في الأساس متعثرة<sup>4</sup>. ليزداد التأزم ويتراجع الخطاب الإصلاحية مع موجة الربيع العربي وما نتج عنها من استقطاب طائفي داخليا وإقليميا، لم يقتصر على النظم السياسية، بل امتد ليعمق الانقسامية المجتمعية.

### 2/ تحولات الحركة الشيعية واستراتيجياتها تجاه الاستبعاد: بين ضرورات الداخل ومتغيرات الخارج

إن حدة الاستقطاب الديني والسياسي في المجتمع الشيعي السعودي محكومة بعوامل محلية، وتحديدًا بعلاقة الدولة بذلك المجتمع، وقدرتها على استيعابه ضمن أطرها. وفي ظل الاستمرار في سياسة التمييز على أسس مذهبية، فإن الخارج الشيعي سواء كان في إيران، أم في العراق، أم في لبنان والبحرين سيلعب دورا في بلورة الشخصية الشيعية السعودية سيكولوجيا، وسياسيا، ودينيا. فحين يغيب التأطير المحلي ضمن البوتقة الوطنية، تتوجه الأنظار إلى الخارج استجابا للمعنويات، والأفكار، والمواقف، تعويضا عن النقص، وتعبيرا عن المعاناة التي لم تجد حلا في محيطها الطبيعي<sup>5</sup>. وكانت هذه السمة ثابتة في المجتمع

1- توفيق السيف ، أن تكون شيعيا في السعودية، مرجع سابق ، ص 27.

2- المرجع نفسه ، ص 207.

\*في 20 فبراير 2009 تصادم زوار شيعة في مقبرة البقيع مع أفراد من هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تطورت المصادمات بعد تزايد عدد المحتجين الشيعة على المضايقات، وأعلنت السلطات عن فتح تحقيق، كما تجددت المصادمات في 24 فبراير بعد منع الشيعة من زيارة البقيع تنفيذا لتعليمات هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وبعد حملة الاعتقالات استقبل أمير المدينة وفدا من الشيعة، كما توجه وفد منهم إلى الملك عبد الله في الرياض والذي أصدر عفوا ملكيا عن المعتقلين بعد مصادمات البقيع. للمزيد أنظر كريستوف ويكلي، الحرمان من الكرامة : التمييز المنهجي والمعاملة المتسمة بالعدوانية بحق المواطنين السعوديين من الشيعة، هيومن رايتس ووتش ، سبتمبر 2009، ص ص 15-16.

3 - فؤاد إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 09.

4- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 138.

5- حمزة الحسن ، علاقة شيعة السعودية الخارجية مذهبيا وسياسيا ، مرجع سابق.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

الشيوعي في الخليج، والذي كان دائم التأثير بالأفكار الواردة من القومية والناصرية وصولاً إلى ولاية الفقيه، وهذا التبنى نوع من الاحتجاج على الواقع الداخلي.

كانت العلاقة غير المستقرة مع الدولة ومع هويتها الوهابية تتعكس في تقبل الجمهور الشيوعي لأي أفكار تأتي من الخارج وتحمل طابعا معارضا للدولة، لكن الشيعة منذ تأسيس المملكة وحتى عام 1979 لم يكونوا يتحركون بصفتهم شيعة في المجال السياسي، بل كانوا يتشاركون مع الآخرين في الوطن الانتماء إلى تيارات فكرية وسياسية مختلفة، وخاصة في حقبة المد القومي واليساري في الخمسينيات والستينيات<sup>1</sup>. الشيعة في السعودية قاوموا الاستيعاب المفضي إلى الإلغاء التام والتوترات السياسية الناشئة عنه، لقد صنعت الجماعة الشيعية في رد فعلها على التمييز الثقافي الداخلي بديلا خارجيا تتفاعل معه وتتواصل مع مراكزه، كتعويض عن الإحساس بالاغتراب وبالهزيمة الداخلية<sup>2</sup>. إلا أن هذا التوجه كان في صالح السلطة لكن على حساب الدولة، إذ أنه مكّن السلطة والأسرة الحاكمة من تصوير الحركات الشيعية على أنها امتداد لمؤامرة خارجية، كما أنه جعل بعض الحركات الشيعية رهينة لتوجهات إقليمية، توظفها ضمن استراتيجياتها وتفصلها أكثر عن عمقها المجتمعي.

مثل الشيعة عصب معظم التنظيمات السياسية - غير الدينية- التي نشأت في المملكة، مثل الحزب الشيوعي السعودي، واتحاد شعب الجزيرة، وحزب البعث العربي الاشتراكي، وحزب العمل الاشتراكي .. الخ، وقد شكلت هذه التنظيمات متنفسا لحالة الاحتقان الداخلي، أملا في تغيير سياسي داخلي راديكالي أو سلمي، يفتح آفاق التعبير عن الهوية الثقافية الذاتية<sup>3</sup>. إن حالة التوتر التي يعرفها المجتمع الشيوعي، هي تجلي لمشكلة أوسع نطاقا يعانيتها المجتمع السعودي بمجمله، لكنها ربما تبدو أكثر حدة وحرجا في مناطق الشيعة، بسبب وجود عوامل إضافية، مذهبية وسياسية<sup>4</sup>.

الدوافع الاقتصادية وكذلك العقدية، كانت المفجر الأساس لانتفاضات الشيعة، وتجاهل الحكومة المركزية لمطالبهم، وقد ولدت امتعاضا شديدا كان لا بد أن يلقي بآثاره على الأوضاع الأمنية، حيث عدت

1 - بدر الأبراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 79.

2 - فؤاد إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 11.

3 - حمزة الحسن ، علاقة شيعة السعودية الخارجية مذهبيا وسياسيا ، مرجع سابق.

4- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 54.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

انتفاضة الشيعة " أخطر معارضة متكررة واجهها آل سعود منذ ما قبل عهد النفط"<sup>1</sup>. ربما في هذا الطرح مبالغة كبيرة تتجاوز الواقع الذي يشهد مضايقات عقديّة على بعض المكونات كالصوفية في الحجاز، ولم يقتصر على الشيعة، كما أن التفاوت الاقتصادي بارز في المملكة بين المناطق والجهات ورغم ذلك فهو لم يولّد ردة الفعل ذاتها. إضافة إلى أن الخطر الحقيقي على سلطة الأسرة الحاكمة لم يكن من الشيعة خاصة مع كتلتهم الديمغرافية، بقدر ما هو من مكونات ضمن الحاضنة السنية، بفعل التوجهات الفكرية أو القبلية، فالأثر السياسي لانتفاضة محرم رغم قوته، إلا أنه ليس بذات التأثير الفكري والسياسي والأمني لقضية اقتحام الحرم من جماعة جهيمان العتيبي، أو من تنظيمات مسلحة تطعن في شرعية السلطة على أسس دينية وضمن المكون السني مثل تنظيم القاعدة وما انشق عنه من تنظيمات، بل إن المعارضة الشيعية وحتى الراديكالية منها تضمنت للسلطة الحفاظ على تماسك خلفيتها الدينية والقبلية.

لم يتضمن الخطاب الشيعي منذ تأسيس الدولة إلى ما قبل انتفاضة 1979 مطالب سياسية خاصة بالشيعة بصفتهم جماعة سياسية، وهذا يؤكد أن الهوية الشيعية لم يجر تسييسها إلا بعد استيراد ولاية الفقيه بنسختها الشيرازية عبر أتباع السيد محمد الحسيني الشيرازي، ودخول الحركات الدينية على خط التثوير الاجتماعي، من خلال ضخ أفكار جديدة في الثقافة الشيعية الراكدة<sup>2</sup>. كما أن هذا التحول عبّر عن تغير في اتجاه التأثير الطبقي ضمن المجتمع الشيعي، ليتحول من طبقات التجار والأعيان للطبقات الشعبية البسيطة. شهدت هذه الفترة تحديات وجودية للسلطة الحاكمة في المملكة، بين ضغوطات الثورة في إيران مع أفكار ولاية الفقيه، وتحديات الجبهة الداخلية بعد احتجاجات الشيعة وما نجم عنها، وصولاً إلى قضية جهيمان العتيبي، وربما هذا ما يفسر ردة الفعل الأمنية القوية .

لم يكن الشيعة جماعة سياسية قبل بروز الحركة الشيرازية في المنطقة الشرقية بالسعودية، ولم تكن السياسة حاضرة في الخطاب الديني أصلاً، لكن التيار الحركي الديني أعاد تركيب عناصر الهوية الشيعية، وراح يخاطب الناس عبر انتمائهم الأصلي، وعليه فقد عزز التقاخر بالانتماء المذهبي حالة

1- حمزة الحسن ، الشيعة في المملكة العربية السعودية ،الجزء الثاني: العهد السعودي 1913-1991، بيروت، دار الساقى، ط1، 2010، ص 446.

2 - بدر الابراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص ص 34 - 35.



## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

مُقابلة عند الآخر<sup>1</sup>. التمييز الطائفي على المستويين السياسي والاجتماعي زداد في حقبة الثمانينات، وفي مقابل ذلك كانت الثورية واضحة في خطاب المعارضة الشيعية التي شكلها الشيرازيون بعد الانتفاضة<sup>2</sup>. مع تغير أنماط الإنتاج في مرحلة التحديث، حصلت تحولات في مجال القوى قادت فاعلين من غير الطبقة التقليدية، التي كانت تركز على سياسة الوجهاء، إلى تغيير شروط التنافس، بخطاب ديني ظهرت معه بوادر الإنتاج الخطابي للطائفة بصفتها فئة دينية يُشَدَّد عليها. تلتها أخيراً مرحلة التأثيرات الخارجية الكثيفة، التي لم تغلح في تغيير المجال كثيراً، حيث بقي تشكل العلاقات على حالته<sup>3</sup>. وهذا وُلد انقساماً داخل المجتمع الشيعي، بين مرجعيات تقليدية وأخرى وافدة، علاوة على ما يعبر عنه من صراع طبقي. الخوئيون الذين يقلدون مرجعية أبي القاسم الخوئي الذي يمثل حوزة النجف، والتي تلقب بالحوزة الصامتة، كانوا ضد التصعيد ومعهم في هذا الرأي التجار وأبناء العائلات الميسورة، في مقابل الشيرازيين الذين يمثلون مرجعية الحوزة الناطقة التابعة لقم، واعتبر الخوئيون أن المواجهة لا طائل منها وتستعدي الدولة ضد الشيعة، وكان كثير من هؤلاء يرتبط بعلاقات جيدة مع مسئولين في الدولة، وعليه تشكلت ثلاثة أبعاد رئيسية لصراع التيارين على رأس المال الاجتماعي الشيعي، وهي البعد الديني والبعد السياسي والبعد الطبقي<sup>4</sup>. يضاف لهما حزب الله الحجاز الذي انخرط بوصفه طرفاً دينياً ثالثاً في صراع على الشرعية مع الآخرين (الخوئيون والشرازيون)<sup>5</sup>. فتغير علاقات الإنتاج انعكس على البنية الاجتماعية في المجتمع الشيعي بالمنطقة الشرقية، وساهم في ظهور منافسة على التمثيل وتراجع سياسة الوجهاء. بدأت الحركة السياسية الشيعية منذ عام 1989 تراجع أفكارها، فبعد أن كانت ترتبط بالطلائع الرساليين، وتؤمن بولاية الفقيه المطلقة، وتسمي نفسها منظمة الثورة الإسلامية، أخذت تقدم مشروعاً إصلاحياً وطنياً مختلفاً<sup>6</sup>. قامت الزعامات الشيعية بتبليغ آرائها تدريجياً، حيث اعترفت بالقيود على الإثارة والعنف، وسعت إلى إقامة علاقات محسنة مع النظام، اعترفت بشرعيته، وقبلت بدوره كحامي في وجه

1 - المرجع نفسه ، ص ص 41 - 42.

2 - المرجع نفسه ، ص ص 121 - 123.

3 - أحمد سعد العوفي ، مرجع سابق ، ص 543.

4 - بدر الأبراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص ص 148 - 149.

5 - المرجع نفسه ، ص 161.

6 - شحاتة محمد ناصر ، سياسات النظم الحاكمة في البحرين والكويت والعربية السعودية في التعامل مع المطالب الشيعية (2003-2008) : دراسة مقارنة ، مجلة المستقبل العربي ، المرجع السابق ، ص 36.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

المقاتلين السنة الأكثر تطرفاً<sup>1</sup>. إن هذا التغيير لا يعبر عن توجهات كل المجتمع الشيعي، الذي ينطوي على تباينات كبيرة في نمط العلاقة مع السلطة، فبعضه لم يتقبل أصلاً فكرة المواجهة أو التماهي مع الإستراتيجية الإيرانية، والبعض الآخر لم يقبل بفكرة التراجع والمصالحة وهو ما يعبر عنه التيار الراديكالي.

الحوار والتلاقي بين النخب الشيعية كان أكثر فاعلية في المدة التي تلت المصالحة وعودة الأطراف المختلفة إلى البلاد، وساهم في ذلك ضهور المشاريع السياسية للتيارات المختلفة، وانخفاض حدة الصراع حول المرجعية بالتدريج مع وفاة الخميني ثم الخوئي وأخيراً الشيرازي. ساد هدوء كبير في تلك الفترة وتمكّن تيار الصفار من إبقاء قنوات تواصله مفتوحة مع الجهات الثلاث المستهدفة بإستراتيجية الانفتاح : الدولة، والنخب السنية، والتيارات الشيعية. استمرت حالة التهدة في الداخل الشيعي إلى أن جاءت الانتخابات البلدية عام 2005 لتشعل الصراع من جديد<sup>2</sup>. خاصة وأنها جاءت في سياق تحولات إقليمية بعثت الحالة الشيعية والنفوذ الإيراني بعد احتلال العراق .

رأى الشيعة في الانتخابات البلدية المحدودة التي جرت في فبراير 2005 فرصة لتأكيد وجودهم وتمثيلهم السياسي، على الأقل في المنطقة الشرقية التي يمثلون الأغلبية فيها، فقد حرص الشيعة على المشاركة بكثافة في هذه الانتخابات في المناطق الشيعية. ونتيجة لذلك اكتسح مرشحوا الشيعة مقاعد القطيف والأحساء، حيث حصلوا على 11 مقعداً من مجموع 12 مقعداً مخصصة لمنطقة القطيف والأحساء، وكانت نسبة التصويت في المنطقة الشرقية ما بين 70% و 75%<sup>3</sup>.

وكانت المشاركة الفاعلة من قبل قياديين سابقين في المعارضة الشيعية، في العرائض التي قدمت إلى الحكم السعودي، مثل عريضة "رؤية لحاضر الوطن ومستقبله" في 2002، والعريضة الشيعية "شركاء في الوطن" \* في أبريل 2003، ووثيقة الإصلاح الدستوري في ديسمبر 2003. تعبيراً عن واقع التحول،

1- مجموعة الأزمات الدولية ، المسألة الشيعية في المملكة العربية السعودية ، ملخص تنفيذي 2005/09/19 ، متوفر على الرابط التالي :

<https://cutt.us/at5Hw>

2 - بدر الأبراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 244.

3- شحاتة محمد ناصر، مرجع سابق ، ص 286.

\* للإطلاع على نص العريضة انظر الرابط التالي : <https://cutt.us/soo4i>

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

حيث أكدت هذه العرائض الانتماء الوطني، وأن العربية السعودية هي الوطن النهائي الذي لا بديل عنه ولا ولاء لغيره، كما جاء في عريضة شركاء في الوطن<sup>1</sup>.

ففي أبريل 2003 وبعيد احتلال العراق، ومع انبعاث المد الشيعي في المنطقة، قدم شيعة المملكة ممثلين في 50 عالم دين، و42 أكاديميا، و31 صحفيا وشاعرا، و151 رجل أعمال، و24 سيدة على رأس وفد بقيادة حسن الصفار وثيقة إلى ولي العهد عبد الله ابن عبد العزيز، باسم وثيقة شركاء في الوطن، تضمنت مطالب الإصلاح الديني والإعلامي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي لوضع الشيعة، وأشارت الوثيقة للغبن الذي يعيشه شيعة المملكة، في ظل هذه الظروف<sup>2</sup>. وهذا نمط معارضة جديد يبتعد عن التوجه الراديكالي الذي طبع الحركة الشيعية منذ 1979، ويضع النظام أمام تحديات جديدة بحكم سلمية "توجه العرائض" وتأكيد على البعد الوطني .

في العام 2008 اقترح زعماء الشيعة مشروع عمل بعنوان اندماج الشيعة في النظام السياسي الوطني، يمثل خارطة طريق لحل مشكلة التمييز، وقدم المشروع لولي العهد الأمير سلطان في أغسطس 2008. إلا أن رحلة الأمير الطويلة للعلاج، ثم وفاته حالت دون مواصلة النقاش حول الموضوع. ويتضمن المشروع تصورا متكاملا عن المشكلة الشيعية، كما يبسط أسبابها وعناصرها، ويقترح حولا تدريجية، وغير مكلفة سياسيا<sup>3</sup>. عبر ثلاثة مسارات أساسية، هي: التمثيل الوظيفي، والتطبيع الاجتماعي، وتحديد الجانب الديني في العلاقة بين المجتمع الشيعي والدولة<sup>4</sup>.

في العام 2010 توقفت مبادرات تزعمها الشيخ حسن الصفار لتجسير الفجوة بين الشيعة والسلفيين، من خلال استضافة رجال دين وشخصيات مؤثرة من التيار السلفي، وإقامة لقاءات حوارية مع الشباب والنخبة الشيعية. توقفت إثر ضغوط أطراف شيعية، جيشت المجتمع الشيعي ضد ما وصفته بـ "تنازلات مجانية" للسلفيين. وهذا مثال على العسر الذي يواجهه الإصلاحيون، وهو عسر مبعثه تراث عريض يدعم الحدود ويعيق بناء الجسور<sup>5</sup>. وممارسات سلطوية تضعف التيار الإصلاحي وتقده حاضنته الشعبية.

1 - شحاتة محمد ناصر ، سياسات النظم الحاكمة في البحرين والكويت والعربية السعودية في التعامل مع المطالب الشيعية (2003-2008)

: دراسة مقارنة ، مجلة المستقبل العربي ، مرجع سابق ، ص 36.

2- سلمى حمدي و آخرون ، مرجع سابق ، ص 180.

3- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 212.

4- بدر الأبراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص ص 268 - 269.

5- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 212.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

لقد فرضت الطائفية الدينية نمطا من العلاقة والتفكير، والسلوك العام في الوسط الشيعي تجاه الدولة عموما، ولذلك كان التمييز مصدرا في التعبئة الداخلية سياسيا ومذهبيا، وقد صبغ خطاب السياسيين الشيعة على مدى عمر الدولة، فالعرائض الشيعية المرفوعة خلال العقود الثمانية الماضية تتجه إلى مظالم ذات بعد طائفي، في التعليم والتوظيف والقضاء والطبقات المذهبية الخاصة، والخدمات الاجتماعية<sup>1</sup>. الجانب الروحي أكثر حركية في السعودية. لكنه يتخذ شكلا دفاعيا وتبريريا ومن هنا فإن مضمونه السياسي محدود ومقتصر على ادعاء المطالبة بالإنصاف (أقل من المساواة بالمعنى الدقيق). ثمة فارق مهم بين هذا وبين الوضع في دول الخليج الأخرى حيث يشارك الشيعة في الحياة الاقتصادية بقدر مناسب في الكويت وعمان والإمارات، كما أنهم يتمتعون بقدر من التمثيل في الدولة، وهذا يقلل إلى حد كبير من الشعور بالحرمان أو الإقصاء، كما يقلل من فاعلية الدين والمذهب كعامل تمايز سياسي<sup>2</sup>. إن الخلفيات التاريخية للحركات الاحتجاجية الشيعية في السعودية، تعزز حجج القائلين بأن خطاب الوفاق الوطني للرموز الشيعية ما هو إلا ضرورة فرضتها المرحلة الحالية، التي قضت بمهادنة الحكومات في الخليج لتحقيق أكبر قدر من المكاسب، مع بقاء شعلة الثورة. بناء عليه يصبح حل المشكلة الشيعية هدفه مذهبي بآليات وطنية، من خلال ما يعبر عنه بالتعددية المذهبية والفكرية، والمعنى ألا تخضع الأنظمة في الخليج لأي مذهب ديني<sup>3</sup>. لكن الواقع السياسي والمجتمعي المتحول في الخليج تجاوز هذا الطرح، إذ تُعبر الطوائف والشرائح المختلفة عن مطالبات بالإصلاح السياسي والدستوري، والعمل أكثر على الإدماج الاجتماعي، ولا تقتصر على الشيعة فقط، خاصة في ظل ارتفاع مستوي التعليم، والانفجار الإلكتروني.

الحديث عن انفجار الهويات الفرعية - الطائفية والعشائرية والمناطقية - وتضخمها بهذا الشكل يشير إلى أن هذه الهويات أيديولوجيات قائمة بذاتها، وهو أمر ليس جديدا ولا غريبا في الواقع السعودي ولا في المشرق العربي بصفة عامة. والحاصل أن هذه الحالة تصعد وتخفت تبعا للأوضاع السياسية في المنطقة،

1- فؤاد إبراهيم، مرجع سابق، ص 76.

2- مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور توفيق السيف (أكاديمي وناشط سعودي)، عبر مراسلات إلكترونية بتاريخ: 2020/08/23

3- عبد العزيز بن احمد البداح، مرجع سابق، ص ص 160، 161.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

وتسهم مذهب السياسة كما تسييس المذهب في إيجاد حالة من الاحتقان الطائفي المستمر، وفي إعادة إنتاج الصراع الطائفي على مدى العقود الماضية<sup>1</sup>.

خطاب الدولة المترجم في سياساتها وتصريحات مسؤوليها وأداء أجهزة الحكومة، يقدم شهادة دامغة على أن الدولة - الأمة لم تولد بعد في السعودية، بل هناك ما يفيد بضعف عزم أهل الحكم على المضي باتجاه بناء الدولة الأمة، ونأيهم بعيدا عن الشروط الضرورية اللازم توفيرها في هذا السبيل، شروط أداها الإقرار بوجود تنوع مذهبي واجتماعي ومناطقي، واحترامه، وأقصاها تحقيق الاندماج الوطني باستيعاب ذلك التنوع داخل جهاز الدولة<sup>2</sup>. حُكمت توجهات العلاقة بين السلطة والشيعية في المملكة بردات الفعل والانفتاح التكتيكي، دون أي رغبة للإصلاح الجذري، لذلك بقيت العلاقة حساسة للمؤثرات الخارجية، مع إمكانية التوظيف الداخلي، تبعا لتطورات العملية السياسية .

#### المطلب الثالث : الطائفية وكبح الإصلاح .. العوائد السلطوية للتطبيق.

تزداد الدعوات الإصلاحية في الواقع الخليجي، وتزداد معها المطالبات بنموذج جديد يقطع مع بنية التأسيس البدوية، نحو ملكية دستورية، وتشاركية أكبر. تُعبر هذه المطالب عن أطراف متجاوزة للانتماءات الأولية، وإن كانت تبرز أكثر لدى الشيعة. في هذا السياق تظهر الحاجة للمسألة الطائفية كظاهرة وظيفية تمكن من كبح مطالبات الإصلاح، وتعيد المجتمع لواقع التبارز الهوياتي .

#### 1/ الحركة الإصلاحية ومواجهة الحالة الطائفية .

منذ 2001 أصبحت مفاهيم الوحدة الوطنية، والهوية الوطنية، والولاء للوطن، بين أكثر المفاهيم شيوعا في نقاشات الشيعة السعوديين، وتراجعت تبعا لذلك الهموم الخاصة بالطائفة، على أمل أن الإصلاح على المستوى الوطني سيقود بالضرورة إلى إرساء أساس قوي لمبدأ المساواة<sup>3</sup>. كانت هذه النقاشات نتيجة للانفتاح الذي شرعت فيه السلطة مع الحركة الشيعية، ومثلت التحولات الإقليمية فرصة أكبر لضغط الشيعة على السلطة بعد احتلال العراق.

1 - بدر الأبراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 49 .

2 - فؤاد إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 13 .

3- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 52 .

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

يرى نجيب الخيزري أن اكتشاف النفط، وما رافقه من امتداد صناعي وعمراني، وتدفق أعداد متزايدة من السكان من مناطق مختلفة من المملكة، ساهم في تشكيل بنية اجتماعية طبقية حديثة. جسد هذا بداية إرهابات لتشكيلات عمالية سياسية حديثة، لا تستند إلى الولاءات والانتماءات التقليدية القبائلية القديمة، بل تتوجه نحو العلاقات الاجتماعية الحديثة، القائمة على المصالح المشتركة، بغض النظر عن المنحدرات والخلفيات الجهوية والقبلية والطائفية<sup>1</sup>. شكل هذا التفاعل القاعدة الأساسية لتشكيل جبهة وطنية مشتركة، وإن شهد تراجعاً منذ المد القومي واليساري، إلا أن المجال الاقتصادي يظل المكان الحاضن للتلاحق الثقافي والاحتكاك المجتمعي .

يرى الباحث توفيق السيف أن مطالب الشيعة السعوديين تتمحور حول الدعوة للمساواة، وإلغاء التمييز، والإقرار بوجودهم كجماعة ذات تجربة ثقافية خاصة، هذا يجعل الحراك المطلبي "الشيوعي" متصلاً بالضرورة بالحراك السياسي العام، والأطراف الوطنية المختلفة التي تدعو للإصلاح السياسي والدستوري في المملكة، كما يجعل احتمالات نجاحها مرتبطة بتوجهات الإصلاح السياسي على المستوى الوطني<sup>2</sup>. في مواجهة الحركات المطالبة والقوى المعارضة والإصلاحية، تدفع الدولة باتجاه فتح ملف التقسيم الطائفي، وتحريك مجموعات مسكونة بالهم الطائفي لإشغال الساحة، فمُنذ قيام الدولة السعودية أدت الطائفية دوراً تمزيقياً، وأسدت للطبقة الحاكمة خدمة مزدوجة، فقد ساهمت في تقسيم المجتمع، ولكنها في الحين نفسه حققت أكبر اصطفاً داخلي في مركز السلطة، ولم تكن الدولة بحاجة إلى بذل جهد كبير من أجل تعبئة المتطيفين للدخول في حرب طائفية، إذ أن المناخ العام مسكون بالفكرة الطائفية<sup>3</sup>. لأن الهويات مستقرة في الوعي الجمعي، وتجربة السلطة لم تعمل إلا على تأكيد هذا الوعي.

نجحت الحكومة في تحويل اهتمام المشايخ والتيار الديني التقليدي والرسمي من مقاومة مشروعها لتحديث الاقتصاد، إلى مقاومة دعوات الإصلاح السياسي والثقافي، واستثمرت حقيقة أن تيار الإصلاح يتشكل أساساً من ناشطين سياسيين ومثقفين من خارج التيار الديني السلفي، وربما معارضين له<sup>4</sup>. هذا

1- سلمى حمدي و آخرون ، مرجع سابق ، ص 177.

2- توفيق السيف ، أن تكون شيعياً في السعودية ، مرجع سابق ، ص 24 .

3 - فؤاد إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 59.

4- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 46.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

التلاعب بمسألة الهوية، يصور أي دعوة إصلاحية باعتبارها دعوة لتفكيك المؤسسة الدينية التقليدية، مثلما تهدد السلطة، وهو ما يجعلها مستنفرة مع نقلها الاجتماعي وقدرتها التأثيرية .

رغم قوة المكونات الاجتماعية التي يتشكل منهم الحكم السعودي، إلا أن التجربة السياسية أثبتت عمل الحكومات المتعاقبة على إضعاف هذه المكونات واختزالها أكثر ضمن السلطة، وتراجعت نديتها مثلما كانت في النموذج القبلي، وهذا ما يدفعنا للقول أن قدرتها في المعارضة أقل مما هو مطروح رغم تأثيرها، لذلك فيمكن اعتبارها نريعة تقتضي مقاربة تكتيكية في التعامل مع مطالب الإصلاح، وليست عائقاً أمام الإصلاح الجذري، خاصة وأنها كانت دائماً ما تُحول فتاويها وتوجهاتها، تبعاً لتوجهات السلطة واستراتيجياتها، حتى ولو كانت متناقضة، دون أي اهتمام لمصادقيتها أو صورتها أمام الرأي العام .

ساهم انفجار الهويات الفرعية في المشرق العربي في إيجاد هوية شيعية مغلقة تعبر عن ذاتها محلياً وإقليمياً ودينياً وسياسياً، بالشكل الذي يضمن تمايزها في مقابل الهويات الأخرى، وكان لهذا وقع سلبي على دعاة الحوار ومن أبرزهم تيار حسن الصفار، المعتمد على فكرة الحوار مع الدولة، ومع النخب السنية والسلفية والانفتاح عليها، ومع توالي الإحباطات بدأت النقاشات داخل الحالة الشيعية لهذا النهج وما أنجزه أو أخفق في انجازه طوال السنوات التي تلت المصالحة مع السلطة<sup>1</sup>.

كما أن التباين الاقتصادي لشيعية السعودية يدفعهم للتنافس حول الموارد، وعليه تتعزز الانقسامات الطائفية، فيمكن لارتفاع معدلات البطالة بين الشباب أن تجعل هذه المجموعة أكثر عرضة للتجنيد الطائفي. في المقابل فإن النمو الاقتصادي، وتحسين الأوضاع الاقتصادية يقللان من الضغوط المجتمعية، التي قد تعزز العنف الطائفي<sup>2</sup>. خاصة مع نشاط أتباع التيار الشيرازي وعودة النهج الراديكالي ودعوته الانفصالية التي مثلها نمر النمر وأتباعه، وعبر عنها مباشرة في خطابه الذي قال فيه كرامتنا أعلى من هذا الوطن .

يعتبر حمزة الحسن أن الانفصال هو رد طبيعي على الاحتكار الفئوي للدولة، وأن من حق كل المناطق ذات التاريخ "الاستقلالي" كالمنطقة الشرقية والحجاز أن تطالب بالانفصال، لأن إمكانية

1 - بدر الابراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 260.

2- جيفري مارتييني وآخرون ، مرجع سابق ، ص 7.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممييزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

الإصلاح أثبتت أنها مستحيلة. يعتبر حمزة الحسن أن المحاصصة جزء من الديمقراطية التوافقية، وأن هذا النموذج ينطبق على السعودية، وإذا كانت المحاصصة تبرز حقوق الشيعة لا المواطن.<sup>1</sup> يجادل تيار الانفصال أنه يسعى "لقومنة" الجماعة المذهبية والإدعاء بأنها جماعة سياسية قادرة على بناء دولتها الخاصة، وأنها تستند في ذلك إلى عنصر في هويتها<sup>2</sup>. والدولة ليست قائمة على أسس المواطنة حتى يطالب الشيعة بالولاء لها ولرموزها، بقدر ما هي قائمة على الانتماء المذهبي والمناطقي، وهذه الفكرة تستهدف شطب التفكير في المواطنة خيارا للشيعة، والعمل على إعداد أهداف على أسس مذهبية انفصالية، تعتبر الشيعة أمة يقابلها النظام الذي يمثل أمة مختلفة، لكن هذه الفكرة لا تعالج المسألة الطائفية بقدر ما توصل للمحاصصة على أساس طائفي<sup>3</sup>. بل إنها تعيد إنتاج النظام الطائفي حتى بعد الانفصال، والذي سيفضي إلى بروز انقسامات جديدة إذا تأسس الكيان على سياسات الهوية لا سياسات المواطنة والدولة الوطنية، وعليه فإن هذا التيار يوفر التسوية لسياسات السلطة .

يرى توفيق السيف أن تيار الانفصال تيار محدود في المجتمع الشيعي، وأن الأغلبية ضد النقاش في الموضوع، وتعمل على تغليب الوحدة والسلم الأهلي. ويعتقد أن المسألة الشيعية في المملكة هي مسألة حرمان حقوق مدنية وسياسية على أساس تمييز طائفي، وبالتالي فإن المطالبات السياسية الشيعية لا تبرز باعتبارها حركة انفصالية، بقدر ما هي حركة حقوق مدنية، تهدف إلى إلغاء التمييز الطائفي<sup>4</sup>.

الحركة الدينية الشيعية بتسييسها للهوية الفرعية، وخلافا لإرادتها قد وُدت نقيضها، فمن كونها حركة إنقاذ وتحرير للفرد الشيعي تحولت إلى حركة سجنته في محيطه الخاص، وانتقلت من كونها حركة أممية تحمل مشروعا ثوريا للجزيرة العربية، إلى كونها حركة مطلبية طائفية تطالب بحقوق الفرد الشيعي في السعودية، وقد أنتجت هذه العملية الممنهجة سياسات هوية تنحصر بين المحاصصة الطائفية، أو تحالف أقلية في مواجهة أقلية مستبدة، أو من خلال التفكير في الانفصال باعتباره خيارا خلاصيا<sup>5</sup>. وعليه تعمل

<sup>1</sup> - برنامج في الصميم ، حوار مع حمزة الحسن ، قناة BBC، تاريخ البث: 10 مارس 2009، متوفر على الرابط التالي:

<https://www.youtube.com/watch?v=C67AtxLAcQs>

<sup>2</sup> - بدر الإبراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 282.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص 264.

<sup>4</sup> - مصطفى الحباب و آخرون ، مرجع سابق ، ص 151.

<sup>5</sup> - بدر الإبراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 43.



## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

السلطة على حصر خيارات الحركة الشيعية ضمن حيز ردة الفعل مع العجز عن التأسيس لخطاب جامع متجاوز للحالة الطائفية ويؤسس لعمل مدني .

#### 2/ الاستجابة الطائفية للربيع العربي .

بتأثير التحولات التي شهدتها المنطقة العربية، وانطلاق موجة اضطرابات ذات طابع مطلبية وإصلاحي، عكف أعيان الحركة الإصلاحية من الشيعة، إضافة إلى طيف واسع من المواطنين من معتقدات أيديولوجية وطائفية متنوعة، على إعداد بيان الإصلاح الوطني، لكن هذه العريضة وغيرها من العرائض التي قدمت في الوقت نفسه، لم تحصل على أية تنازلات من السلطات البلدية في المنطقة الشرقية، ولا من السلطات الوطنية. وعليه توصل النشطاء من الشباب أن زمن أشكال النشاط الناعمة قد ولى<sup>1</sup>.

تُقدم المطالبات السياسية التي أعلنت في مارس 2011 مثالا على اتجاهات التحول في المجتمع السعودي، فمن بين خمس بيانات تدعو للإصلاح، حمل البيان الذي تبناه التيار الديني حوالي نحو عشرة آلاف توقيع، وحمل البيان الذي تبناه المثقفون ذوو الميول الليبرالية نحو ألف وخمسمائة توقيع. ويدعو كلا البيانين إلى انتقال سلمي نحو الملكية الدستورية، وضمان الحريات العامة، وسيادة القانون. اللافت في هذه البيانات التغيير البارز في اللغة والمطالب ومستوى التعبير والحجم التمثيلي للشرائح الاجتماعية<sup>2</sup>. كما يؤشر على بداية تبلور فكر سياسي عابر للطوائف يحمل هما إصلاحيا، يحدّ المسألة الطائفية التي يوظفها النظام، وربما هذا ما يفسر موجة القمع التي استهدفت الإصلاحيين من كل التيارات .

خلال الربيع العربي تعرّض السعوديون لخطابين متعارضين، كلاهما تموّله الدولة: خطاب ديني داعم للوحدة السنيّة ضدّ أهل البدع من الشيعة، وخطاب ليبراليّ مزعوم يشجب الدعاة الدينيين وطائفيتهم. فوقع السعوديون في انقسام بين هذين التاويلين المتعارضين للأزمة. تخدم هذه البلبلة مصالح السلطة عبر تأخير الحاجة إلى إصلاح سياسي. وتحافظ على الانقسامات في المجتمع. كما يعزّز الانطباع بأنّ

<sup>1</sup> - بول آرتس و كارولين رولانتس ، مرجع سابق ، ص 118.

<sup>2</sup> - توفيق السيف ، أن تكون شيعيا في السعودية، مرجع سابق ، ص 48.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

تدخلها هو ما يمنع البلاد من الدخول في الطبيعة الهوزية حيث ثقلت القبائل والطوائف والمناطق عقلا تظرفها وعنفا ضد بعضها<sup>1</sup>.

وظف النظام الانقسامات الطائفية. فاستعادت التأويلات الدينية الوهابية، بالأخص الخطاب الطائفي ضد الأقلية الشيعية الناشطة سياسياً بقوة، كي تجهض تطور سياسة وطنية عابرة للحوجز الطائفية، والمناطقية، والأيدولوجية، والقبلية. ومن خلال اعتبار دعوات التظاهر في يوم الغضب في 11 آذار / مارس 2011 مؤامرة شيعية ضد الأكثرية السنية تهدف إلى نشر النفوذ الإيراني، عمق النظام التوترات الطائفية وقوض محاولات حراك الشباب في مدن عديدة<sup>2</sup>. وبالتالي ظهرت العوائد السلطوية للممارسة الطائفية، وكيف تُمثل الظاهرة، مخرجا للنظام من الأزمات الداخلية .

تبقى الجماهير السعودية منقسمة على نفسها، وبوسع النظام أن يدعي القيام بدور الحكم. ومع أن تقنيات التواصل الجديدة قد أثبتت فائدتها في الانتفاضات العربية بتوحيد الجماهير المتنوعة، فإن هذه التقنية تؤخر التحشيد الوطني عبر انقسامات راسخة، بخطاب طائفي، وتعصب قبلي، وشرح مذهبي - فكري يعلو على الوحدة الوطنية. والاستجابة الرسمية للانتفاضات تردد صدی اضطراب داخلي<sup>3</sup>.

استخدمت السعودية استراتيجيات شتى إزاء توسع الانتفاضات الشعبية في المنطقة العربية، ففي الداخل كانت المكافآت الاقتصادية، وما يرافقها من خطاب ديني متجدد حول طاعة الحكام، علاوة على الإجراءات الأمنية الشديدة، وهذه الإستراتيجية أفلحت بين الأغلبية السنية، لكنها أخفقت في احتواء الاحتجاج الشيعي. أما في الخارج، فاعتمدت المملكة على ثلاثة مسارات منها احتواء الانتفاضات في تونس ومصر وليبيا، ومواجهتها في البحرين واليمن، ودعمها في سورية<sup>4</sup>. مع ما يرافق هذه التوجهات من حملات إعلامية وتحالفات داخلية، ومواجهات أمنية، عقدت المشهد الطائفي ودفعت أكثر نحو الانقسام ليس فقط طائفا بل حتى داخل الطوائف والمذاهب نفسها.

1 - مضايي الرشيد ، الطائفية كثرة مضادة السعودية و الربيع العربي، مرجع سابق.

2 - المرجع نفسه .

3 - مضايي الرشيد ،المآزق الداخلية في السعودية والاستجابات الإقليمية للانتفاضات العربية ، في الشرق الأوسط الجديد : الاحتجاج والثورة والفضى في الوطن العربي ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ، ط1، 2016 ،ص 330.

4 - المرجع نفسه ،ص 315.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

شكّلت الاحتجاجات الجماهيرية في البحرين والمنطقة الشرقية ذات الغالبية الشيعية في العربية السعودية تحدياً للرواية القائلة بأن دول الخليج معفاة من الانتفاضات العربية. لاحتواء هذه الاحتجاجات وإضفاء الشرعية على قمعها، صوّرتها الأنظمة الخليجية على أنها مؤامرة شيعية / إيرانية. وقد أدى ذلك إلى حشد السنة في السعودية ودول الخليج الأخرى حول أسرهـم الحاكمة. بالموازاة مع هذا فُعل الخطاب الديني المناهض للشيعية وإيران، مع تصوير المملكة كمدافع رئيسي عن السنة<sup>1</sup>.

أثبت الخطاب الطائفي نجاحه في تحجيم الاحتجاجات البحرينية. ووفر الغطاء للتدخل السعودي. وبهذا أرسل النظام إشارات قويّة لا إلى أقلّيته الشيعيّة فحسب، بل أيضاً - وعلى نحوٍ أهمّ - لأكثرّيته السنّيّة. أملا في أن تتخلى عن المطالبات بتغيير سياسيّ، على الأقلّ في هذه اللحظة الحرجة من الربيع العربيّ. وتحت ضغط سياقٍ إقليميٍّ حادٍّ وحراكٍ فعليٍّ وافتراضيٍّ داخليٍّ، بدا أنّ سعوديّن كثير، أجلوا مواجهتهم مع النظام، ولكنهم واصلوا المطالبة بإصلاح سياسيّ. وكذلك، بدا أنّ العطايا الاقتصادية التي منحها الملك قد أنهت بعض المظالم الاقتصادية والاجتماعيّة المباشرة للسكان، من دون تقديم إصلاح<sup>2</sup>.

وبهذا تستمرّ التدخلات التكتيكية داخليا، دون أي نية للسعي نحو إصلاح حقيقي، قد يتعذر مستقبلا مع تراكم الأزمات وتجذرها، وفي ظلّ التحديات الأمنية الناجمة عن انهيار الدولة في المحيط الإقليمي للسعودية.

بغرض شراء السلم الاجتماعي والتخفيف من حالة الاحتقان الداخلي أعلن الملك عبد الله ابن عبد العزيز في فبراير 2011 عن برامج إنفاق على التأمينات الاجتماعية، والقروض السكنية، والرعاية الصحية، والمعاهد الدينية، والمجندين الجدد لدى وزارة الداخلية، إذ تراوحت القيمة الإجمالية لبرامج الإنفاق الإضافية التي أعلن عنها في سنة 2011 بين 120 و 130 مليار دولار، وهذه المصاريف زادت الإنفاق الحكومي بنسبة 28% في سنة 2011 ليصل إلى 804 مليار ريال (214 مليار دولار)<sup>3</sup>. إلا أن هذا الإنفاق سيصبح من العسير مستقبلا في ظلّ الانهيار المتواصل لأسعار النفط وتراجع الاحتياطات النقدية

<sup>1</sup> - Toby Matthiesen and others , op. cit, 2017.p07.

<sup>2</sup> - مضاي الرشيدي ، الطائفية كثورة مضادة السعودية و الربيع العربي، مرجع سابق.

<sup>3</sup> - توبي ماتيسن ، مرجع سابق ، ص ص 52 ، 53.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

التي استُنزفت ببرامج الإنفاق والحروب الإقليمية، والعجز عن التحول الاقتصادي، وهذا يُؤزم الوضع الداخلي ويجعل رقعة الاحتجاجات تمتد لتجاوز الانتماءات الطائفية .

كلما زاد شعور الأغلبية السنية بالقلق بسبب تأخر الإصلاحات والوعود، زادت رغبة الحكومة السعودية في متابعة السياسات الإقليمية الهجومية ضد "العدو الشيعي الصفوي، وحلفائه"<sup>1</sup>. خاصة وأن الضرر المتخيل للأسر الحاكمة في عموم الخليج، إذا ما اضطرت إحداها إلى أن تقدم تنازلات كبيرة تحت ضغط الرأي العام، أو ربما أبعدت عن السلطة، تتجلى صورتها في حالة السعودية. وينبع هذا من حقيقة أن البحرين تقع عبر الساحل من المنطقة الشرقية الغنية بالنفط، وبأقليتها الشيعية الكبيرة. ومما زاد من قلق المسؤولين السعوديين أن القطيف عادت من جديد مركزا لاحتجاجات، مثقلة بتصريحات تدعم "إخوانهم" البحرينيين.<sup>2</sup>

في حين تمكنت السلطة السعودية الحاكمة، من خلال العطاءات، والقمع، والطائفية، من اجتياز الربيع العربي، وتلافي احتجاجات ضخمة يجتمع فيها السنة والشيعية على قضية واحدة، فقد أدى ذلك إلى تدهور شديد في العلاقة بين الشيعة السعوديين والدولة، إلى حد أنه ربما لم يصل انعدام الثقة المتبادل بين الطرفين إلى هذا المستوى منذ الثورة الإيرانية في سنة 1979.<sup>3</sup>

مع أن احتجاجات 2011 كانت محدودة، لكن فشل الدعوة ليوم غضب وطني في مارس 2011، وتراجع زخم الاحتجاجات بعد قمع الحركة الاحتجاجية في البحرين، وبعد صدور بيان في 21 أبريل 2011، وقعه خمسة وثلاثون شيخا شيعيا، منهم حسن الصفار. استعاد النظام ثقته، ولم يقدم أي تنازلات، واعتقل مئات المحتجين في الداخل، ونافس من أجل التأثير في الدول التي سقط قاداتها. كما عاد الخطاب الطائفي بقوة في الإعلام. إستراتيجية وظيفها النظام السعودي لترويع أغلبية السكان، ودفعهم إلى تجديد الولاء للعائلة الحاكمة، باعتبارها ضامن للاستقرار والأمن<sup>4</sup>. مكنت الإستراتيجية الطائفية النظام من ضرب

1 - مضاي الرشيدي، المآزق الداخلية في السعودية والاستجابات الإقليمية للانتفاضات العربية ، مرجع سابق ،ص 336.

2 --كريستان كوتس ألريثتن ، انتفاضة البحرين : المضامين المحلية والاحتمالات الإقليمية والدولية ،في الشرق الأوسط الجديد : الاحتجاج والثورة والفوضى في الوطن العربي ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ، ط1، 2016 ،ص 310.

3 - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص 122 .

4 - المرجع نفسه ، ص 109.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

الجهة الداخلية وتعميق الانقسامات الداخلية في اتجاهات مختلفة، ومكنت السلطة من طرح نفسها كضامن من الاتجاه نحو الفوضى والتدخلات الدولية .

تعتقد مضايي الرشيد أن التأثير المركب للمعارضة السنّية الضعيفة. والدعاية القوية للمنظومة الإعلامية الحكومية التي صورت الاحتجاجات في المنطقة الشرقية باعتبارها امتدادا لمؤامرة خارجية. علاوة على الخطاب الديني القائم على أساس طائفي، كلها عوامل قلصت من أي فاعلية للاحتجاجات والمطالب الإصلاحية في المنطقة الشرقية خصوصا والسعودية عموما. يعتمد النظام السعودي على السياسات الطائفية في قمع المعارضة السياسية بمختلف أطيافها. وهذا بما توفره الطائفية من آليات تجزئة وتمييز وقمع وتفتير. وبهذا أضحت الطائفية أداة لسياسات القوة تحافظ بها الأسرة الحاكمة على حكمها. بالرغم من السخط الشعبي والمظالم المتراكمة.<sup>1</sup>

هناك علاقة بين الاقتصاد السياسي للملكة العربية السعودية كدولة ريعية وبين هويتها الطائفية، ولهذا أثره على السياسة الداخلية للملكة. ففي أوقات الأزمات الاقتصادية، تعتبر الطائفية بمثابة الأداة لتوجيه الانتباه الشعبي إلى الأعداء الداخليين باعتبارهم تهديدا، وهذا لكبح المطالب الإصلاحية الاقتصادية ذات التوجه التقشفي، والتي لا تلقى دعما وقبولا شعبيا، بحيث تدفع لوضع المواطنين أمام خيارين: الاستقرار على حساب الرفاهية<sup>2</sup>. لذلك فالنظام من مصلحته استمرار الاحتجاجات الشيعية على وجه الخصوص، لكن بشرط بقاءها محصورة في المناطق الشيعية، وهذا لتوفير الحجة الطائفية وتسهيل خطاب الانقسام والأمننة، وتمكن من صرف الاحتجاج عن الأوضاع الاقتصادية في ظل الهدر المالي، أي أنها تُوجه السخط على النظام إلى المكونات الاجتماعية، باعتبارها تهديدا وجوديا في حالة تراجع السلطة .

لا يمكن للدولة أن تعالج الملف الشيعي ببعض الانفتاح والحوارات من دون القيام بعملية إصلاح تطل هوية الدولة، وتكرس مبدأ المواطنة المتساوية، وتجّرم التمييز الطائفي على كل المستويات<sup>3</sup>. كما أن بقاء القضية الشيعية معزولة عن القضايا الحقوقية المدنية والسياسية للأكثرية يهدد الأقلية ذاتها، ويزيد

<sup>1</sup> -Emin Poljarevic , Nader Hashemi & Danny Postel, Sectarianization: Mapping the New Politics of the Middle East , the website : <https://cutt.us/Rlve9>

<sup>2</sup> -Verena Walther, New political Sectarianism in times of economic hardship in Saudi Arabia , Course The Political Economy of the Middle east and North Africa ,Kuwait Program at Sciences Po, fall 2016, p03.

<sup>3</sup> - بدر الابراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 258.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

الحشد ضدها من قبل النظام، حيث تصبح فئة وطنية ذات حقوق مشروعة، بؤرة تمتص الغضب الشعبي ضد السلطة وتحوّله إلى عنصر يعتبر الآخر العدو الداخلي<sup>1</sup>.

ارتبطت نشأة الدولة السعودية بظهور عوامل تأجيج للمسألة الطائفية، بفعل تبني السلطة لهوية عقدية تمثل جزءا من الدولة، وسعيها لتعميمها على باقي مناطق المملكة، التي ضمتها عبر حملات الغزو والتحالفات. حافظت المكونات الاجتماعية والمناطقية والقبلية في المملكة على انتماءاتها قوية، في ظل عدم وجود عملية سياسية حقيقية تدمج الجميع، وهو ما عملت عليه السلطة من أجل تفكيك المجتمع لمكونات متنافرة ترى في النظام ضمان بقائها.

كانت الطائفية ولا زالت ظاهرة وظيفية توسلتها السلطة في تجاوز أزماتها الداخلية اقتصاديا وسياسيا، وفي مواجهة مطالب الإصلاح والمشاركة في السلطة، وفي تحويل السخط على النظام لتتازع اجتماعي. ما يعاني منه الشيعة في المملكة تعاني منه شرائح مختلفة من الشعب، لكن ما يعمق التمييز هو اقترانه بالتمايز الطائفي والمناطقية، إضافة إلى التوظيف الخارجي لهذه الظاهرة بفعل المنافسة مع إيران.

عرفت الحركة الشيعية السعودية تحولات كبيرة وتأثرا بالغا بالمؤثرات الإقليمية، إلا أن تيار الإصلاح والتقارب مع السلطة والعمل الوطني ظل هو الغالب لفترة طويلة، لكن دون استجابة من السلطة، وهو ما نتج عنه تراجع في قوة هذا التيار لصالح الراديكاليين، خاصة مع موجة الانتفاضات العربية، التي واجهتها السلطة بمزيد من الطائفية والقمع لكل المساعي الإصلاحية .

### المبحث الثالث : توجهات السياسة الطائفية في البحرين: بين ضغط الثنائيات الداخلية

#### والمتغيرات الإقليمية .

تمثل البحرين حالة الاستثناء في دول مجلس التعاون، باعتبارها مجتمعا بأغلبية شيعية محكوم من أقلية سنية، مع الإشارة إلى التضارب حول مسألة التّسب وتوظيفات الأقلية والأغلبية. تُعتبر المسألة الطائفية في البحرين الأكثر تأزما بين دول المجلس، بسبب البنية الديمغرافية المعقدة، ذات الثنائيات

<sup>1</sup> - مضاوي الرشيد ، السعودية : حل المسألة الشيعية جزء من التغيير السياسي الشامل ، متوفر على الرابط التالي :

<https://cutt.us/vkFRU>

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممييزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

المتقابلة التي تتبني على السرديات التاريخية لكل هوية فرعية، وأيضاً بفعل التأثيرات الإقليمية النافذة على الداخل البحريني.

#### المطلب الأول: الانفتاح المقيد: مخرجات التجربة السياسية بعد إصلاحات 2001 .

الطائفية لها تاريخ طويل في منطقة الخليج. على الأقل منذ أن استقرت الجماعات القبلية السنية على طول ساحل شرق شبه الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر - وسرعان ما اكتسبت سلطة سياسية على مناطقها (مثل آل الصباح في الكويت، آل خليفة في البحرين) - عاشت الجماعات السنية والشيعية معاً تتنافس على السلطة والشرعية والتأثير. غالباً ما نشأت الصراعات والتوترات السياسية حول قضايا أخرى غير الطائفية، لكن الانقسامات والتحالفات الطائفية لعبت دائماً دوراً في تشكيل سياسات المنطقة<sup>1</sup>.

منذ الأيام الأولى لغزو آل خليفة للجزيرة، مُيزت العلاقات بين الحاكم والمحكوم بالقبلية والمجتمع العرقي الطائفي وأدوارها المختلفة في اقتصاد البحرين، وعلى الرغم من أن المؤسسات الإدارية والاقتصادية في البحرين تحولت تماماً بواسطة العمليات البريطانية الرامية لتشكيل الدولة، وبدء اقتصاد النفط، إلا أن هذه الأنماط الأولى للسلطة العشائرية والتنظيم الاجتماعي أظهرت مرونة في المحافظة على بروز سياسات الهوية داخل الدولة الريعية<sup>2</sup>. فلم تنعكس علاقات الإنتاج على البنية السياسية، بل حافظت البنية التقليدية على قوتها، لأنها توفر إمكانات سلطوية للأسرة الحاكمة، ولعلاقاتها الدولية.

اعتمد آل خليفة على إستراتيجية تعزيز السياسات الطائفية الخلفية، والهندسة الديمغرافية، لأنهم أدركوا أن المواطنة والتعاون العبر طائفي هو أكبر تهديد داخلي لبقاء النظام. في الفترة الاستعمارية، استخدمت السلطات البحرينية القوة لإخضاع فصائل المعارضة، لا سيما تلك التي نجحت في بناء تحالفات اجتازت مجموعات المصالح التي عادة ما تسعى الحكومة إلى التلاعب بها، بما في ذلك الإسلاميين والقوميين العلمانيين. ظهر نشاط منظم ضد ملوك آل خليفة المدعومين من بريطانيا في البحرين في ثلاثينيات القرن الماضي، معظمه كان مدفوعاً من وجهاء السنة والشيعية الذين طالبوا بإصلاح

<sup>1</sup> - Thomas Fibiger, Everyday Experiences of Sectarianism in Kuwait and Bahrain, the link : <https://themaydan.com/2018/08/everyday-experiences-sectarianism-kuwait-bahrain/>

<sup>2</sup> - كريست سميث ديوان ، الفصائل الملكية والاستراتيجيات الحاكمة والطائفية في البحرين، في السياسة الطائفية في منطقة الخليج ، مركز الدراسات الدولية والإقليمية، جامعة جورج تاون في قطر، 2015 ، ص 11.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

القضاء ونظام التعليم والحق في إنشاء النقابات<sup>1</sup>. حيث كانت المطالب الاجتماعية متطورة على البنية السياسية التقليدية، إلا أنها تمثل تهديدا وجوديا للأسرة الحاكمة، وللمصالح الغربية .

غالباً ما كانت مناقشة الانقسامات الطائفية في طليعة تحليل المشهد السياسي المحلي للدولة، فضلاً عن المناقشات حول الهوية الوطنية والتراث. من حيث النشاط السياسي، كانت المنظمات الشيعية تقليدياً أكثر صراحة في التعبير عن معارضة النظام في حين أن الكتل السياسية السنية تميل إلى أن تكون-أو يفترض أنها- مخلصه للنظام في المقام الأول. في حين أن هذه التعميمات ليست دقيقة بأي حال من الأحوال<sup>2</sup>. حيث عرفت البحرين تنظيمات وهيئات مدنية متجاوزة للحالة الطائفية، وتؤسس لفعل مدني حقيقي، لكن الواقع يثبت أن الانتماءات الطائفية تكون أقوى وتتغلب على هذا الفضاء المشترك.

عرفت البحرين محاولات انقلابية بفعل تأثيرات الثورة الإيرانية، وما أعقبها من نفوذ على التيارات الشيعية والحركات المعارضة، ما أدى إلى تآزم العلاقة بين الأسرة الحاكمة والمعارضة الشيعية، وظهرت تنظيمات شيعية تحمل خطاباً راديكالياً، متأثرة بالدعم الإيراني القائم على فكرة تصدير الثورة.

شهدت البحرين فترة تعبئة شعبية متواصلة منذ 1994 ولم تتوقف إلا في 2001 بعد وعود الإصلاح التي تقدم بها الملك حمد بن عيسى، وعودة المعارضين من المنفى عقب وعود بإصلاحات جذرية، بعد التصويت على الميثاق الوطني الذي نال موافقة كبيرة في 14 فبراير 2001، إلا أن الملك أصدر\*دستورا جديداً، النفا فيه على الميثاق، وضمن أحكام الأسرة الحاكمة على السلطة، وأبقى سلطات محدودة للنصف المنتخب من أعضاء البرلمان، وغير البحرين من إمارة إلى مملكة<sup>3</sup>. جاءت هذه الإصلاحات متأثرة بالسياق الإقليمي، الذي شهد انفتاحاً محدوداً على المكونات الشيعية خاصة في السعودية، كما عرفت المرحلة تغيراً في السياسة الإيرانية ينحو أكثر نحو البراغماتية، علاوة على سعي الملك للظهور بصورة إصلاحية في مواجهة المحافظين.

<sup>1</sup> -Kylie Moore-Gilbert , Sectarian Divide and Rule in Bahrain: A Self-Fulfilling Prophecy?, the website : <https://www.mei.edu/publications/sectarian-divide-and-rule-bahrain-self-fulfilling-prophecy>

<sup>2</sup> - Courtney Freer, Decrypting Sectarian Myths in Bahrain and Kuwait . the link : <https://cutt.us/e7Spt>

<sup>3</sup> - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص 31.

\*- تنص المادة 27 من دستور 2001 على أن " حرية الرأي والبحث العلمي مكفولة، ولكل إنسان حق التعبير عن رأيه ونشره بالقول أو الكتابة أو غيرهما، وذلك وفقاً للشروط والأوضاع التي يبينها القانون، مع عدم المساس بأسس العقيدة الإسلامية ووحدة الشعب، وبما لا يثير الفرقة أو الطائفية"، أنظر : الدستور البحريني، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/nOJl6>



## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

هناك عدة تأويلات لتراجع الأمير عن وعده الإصلاحية بأن لا يكون الدستور الجديد بديلا عن دستور 1973، والذي يعطي لمجلس الشورى المنتخب صلاحيات واسعة، حيث كان الأمير يستهدف لدى إعلانه مشروعه الإصلاحي تغييرا محدودا لا ينال من جوهر سيطرته أو سيطرة آل خليفة على السلطة، ويحقق هدفين: أولهما تخفيف حدة التوتر والمواجهة مع الشيعة، والثاني بناء شرعية قوية له في الشارع البحريني في مواجهة عمه رئيس الوزراء\*. وهذا هو الذي أوجد الفجوة بين رؤية الأمير ومطالب المعارضة<sup>1</sup>. وحتى السياق الإقليمي الخليجي لن يسمح بتنازلات أكثر تُحيل نحو الملكية الدستورية أو اقتسام السلطة مع الشعب، خوفا من امتداد المطالب إليها، وخاصة السعودية التي لها تأثير كبير على البحرين.

بالنظر إلى أن شيعة البحرين يحصلون على حقوقهم المذهبية بشكل كبير، في ممارسة طقوسهم واحتفالاتهم، فقد تضاءلت المطالب المذهبية بعد عام 2003 على حساب النشاط الكبير للمطالب السياسية. وحتى المطالب المذهبية التي طُرحت كان لها بعدها السياسي الواضح، على غرار إنشاء المجلس الإسلامي العُلَمائي الأعلى في سنة 2004<sup>2</sup>. فالحركات الشيعية فاعلة سياسيا وتنظيميا في البحرين وتملك مقومات تأثير كبيرة مقارنة مع نظرائها في الخليج.

يوجد اقتناع على نطاق واسع لدى الشيعة، وكذلك لدى اللبراليين والمعارضين من السّنة بأن النظام البحريني ينتهج إستراتيجية لتجنيس\*\* مواطنين سنّة من خلفيات متنوعة، ولا سيما من باكستان، وكذلك من السعودية والأردن وسوريا، بغرض تغيير التركيبة الديمغرافية الطائفية في البلاد، وبناء قاعدة مواطنين موالين إذا ما اندلعت احتجاجات واسعة النطاق مناوئة للحكم على شاكلة الاحتجاجات التي شهدتها البلاد

1 - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 205.

\* - الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة ، رئيس وزراء البحرين منذ الاستقلال في 1971.

2 - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 287.

\*\* - تحتج المعارضة أن المعلومات المستقاة من جداول الناخبين تشير إلى أن هناك زيادة في عدد الناخبين بمقدار 52 ألف مواطن، في حين أن الزيادة الطبيعية حسب الدراسات الإحصائية جب ألا تتعدى 36 ألف مواطن، ولكن على الرغم من عمليات التجنيس فإنها لم تؤدي إلى تغييرات جذرية في التوازن المذهبي، حيث ما زال الشيعة يمثلون الأغلبية العددية. للمزيد انظر شحاتة محمد ناصر، المرجع السابق، ص 137.

2 - جين كنمنت ، البحرين : ما وراء الجمود ، المعهد الملكي للشؤون الدولية (تشاتام هاوز) ، لندن ، يونيو 2012، ص 03.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

في 2011<sup>1</sup>. وهذه العملية الديمغرافية رغم بطئها إلا أنها فاعلة وأحدثت تغيرات واضحة في البنية الديمغرافية، كما عمقت الانقسام الاجتماعي، وسنكّون مجموعات مرفوضة يرتبط وجودها بوجود النظام . شيعة البحرين انطلقوا أساساً من قاعدتهم العددية في طرح مطالبهم منطلقين من المبدأ الذي رفعه المرجع الشيعي علي السيستاني "صوت واحد لناخب واحد"، وهذا ساهم في صوغ أساليب التعامل الحكومي مع هذه المطالب، حيث قامت هذه الأساليب بشكل أساسي على إبطال مفعول هذه القاعدة العددية في المجال السياسي<sup>2</sup>. وعليه هُندست العملية السياسية للانتقال على هذا المبدأ الذي يعني سحب السلطة من العائلة الحاكمة، التي تحشد طائفيًا لمواجهة هذا التأثير، إلى أن يتم مشروع الهندسة الديمغرافية .

مجتمع البحرين السياسي ليس كالكويت، فالقبيلة في البحرين يمكن أن تؤثر، لكنّها لا تستطيع أن تتحكّم في محيط دوائر انتخابية كاملة، بحيث تفرض عليها مرشّحين معيّنين وتوصلهم للبرلمان رغماً عن الدولة، كما يحدث في الكويت مثلاً. تلك النقطة تجرنا للحديث عن إمكانية إسقاط أي نائب لا تريده الدولة أن يصل للمجلس النيابي، بسبب موافقه<sup>3</sup>. كما أن العملية السياسية متقدمة في الكويت وأكثر شفافية منها في البحرين، التي أسست فيها العملية السياسية للحفاظ على السيطرة الاجتماعية، وتنفيس الضغط ببعض الانفتاح، فإذا كانت القبيلة أقوى من الطائفة وهي المنافس الحقيقي للسلطة في الكويت، فالوضع يختلف في البحرين التي تمثل فيها الطائفة التحدي الأبرز للسلطة .

دُعي لمظاهرات يوم 14 فبراير 2011 لأنه كان الذكرى العاشرة للاستفتاء حول ملكية دستورية ديمقراطية بالبحرين، إذ وافق 98.4% من الأصوات على الخطة في استفتاء عام 2001 لكنها لم تُنفذ بالكامل. وبعد عشر سنوات كان الإحباط في تصاعد بسبب البرلمان الضعيف والمنتخب نصفه، ولتقسيم الدوائر الانتخابية المجحف. وبينما رغبت المعارضة بتمثيل أكثر جدية، شعر فاعلون رئيسيون في الأسرة الحاكمة بأنهم كانوا كرماء بالسماح بتجربة برلمانية منتخبة ولو بسلطات محدودة، وهو ما يغيب في

1 - توبي مائيسن ، مرجع سابق ، ص 66.

2- شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 310.

3- إبراهيم الشيخ ، أزمة البحرين الطائفية .. وأداء الجمعيات الإسلامية السياسية ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/JR32C>

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

العربية السعودية والإمارات المجاورتان، وبدأت الحكومة باتخاذ نهج أكثر تشدداً إزاء المعارضين<sup>1</sup>. وباستدعاء أكبر للحالة الطائفية، وخطاب الأمانة .

أدلى 67 % على الأقل من الناخبين المؤهلين بأصواتهم في عام 2010، مما أدى إلى فوز الجمعية السياسية الشيعية الأساسية، "الوفاق"، بأغلبية ثمانية عشر مقعداً. وفي أعقاب الاضطرابات التي بدأت عام 2011، قاطعت جمعية "الوفاق" انتخابات عام 2014، وتراجعت نسبة المشاركة إلى 52 في المائة، ليطم حظر جمعية الوفاق لاحقاً<sup>2</sup>. تحظى جمعية الوفاق الوطني الإسلامية، وهي أكبر جمعية سياسية في البحرين وأكثرها تنظيماً وأوسعها نفوذاً، بدعم شريحة واسعة من جمهور المعارضة والإسلاميين الشيعة، إضافة إلى تيارات أخرى إسلامية شيعية كالشيرازيين وتيار الوفاء الإسلامي<sup>3</sup>.

ينقسم البحرينيون في الفترة الزاهنة بين تيارات إسلامية مبنية على الانتماء المذهبي في المقام الأول. فمن جهة يُمثل السنة إلى حد بعيد سلفيو جمعية الأصالة، والإخوان المسلمون في جمعية المنبر الإسلامي، وتكتلات جديدة ظهرت منذ 2011 كتجمع الوحدة الوطنية، إضافة إلى المستقلين. وتشارك كل هذه الأطراف في الانتماء المذهبي والموقف السياسي المناوئ للمعارضة<sup>4</sup>. حيث تظهر جليا الاصطفافات الطائفية في البرلمان والتحالفات السياسية .

لم تتأخر السلطة في التخلص من سيطرة الإسلاميين على المجلس بعد أن امتصت ميل الناس لهم مع بدايات المشروع الإصلاحي في 2002 و2006، فبدأت مرحلة إسقاطهم وإضعافهم عبر إيصال نواب مستقلين كانوا الأقرب لتمثيلها منهم إلى الشعب، واستخدمت في ذلك كل آلياتها لإسقاط مرشحين معينين كانوا يمثلون لها إزعاجاً مستمراً، وشعور غالبية الشارع السني بتبعية الجمعيات الإسلامية للسلطة، وقد نجحت السلطة في ذلك في انتخابات 2010، حيث أصبح البرلمان تكملة للسلطة التنفيذية<sup>5</sup>.

إن الاستقراء التاريخي لأهم المراحل المفصلية في العلاقات المجتمعية في البحرين يفضي إلى أن هناك عوامل دفعت الشيعة والسنة إلى المشاركة في المطالبة بالإصلاح في بعض الأوقات، ولكن هذا لم

<sup>1</sup> - جين كينمنت ، البحرين : ما وراء الجمود ، المعهد الملكي للشؤون الدولية (تشاتام هاوس) ، لندن ، يونيو 2012 ، ص 03.

<sup>2</sup> - Simon Henderson, The Sectarian Significance of Bahrain's Elections, the link : <https://cutt.us/CFRgh>

<sup>3</sup> - عمر هشام الشهابي وآخرون، مرجع سابق ، ص 134.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 135.

<sup>5</sup> - إبراهيم الشيخ ، مرجع سابق.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

يمنع كل فريق من أن تكون له مطالبه وتنظيماته الخاصة، ولم يستطع تجاوز التأثير السلبي للعوامل المذهبية والتاريخية في العلاقة بينها، وهذا يعني أن الاستقطاب الشيعي - السني ظل أحد المحددات الرئيسية لحركة السياسة والاقتصاد والتاريخ في البحرين، كما ظل تأثيره أكبر من جميع عوامل التحديث التي كانت تدفع في اتجاه تخطي عامل المذهب والقفز فوقه<sup>1</sup>. وهذا ما تعكسه التحالفات الطائفية في العملية السياسية البحرينية، والتي فشلت مكوناتها في التأسيس لمشروع وطني معارض يتجاوز الطائفية لا تقتصر ساحات الخلاف والتنافر على القضايا الثقافية والدينية فحسب، بل تمتد لتشمل المجال الاقتصادي والمعيشي أيضا. يقول نبيل رجب رئيس المركز البحريني لحقوق الإنسان إن دراسة أعدها المركز تُظهر أن عدد العاملين في المؤسسات الحكومية من الشيعة في عام 2010 قد انخفض بنسبة الثلث عما كان عليه الحال قبل خمس سنوات. ويرى رجب أن البرلمان البحريني لم يفعل شيئا "لتخفيف البطالة المتفشية والإسكان السيئ وسط المجتمعات الشيعية"<sup>2</sup>. إذ يبرز التفاوت الاجتماعي والاقتصادي بين الطوائف، وحتى في سياسات التوظيف وشغل المناصب السيادية والأمنية .

وفقا لتقرير البحرين لحقوق الإنسان الصادر في كانون الأول ديسمبر 2003 وهو يتضمن مسحا لـ 32 وزارة وجامعة فإن من بين 572 وظيفة عليا تناولها التقرير يحتل الشيعة 101 وظيفة منها، أي 18% من المجموع الكلي، وعندما تم إجراء البحث تبين وجود 47 شخصا برتبة وزير وأمين عام، ولم يكن من بينهم سوى عشرة من الشيعة أي 21% من المجموع الكلي، وهؤلاء لا تشملهم الوزارات السيادية مثل الداخلية والخارجية والدفاع والأمن والعدل، وقد أنتج هذا الوضع سياسة توظيف طائفية في البحرين، لذلك لوحظ سيطرة شيعية على العمل في بعض الوزارات التي تولاها شيعة<sup>3</sup>. والواقع أن الأسر الحاكمة في الخليج تقتصر المناصب السيادية والحساسة في الدولة على أفرادها، وغالبا ما تُحرم بقية المكونات بغض النظر عن انتماءاتها. وهذا من أجل إحكام السيطرة والحفاظ على لحمة الأسرة وعصبيتها الداخلية . بسبب تكوينها الطائفي، لم تقم البحرين بتقديم تشريع يوافق على التجنيد مثل جيرانها الكويت وقطر والإمارات العربية المتحدة. في الوقت الحاضر، لا يُسمح للبحرينيين الشيعة بالانضمام إلى قوة دفاع

1 - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 177.

2 - موقع هيئة الإذاعة البريطانية ، البحرين : تاريخ من التوتر الطائفي والسياسي ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/1sGZo>

3 - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 146-147.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

البحرين، فإن قوة دفاع البحرين "ليست جيشاً وطنياً، بل هي جيش النظام". تضم القوة مواطنين أجانب، لكنها تستثني مواطنين شيعية، ربما بحكم تحديدهم كتهديد داخلي، في حين يقع ضامن الأمن خارج البحرين في المقام الأول في المملكة العربية السعودية<sup>1</sup>. إن هذا الواقع يدل على الإدراك المسيطر على صانع القرار في البحرين وتوجهاته، كما يؤثر على حجم الفجوة بين السلطة وبقية المكونات، ومستوى الانقسام الاجتماعي، ويظهر وظيفة الطائفية كضامن لاستمرار السلطة.

#### المطلب الثاني: تحديات الربيع العربي: بين دعوات الإصلاح والواقع الطائفي والاستراتيجيات الإقليمية .

البيئة الداخلية البحرينية، وبحكم توازناتها الديمغرافية ذات الامتدادات الإقليمية حساسة جداً للمؤثرات الخارجية، خاصة منها ذات البعد السياسي، حيث ما تلبث أن تأخذ بعداً طائفياً. ومن ذلك دعوات الإصلاح التي رافقت الاحتجاجات التي شهدتها الدول العربية، والتي نتج عنها أزمة طائفية حادة، كادت أن تسقط نظام الحكم في البحرين .

كان للتغيرات والأوضاع السياسية في منطقة الشرق الأوسط تأثير كبير في الحالة البحرينية على وجه الخصوص، خلال الثورات العربية، وخصوصاً بعد بروز الإسناد الإقليمي الطائفي، فمعظم التغيرات البنيوية في هيكل الصراع السياسي الداخلي في البحرين، اتكأت على الهوية الدينية المذهبية، بناء عليه كان المحدد الطائفي أكبر عائق ضد القوى الثائرة، لأن السلطة استفادت من ميزة التركيبة الأيديولوجية للقوى السياسية المعارضة، وخصوصاً أن هذه القوى تعتنق التوجه الأيديولوجي الإسلامي الشيعي الإثني عشري<sup>2</sup>. والتي غلب حضورها وخطابها في الاحتجاجات على التيارات المدنية المتجاوزة للانتماءات الطائفية، وبالتالي قدّمت فرصة للنظام لتصوير الاحتجاجات باعتبارها مطالبات طائفية بإسناد إقليمي.

عندما وُجّهت دول الخليج بالتحديات السياسية المتزايدة في أوائل عام 2011، وخاصة البحرين والعربية السعودية على وجه الخصوص، عمدت إلى التعبئة الطائفية من أجل قمع الدعوات المحلية

<sup>1</sup> - Courtney Freer, Decrypting Sectarian Myths in Bahrain and Kuwait . the link : <https://cutt.us/CgUoH>

<sup>2</sup> - راشد أحمد راشد إسماعيل، سياسات بلدان مجلس التعاون الخليجي تجاه تداعيات أزمة ربيع الثورات العربية : البحرين أنموذجاً ، المجلة العربية للعلوم السياسية ، العدد 43-44 ، أيلول – سبتمبر 2014 ، ص 117.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

للإصلاح. كانت إستراتيجية الاستقطاب الطائفي تهدف إلى نزع الشرعية عن المعارضة، وتخويف الأقلية السنية من نظام سياسي بديل محتمل، وإلى تعزيز الولاء التام للعائلة الحاكمة<sup>1</sup>.

استطاع النظام في البحرين عبر إستراتيجية تطييف المجتمع أن يحتوي تداعيات ربيع الثورات العربية، عبر الاصطفاف السياسي الطائفي ما بين مكونات المجتمع، وتحقيق التوازن السياسي في أركان الدولة، من خلال تسوية المعادلة السياسية للنظام الحاكم، إذ أن تشرذم القوى السياسية كافة في المجتمع المدني بشكل سياسي طائفي متوازن ما بين كفة المعارضة من جهة، وكفة السلطة من جهة أخرى، قد أدى إلى بقاء النظام الحاكم واستقراره، وإحباط طموحات القوى المعارضة المطالبة بالتغيير السياسي<sup>2</sup>.

التصاعد في الحركة الاحتجاجية العابرة للطائفية في فبراير 2011 مثل تهديدا مباشرا لوجود النظام، وعليه رد بعنف، إذ اكتسحت قوات الأمن مكان الاحتجاج في دوار اللؤلؤة. كما رد النظام بتحريك مظاهرات معاكسة سعيا لتصديع الحركة الاحتجاجية، بخلق مقابل طائفي، وجعل شارع في مواجهة الآخر. علاوة على الدعم القادم من قوات درع الجزيرة التي تكونت من 1000 من رجال الحرس الوطني السعودي، مع قوة طوارئ مكونة من 500 من الشرطة العسكرية الإماراتية<sup>3</sup>. والتي أثبتت أن التحالفات الإقليمية هي الضامن لبقاء السلطة في البحرين، وأن السياسة الطائفية هي امتداد لهذه التحالفات.

نجحت السلطة في احتواء التداعيات السياسية الناتجة عن الربيع العربي بشكل مرحلي، من خلال دفع مكونات المجتمع كافة نحو التشكل على أسس مذهبية وطائفية، وسعت السلطة من خلال هذه السياسة إلى الاستفادة من التنوع الديني والأيدولوجي لتحقيق استقرار النظام الحاكم، اعتمادا على حقيقة أن الاحتجاجات الشعبية لا تحقق نجاحا في المجتمعات الطائفية، وبذلك استطاعت المحافظة على النظام الملكي الدستوري الحالي<sup>4</sup>. على علاته، بل واستفادت عبر التعزيزات الإقليمية من قمع كل المطالب الإصلاحية وإشاعة الجو الأمني، علاوة على تراجع الدعوات الإصلاحية داخل الحاضنة السنية أيضا

<sup>1</sup> - Toby Matthiesen, The Sectarian Gulf vs. the Arab Spring, in The Politics of Sectarianism, The Project on Middle East Political Science, New York, 2013,p07.

<sup>2</sup> - راشد أحمد راشد إسماعيل، مرجع سابق ، ص 118.

<sup>3</sup> - كريستان كوتس ألريتشن ، انتفاضة البحرين : المضامين المحلية والاحتمالات الإقليمية والدولية ،في الشرق الأوسط الجديد : الاحتجاج والثورة والفوضى في الوطن العربي ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ، ط1، 2016 ،ص ص 299-300.

<sup>4</sup> - راشد أحمد راشد إسماعيل، مرجع سابق ، ص 117.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

بفعل الاصطفاف الطائفي. وهذا حل مؤقت يتجاوز المرحلة لكنه سيولد انعكاسات اجتماعية أمنية خطيرة مستقبلاً، لأنه أثبت أن بقاء النظام مرتبط بتحالفات خارج الحدود.

سعى النظام إلى استغلال الانقسام الذي شهدته الحركة الاحتجاجية في البحرين في 2011، بعد عرض لخطب مباشرة للمدرسي\* في ساحات الاحتجاج، يهاجم فيها الأسر الحاكمة في البحرين والسعودية، وعليه سعى النظام إلى ربط الاحتجاجات بمخطط الانقلاب لسنة 1981، معتبراً الحركة الاحتجاجية محاولة انقلابية تقودها الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين، التي تدعمها إيران، وهي نفس الحركة التي نظمت المحاولة الانقلابية في 1981<sup>1</sup>. رغم أنه من الصعب نفي التأثير الإيراني في السياسة الداخلية للبحرين، إلا أنه يلاحظ توسل السلطة لذات الخطاب والتوجهات السياسية في إدارة الأزمة السياسية. كما مكنت مثل هذه الخطب التي عرفت منزعا طائفيًا في إضعاف التيارات المدنية وتحجيمها، وخدمت رواية السلطة .

لا تساند غالبية المعارضة البحرينية المطالب المتشددة، وبخاصة الإطاحة بالنظام، فقد صرح الشيخ علي سلمان، الأمين العام لجمعية الوفاق الوطني في مايو 2011 أن الجمعية مع الأسرة الحاكمة في وجود الملكية الدستورية، نحن مع التدرج في تطبيق النظام الديمقراطي<sup>2</sup>. خاصة مع وجود عراقيل إقليمية تكبح أي ممارسة ديمقراطية قد تمتد إليها .

اجتمعت التيارات السنّية الرئسية في البلاد، مع بعض الإسلاميين المستقلين وذلك في أواخر شهر يناير 2011، ونتج عن هذا الاجتماع، الاتفاق على تشكيل "ائتلاف" اتفق على رفع مطالب إصلاحية للملك كخطوة استباقية قبل ما سميّ بيوم غضب 14 فبراير. وتمّ اللقاء بالملك، إلا أنّ المطالب الإصلاحية التي رُفعت لم تنفذ بما هو مأمول، ليتم اختزالها في تحقيق طلب واحد وهو إعطاء كل أسرة بحرينية مبلغ قدره 1000 دينار بحريني، ولو استجابت السلطة منذ سنوات في تنفيذ روح المشروع الإصلاحية الذي وُعد به الشعب، لربّما حجّمت كثيراً من التأثيرات السلبية الكبيرة لأحداث البحرين<sup>3</sup>.

\* - هادي المدرسي رجل دين عراقي عاش فترة في البحرين قبل أن يغادرها بفعل اتهامات بتخطيه لمحاولة انقلابية فيها بعد الثورة الإيرانية سنة 1979. وتتأثر العديد من الحركات الشيعية المعارضة بخطاب المدرسي. للإطلاع على خطبة المدرسي انظر :

<https://www.youtube.com/watch?v=lwyJx3v-s2w>

1 - توبي مائيسن ، مرجع سابق ، ص 72.

2 - خليل علي حيدر ، مرجع سابق ، ص 2303.

3 - إبراهيم الشيخ ، مرجع سابق.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممييزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

طريقة إدارة النظام في البحرين لمطالب الشيعة تُظهر قصور القدرة التوزيعية من خلال غياب توزيع متوازن للمناصب المدنية والعسكرية بالتوافق مع النسب الديمغرافية. علاوة على غياب القدرة الاستجابية، والخلل في التواصل، ومما يؤثر على ذلك حل جمعية الوفاق واجهة المعارضة الشيعية، بالتزامن مع إطلاق القبضة الأمنية خلال الاحتجاجات في 2011، وتعزيزها باستدعاء قوات درع الجزيرة<sup>1</sup>.

قامت الأسرة البحرينية الحاكمة بعدد من الخطوات التصالحية، عقب حملة القمع في مارس 2011، وذلك بضغط من حلفاءها الغربيين. وعليه أُطلق الحوار الوطني، الذي انبثقت عنه اللجنة المستقلة لتقصي الحقائق، التي باشرت عملها في تموز يوليو من نفس السنة، وتقرر أن ترفع تقريرها للملك، الذي يدفع أجزتها أيضا. تلقت اللجنة ثمانية آلاف شكوى، وقدمت تقريرها للملك\* في نوفمبر 2011، وأشار التقرير بصراحة لانتهاكات القوى الأمنية في البحرين، لكنه تحاشى التطرق للمواضيع الحساسة، كتجريم أفراد الأسرة الحاكمة، كما لم يتهم إيران بتحريك الاحتجاجات، ولم يُشر إلى أي انتهاكات قامت بها قوات درع الجزيرة<sup>2</sup>. إن وجود هذه اللجنة من أساسها، علاوة على نتائجها، يدل على الشرعية المهترزة للسلطة في البحرين، ويؤكد على أن علل وجودها مرتبطة بحسابات الخارج، كما أن مُخرجاتها تدل على ذات النهج في التعاطي مع الأزمة السياسية، رغم حجم الأزمة والضغط الشعبي.

منذ صدور تقرير اللجنة البحرينية المستقلة لتقصي الحقائق المعينة ملكيا في نوفمبر 2011، اتخذت الحكومة خطوات جزئية لعلاج بعض الانتهاكات. فقد أنشأت قوانين وهيكل جديدة بهدف منع تكرار انتهاكات مماثلة. لكن مصداقية الأسلوب القانوني الطابع في إنشاء آليات جديدة للمساءلة قد قوضه فشل السلطات الحاكمة في إخضاع أي مسؤول رفيع للمساءلة عن التعذيب والوفيات في الاحتجاز واستخدام القوة المفرطة والتي فصلها تقرير لجنة التقصي، وقوضته كذلك علامات على أن بعض الانتهاكات على الأقل قد استمرت في المدة اللاحقة لصدور التقرير<sup>3</sup>.

1 - سمية بلعيد ، تأثير الانقسامات الطائفية على استقرار الأنظمة السياسية الخليجية ، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية ، العدد الثاني عشر ، جانفي 2018 ، ص 439.

2 - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص 99 ، 100.

\* - للإطلاع على التقرير ، أنظر : <http://www.bici.org.bh/BIClreportAR.pdf>

3 - جين ككنمنت ، مرجع سابق ، ص 01.



## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

لا تزال العائلة الحاكمة في البحرين غير مُمثلة في الحوارات السياسية بشكل رسمي، مما يصور الأزمة السياسية وكأنها تقتصر على اختلافات بين التيارات السياسية في البحرين، فيما تُبرز السلطة السياسية نفسها حكم محايد بين هذه التيارات، وكجهة غير معنية بالأمر بشكل مباشر، ومع استمرار الجمود السياسي، واعتماد الحل الأمني، وتراجع الأمل بالتوصل إلى حل سياسي، من المرجح استمرار الخلاف الطائفي لملازمة المواقف السياسية حيال الأزمة<sup>1</sup>. إن عدم مشاركة الأسرة الحاكمة في الحوارات دليل على تصورهما للأزمة السياسية ولفكرة التشاركية، وتعاطيها مع الإصلاحات كمنحة، كما يبدو أن مخرجات الحوار ونتائج المحدودة ستعمل على إعادة إنتاج الطائفية، وهذا ما تسعى إليه السلطة .

علاوة على كون الخلافات داخل العائلة الحاكمة دفعت الأمير للتراجع عن الإصلاحات السياسية والتنازل لصالح المعارضة الشيعية. فقد كان للعامل الإقليمي دوره في وضع سقف لمشروع الإصلاح في البحرين. وهنا يبرز دور السعودية التي رأت في مشروع الإصلاح خطراً عليها لجهة مواقف وطموحات الشيعة في المنطقة الشرقية، ونظراً لأهمية السعودية بالنسبة إلى البحرين، يشير إليها البعض بأنها كانت مساهمة في الانتكاسة التي تعرّض لها مشروع الإصلاح في البحرين<sup>2</sup>.

تتجسد إستراتيجية التطييف في تهميش الإصلاحيين داخل النظام، لصالح أعضاء أكثر تشدداً في العائلة المالكة. وقد ساهم فشل محاولة ولي العهد في عقد حوار مع المعارضة في مارس 2011 في تقوية المحافظين داخل النظام الذين يحظون بدعم السعودية، حيث يروجون لتأثيرها الاقتصادي والثقافي والسياحي ولتواجدها العسكري. ويعتقد هؤلاء الرافضون لأية تسوية مع المعارضة أن من شأن اقتراح تحويل مجلس التعاون الخليجي إلى اتحاد سياسي أن يؤدي إلى ولادة فدرالية بحرينية - سعودية تعزز التحالف مع السعودية، حتى ولو تم تأجيل هذا المشروع إلى وقت لاحق<sup>3</sup>. ويظهر هذا باعتباره آخر الخيارات في حال انهيار السلطة وتراجعها أمام المعارضة، أي الاندماج مع السعودية وعدم تقديم تنازلات داخلية لحل الأزمة السياسية - الطائفية، وهذا المآل يحد من خيارات المعارضة ويدفعها لعدم رفع سقف التصعيد، لأن خيار الاندماج يعني فقدانها للكثير من امتيازاتها.

1 - عمر هشام الشهابي وآخرون، مرجع سابق ، ص ص 113-114.

2 - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 206.

3 - Joost Hiltermann , Bahrain: A New Sectarian Conflict : <https://cutt.us/PQAgJ>

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

يعتمد اقتصاد البحرين و موازنتها بشدة على الدعم السعودي، إذ تستخرج البحرين معظم إنتاجها النفطي من حقل أبو الصفا البحري المشترك مع السعودية، وللبحرين 50% من عائداته، كما يتم تزويد مصافي التكرير البحرينية بالنفط الخام السعودي بأسعار مخفضة، إضافة إلى أن قطاع السياحة والصيرفة في البحرين يعتمدان كثيرا على المستثمرين السعوديين وودائعهم<sup>1</sup>. وبالتالي فإن إدارة السياسة الداخلية لا ترتبط بمتغيرات داخلية فقط، بل تعتمد على محددات خارجية يبدو أنها الأكثر تأثيرا .

لقد اضطرت ملكيات الخليج الصغيرة إلى التعامل دوما مع ضغوط الجوار الخليجي، والتي ما زالت تعقد الأزمة في البحرين. إذ تخشى الحكومة وحلفاؤها من تزايد نفوذ إيران بين مواطني البحرين الشيعة، أما ناشطوا المعارضة فيخشون من أن تزايد اعتماد الحكومة اقتصاديا وسياسيا على السعودية قد يعرقل الإصلاح. إن انقسامات البحرين السياسية تطابق الخطوط الطائفية، كما أنها أصبحت مستقطبة بازدياد في سياق توترات إقليمية متصاعدة بين السنة والشيعة. الفشل في حل التوترات بالبحرين يزيد من خطر انتشار الطائفية الأوسع عبر الخليج، وخصوصا في السعودية والكويت<sup>2</sup>. مثلت الحالة البحرينية كما السورية ساحة استقطاب طائفي إقليمي، انعكس بشكل أكبر على المجتمعات المنقسمة طائفا مثل دول الخليج، حيث اصطف كل طرف وراء انتمائه الطائفي.

استفادت كل من السعودية وإيران من هذا الخطاب الطائفي للحفاظ على قوتها في المنطقة. بالنظر إلى العلاقات القوية بين المنامة والرياض، شجعت السعودية على استخدام الطائفية في البحرين، لحماية استقرارها السياسي والاقتصادي الداخلي -خاصة في المنطقة الشرقية- وهيمنتها في شبه الجزيرة العربية. استفادت إيران أيضًا من هذه الصورة للاحتجاجات البحرينية. لكنها، انتقدت بشدة التدخل العسكري السعودي ووفرت تغطية إعلامية مواتية للمتظاهرين<sup>3</sup>. وكما تدخلت السعودية عسكريا لدعم السلطة في البحرين، تدخلت إيران بنفس الأسلوب لدعم السلطة في سوريا، لا تقتصر الأهداف على الدوافع الطائفية، بقدر ما تعكس الحاجة الإستراتيجية بمنع امتداد الحركات الاحتجاجية والحفاظ على التوازنات.

1 - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص 58.

2 - جين كمننت ، مرجع سابق ، ص 01.

3 - Alba Benito Miranda, Sectarianism in Bahrain and the New Middle East Cold War, the link : <https://cutt.us/geMie>

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

بخلاف البحرين، التي ظهرت فيها حركة منشقة عن جمعية الوفاق باسم حركة حق، قادت حملة للحصول على دعم دولي لتغيير النظام السياسي في البحرين، وقدمت في 2006 طلباً للأمم المتحدة بهدف التدخل وإنجاز مشروع دستوري جديد في البحرين. لم يبد الشيعة في الكويت أو العربية السعودية أي تحرك نحو التوجه إلى الخارج طلباً للضغط على النظام السياسي، لكن يظهر تلميح رجل الدين الكويتي الشيعي باقر المهري عبر مطالبته بالإصلاح " قبل أن يفرض علينا من الخارج لأنه آت لا محالة"، إضافة إلى تأكيد رجل الدين الشيعي السعودي نمر النمر على أن من حق الشيعة في العربية السعودية الاستفادة من أي قوة خارجية، بما في ذلك إيران<sup>1</sup>.

فالحركة الشيعية تحمل أطيافاً ومكونات متباينة ومختلفة وليست كتلة صماء، كما أن الخيارات السياسية للسلطة في البحرين، كثيراً ما تدفع إلى تقوية الخطاب التطرفي الانفصالي، الذي يرى من حقه الدعم الخارجي والمطالب الراديكالية على اعتبار أن السلطة وهي طرف في الصراع تمارس ذات النهج، وعليه يتقلص تأثير الإصلاحيين، وهو ما يعني استمرار الأزمة الطائفية .

### المطلب الثالث: المقاربة السلطوية : بين التطييف والقمع قراءة في الانعكاسات .

لم تغير السلطة في البحرين مقاربتها للأزمة الداخلية، وهي بهذا لا تخرج عن التوجهات السياسية للأسر الحاكمة في مجلس التعاون، إلا أن هذه الآليات السلطوية تولّد انعكاسات مزمنة وتعيد بعث الظاهرة الطائفية وتعمّق الانقسام الاجتماعي.

لا ترجع أسباب الانقسام الطائفي للحركة الاحتجاجية في البحرين إلى خطاب طائفي تحرض عليه الحكومة، ولا إلى ميول طائفية لقطاعات من الحركة الاحتجاجية، لكن ترجع إلى تفاعل بين عمليات من قمة الهرم إلى أسفل، ومن أسفل الهرم إلى قمته، قسّمت الحركة الاحتجاجية تبعاً لمحاور طائفية. لكن قدوم القوات السعودية، والقمع الذي تلاه، وطائفية وسائل الإعلام التابعة للنظام انعكست سلباً على الشيعة، وجعلت الكراهية الطائفية مستساغة اجتماعياً<sup>2</sup>.

1 - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 296.

2 - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص ص 98-99.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

انطلاقاً من هذه المقاربة يمكن إعادة النظر إلى الانقسام المذهبي في البحرين على أنه إستراتيجية ضبط سياسي تنتهجها الأطراف الماسكة بمصادر القوة وتوزيع الثروة، يتم اللجوء إلى استثمارها في أوقات الانقسام السياسي. حيث تتجه بعض الأطراف السياسة لتغطية الانقسام السياسي وربطه بأشكال طائفية مذهبية، بهدف الابتعاد عن تقديم حلول سياسية، بعيدة عن الاحتراب الطائفي، أو حلول قائمة على أسس التعاقد السياسي الديمقراطي<sup>1</sup>. والبيئة الاجتماعية تحمل الاستعدادات لهذا التطيف.

هناك إشارات عديدة على أنه تتخلل الأزمة السياسية التي تمر بها البحرين صبغة طائفية لا يمكن نكرانها، لعل من أبرزها تطابق الموقف السياسي مع الانتماء المذهبي لشرائح واسعة من البحرينيين في الفترة الراهنة، إلا أن الانقسامات المجتمعية في البحرين لا تقتصر على تسييس الانتماء المذهبي فحسب، فقد شهدت البحرين وخاصة في فترات انحسرت فيها التوترات الطائفية تسييساً للهويات الإثنية المتعددة أيضاً. كذلك الفترة التي شهدت انبعاث المد القومي العروبي<sup>2</sup>. ومنه فالسلطة تعمل على تفعيل الهويات الفرعية بحسب الحاجة، من أجل الحفاظ على تماسكها في مقابل تمزيق الكتل المجتمعية.

ما يلفت النظر هنا هو تباين نشاط الجماعات السنية في البحرين عن نظيرتها في دول الخليج وبالأخص في الكويت، حيث تنشط هناك جماعة الإخوان المسلمين وجماعة السلفيين بشكل معارضة سياسية ومطالبة بالمزيد من الديمقراطية، وقد تضطرها هذه المواقف لاتخاذ مواقف حادة وصراعية مع السلطة، إلا أن سلوك جماعة الإخوان المسلمين وجماعة السلفيين يؤسس لما يدعونه بالمناسبة لا المعارضة. باستثناء التوجهات الديمقراطية التي انخرطت فيها الهوية السنية، فإن التوجهات الدينية السنية كانت تقف سلباً من أي معارضة، وربما شاركت في الدعاية الرسمية حول المعارضة ووسمها بالصفات التي تقرها السلطة الحاكمة، وذلك عبر بيانات خطب الجمعة أو التصريحات الصحفية<sup>3</sup>.

قد يرجع هذا التباين بين السياق الخليجي إلى متغيرات منها حجم الكتلة الديمغرافية، وما يستتبعها من حجم التأثير المتصور للكتلة الشيعية، حيث تتحول هذه الكتلة في الكويت إلى أقلية وغالبا ما تتحالف مع السلطة كما أثبتت التجربة التاريخية، عكس البحرين التي يكون فيها المكون السني في موضع الأقلية،

1- عباس المرشد، مرجع سابق.

2- عمر هشام الشهابي، مرجع سابق ، ص ص 132-133.

3- عباس المرشد ، مرجع سابق.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والمتميزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

وتصبح السلطة الحالية تُعبر عن ضمان الوضع الراهن، واعتبار أي تغيير في موازين القوى يعني تمكن المعارضة الشيعية. كذلك يعمل مناخ الاستقطاب الطائفي على تراجع المطالب الإصلاحية للجماعات السنية التي ترى أنه من الأولى تأجيل المطالب الإصلاحية، والواقع أن النظام هو المستفيد الأكبر من هذا التنافس الاجتماعي، فهدف السلطة لا يتمثل بالهوية السنية بل كيف تعيد إنتاج ذاتها .

تمكّن النظام البحريني من أن يستبدل الصراع الموجود بصراع سياسي طائفي جديد، يعزز من شعور الجماهير بالخوف والرغبة، وقام بتحويل الاهتمام وتركيز القوى السياسية الثورية والشعبية نحو الصراع البديل، وبالتالي تمكّن من امتصاص الطاقات الموجهة نحو الاحتجاجات والثورات خلال الربيع العربي، وبدلاً من أن تتوحد مكونات المجتمع البحريني كافة تحت راية واحدة وهدف واحد صميمه الديمقراطية والحرية والتنمية، أصبح كل مكون ينحسر إلى قواعده نتيجة الشعور بالخوف وغموض المصير في حال فناء النظام الملكي، ومطالبة أجزاء واسعة من مكونات المجتمع البحريني بتحقيق الأمن وممارسة السلطة صلاحياتها ودورها في الدولة، الأمر الذي أضفى شرعية للنظام الحاكم<sup>1</sup>.

بعد قمع الاحتجاجات، ولتوضيح أن ما تم كان بمثابة انتصار للسنة على الشيعة، أُطلق على النقاط المروري الذي بُني مكان دوار اللؤلؤة - الذي كان مركز التجمع للحركة الاحتجاجية ويحمل رمزية ثورية- اسم تقاطع الفاروق، على اسم الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب رضي الله عنه. وعليه حوّل النظام رمزا للتراث الوطني ولوحدة الخليج وللنضال، إلى رمز طائفي<sup>2</sup>. وهو توظيف يسعى لتعميق الحالة الطائفية، ويحمل برمزيتة توجهات طائفية للسلطة، لا تسعى من خلالها للإصلاح. كما أنه يعبر عن تأكيد منطق الانتصار على نهج التشاركية والوحدة الوطنية.

نسبة متزايدة من المعارضة تؤمن الآن بأن الحكومة ليست شرعية ولا قادرة على الإصلاح. إن التشكيك الصريح بشرعية الملكية لا مثيل له حالياً في دول مجلس التعاون الخليجي الأخرى. لكن وبالرغم من الخليط الاجتماعي والديني الفريد للبحرين، فإنها غالباً ما قَدّمت سوابق لدول مجلس التعاون الأخرى، لذا لا ينبغي لجاراتها افتراض الحصانة من ضغوط مماثلة. وليس من قبيل الصدفة أن البحرين وسلطنة عمان من بين كافة دول مجلس التعاون قد واجهتا أكبر الاضطرابات في عام 2011، فهما أول دولتين

1 - راشد أحمد راشد إسماعيل، مرجع سابق ، ص 120.

2 - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص 102.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممييزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

تواجهان تراجع الإنتاج النفطي بالمنطقة. ورغم انفراد كل دولة خليجية بتاريخها وخليطها السكاني، إلا أن حالة البحرين تثري سيناريوهات مقلقة عما يمكن أن يحدث في الدول الأخرى إن لم تحسن إدارة الانتقال إلى اقتصاد بعد نفطي والتغييرات المرافقة في توقعات المواطنين السياسية<sup>1</sup>.

يزداد خطر الانعكاسات المتولدة عن انحسار الفوائض الريعية، ليس داخل البحرين فقط، بل حتى داخل السعودية الدعامة المركزية للاقتصاد البحريني، وعليه فإن هذا التراجع سيدفع للتغطية على الأزمة الاقتصادية بالدفع أكثر نحو الاستقطاب الطائفي، كما قد يؤدي إلى عجز السعودية عن تقديم الدعم اللازم للأسرة الحاكمة في البحرين، وبالتالي تفقد الضامن الرئيسي لسلطتها .

إن من نتائج الاحتجاجات البحرينية وما أعقبها من حملة أمنية تقوية الأصوات المتطرفة عبر الأطياف السياسية، وتهميش الوسط السياسي. إن بروز الجماعات المتشظية المتطرفة يعني أنه لم يعد من الممكن الحديث عن ثنائية "نظام- معارضة". فقد ازدادت عناصر المعارضة عنفا، كما تشددت الجماعات الموالية للنظام في الإلحاح على القضاء على المعارضة. حيث يشهد المشهد السياسي إضعاف الأجنحة المعتدلة في الحكومة والمعارضة التي تكون قيادتها حيوية لبناء دعم للإصلاح السياسي والمصالحة.<sup>2</sup>

إن البيئة التقليدية والمنقسمة تمثل تحدياً مركزياً أمام التحول الديمقراطي والإصلاح السياسي، لكن رفض السلطة وعدم رغبتها في الإصلاح، وتجاهلها لمخاطر السلطوية الطائفية هو العائق الأكبر أمام أي مطالب إصلاحية، حيث أثبتت التجربة السياسية أن الانفتاح المحدود كان تكتيكا مرحليا، ولم يكن إستراتيجية جذرية للنظام .

إن التركيبة السياسية والاجتماعية المعقدة للبحرين، وصغر حجمها، والفجوة الواسعة بين مطالب المعارضة والسلطة السياسية، وطبيعة الصراع بين القوى الإقليمية المحيطة بها، إلى جانب عوامل أخرى داخلية، تضع البلاد والعلاقات الطائفية باستمرار في وضع غير مستقر، وتحتاج البحرين كي تحل مشاكلها إلى إصلاحات وتنازلات متبادلة بين القوى المتنازعة، وهذا ما لم تحققه حتى الآن.<sup>3</sup>

1 - جين كينمنت ، مرجع سابق ، ص 01.

2 - كريستان كوتس ألريتشن ، مرجع سابق ، ص 304.

3 - خليل علي حيدر ، مرجع سابق ، ص 2303.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

بعد عقود من توظيف الطائفية لتحقيق مكاسب سياسية، يبدو أن العائلة الحاكمة نجحت في تعميق الانقسامات، لدرجة أنه من غير الواضح ما إذا كان المجتمع البحريني قادراً على استعادة التعاون فوق الطائفي. لكنها تواجه خطر الحكم في نظام متصدع وغير مستقر، يعاني باستمرار من العنف والاضطرابات. يبدو أن الحكومة البحرينية كانت ناجحة للغاية في تجزئة المجتمع، وهي تخاطر بتعريض ما تسعى في النهاية إلى حمايته للخطر، أي قبضتها على السلطة<sup>1</sup>.

شهدت البحرين أزمة طائفية عنيفة كادت أن تطيح بالأسرة الحاكمة لولا التدخل الخليجي الذي ثبتت حكم آل خليفة، هذه الأزمة هي نتيجة لتراكمات تسييس الهوية الطائفية، والقفز على وعود الإصلاح السياسي والانفتاح المحدود والتكتيكي، والعمل على تمزيق المكونات المجتمعية في بيئة منقسمة أصلاً. إن ممارسة الطائفية لا تقتصر على السلطة فقط، بل تورطت فيها المعارضة، التي ساهمت خطاباتها الطائفية وتوجهاتها في تفكيك الجبهة الداخلية، وعرقلة تكون هيئات مدنية عابرة للطائفية تمكّن من نضال حقيقي للمطالبة بالإصلاح، وعليه عززت الشكوك بأن أي انفتاح ديمقراطي سيعني تمكن هذه الجماعات. تمثل البحرين النموذج الأكثر تعقيداً في الحالة الطائفية الخليجية، في ظل تعقيدات التركيبة الإثنية والتي تعمل الأطراف على هندستها، وأيضاً بفعل تأثيرات الخارج، الذي يمثل الفاعل الرئيسي المتحكم في تفاعلات السياسة البحرينية والعائق الأكبر أمام أي مسار إصلاحى ينحو باتجاه الملكية الدستورية.

### المبحث الرابع : المسألة الطائفية في الكويت: التوافقية وتحديات إدارة الطوائف.

يمثل النموذج الكويتي حالة فريدة بين دول مجلس التعاون الخليجي، من خلال التجربة الديمقراطية التي استطاعت التعايش مع رهانات البيئة التقليدية والسياق الإقليمي السلطوي، في مجتمع متعدد. لا يعني هذا أن العملية السياسية الكويتية تعتبر نموذجاً مثالياً، لكن الواقع أثبت أنها تجربة متقدمة على محيطها الإقليمي، بذات البنية وذات التحديات، رغم ما يكتنف التجربة من قصور وعجزها عن التحول لممارسة ديمقراطية كاملة تُحيد الانتماءات الفرعية، علاوة على حساسية بنيتها الاجتماعية تجاه الاستقطاب الطائفي في الأقاليم المحيطة، وصعوبة التنسيق بين المواقف الخارجية وانعكاساتها الداخلية

<sup>1</sup> - Kylie Moore-Gilbert , Sectarian Divide and Rule in Bahrain: A Self-Fulfilling Prophecy?, the Link : <https://www.mei.edu/publications/sectarian-divide-and-rule-bahrain-self-fulfilling-prophecy>

في ظل سلطة قائمة على توازن التحالفات، وإقليم يترصد لإفشال التجربة الديمقراطية الوحيدة، مع تزايد المطالبات بإصلاحات مماثلة.

#### المطلب الأول: تاريخ التشاركية والتأسيس لمجتمع الهجرات.

خلافا لما مثلته سرديّة النشأة في السعودية، واقتصارها على مكون واحد سعت السلطة لتعميمه على باقي المكونات، كان للطابع التوافقي والتشاركي لنشأة السلطة والدولة في الكويت دوره في التأسيس لسلطة تجيد إدارة التوازنات الاجتماعية، وتوسّع لتوزيع النفوذ الاجتماعي والاقتصادي. لم تبقى العملية السياسية أسيرة لمرحلة التأسيس، إذ شهدت تطورات عكست التحول الاقتصادي والمتغيرات الدولية. لكن فهم واقع سياسات الهوية في الكويت يفرض علينا الرجوع إلى المراحل التاريخية المؤسسة لها .

#### 1/التوافقية الاجتماعية وتشكيل الدولة في الكويت :

تعد الكويت مثالا على مجتمع غير متجانس له انقسامات عبر الخطوط القبلية والطائفية، لكنه كان كيانا سياسيا مستقرا، لأن النخبة الحاكمة أخذت في الاعتبار حاجة جميع المكونات الاجتماعية في هذا البلد. عبر ضمان رضا كل المجموعات، وهي ممارسة أدت إلى الاستقرار في هذا البلد منذ تأسيسه.<sup>1</sup>

النشأة التاريخية للدولة والسلطة في الكويت باعتبارها توزيعا للمهام داخل الإمارة بين آل الصباح التي تتولى الحكم، والعائلات الأخرى التي تهتم بالتجارة، أفضى إلى العديد من النتائج السياسية في علاقة الحكم مع قوى المجتمع المختلفة-ومن ضمنها الشيعة- حيث وُجدت في الكويت عائلات شيعية تجارية. كانت أولى هذه النتائج أن الحاكم نُظر إليه على أنه يؤدي وظيفة، وليس مهيمنا أو متفوقا. ثانيها أن الحاكم أصبح مطالباً برعاية مصالح جميع قوى المجتمع، دون تمييز. ثالثها أن الحكم قام على أساس الشورى منذ البداية، بعيدا عن السلطة المطلقة للحاكم. وأخيرا فاعتماد الحاكم على الضرائب التي تأتي من التجار - ومنهم شيعة- حد من سلطته إلى حد كبير.<sup>2</sup>

ساهمت علاقات الإنتاج في إدارة التوازنات الاجتماعية، وفي صياغة النظام السياسي بما يتوافق مع البنية المجتمعية المتنوعة، والنشاطات الاقتصادية. تغيرت علاقات الإنتاج مع ظهور النفط، لكن البنية

<sup>1</sup> - Yagoub Yousif Al-Kandari and Ibrahim Naji Al-Hadben,op .cit .P268.

<sup>2</sup> - شحاتة محمد ناصر، مرجع سابق ، ص 208.



## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

السياسية استطاعت الحفاظ على تركيبها التوافقية رغم اختلال التوازن السلطوي لصالح العائلة الحاكمة، التي لازال بقائها وإدارتها للنظام السياسي مصلحة عليا لجميع المكونات .

تساعدنا "القبيلة" و"الطائفة" على فهم هيكل المجتمع الكويتي، الذي يتكون من عنصرين أساسيين: الجذور والمذهب. إن جذور المجتمع الكويتي مستمدة من القبائل وغيرها، ومن أصول عربية وغير عربية. أما بالنسبة للمذهب أو الطائفة، فهناك مسلمون من السنة والشيعة يشكلون المجتمع الكويتي، ويأتون أيضاً من أصول قبلية وغير قبلية، وعربية وغير عربية. لذلك، يتفرع السكان في الكويت إلى ست مجموعات فرعية ثقافية رئيسية\*، هذه المجموعات هي مكونات الثقافة الكويتية. من المهم أيضاً ملاحظة أن "القبيلة" لا تشير فقط إلى مجموعة القرابة بل تصف الوحدة الثقافية، وأكثر من مجرد علاقات الدم<sup>1</sup>. تحولت القبيلة تالياً إلى قوة سياسية لها وزنها وتأثيرها في النظام الانتخابي، عبر التحالفات القبلية التي أسست لواقع سياسي موازي، استطاع تطويع الآلية الديمقراطية .

الكويت مجتمع مهاجرين تشكل مع الوقت وعلى مدى أكثر من قرنين ونصف من الزمان، وهذا ما يؤكد على وجود هوية وطنية كويتية نجحت التجربة المشتركة للكويتيين بنائها. ويجمع الكويتيون على دستور 1961 بصفته وثيقة تاريخية تقود علاقتهم بحكومتهم وبعضهم البعض وبالأسرة الحاكمة. وهم يجمعون كذلك على حدود الدولة وكيانها المستقل. هناك في الكويت واقع كيان كويتي منذ استلام صباح الأول\* للحكم في الكويت في أواسط القرن الثامن عشر<sup>2</sup>. وهي فترة زمنية كافية لصهر المكونات المجتمعية في ثقافة مشتركة وتاريخ جامع ومصالح تشمل الجميع .

في الكويت كان لعملية تشكيل الدولة استناداً إلى التجميع التدريجي لقطاعات من السكان من مختلف الخلفيات الإثنية والدينية، أثره في تجنب أي نوع من الاستقطاب بين الحكام ومختلف الطوائف الشيعية، والتاريخ المستند لتشكيل المعارضة ضد الاستبدادية السلالية، وتبني مؤسسي الكويت من العوائل السننية مبادئ القومية العربية، كلها عوامل لعبت دوراً مركزياً رئيسياً في فهم التحالف القديم بين سلالة الصباح

<sup>1</sup> - Yagoub Yousif Al-Kandari and Ibrahim Naji Al-Hadben, op. cit . P269.

\* قبلية عربية سننية مسلمة، مسلمون عرب غير قبليين، مسلمون سنيون غير عربيون، قبليون مسلمون شيعة، مسلمون شيعة غير قبليين، والمسلمون الشيعة غير العرب والثقافات الفرعية .

<sup>2</sup> - شفيق ناظم الغبرا ، مرجع سابق ، ص 10.

\* صباح الأول أول حاكم للكويت ، اختلف المؤرخون في تاريخ بداية حكمه وتشير بعضها أنه في 1756، للمزيد أنظر : تاريخ حكام دولة الكويت،البوابة الالكترونية الرسمية. دولة الكويت. متوفر على الرابط التالي: <https://2u.pw/ds70U>

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

الحاكمة والشيعة، حيث ينظر الشيعة إلى الدولة كملاد<sup>1</sup>. كما أن الثقافة السياسية للمجتمع الكويتي تبتعد عن فكرة السلطة المطلقة، فالقدرة التوزيعية للنظام، مكّنت كل مكون اجتماعي من متغيرات مؤثرة تجعله جزءاً من السلطة الحاكمة ومشاركاً فيها .

الطائفية في الكويت ليست تأسيسية، فلم ترتبط بسردية تشكل الدولة، أو كان الماضي خزينا تتغذى منه الطائفية والانقسام بين الطوائف. كان الشيعة في الكويت جزءاً لا يتجزأ من المجتمع قبل أن يكون هناك حتى نظام حكم يمكن التحدث عنه. إذ يشكلون ما يقرب من نصف فئة التجار في البلاد، وحوالي 30% من السكان. وخلافاً للبحرين، فإن الشيعة يشغلون مناصب حكومية رفيعة. كما تعيش الغالبية العظمى من السنة والشيعة إلى جانب بعضهم البعض. الشيعة كويتيون بالكامل، وقد اعتبرتهم الحكومة والسنة على هذا النحو لفترة طويلة. ومع ذلك، وفّرت الأحداث في البحرين تحدياً للأمن المجتمعي<sup>2</sup>.

تميزت الكويت بأكثر العلاقات الطائفية ودية في الخليج، مقارنة بجيرانها، المملكة العربية السعودية والبحرين. مع استثناءات قليلة جداً. يتمتع الشيعة الكويتيون بإمكانية متساوية للوصول إلى مجموعة كبيرة من مزايا الرعاية التي تقدمها الدولة، بما في ذلك الرعاية الصحية المجانية والتعليم ووظائف القطاع العام والوقود والإسكان المدعومين من الدولة. لذلك يشعرون بأهمية ومركزية الدولة وضرورتها من أجل البقاء<sup>3</sup>. على غرار الثقافة السياسية التي تنحو نحو التشاركية والتحالفات، مثل الاحتكاك التاريخي والمجتمعي، والتبادل التجاري فرصة لتكوين ثقافة اجتماعية مشتركة، تتميز عن جيرانها في الخليج بخصوصية الحالة الكويتية، إلا أن هذا لا يعني مناعة هذه البنية من التأثيرات الطائفية الإقليمية، أو من إمكانية توظيف هوياتها في إطار التنافس السياسي.

إن الدولة في الكويت وفي تعاملها مع التنوع لديها تاريخ من التحالف مع فئة لتحجيم شريحة أخرى، وعندما تقوم بذلك لا تعرف أن الشريحة المراد تحجيمها لا تُعرّف نفسها على أنها شريحة متجانسة. لكن عملية التهميش تُحول تلك الشريحة مع الوقت لشريحة منحازة لذاتها، مما يفجر أزمة في العلاقة بين

<sup>1</sup> - لورنس لوير ، الدول والهويات الطائفية في منطقة الخليج: البحرين والمملكة العربية السعودية والكويت من منظور مقارن، الدول والهويات الطائفية في منطقة الخليج : البحرين والمملكة العربية السعودية والكويت من منظور مقارن، في السياسة الطائفية في الخليج، مركز الدراسات الدولية والإقليمية، جامعة جورج تاون في قطر، 2015 ، ص 09.

<sup>2</sup> - Lindsey Stephenson, A historical Kuwaiti sectarianism . The link : <https://cutt.us/QHNZ3>

<sup>3</sup> - Madeleine Wells, Sectarianism and authoritarianism in Kuwait, the link : <https://2u.pw/ds70Uhttps://2u.pw/v6Zph>

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

المكونات الاجتماعية الأخرى. في تاريخها لم تكن الدولة في الكويت قادرة على أن تكون على مسافة واحدة من كل الأطراف: حضر، شيعة، سنة .. إلخ<sup>1</sup>. وهذا طبيعي في ظل بنيتها التقليدية القائمة على إدارة العصبية، التي قد تتنافر، أو قد تسعى لمزيد من السلطة .

حرصت السلطة من جانبها على إبقاء التقسيمات والانتماءات الضيقة، وبكل ما تحمله من خلافات وصور التنافس، والسعي لتحقيق مكتسبات ومصالح خاصة، عن طريق الحكومة التي باتت مهيمنة بصفة مطلقة على مقدرات الدولة، وثرواتها المالية والمناصب العليا ذات الامتيازات غير المحدودة. كما سعت الحكومات المتعاقبة، منذ ظهور النفط لاستمرار وضعيتها عدم اكتمال بناء الدولة، والتحكم بمجتمع منقسم على نفسه، والمحافظة على النمط العشائري في إدارة شؤون الدولة، لضمان بقائها على رأس الهرم كالأب الراعي للجميع<sup>2</sup>. إن هذا الجمود في تطور البناء السياسي ليكون عملية ديمقراطية كاملة وناضجة، راجع إلى تغير علاقات الإنتاج وظهور الربيع، الذي سحب التأثير من العائلات التجارية، كما قلل من فاعلية الضرائب التي يدفعها التجار، وزاد من سلطة الأسرة الحاكمة.

إن من أهم التحولات التي حصلت في الساحة السياسية الكويتية في فترة ما بعد النفط هي تراجع تأثير طبقة التجار في القرار السياسي في فترة ما بعد النفط، فقد انتقلت فئة التجار من ممارسة صيد اللؤلؤ والتجارة المرتبطة به والنفوذ السياسي الذي واكبه خلال فترة ما قبل النفط، إلى المقاولات والخدمات، لكن مع تقلص النفوذ السياسي. إضافة إلى بروز شرائح أخرى أبعادها التقافية والطائفية والمناطقية، وحتى الإثنية، استفادت منها الأسرة الحاكمة في إبقاء سلطتها وتعميقها. ولكن هذا التنازل من قبل التجار عن دورهم السياسي كان مقابل كثير من الامتيازات التي مُنحت لهم في تسيير القطاع الخاص<sup>3</sup>.

منذ تحالف الدولة مع القبائل لتحجيم الحضر، أو تحالف الدولة مع القبائل وفئات من الحضر لتحجيم الشيعة (الثمانينات)، أو تحالف الدولة مع الشيعة (في السنوات الأخيرة) لتحجيم القبائل، أو تشجيع الدولة للتيارات الدينية لتحجيم التيارات القومية والوطنية الحضرية والتجارية، أو لتحجيم القوى الليبرالية. يلاحظ كيف أدت هذه السياسة لإشعار قوى اجتماعية كاملة أنها مستهدفة، وأن معركتها

1 - شفيق ناظم الغبرا ، مرجع سابق ، ص 23.

2 - حسن عبد الله جوهر وحامد حافظ العبد الله، المرجع السابق، 2019، ص 301.

3 - يوسف خليفة اليوسفي، مرجع سابق ، ص 41.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

السياسية معركة بقاء<sup>1</sup>. وفي هذا التوجه لا تختلف السلطة في الكويت عن نظيراتها في دول مجلس التعاون الخليجي، رغم أن مساحة التسييس للهوية محدود، ولا يمتد ليكون استبعادا اجتماعيا يحرم المكونات من حقوقها السياسية والاجتماعية، بقدر ما هي تحالفات تفرضها الضرورة السياسية، في ظل عدم وجود هيئات مدنية ينضوي ضمنها الأفراد، وتستطيع أن تكون بديلا عن الانتماءات الفرعية .

الأسرة الحاكمة في الكويت تمكّنت عبر سياسة التوازنات بين الأسر والقبائل، وعبر تشجيع القطاع الخاص وتوفير الخدمات الاقتصادية من تعزيز شرعيتها للحكم. إنها الشرعية الاقتصادية "المعدّلة"، والتي تحولت مؤسسة الحكم بمقتضاها إلى بناء "مؤسسة حاكمة"، عبر المزيد من المشاركة والقوانين والمؤسسات الحديثة. إذ سارت الدولة إلى توسيع مشاركة أفراد من الأجنحة الأقل نفوذا في الأسرة الحاكمة، والتي لا تنتمي إلى ذرية الشيخ مبارك الكبير مؤسس الكويت. ثم تعزز هذا التغيير بالانفتاح على بقية المجتمع الكويتي بدءا بالتجار وانتهاء بالقبائل من مختلف الفئات. وعليه انتقل الحكم من النمط التقليدي البسيط والمركزي، إلى الحكم الحديث من دون الإخلال بأسس وإطار الحكم التقليدي<sup>2</sup>.

إن ما يميز الكويت عن باقي دول مجلس التعاون برلمانها - وهو الأقوى بين سائر الدول الخليجية- ووسائلها الإعلامية الحرة نسبيا، وتقليد النقاش السياسي، خاصة في الديوانيات. منح الأمير الكويت برلمانا ودستورا عقب صفقة بين أسر التجار الثرية وأسر الصباح الحاكمة في سنة 1962، أي بعد سنة من إقامة دولة الكويت، وانتهاء الوصاية البريطانية على البلاد، لكن الأمير احتفظ بحق حل البرلمان<sup>3</sup>.

رغم ما واجهته التجربة البرلمانية الكويتية، ومع التحولات التي طرأت عليها وعكست تفاعلات المجتمع التقليدي، إلا أنها تظل تجربة فريدة بين دول الخليج. رغم سعي السلطة للحؤول دون تطور هذه التجربة لعملية سياسية ندية، حيث أن هذا الوضع يحفظ للأسرة الحاكمة تفوقها على باقي المكونات الاجتماعية ومركزيتها السوسيو-سياسية .

1 - شفيق ناظم الغبرا ، مرجع سابق ، ص 24.

2 - ثناء فؤاد عبد الله ، مرجع سابق ، ص 201.

3 - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص 163.

#### 2/ أثر الثورة الإيرانية على الواقع السياسي والعلاقات الطائفية :

مثلت الثورة الإيرانية مرحلة فاصلة في علاقة إيران بدول الخليج، حيث أنها بعثت الدور الإيراني ودفعته للتمدد ضمن العمق الشيعي في المجتمعات الخليجية، وهو ما انجر عنه تحديات لازالت آثارها جلية إلى اليوم. لم تكن الكويت استثناء في هذا، إذ شهدت أعمال عنف دبرتها مجموعات شيعية مرتبطة بإيران وصلت إلى محاولة اغتيال أمير البلاد في الثمانينات.

علاقة الشيعة بآل الصباح أدت دورا كبيرا في صوغ وضعهم الاجتماعي والاقتصادي على الساحة الكويتية، ففي العام 1938 وقف الشيعة مع آل الصباح في مواجهة بعض العائلات السنّية التجارية الكبيرة، التي طالبت بإنشاء مجلس شوري لم تشمل انتخاباته الشيعة، الذين تحالفوا مع آل الصباح لحله. وكان ذلك في 1939، وكان موقف الشيعة من أصول إيرانية أكثر بروزا في التحالف مع آل الصباح في مواجهة السنّية، الذين شككوا في ولاء الشيعة وأصولهم<sup>1</sup>. كما كان موقف شيعة الكويت الذين اصطفوا إلى جانب السلطة في مواجهة التيار القومي مخالفا لموقف نظرائهم في البحرين والعربية السعودية، الذين انخرطوا بقوة في التيارات القومية المعارضة<sup>2</sup>. ربما يرجع هذا الاصطفاف للخلفية الإثنية لشيعة الكويت خاصة منهم ذوي المنحدرات الإيرانية، لكن أيضا قد يعني أهمية السلطة الحالية بالنسبة لهم والتي تمثل ضمانا للامتيازات الاقتصادية التي حققوها.

استلهم جيل الخمسينات والستينات تأثيرات القومية العربية، والأيدولوجيات اليسارية، وسعى إلى تقييد الأسرة الحاكمة في الكويت، مستخدما الخطاب القومي. وللد على أسر التجار القوميين، شكلت الأسرة الكويتية الحاكمة أحلّفا جديدة، وفتحت باب الهجرة والتجنيس لجماعات قبلية استقرت في محيط مدينة الكويت. وقد أدى ذلك إلى تعميق الانقسام بين الجماعات المقيمة منذ القدم، أي الحضر والبدو<sup>3</sup>. وهذا نموذج آخر على سياسات الهوية التي تمارسها السُلط الخليجية، فكل الهويات قابلة للتوظيف، والسياق السياسي هو الذي يحدد الهوية المتوسّلة لمواجهة تحدياته .

1 - شحاتة محمد نصار ، مرجع سابق ، ص 207.

2 - المرجع نفسه ، ص 209.

3 - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص 124.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

باستثناء الثمانينيات، عندما بدأت مجموعة صغيرة من الشيعة الكويتيين، متأثرة بالثورة الإيرانية، في الضغط من أجل الإصلاحات السياسية، بما في ذلك المساواة بين الشيعة، وتم استبعادهم مؤسسياً وقمعهم أحياناً بعنف. في الأوقات التي بدت فيها الكويت طائفية، كانت تفعل ذلك عادة لأسباب تتعلق بإدارة المعارضة السياسية<sup>1</sup>. إذ فرض هذا السياق على السلطة توظيف الهوية الطائفية للحشد ضد الدور الإيراني والتيارات الشيعية المتحالفة معه، وهو توتر مخالف لمسار العلاقات التي غلب عليها التحالف. سبق الثورة الإيرانية وأثرها الديني تطور للطبقة الوسطى الشيعية في الكويت، التي عبّرت عن طموحات فئات شعبية من خارج العائلات الشيعية المنتفذة والأكثر قرباً من النظام السياسي. فتصدر المشهد السياسي في الثمانينات قوى شعبية وطبقة وسطى شيعية، يسيطر عليها فكر نقدي مسلح بأيديولوجية دينية. منذ 1979 تعمق الحراك الشيعي باتجاه الدين والسياسة، وقد حوّل الفرز الديني الشيعية من أقلية مفككة إلى آليات جديدة للتضامن<sup>2</sup>. نظراً لأن الاستقطاب في المجتمع الخليجي كان يتأسس على ثنائيات غير طائفية، انعكس ذلك على المجتمع الشيعي الذي يتضمن هذه الثنائيات كالحضر في مقابل البدو والعرب في مقابل العجم. إلا أن الثورة الإيرانية وتحدياتها فرضت الحالة الطائفية على المجتمع الكويتي، وهو ما جعل المجتمع الشيعي يتجاوز ثنائياته الانقسامية وينكفي ليشكل حالة اجتماعية مقابلة .

انعكس التغيير الثوري في إيران على تحول موازين القوى داخل المجتمع الشيعي في الكويت، من الزعامة الشيعية التقليدية الموالية للسلطة، إلى التيار الشيعي الثوري المتأثر بالثورة الأصولية في إيران، والذي يرفض الطريقة التي سارت عليها الزعامات الشيعية التقليدية في دفاعها عن حقوق الشيعة. كما عمّقت الحرب العراقية - الإيرانية ارتباط شيعية الكويت بالثورة الإيرانية، وهو ما انعكس على الجبهة الداخلية والوحدة الوطنية في الكويت، بسبب دعم الكويت للنظام العراقي، كما أتاح الفرصة لتجنيد بعض شيعة الكويت للعمل لصالح منظمات مسلحة تابعة لإيران وعمق الاحتقان الطائفي داخلياً<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - Madeleine Wells, op. cit.

<sup>2</sup> - شفيق ناظم الغبرا ، مرجع سابق ،ص 28.

<sup>3</sup> - فلاح عبد الله المديرس ، الحركة الشيعية في الكويت ، دار قرطاس للنشر ، الكويت ، ط1، 1999، ص 47.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

لم يتوقف تأثير الثورة الإيرانية في شيعة الكويت عند التحول من التحالف مع الحكم إلى معارضته، وإنما امتد إلى تحولهم إلى ممارسة العنف ضد النظام<sup>1</sup>. يمكن عزو التغيير في العلاقة بين السلطة والشريعة في الكويت بُعيد الثورة الإيرانية إلى عاملين رئيسيين، أحدهما سياسي، تمثل في الاعتماد التاريخي للشريعة على النظام السياسي لحمايتهم من القوى الأخرى التي تحمل معظمها العداوة تجاههم، ونتج عن الثورة الإيرانية حكومة دينية شيعية تُصرح بالدفاع عن الشيعة والتشيع، فاعتبر بعض الشيعة الحكومة الثورية في إيران حامية لهم. أما العامل الثاني فكان عقدياً تمثل في التزامهم وارتباطهم بمجتهديهم ومراجعهم، وخصوصاً آية الله الخميني، الذي حظي بالولاء العام بعد نجاح الثورة<sup>2</sup>. وهو ما يجعل النظم الخليجية متخوفة دائماً من فكرة المرجعية الأجنبية وتأثيراتها، خاصة منها مرجعية الولي الفقيه، حيث يصعب الفصل بين الالتزامات الفقهية والتعبدية، وبين التوجهات السياسية .

استغلت إيران بعض شيعة الكويت لإثارة الاضطرابات داخل الدولة. وقد كان للعلاقات المتوترة بين إيران والكويت، بفعل دعم الأخيرة للعراق خلال حربها مع إيران، تأثير سلبي على الأوضاع الداخلية. إذ شهدت الفترة من 1980 إلى 1988 أعمال عنف سياسي، أبرزها محاولة اغتيال الأمير عام 1986 ووقوع عدة تفجيرات عام 1987. وكانت المنظمات الشيعية المرتبطة بإيران هي المسؤولة عن هذه العمليات<sup>3</sup>.

كان عصب هذه التنظيمات مجموعات من خارج الطبقات التقليدية المتحالفة مع السلطة، والتي تملك معها مصالح مشتركة تتفوق على العلاقة الطائفية مع إيران. إن هذا الانقسام الطبقي كان له أثره على مجمل المجتمع الشيعي الخليجي، إذ فرض توازنات اجتماعية، ظهرت على إثرها تنظيمات جديدة غير مرتبطة بمصالح مع السلطة.

إن جوهر الموقف الشيعي من إيران مرتبط بالرأي السياسي لمن يحمله تماماً، المناخ الشيعي سيتعاطف مع إيران حتماً في حالة الاعتداء عليها، لكنهم لن يقفوا معها في حالة اعتدائها على أوطانهم، أو قيامها بأعمال لا تتم عن ائتران أو احترام للآخرين. هذه التمايزات ليست واضحة للفئات التي تناصب

1 - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 216.

2 - علي فهد المزيمع، الحركات الإسلامية السنية والشيعية في الكويت، الجزء الأول، دار نهوض للدراسات والنشر، ص 281.

3 - Adnan Alenezi, The regional challenges affecting Kuwait's national security, Review of Economics and Political Science, Volume 5 Issue 1.p61.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

الشيعة العداء الفكري والمذهبي. وقد أثبت غزو العراق للكويت في سنة 1990 كيف استعاد الشيعة والسنة تلاحمهم في مواجهة الغزو.<sup>1</sup>

#### المطلب الثاني : واقع التجربة الديمقراطية في مجتمع منقسم .

طبعت توافقات المرحلة التأسيسية مسار العملية السياسية والتفاعل الاجتماعي في المجتمع الكويتي، لكن متغيرات الواقع وتحولات الاقتصاد والسياسة، وتأثيرات الإقليم كان لها أيضا تأثير على مسار هذه التجربة، في ظل استمرار المكونات الهوياتية، وتكيفها مع متطلبات التنافس السياسي بالآليات الديمقراطية، لكن بخلفية هوياتية، جعلت الطوائف والقبائل والانتماءات الفرعية، تحل محل الأحزاب وهيئات المجتمع المدني.

#### 1/ التنافس القبلي والطائفي بالآليات الديمقراطية :

شهدت الكويت -خصوصا في السنوات الأخيرة- تأجيجا متعمدا للاستقطابات الاجتماعية الفئوية والقبلية والطائفية، التي هي بالأساس نتاج لاستمرار تماسك بعض المكونات التقليدية وامتداد تأثيراتها، وتراجع مشروع بناء الدولة الحديثة وإضعاف مفهوم المواطنة الدستورية، وما تمثله هذه الاستقطابات من شعور واهم بالانتماء إلى هذه الهويات الصغرى الفئوية والقبلية والطائفية على حساب الهوية الوطنية الكبرى.<sup>2</sup>

تجدرت الممارسات الطائفية والإثنية والطبقية والقبلية، لأن بناء الدولة الحديثة لم يكتمل، وبات المجتمع منقسما على نفسه وغير مكتمل التكوين، الأمر الذي أدى إلى حالة من الخوف والتوتر المزمن في العلاقة بين الدولة والمجتمع، كما أدى أيضا إلى غياب واضح للفواصل والحدود بين الاثنين، فيسهل أن تذوب شخصية الدولة وسياساتها الخارجية والداخلية في المجتمع المنقسم، أو شخصية المجتمع المنقسم في الدولة، والنتيجة هي التوتر في الخطاب السياسي والاجتماعي والاقتصادي. وهذا ما يفسر تردد الدولة في اتخاذ قرارات جريئة في المسائل الحيوية، وتردد الفرد والجماعة في الدفاع عن الحقوق

<sup>1</sup> - شفيق ناظم الغبرا ، مرجع سابق ،ص 30.

<sup>2</sup> - أحمد الدين ، مرجع سابق ،ص 51.



## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والمتميزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

والحريات العامة<sup>1</sup>. وأظهرت توجهات الدبلوماسية الكويتية إزاء الأزمة السياسية وأبعادها الطائفية في البحرين هذا الواقع المتردد، حيث عكس الموقف الكويتي، توازنات الواقع الداخلي .

على الرغم من امتداد العمل المؤسسي والتطور التاريخي والنضج السياسي والاجتماعي للكويت، فقد ظلت هذه التكوينات قائمة، بل أخذت تتعزز يوماً بعد يوم، بمعنى آخر، إذا أردنا تقسيم الكويت إلى مذاهب وقبائل وطبقات اجتماعية وعائلية، سنجد أن تلك الجماعات لا تمثل فقط امتداداً للفئات ذاتها التي وجدت وترعرعت تاريخياً في الكويت، بل أن زيادة الإحساس بالانتماء الضيق لكل شريحة من تلك الشرائح جعل الأفراد - مع مرور الوقت - يتفاعلون مع انتماءاتهم الاجتماعية أكثر من تفاعلهم مع انتمائهم الوطني. ولكل شريحة أو طبقة أو مذهب أو طائفة دور مباشر أو غير مباشر في صنع القرار السياسي، وهو دور يحدده حجم نفوذها ومكانتها في مراكز القوى<sup>2</sup>. وهذا راجع لكون العملية الديمقراطية لم تتطور لتعوض الهويات الفرعية بمؤسسات مدنية متجاوزة لهذه الانتماءات، بفعل الحاجة السياسية لدى السلطة لهذا الواقع المنقسم، وأيضاً لوكلاء الطوائف والقبائل، الذين تُوفر لهم البنية التقليدية مساحة للنفوذ. تُشكل القبائل في البرلمان الكويتي تكتلاً نيابياً يسمى نفسه التكتل الشعبي، وهو تكتل يشكل الانتماء القبلي، هويته في مقابل التكتلات الأخرى المدنية الحضرية. وهذا التكتل، وإن حوى بعضاً من النواب الإسلاميين، الذين قد يكون لهم انتماء تنظيمي أو أيديولوجي، فإن الهوية القبلية المشكلة لهم تحدد كل مواقفهم داخل المجلس، إذا ما استشعروا أنها مهددة أو أن الخطر محقق بها، ومن الصعب على النائب القبلي المحسوب على أي من التيارات السياسية المختلفة داخل مجلس الأمة، أن يأخذ موقفاً معارضاً لقبيلته التي أوصلته إلى المقعد البرلماني<sup>3</sup>.

يُقسم فارس الوقيان المواطنة في الكويت إلى نوعين متناقضين: المواطنة العمودية والمواطنة الدستورية. ففي ظل المواطنة العمودية يسعى الأفراد لاكتساب مكانتهم الهرمية التي قد تكون عشائرية أو اجتماعية، تماماً كما في عصر الإقطاع، إذ تستمد المواطنة العمودية موقعها وقوتها من الانتماء للطائفة

1 - حسن عبد الله جوهر وحامد حافظ العبد الله، مرجع سابق، ص 302

2 - سامي ناصر خليفة وحسن عبد الله جوهر، الحالة الكويتية، في كيف يصنع القرار في الأنظمة العربية دراسة حالة: الأردن، الجزائر، السعودية، السودان، سورية، العراق، الكويت، لبنان، مصر، المغرب، اليمن، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2010 ص ص 296-297

3 - باقر النجار، الفئات والجماعات: صراع الهوية والمواطنة في الخليج العربي، في الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 321.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

أو القبيلة أو العائلة. وفي المقابل، تحمل المواطنة الدستورية مضامين الدستور الكويتي، الذي ينص على مبدأ الحقوق والواجبات العامة وسيادة القانون ومعايير المساواة وتكافؤ الفرص بين الجميع دون تمييز<sup>1</sup>. تُثبت مخرجات التجربة السياسية، وواقع تحالفاتها أن المواطنة العمودية لا زالت أقوى وأكثر جذرا، وأن القطيعة معها تزداد صعوبة في ظل تكيف الهويات الفرعية مع آليات العمل الديمقراطي، وتمكنها من تطويعها.

ساهمت إستراتيجية اللعب بالتنوع الاجتماعي عبر ضرب الأطراف الاجتماعية ببعضها في إضعاف التجانس الاجتماعي، والحس المدني الفردي، والتطور العام للمجتمع والدولة. فكل ممارسة حملت معها تجاوزاتها ووسائلها في التفرقة، وهي في النهاية خلّفت آثارا سلبية على القوى الاجتماعية المختلفة، مركزها الحقوق والعدالة، وإعادة تعريف دور الدولة تجاه مكونات المجتمع المختلفة<sup>2</sup>. يتقاطع هذا التوجه السياسي للسلطة الكويتية مع الإطار العام لتوجهات الأسر الحاكمة في الخليج، حيث تعتبر المستفيد الأكبر من واقع البنية الانقسامية في المجتمع، عبر توظيفها في التنافس السياسي، ومنع تشكيل جبهة اجتماعية موحدة تضغط على السلطة، ليظل وجود السلطة الحالية مصلحة لوجود الجميع.

انتشار المجموعات الطائفية ساهم في تعميق بعض الأزمات السياسية، خاصة بفعل تدخل دول أجنبية، وسعى النظام إلى استيعاب هذه الكتل الطائفية في إطار وطني، وبدأت الطوائف تأخذ وضعا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا مشابها لوضع القبائل، وبدأت مؤسسات الحكم تتعامل معها بالتالي بأسلوب مشابه للتعامل القبائل<sup>3</sup>.

تعامل النظام الكويتي بمرونة مع إدارة الظاهرة الطائفية، وذلك عن طريق تفعيل القدرة الرمزية والاستجابية والتوزيعية، إضافة إلى الاتصال السياسي. حيث يدرك صناع القرار أن تطورات المسألة الطائفية والسيطرة على تداعياتها، ليس مرهونا فقط بتعامله الداخلي، وإنما أيضا بمتغيرات خارجية، بفعل وجود محيط مضطرب يعيش استقطابا سياسيا يستدعي الانقسامات الطائفية، ويغذيها الانتشار الجغرافي

<sup>1</sup> - حسن عبد الله جوهر وحامد حافظ العبد الله، مرجع سابق ، 2019، ص 301.

<sup>2</sup> - شفيق ناظم الغبرا ، مرجع سابق ، ص 24.

<sup>3</sup> - علي فهد الزميع ، تجربة الانتقال إلى الديمقراطية في دولة الكويت ، في لماذا انتقل الآخرون إلى الديمقراطية وتأخر العرب ؟ دراسة مقارنة لدول عربية مع دول أخرى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2009 ، ص 104

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

والتواصل الاجتماعي للطوائف عبر الإقليم<sup>1</sup>. وهو ما ظهرت تداعياته بعد الثورة الإيرانية، وزادت بعد احتلال العراق، لتفرض نفسها بقوة بعد الربيع العربي، وما نتج عنه من انبعاث طائفي بفعل تداعيات الأزمة السورية والبحرينية، وما استتبعها من تحالفات طائفية .

عبر المرجع الشيعي محمد باقر المهري عما خلفته الأحداث في العراق، والضغط الأمريكي من أجل الديمقراطية في المنطقة، من تأثير في سقف تطلعات الشيعة الكويتيين ومطالبهم بقوله "إن التغيير السياسي في العراق، ومطالبات المجتمع الدولي لحكومات المنطقة بضمان الحريات الدينية باتا حافزا للشيعة في الكويت لتحقيق مطالب قديمة " <sup>2</sup>.

على الرغم من تمتع شيعة الكويت بحرية دينية كبيرة مقارنة بنظرائهم في العربية السعودية، فإن هناك بعض التشابه في تأثير التيار السلفي السني في توجهات الحكومة بشأن الشيعة وحرية الدين، وإن كانت مساحة التأثير أقل اتساعا، حيث يعترض هذا التيار على منح الشيعة مزيدا من الحقوق الدينية، ونظرا لقوة التيار السلفي السني على الساحة الكويتية فإن الحكومة تبدو حذرة في التعامل مع المطالب الدينية للشيعة بشكل كبير حتى لا يتطور الأمر إلى توتر طائفي خطير<sup>3</sup>. لا ترغب السلطة في التفرقة في دعم المكون السني، مع امتداداته القبلية وتأثيراته السياسية، إضافة إلى أن هذا الوضع التنافسي يمكنها من التحكم بتوازنات العملية السياسية في ظل التنافس على التقرب من مركز السلطة .

الوضع في الكويت يختلف عن الطائفية التي يشجع عليها النظام في البحرين والسعودية، ما يشير إلى القيود المحتملة على الخطاب الطائفي الذي تعتمده النظم الخليجية، لكن العائلة الحاكمة ابتدعت خطابا مشابها لكنه يشير إلى الإخوان المسلمين والقبائل، وكذلك إلى البدون بعض الشيء. تعيش التجربة الكويتية وضع خاص في سياق يتربها نجاحا أو فشلا، لذلك يدرك المطالبون بإصلاحات سياسية تحول الدولة إلى ملكية دستورية، أنهم يتعين عليهم معارضة الأسر الحاكمة في دول الخليج، وليس فقط أسرة الصباح. وبالتالي، ستشهد حالة الجمود بين الداعين إلى ملكية دستورية وبين الأسر الحاكمة، وستصوغها

1 - سمية بلعيد ، مرجع سابق ، ص 437.

2- شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 279.

3- المرجع نفسه ، ص ص 160-161.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

سياسات التلاعب بالهويات الطائفية والقبلية<sup>1</sup>. وقد تؤول هذه المطالب إلى ارتداد سلطوي يُفقد الجميع مكتسبات التجربة الديمقراطية الحالية على علّاتها .

تشهد الحالة الكويتية مجموعة من الاختلالات والتناقضات بين مسار تطور الدولة المدنية الحديثة القائمة على مبادئ دستورية وقانونية من جهة، وبقاء واستمرار، بل واستقواء للنموذج العشائري القبلي من جهة أخرى. يشير عبد الله النفيسي في هذا الخصوص إلى أن الكويت لا تزال في طور الانتقال من كونها القبلي إلى كونها العصري في شكل الدولة. لكن ما زالت الشؤون العامة تدار بروح القبيلة<sup>2</sup>.

لا تزال القبيلة هي نواة المجتمع الكويتي، ولا يزال المجتمع بشكل عام يعيش الثقافة القبيلة، والتي تتمثل في نشأة مجموعات الضغط السياسي، أو حتى الاقتصادي. وهذه المجموعات تعمل على أساس قبلي أو - حتى ولو كانت تضم أطرافاً لا تنتسب إلى قبيلة واحدة - تجد أفرادها يتعاملون بأسلوب القبيلة من حيث القيادة والولاء والفرعة، وقد انعكس هذا الطابع القبلي على أسلوب الحكم، فالمجموعات القبيلة تعتمد في حضورها على قربها من الأسرة الحاكمة أو بعدها عنها، وتُشكل هذه الأوضاع القبيلة أهمية خاصة في المؤسسة العسكرية والأمنية والتي هي سند النظام الأساسي والأخير لفرض سيطرته بعد استنفاد الوسائل الأخرى<sup>3</sup>. الحاجة لهذه المكونات ودعمها، تجعل خيارات السلطة تجاهها محدودة، إذ لا تستطيع الذهاب بعيداً في استعدها، أو تهديد مصالحها.

صبغت الحياة السياسية في كثير من الأحيان باستقطابات قبلية وطائفية وحتى إثنية، وانعكس ذلك في بناء المؤسسة الديمقراطية الأهم : البرلمان، وكذلك المجالس البلدية. ففي الكويت برزت خاصية فريدة للممارسة السياسية وهي القدرة العالية للكيانات القبيلة والطائفية على تنظيم صفوفها، والتنسيق بين المرشحين من أبنائها، والاتفاق على اسم مرشحها الذي سيخوض الانتخابات العامة قبل موعدها، ومن ثم حسم نتيجة هذه الانتخابات إلى حد كبير قبل أن تبدأ، وذلك عبر ما يعرف بالانتخابات الفرعية<sup>4</sup>.

تمثل الانتخابات التمهيديّة صورة حرص القبيلة والطائفة على مصالحها وقوتها الاجتماعية وسلطتها السياسية. ونتيجة لذلك، يُبذل قدر كبير من الجهد من أجل ترشيح وانتخاب شخص يمثل القبيلة أو

1 - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص ص 142- 143.

2 - حسن عبد الله جوهر وحامد حافظ العبد الله، مرجع سابق ، 302.

3 - علي فهد الزميع ، مرجع سابق ، ص 104

4 - المرجع نفسه ، ص 104-105

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

الطائفة ويحمي مصالحها، بالإضافة إلى الحفاظ على تميزها الاجتماعي والسياسي وسمعتها. في جميع الأحوال، تُجبر الانتخابات التمهيديّة القبلية السلطات السياسية على تأجيل الإعلان عن أسماء مرشحيها، حيث ينتظر الجميع رأي القبيلة لتحديد مرشحيهم. في بعض القبائل الكبيرة، يمكن عقد أكثر من انتخابات أساسية في مناطق مختلفة. قد تزداد التوترات، وقد تكون النتائج موضع خلاف<sup>1</sup>. يؤشر هذا الواقع على قدرة المكونات الفرعية على التكيف مع العمل الديمقراطي، وعلى حجم الانقسامية ذات المستويات المتباينة التي تشطر العملية السياسية في الكويت، حيث يبرز التنافس في شكل صراع قبلي على "غنيمة" السلطة، وتمثيل القبيلة حصراً، لا المواطنين. فبدلاً من أن تعمل التجربة الديمقراطية على تمدين العلاقات البدوية، امتدت الروح البدوية لتسيطر على آليات العمل الديمقراطي.

كما كان الشيعة من أكثر المكونات الاجتماعية نشاطاً وأكثرها تنظيمياً في أشكال الممارسات السياسية المختلفة، باعتبارهم أقلية تضمن الديمقراطية وجودها والاعتراف بها، وتؤمن حقوقها العامة والخاصة. وأكثر من ذلك، تكيف الشيعة مع قواعد اللعبة السياسية وخريطة المصالح التي تحقق المكتسبات السياسية من خلال التحالفات التكتيكية أحياناً، والإستراتيجية أحياناً أخرى، مع القوى السياسية الأخرى، وفي الكثير من المناسبات مع السلطة نفسها<sup>2</sup>. وعليه عكست التجربة السياسية الكويتية التنازلات القبلية والطائفية في مجتمع منقسم وديمقراطية هشّة ومحيط إقليمي معادي، من مصلحته فشل المسار الديمقراطي .

ليست الطائفية أو القبلية هي الجانب المقلق في الحالة الكويتية، بقدر ما يقلق خطر الاستبداد المتجدد. فرغم إمكانية التصويت في انتخابات برلمانية حرة ونزيهة، وبرلمان فريد من نوعه في الخليج، لأنه يملك سلطة إزالة الثقة عن الوزراء وإلغاء حق النقض للأمير عبر تصويت الأغلبية، في الوقت نفسه، فإن خياراتهم محدودة في نهاية المطاف من قبل مجلس الوزراء المعين من الأمير. يؤدي هذا الوضع إلى دينامية يكون فيها شكل المعارضة السياسية والتهديد الذي تشكله للحاكم متغيرات ذات أهمية أساسية في كيفية معاملة أي مجموعة مجتمعية، سنوية أو شيعية<sup>3</sup>. وبالتالي تستهلك هذه المكونات بعضها في التنافس

<sup>1</sup> - Yagoub Yousif Al-Kandari and Ibrahim Naji Al-Hadben, op.cit. P277.

<sup>2</sup> - حسن عبد الله جوهر وحامد حافظ العبد الله، مرجع سابق، ص302.

<sup>3</sup> - Madeleine Wells, op.cit

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

للقرب من السلطة، دون أن تشكل تهديدا يحد من صلاحيات السلطة الحاكمة أو يدفع نحو مزيد من الإصلاحات الديمقراطية، التي قد تعني في بعض مظاهرها أن يفقد الجميع مكتسباتهم الراهنة.

#### 2/ تأثيرات الربيع العربي وضغوطات الحوار.

بالتزامن مع موجة الانتفاضات العربية، شهدت الكويت موجة من الاحتجاجات الغاضبة والحاشدة لعلها الأكبر في تاريخ البلاد. وكانت هذه المظاهرات الواسعة كفيلا بإسقاط الحكومة وتغيير رئيس الوزراء لأول مرة في تاريخ السياسة الكويتية. توالى الاحتجاجات والتجمعات حول البرلمان حتى حُل مجلس الأمة وتمت الدعوة إلى انتخابات جديدة، فازت بها المعارضة وبثقل ديني كبير، مكنها من محاصرة الحكومة والتحكم بالعملية التشريعية، وكان التحالف الديني- القبلي هو سر النجاح، وعليه انتقلت المواجهة بين الحكومة والقبائل<sup>1</sup>. جاءت هذه التطورات متأثرة بالجو العام الذي خلفته موجة الانتفاضات العربية، وما رافقها من صعود لتأثير الحركات الإسلامية، وتزايد للمطالب الإصلاحية

في أكتوبر 2012 هاجمت القوات الأمنية الاحتجاجات بشدة، وأتى دعم الحركة الاحتجاجية من شرائح كاملة من المجتمع الكويتي، ومن الطبقات والطوائف والقبائل، لذلك كان على الأسرة الحاكمة، كما في البحرين والعربية السعودية، صياغة خطاب يزرع الانقسام في صفوف المحتجين، ويمنع من تشكل جبهة معارضة مشتركة محتملة، فكان خطاب الانقسام البدوي الحضري<sup>2</sup>. على اعتبار أن الدعم الأساسي للمعارضة التي سيطرت على البرلمان تأتي من القبائل البدوية.

زادت المطالب الإصلاحية في الكويت بفعل تأثير التحولات في الإقليم العربي، لكن حالة الاستقطاب الطائفي انتقلت أيضا للدخل الكويتي، الذي انقسم بخصوص الأحداث الإقليمية والعربية خاصة ما حصل في البحرين وسوريا. بشكل عام، أدت حالة عدم الاستقرار السياسي في الدول العربية الناتجة عن ثورات الربيع العربي إلى تغيير طبيعة المطالب السياسية للنخبة الكويتية. دعمت النخبة السياسية الكويتية والمواطنون القيادة السياسية والنظام الحاكم أكثر من أي وقت مضى<sup>3</sup>.

1 - حسن عبد الله جوهر وحامد حافظ العبد الله، مرجع سابق، 2019، ص 302.

2 - توبي ماثيسن، مرجع سابق، ص 125.

3 - Adnan Alenezi, op.cit.pp 63-64.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

تحس عدد من الشيعة الكويتيين للاحتجاجات في البحرين، وبدا بعضهم بالتعبئة دعماً للبحرينيين، ونظموا مظاهرات صغيرة في الكويت. وبالنظر إلى التوازن الطائفي الدقيق في الكويت، وإلى أهمية الأسر الشيعية، سعى أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح شخصياً للتوسط بين المعارضة والأسرة الحاكمة في البحرين في مناسبات عديدة في فبراير ومارس 2011، وهي المساعي التي رفضتها السلطة البحرينية، وسعى منها للنأي عن القمع أرسلت الكويت قوة بحرية رمزية لا يمكن استخدامها لمواجهة الاحتجاجات، ضمن قوة التدخل الخاصة بمجلس التعاون الخليجي<sup>1</sup>. لأن أي تطورات خطيرة في الأزمة البحرينية ستولد انعكاسات سلبية على البنية المتذررة للمجتمع الكويتي، فمحددات الدور الكويتي في الأزمة البحرينية، تختلف عن محددات باقي النظم الخليجية، التي تريد قمع الحركة الاحتجاجية حتى لا تمتد مطالب الإصلاح.

لأن الأمير كان حساساً للغاية لكيفية تأثير مشاركته على الحلفاء الشيعة في الحكومة. ففي عام 2012، حصل الشيعة لفترة وجيزة على 17 مقعداً في البرلمان، وهو أعلى رقم على الإطلاق، نتيجة مقاطعة المعارضة للانتخابات. وبالمثل، يبدو أن النواب الشيعة يعرفون مكانهم في السياسة الكويتية. حتى احتجاجهم على انضمام الكويت إلى التحالف السعودي تم تأطيره بعناية، مما يدل على مدى خوفهم من أن يُنظر إليهم على أنهم يخرجون عن الإجماع الوطني<sup>2</sup>.

أثبتت التجربة الكويتية ومواقفها المتعددة في الظروف الطارئة عبر التاريخ أن حالة الوفاق والاستقرار تسترجع عافيتها من جديد، وإن استغرق ذلك بعض الوقت فور زوال الضغوط الخارجية أو انتهائها أو انفراجتها الخاصة بها، مثل عودة الوفاق بين إيران والعراق، أو إيران والسعودية. بينما تزداد الجبهة الداخلية قوة وتماسكاً في حال تعرضت الكويت لخطر خارجي داهم مهما كان مصدره<sup>3</sup>.

المجتمع الكويتي المفتوح والنظام السياسي لديه القدرة على استيعاب الأزمة الطائفية. فالوجود الشيعي في المجتمع ووصولهم المتساوي نسبياً على المستوى المؤسسي تعليمياً ومهنيًا وسياسيًا لا يوفر لأي كويتي سياقاً خالٍ من أفراد الطائفة الأخرى. وهذا يساعد على الحفاظ على مجتمع متكامل حيث يعرف

<sup>1</sup> - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص ص 126 - 127.

<sup>2</sup> - Madeleine Wells, op.cit.

<sup>3</sup> - حسن عبد الله جوهر وحامد حافظ العبد الله، مرجع سابق ، ص 302

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

الناس بعضهم البعض، وبالتالي تقل احتمالية تشويه أعضاء المجموعة الأخرى. ومع ذلك، فإن استمرارًا الجدل الطائفي قد يترجم إلى ممارسات أكثر تمييزية تهدد التناغم الطائفي. لن تصبح الكويت بحرين أخرى من حيث العنف الصريح، ولكن إذا استمرت وسائل الإعلام في الكويت في بث الخطاب الطائفي، فقد يزداد الانقسام بمرور الوقت، وربما بشكل أسرع إذا استمرت التوترات في الخليج بالتصاعد.<sup>1</sup>

يعد الشيعة في الكويت أفضل من حيث وضعهم الاقتصادي والاجتماعي من الشيعة في أي دولة خليجية أخرى، خاصة وأنهم ينتمون إلى الحضر ويتميزون في التجارة والقطاع الخاص، وارتفاع مستوى التعليم، ونظرا إلى أن السياسة الاقتصادية قلّصت الفجوة بين السنة والشيعة في الكويت من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية، فإن البعض يعتبر الكويت نموذجا في التعاطي مع المسألة الطائفية، من خلال نجاحها في وضع إطار سياسي ومجتمعي متماسك، استوعب من خلاله الطائفتين الرئيسيتين.<sup>2</sup>

تمثل الكويت نموذجا متقدما بين دول مجلس التعاون في إدارة الأزمة الطائفية، والسيطرة عليها ضمن إطار محدود، دون أن تمتد إلى ممارسات استبعادية. هذا التوجه في السياسة الكويتية مرده إلى طبيعة التكوين الاجتماعي والسياسي للمجتمع والدولة، القائم على فكرة التشاركية، وتوزيع السلطة والقوة. انعكس ظهور النفط على وما رافقه من تغير في علاقات الإنتاج على التوازنات التي أسست للتجربة الكويتية، إلا أنه ورغم التحديات والانقسامات التي يشتمل عليها المجتمع الكويتي، استطاعت التجربة الديمقراطية الصمود في بيئة إقليمية معادية. مثل السياق الإقليمي أكبر مهدد للاستقرار الطائفي في الكويت، فطبيعة التركيبة الطائفية، وامتداداتها الإقليمية، وقوة ونفوذ الشيعة في الدولة، جعلت الكويت حساسة جدا للمؤثرات الخارجية، حيث انعكست مراحل الاستقطاب الطائفي سلبا على الداخل الكويتي. ابتعدت الكويت عن الممارسة السلطوية الشمولية، لكنها لم تتمكن من الوصول إلى تجربة ديمقراطية راسخة، وقادرة على التأسيس لعلاقات المواطنة وتحييد الانتماءات القبلية، فالسلطة السياسية مستفيدة من هذا الواقع، إضافة إلى أن المكونات المجتمعية لا ترغب في تحييد نفوذها.

<sup>1</sup> -Lindsey Stephenson, Ahistorical Kuwaiti sectarianism . The link : <https://cutt.us/By30u>

<sup>2</sup> - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 151 .



### **المبحث الخامس : إدارة المسألة الطائفية في عمان وقطر والإمارات**

لا تأخذ الظاهرة الطائفية ذات التأثير والفاعلية في دول مجلس التعاون الخليجي، فإذا كانت تشكل أزمة حادة في البحرين، وتمثل تهديدا في السعودية والكويت، فإنها تتراجع فاعليتها في عمان وقطر والإمارات، وهذا يعود لعوامل عديدة، لعل منها تراجع الكتلة العددية للطوائف، خاصة الشيعة، سواء من حيث النسبة مقابل عدد السكان، أو من حيث الكثافة السكانية، كما أن الأوضاع الاقتصادية الجيدة لرعايا الطوائف في ظل تراجع ممارسات التمييز، أو اقتصرها على مجالات معينة يحرم منها الجميع، إضافة إلى الثقافة المجتمعية التي تساعد على الاندماج والتعايش، خاصة مع تأثر أقل بالمتغيرات الخارجية، والعنصر الأهم هو تراجع الأهمية السلطوية للمسألة الطائفية بسبب ضعف تأثيرها لصالح انتماءات أقوى كالانتماءات العرقية والقبلية والإثنية .

### **المطلب الأول: سياسات الهوية في عمان وصيانة الأمن المجتمعي في بنية الانتماءات**

#### **المتداخلة .**

ترك الإرث التاريخي للإمبراطورية العُمانية أثره الواضح على تركيبها الاجتماعية المتنوعة، التي عكست الكتل الديمغرافية التي شملتها سلطة السلطنة. ورغم التنوعات العرقية واللغوية والطائفية والإثنية والقبلية والمذهبية التي تشطر بنية المجتمع العماني، إلا أن السلطنة لم تشهد صراعا طائفيا، أو تميزا على أسس طائفية، حيث جسدت واقع التعايش الطائفي.

#### **1/التأسيس الجامع والسعي نحو تجاوز الانتماءات الفرعية :**

التعدد الاثنولوجي في عُمان جعل الخطاب الديني أكثر تسامحا في فرض أطاريحه السياسية اليوم، كما أن الخطاب الديني ذاته متعدد المدارس المذهبية. لهذا، فإن الوعي الاجتماعي يتشكل عبر خطابات دينية متعددة ومتضادة أحيانا في أطاريحها السياسية والاجتماعية، الأمر الذي أدى إلى ضعف الخطاب الديني وعدم قدرته على الفعل الاجتماعي والسياسي<sup>1</sup>.

لا يوجد تمييز واضح لطائفة واحدة على أخرى، مما يقلل من إمكانية ظهور الاستياء الاجتماعي والاقتصادي على أسس طائفية. على الرغم من حقيقة أن السلطان من الإباضية، إلا أن الإباضيين ليسوا

1- أحمد الإسماعيلي ، مرجع سابق ، ص 104.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايز للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

متميزين بشكل غير متناسب في شبكة دعم طائفي راعي-عميل. ولا يتعرض الإباضيون للترهيب الطائفي حول التهديدات المحتملة من "التعصب السني" على المستوى الوطني أو الإقليمي. إن الدولة تبذل قصارى جهدها لنزع فتيل التوتر الطائفي بدلاً من التحريض<sup>1</sup>. وعليه ساهمت هذه البيئة المتعايشة وهذه الثقافة الاندماجية المتأصلة تاريخياً في تجاوز التباينات الطائفية، لأن الهوية الطائفية ليست أساساً للتمييز أو الاستبعاد الاجتماعي، فلا ترى الطوائف هويتها مهددة، ولا تبرز الحاجة للانكفاء .

تراجعت المدرسة الإباضية بشكل كبير بعد عام 1970، وهي تتحول من مفهوم الدولة إلى مفهوم الجماعة في بناء العلاقة بين الديني والاجتماعي، عما كانت عليه في عصور الإمامة. هيمنت الدولة الحديثة على هذا الملف (الفاعل الاجتماعي) بخطابها السياسي الذي انفصل نهائياً عن الخطاب الديني، كما أن الدولة عملت على تفكيك الواقع الاجتماعي التاريخي السابق (تمثل ذلك في تعيين وزراء من خارج الفاعلين الاجتماعيين التاريخيين) ، فعاودت بنائه من جديد. ومع التحولات الاجتماعية ما عادت المراجع التقليدية تمثل قيمة معنوية كبرى في بناء الذات الاجتماعية العمانية<sup>2</sup>. فتبرز السلطة كمكون محايد يشمل الجميع ولا تتخذ اصطفافاً طائفيًا في توجهاتها السياسية. كما أن ذاكرة الدولة وتاريخها تصاغ باعتبارها مساحة الجميع، وليست تعبيراً عن ذاكرة مكون واحد متغلب على باقي المكونات.

بدلاً من السعي لاستبعاد أو إبادة أو استيعاب الهويات دون الوطنية سعى السلطان قابوس إلى دمج الهويات القبلية والطائفية في مشروع بناء الدولة بشكل عام. وهكذا انضم الظفاريون، الذين قاتلوا سلطة السلطنة لمدة عشر سنوات، بسرعة إلى جهاز الدولة. والوزير السابق المسؤول عن الشؤون الخارجية يوسف بن علوي مثال على ذلك. يبدو أن إدراج الهويات دون الوطنية في مشروع بناء الدولة قلص من أهمية ووزن الهويات الطائفية في التأثير في الحياة السياسية والاجتماعية. لذلك، يبدو أن الثقافة السياسية في عُمان تُعزز التعددية المتداخلة بين الهويات الوطنية ودون الوطنية التي كانت الدول العربية المتنوعة الأخرى مثل سوريا والعراق تحاول القضاء عليها<sup>3</sup>. فلم تسعى السلطنة إلى القضاء على الهويات الطائفية أو محاولة طمسها بتغليب هوية جزئية، بل حيدت تأثيرها في الحياة السياسية وعملت على إدماج أكبر

<sup>1</sup> -Leon Goldsmith, Immunizing Against Sectarian "Sickness": The Case of Oman , The link : <https://www.mei.edu/publications/immunizing-against-sectarian-sickness-case-oman>

<sup>2</sup> - أحمد الإسماعيلي ، مرجع سابق ، ص 104.

<sup>3</sup> -Leon Goldsmith, op. cit.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمميّة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

للمكونات الهوياتية في السلطة والثروة الاقتصادية، وعليه لم تعد الانتماءات فاعلة أو ذات قدرة على صناعة اصطفا سياسي في مقابل السلطة.

استغلت الأنظمة الخليجية التضامن الطائفي أو العصبية للحفاظ على تحالفات الدعم السياسي بين الطوائف المحسوبة أو الأقلية غير الآمنة. في عمان، يبدو أن غياب هذه التناقضات بين التكوين السطحي والجوهرى للنظام السياسي، وقرار الحاكم بعدم استغلال أدوات انعدام الأمن الطائفي، التي ميزته عن العديد من دول الشرق الأوسط الأخرى. ربما أدى إلى تحصين السلطنة ضد الطائفية إلى حد كبير<sup>1</sup>. عمل المُشرّع العماني على تجريم كلّ ما من شأنه إثارة النعرات الطائفية والمذهبية وبأي وسيلة كانت. ولجسامة جريمة ترويح كل ما يثير النعرات الدينية أو المذهبية، فقد أدرجها المُشرّع العماني في قانون الجزاء عند صدوره في العام 1974م، ضمن الجرائم الواقعة على أمن الدولة الداخلي، وعاقب مرتكبها بالسجن لمدة تصل إلى عشر سنوات استناداً إلى نص المادة\* 130 مكرر<sup>2</sup>.

المنظومة التشريعية تحد من الخطاب الطائفي وتجزمه، وهذا راكم ثقافة مجتمعية لا تتقبل الطائفية وتنفّر منها، ولا تؤثر على الحقوق الوظيفية والاقتصادية والخدماتية، التاريخ التجاري والسياسي لعمان، وامتداد نفوذها، ساهم في وجود علاقة مجتمعية متأثرة بالنشاط التبادلي والتجاري، وهذا ولد ثقافة أقل حدة في تقبل الطائفية. كما أن توجهات القيادة العمانية ساهمت في التأسيس للتعايش بين المكونات<sup>3</sup>.

تتجنب المناهج التعليمية في عُمان تدريس الانقسامات المذهبية، والجدل التاريخي لتكوّن الملل والنحل في الإسلام، وتقتصر في موادها على موضوعات عامة لا يختلف السنة والشيعية والإباضية على صحتها. ولا يتناول التعليم الرسمي تطور الفرقة الإباضية ولا الانقسامات المذهبية الكبرى داخل الأمة الإسلامية، وهذا الإسلام "العام" هو الذي تروج له الصحف وخطب الجمعة التي تُبث عبر الإعلام

<sup>1</sup> -ibid

<sup>2</sup> - حسين الهالي ، الأبعاد القانونية لإثارة النعرات المذهبية والطائفية، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/mTnm5>  
\* - يعاقب بالسجن المؤقت مدة لا تزيد عن عشر سنوات، كل من روج ما يثير النعرات الدينية أو المذهبية، أو حرض عليها، أو أثار شعور الكراهية أو البغضاء بين سكان البلاد. ( أضيفت المادة 130 مكرر) بموجب المرسوم السلطاني رقم (2001/72) . للمزيد أنظر قانون الجزاء العماني، الفصل الثاني، د/ في إثارة الحرب الأهلية. متوفر على الرابط التالي :

<https://www.rop.gov.om/pdfs/roplaws/ROPRULE-1.pdf>

<sup>3</sup> - مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور عبد الله باعبد ، باحث في شؤون الخليج والشرق الأوسط وأستاذ زائر بجامعة واسيدا، طوكيو ، اليابان، عبر مراسلات إلكترونية بتاريخ : 2020/10/13.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

الحكومي. كما تصنف قوانين الدولة إثارة المذاهب كجريمة يعاقب عليها القانون، باعتبارها مساساً بأحد أهم الثوابت الوطنية.<sup>1</sup>

التعرض لمعتقدات الآخرين أمر يجرمه القانون في عمان. كل رعايا المذاهب يصلون في مساجد واحدة، كما يساهمون في بنائها. يتاح للطوائف أن تختص بمساجدها لكن لا يعني أنه محتكراً أو مخصصاً لطائفة أو لمذهب. لا توجد نصوص قانونية تخص طائفة أو مذهب أو جماعة دون غيرها، كما لا توجد محاكم خاصة بالطوائف المختلفة<sup>2</sup>. وبالتالي سعت الدولة لتكوين فضاء عام مشترك يشمل ويتقبل الجميع، وحيّدت كل المتغيرات التي قد تتسبب في خلق انقسامات وعزلها من الفضاء العام، من الصعب تعميم هذه التجربة العمانية، ولا الحكم بمثاليته، لكن واقع التعايش الطائفي والاجتماعي يدل على نجاعتها في إدارة المسألة الطائفية في بيئة تقليدية .

#### 2/ ضغوطات الخارج والتحديات المطلوبة للجبهة الداخلية :

المجتمع العماني ورغم واقعه التعايشي وقدرته على تقبل تنوعاته، وحيادية الدولة تجاه جميع مكوناته، إلا أنه ليس بمعزل عن سياقه الإقليمي الذي يرتبط به بصلات ديموغرافية ومذهبية وطائفية، خاصة مع ظاهرة الاستقطاب الطائفي التي ميزت المواقف السياسية. كما أن الاقتصاد العماني تواجهه تحديات في ظل تراجع المداخل النفطية، قد تفضي إلى اضطرابات اجتماعية.

كانت سلطنة عمان أول دولة خليجية تشهد مظاهرات شعبية بين يناير وأبريل 2011، كما نُظمت إضرابات عمالية. أصدر السلطان أوامر تقضي بالسماح للمتظاهرين بالتجمع دون مهاجمتهم. كان للمتظاهرين أجندة إصلاحية التوجه، ومطالبات بقدر أكبر من العدالة الاجتماعية والاقتصادية، واستئصال الفساد، وإقالة بعض الوزراء، فضلا عن المطالبة بإصلاحات دستورية. على العكس من الحكام في البحرين والسعودية استجاب السلطان لبعض المطالب، خاصة التي لا تُدخل تغييرات جوهرية على نظام الحكم، وعليه أقال عددا كبيرا من الوزراء، وأعلن استحداث خمسين ألف وظيفة، وزاد الحد الأدنى للأجور،

1 - سعيد بن سلطان الهاشمي ، الحركات الإسلامية في سلطنة عمان ، في الحركات الإسلامية في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2013 ، ص 2325.

2- برنامج خليج العرب ، التعايش السلمي بين المذاهب في سلطنة عمان ، التلفزيون العربي ، تاريخ الحلقة 2018/02/02، متوفر على

الرابط التالي : <https://www.youtube.com/watch?v=uU-oYpB1P-8>

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتممايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

كما وسع سلطات مجلس الشورى، وأجريت انتخابات في أكتوبر 2011 فاز فيها عدد من قادة الاحتجاجات.<sup>1</sup>

لم تلجأ الحكومة العمانية إلى ذلك النوع من الخطاب الطائفي الذي اعتُمد في البحرين والعربية السعودية، لزرع الشقاق في صفوف المحتجين. ويبدو أن الحكومة رأّت مصلحة في التقليل من المناقشات المتصلة بالانقسامات الطائفية والإثنية، كي لا تُخل بالتوازن الطائفي الدقيق في البلاد. لكن كان للتداعيات الطائفية لأزمة البحرين ارتدادات على سلطنة عمان، حيث تعاطف بعض الشيعة اللواتية والبحارنة مع المظاهرات، ونظّموا وقفات احتجاجية قبالة السفارة البحرينية منددين بالقمع.<sup>2</sup> مثلما ما حدث سابقا بعد الثورة الإيرانية مع الجو الشعبي العام المتأثر بفكرة تصدير الثورة، حيث عرفت عُمان العديد من المظاهرات السياسية الصغيرة، قام بها عمانيون شيعة<sup>3</sup>.

عكست طبيعة الاحتجاجات مطالب العمانيين المتجاوزة للطوائف والانتماءات، لأن الفساد وتراجع المستوى الاقتصادي مسّ الجميع دون تمييزات مقصودة، كما أن المطالبات بالإصلاح مثلت الجميع، وعليه لم تسعى السلطة لتثوير التباينات، لأن مآلات العبث بالتوازنات المجتمعية أخطر من مآلات الأزمة السياسية وأبعدها الاقتصادية. إضافة إلى أن السياق الإقليمي المستقطب طائفا سيزيد من الاحتقان الطائفي.

نفوذ إيران على الشيعة العمانيين محدود. تُقلد الغالبية العظمى من الشيعة العمانيين آية الله علي السيستاني ممثل حوزة النجف، بينما عدد قليل يقلد علي خامنئي، أو المراجع الإيرانية. ومع ذلك، قد يتغير هذا الواقع بعد وفاة السيستاني، خاصة وأن عددًا متزايدًا من الشيعة العمانيين اختاروا قم، على النجف، للدراسات الدينية بسبب المخاوف الأمنية في العقد الماضي في العراق.<sup>4</sup> والتمدد الإيراني يعتمد على القوة الناعمة للمراجع الإيرانية، والبعثات الطلابية. إلا أن التأثير الإيراني الكبير في عمان غير محتمل الحدوث، بسبب كلفته الكبيرة بفعل العدد المحدود للكتلة الشيعية، والعلاقات القوية مع عمان .

1 - توبي مائيسن ، مرجع سابق ، ص ص 148 - 149.

2 - المرجع نفسه ، ص ص 149 - 150.

3 - J.E.Peterson , op.cit , p43.

4 - Ahmad khalid. Mahidyar, Is sectarian balance in the United Arab Emirates, Oman, and Qatar at risk?, Middle Eastern Outlook , No.6. October 2013. P 03.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

حافظت القيادة الشيعية على علاقات بإيران والعراق. وينتقد بعض العمانيين أيضا مواطنيهم الشيعة لقيامهم بتقديم زكاة الخمس لإيران وسوريا والعراق ولبنان بدلا من مساعدة الفقراء داخل عمان نفسها. ونتيجة لذلك، تراقب أجهزة الأمن الداخلي الأنشطة الشيعية للحد من التأثيرات الأجنبية التي يمكن أن تكون مزعزة للاستقرار على المجتمعات الشيعية العمانية، ومنع الروابط القوية بين الشيعة العمانيين والجماعات السياسية الشيعية عبر الوطنية مثل أتباع الزعيم الشيعي البارز آية الله سيد محمد الشيرازي. تقوم الأجهزة الأمنية العمانية بفحص الأسماء ومراقبة أنشطة القادة الشيعة الأجانب الذين يزورون عمان خلال الأعياد الدينية الشيعية، للتأكد من أنهم لا يروجون لأجندات سياسية، من المعروف أن الحكومة العمانية ترفض أحيانا منح تأشيرات لشخصيات دينية إيرانية تسعى إلى زيارة عُمان<sup>1</sup>. خوفا على التوازن الطائفي من التأثير بالخطابات الطائفية والمذهبية التي تزداد في المناسبات والمواسم الدينية، والتي تعتبر تحريضا وفق التشريعات العمانية .

ربما بسبب إدماج الحكومة العمانية للأقلية الشيعية، فضلاً عن صغر حجم المجتمع، فشلت الجماعات الشيعية عبر الوطنية في تحقيق تقدم كبير في عمان، فلا يوجد فرع لحزب الله في عمان. حتى الحركتين الشيعيتين الدوليتين النافذتين - مجموعتا الدعوة والشيرازي - لم تحقق نجاحاً يذكر في محاولاتهم للتأثير على الشيعة العمانيين في السبعينيات<sup>2</sup>.

فرضت التعددية اللغوية والإثنية والدينية والمذهبية والقبلية على العقل العُماني لغة التسامح، ذلك أنه أصبح يشتغل في مساحات أضيق مما كانت عليه سابقا، خصوصا التسامح الديني الذي فقدته أكثرية الدول العربية. غير أن هذا الاستقرار لا يملك ضمانات مؤكدة لاستمراره في الأعوام المقبلة، التي ربما ستشهد انفجارا سكانيا يتبعه انفجار فكري في شكله السياسي والديني والاجتماعي، ونضوبا في موارد النفط، وربما تغيرا في شكل الدولة السياسي (ملكية دستورية) ،بل وتغيرا في شكل المنطقة العربية، الذي لا شك سيؤثر بشكل مباشر في عمان<sup>3</sup>. فهل ستمكن عمان من الحفاظ على التعايش الاجتماعي

<sup>1</sup> -Ibid. P 04.

<sup>2</sup> -Ibid.. P 05.

<sup>3</sup> - أحمد الإسماعيلي ، مرجع سابق ، ص 105.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

والطائفي دون الانتقال للتجربة الديمقراطية، والبناء على فكرة المواطنة التي ستجد بيئة اجتماعية وتراث ثقافي يساعد على تفعيلها. أم ستتأثر بحالة الاستقطاب الطائفي؟ .

#### المطلب الثاني: واقع المسألة الطائفية في الإمارات وقطر.

يمثل الشيعة من 10 إلى 15% من السكان في كل من الإمارات وقطر، في ظل بنية ديمغرافية تغلب عليها العمالة الوافدة بتنوعاتها الثقافية والمذهبية والإثنية، والتي يمكن اعتبارها التحدي الاجتماعي المركزي في البلدين. الوضع الاقتصادي المريح والكتلة الديمغرافية المحدودة انعكست على السكان ومنهم الشيعة، فلا توجد تباينات اقتصادية أو تمايز في المستوى المعيشي والخدماتي، يمكن أن يدفع الشيعة للانكفاء والمعارضة، كما أن وضعهم كأقلية دفعهم نحو الارتباط بتحالفات أكبر مع السلطة في البلدين. والابتعاد عن أي مطالب إصلاحية قد تزعج السلطة وتعصف بمكتسباتهم التعبدية والاقتصادية، التي تعتبر أحسن من بعض البلدان الخليجية.

على عكس السعودية والكويت والبحرين، لم تواجه قطر أو الإمارات تاريخياً الكثير من المشاكل الطائفية، بسبب أنّ الشيعة يمثلون نحو 10 بالمائة من السكان فقط. وحتى مع ذلك، تمّ استيعاب الشيعة في قطر والإمارات داخل نسيج الأغلبية السنّية في بلادهم، حيث شغلوا أدوراً بارزة في قطاع الأعمال والحكومة. كما أنّهم يتوزعون في كل أنحاء البلاد بدلاً من التركز في منطقة واحدة<sup>1</sup>.

#### 1/ الحالة الطائفية في الإمارات :

يحاول معظم الشيعة الإماراتيين الاندماج بالمجتمع، وخاصة في دبي حيث يشكلون قوة رئيسية في المجتمع الاقتصادي لتلك الإمارة، ولكن في السنوات الأخيرة كان هناك تحول ملحوظ في المواقف، فاشتكى الكثير من الشيعة من فرص العمل المحدودة، وأحياناً من التمييز ضدهم في مكان العمل، ومع الوضع المتوتر في البحرين والعربية السعودية، ومع تصاعد التوتر بين الإمارات وإيران، من المرجح أن تزداد هذه الحالة سوءاً في المستقبل القريب، حيث هناك مؤشرات واضحة على أن السلطات الإماراتية تشك في المغتربين الشيعة الموجودين في بلادها<sup>2</sup>. في 2009 بدأت الإمارات بترحيل عشرات من العمال

<sup>1</sup> - موقع الخليج الجديد ، ستراتفور: قطر والإمارات وسلطنة عمان ..لماذا أصبحت القضايا الطائفية أقل إلحاحاً ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/36ckg>

<sup>2</sup> - كريستوفر م. ديفيدسون، ما بعد الشيوخ : الانهيار المقبل للمالك الخليجية، مركز أوال للدراسات والتوثيق ، بيروت ، 2014، ص 258.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتميّزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

اللبنانيين الشيعة، والكثير منهم مقيم في الإمارات منذ وقت طويل، انطلاقاً من خلفية ارتباطات مالية مع حزب الله في لبنان، ومنذ ذلك الحين تم ترحيل الكثير غيرهم من اللبنانيين والعرب الشيعة.<sup>1</sup> تسمح السلطات الإماراتية للشيعة بإنشاء الحسينيات والمساجد ولكن بتمويلهم الخاص، كما تسمح بممارسة الشعائر الدينية ولكن تحت الرقابة والتدقيق للوافدين من إيران أو لبنان، خاصة خلال إحياء الشعائر. يعيش الشيعة وضعاً اقتصادياً جيداً كما أن الكثير منهم من طبقة كبار التجار، ويُسمح لهم بالوصول إلى المناصب الإدارية العليا، باستثناء الوزارات السياسية وأسلاك الأمن، حيث يصعب عليهم الترقى فيها .

لا توجد عملية سياسية في الإمارات تُمكن من مشاركة الشرائح الشعبية، سواء من الأقلية الشيعية أو من الأغلبية السنية، في ظل بنية سلطوية عائلية مقسمة بين الإمارات التي تُشكل الاتحاد، وعليه لا يمكن الحديث عن مطالبات شيعية بالاندماج والمشاركة في السلطة، لأن مسألة الإصلاح غير مطروحة على الجميع. وتوفر الفوائض الريعية فرصة لتجاوز هذه المطالب عبر تحقيق الرفاه الاقتصادي، رغم واقع التفاوت الاقتصادي الواضح بين الإمارات السبع، بسبب التباين في المداخل الاقتصادية، الذي انعكس على شكل تباين في النفوذ .

رُفعت في 2011 عريضة إلى حاكم أبو ظبي موقعة من 130 مثقفاً، طالبت ببرلمان منتخب بالكامل وبالاقتراع العمومي، وأن تعمل الدولة للتحويل إلى ملكية دستورية ملتزمة بحقوق الإنسان والمبادئ الأساسية الأخرى. وكانت ردة فعل السلطات على العريضة، وعلى مطالب منظمات المجتمع المدني مفاجئة للكثير من المواطنين، إذ لم يتوقعوا رداً عنيفاً، حيث شهد أبريل 2011 حملة اعتقالات، إضافة إلى إضعاف منظمات المجتمع المدني الفاعلة والموقعة على العرائض.<sup>2</sup>

حاولت السلطات التأثير في الرأي العام، من خلال تشجيع عدد من قادة القبائل على التنديد بالمعتقلين، وتقديم دعاوى قضائية نيابة عن القبائل التي اتهمت فعاليات المجتمع المدني الموقعة على العريضة أنها أساءت للدولة والأمة. كما تم ضخ زيادات ضخمة في الرواتب لموظفي القطاع العام، وصلت في بعض الحالات إلى 100%، بينما تمت زيادة استحقاقات الرعاية الاجتماعية بنسبة تصل إلى

1 - المرجع نفسه ، ص 259.

2 - المرجع نفسه ، ص ص 380-381.



## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

20%، وتخصيص حزمة بـ 2.7 مليار دولار لمساعدة المواطنين الأكثر فقرا الذين عليهم قروض مستحقة.<sup>1</sup>

عبر شراء السلم الاجتماعي وضخ أكبر للفوائض الربعية في الدعم الاجتماعي، إضافة إلى توظيف الانتماء القبلي، وتحريك اللحمة العشائرية في مواجهة التنظيمات المدنية، استطاعت السلطة الإماراتية حجب المطالب الإصلاحية التي برزت، مع موجة الربيع العربي، ونظرا لأن المتغير الطائفي غير مؤثر، عمدت السلطة لتوظيف الانتماءات القبلية والعشائرية من أجل تجديد الولاء .

بسبب النفوذ الإيراني اقتصاديا واجتماعيا في الإمارات تخشى السلطات من تأثير محتمل على المكونات الشيعية الداخلية، خاصة وأن نسبة معتبرة منهم تُقلد الولي الفقيه، رغم أن الأغلبية يقلدون مرجعية النجف. إضافة إلى أن ضخامة الاستثمارات الإيرانية، وتجذّر الجالية الإيرانية وتفاعل المكون الشيعي معها، والعمالة الأجنبية الشيعية، قد يمكّن إيران من تكوين نفوذ محتمل قد تستغله في حالة ظهور أي نزاع بينها وبين الإمارات أو في سبيل التأثير على المصالح الغربية.

تُعتبر الإمارات الشريك الاقتصادي الثاني لإيران بعد الصين بحجم مبادلات بلغ 13.5 مليار دولار في 2019<sup>2</sup>. كما أن 80% من التحويلات المالية الإيرانية تتم في الإمارات بفعل العقوبات المصرفية، وتبلغ حجم الاستثمارات الإيرانية في الإمارات 300 مليار دولار، إذ ينشط في الإمارات ثمانية (08) آلاف رجل أعمال، عبر ستة (06) آلاف شركة مسجلة لإيرانيين. وتُسير شركات الطيران 200 رحلة أسبوعياً من شتى المدن الإيرانية إلى الإمارات لنقل 100 ألف سائح إيراني، فضلاً عن 600 ألف مواطن إيراني آخريّن يقطنون الإمارات، ما يجعلهم أكثر الجاليات المقيمة في البلاد عدداً.<sup>3</sup>

لا تظهر توجهات سياسية واحد تجاه إيران، فدبي المستفيد الأكبر من الاستثمارات الإيرانية، والتي تقيم فيها الجالية الإيرانية، تحتفظ بعلاقات متينة مع إيران، لم تؤثر فيها التوترات السياسية، أو كون إيران تحتل جزراً إماراتية. كما أن الإمارات تسمح بنفوذ اقتصادي للمكونات الشيعية المرتبطة بإيران، حتى

1 - المرجع نفسه، ص ص 383-384.

2 - الجزيرة نت، الإمارات ثمانية بعد الصين.. إيران تصدر منتجاتها إلى 128 دولة، متوفر على الرابط التالي: <https://cutt.us/kfWfN>

3 - الخليج أونلاين، شقاق السياسة وعناق الاقتصاد.. إيران والإمارات وعلاقة المصالح، متوفر على الرابط التالي :

<https://cutt.us/NNLrm>

تكون "متنفسا" اقتصاديا في ظل الحصار، وهذا مقابل الاستقرار، عكس الحالة السعودية والبحرينية، إذ أن هذا الوضع سيخلق مصالح مشتركة، تمنع إيران من توظيف المكون الشيعي الوافد والوطني لزعة الاستقرار في الدولة، كما تجعل استهداف الإمارات في حالة أي حرب أمريكية إيرانية، بمثابة ضرب للمصالح الإيرانية .

#### 2/ الحالة الطائفية في قطر:

تؤشر الحالة الطائفية في دولة قطر على واقع تعايشي بين المكونات، خاصة في ظل وجود أقلية شيعية تقارب 10% وعليه فلا توجد حالة طائفية يمكن رصدها، خاصة في ظل الفوائض المالية الضخمة للدولة التي تمكنها من بسط الاستقرار السياسي عبر توزيع الريع، وتحسين الخدمات الاجتماعية، ما يجعل الجميع مستفيد من الثروة والاستقرار السياسي، وخاصة الأقليات.

إن الأقلية الشيعية في قطر مندمجة بشكل جيد في المجتمع: فهي موالية للنظام الحاكم، وتعيش في انسجام مع الأغلبية السنية، وتتمتع بالمواطنة المتساوية والحقوق السياسية. الشيعية موجودون في معظم الدوائر الحكومية، بما في ذلك الجمعية الاستشارية للبلاد. عكس العربية السعودية، يمكن للشيعية القطريين ممارسة طقوسهم الدينية بحرية. على الرغم من أن مناهج التعليم العام مبنية على الإسلام السني، إلا أنها لا تحتوي على دعاية معادية للشيعية. في عام 2005، أنشأت الحكومة نظاماً قضائياً منفصلاً للشيعية للتعامل مع قضايا الزواج والطلاق والميراث ومسائل عائلية شخصية أخرى على أساس الفقه الجعفري الشيعي. تدير الطوائف الشيعية عدة مساجد وأكثر من 20 الحسينية في جميع أنحاء البلاد<sup>1</sup>.

يعزو الباحث عبد الرحمن المري غياب الطائفية في دولة قطر إلى الاندماج التام للنخب الشيعية في المكون الاجتماعي القطري، وهو اندماج يتجلى في اعتبارهم جزء من النسيج العام، وبروزهم التجاري، وعلاقتهم الوثيقة مع النخبة الحاكمة، إضافةً إلى سمة التسامح المذهبي البارزة تاريخياً في الشخصية القطرية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - Ahmed K. Majidyar ,op. cit.

<sup>2</sup> - مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور عبد الرحمن المري باحث في أنثروبولوجيا الخليج والجزيرة العربية، عبر مراسلات إلكترونية بتاريخ: 2020/10/03.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

لم تكن قطر في مأمن من الاستقطاب الطائفي إقليمياً، خصوصاً مع الأدوار السياسية المهمة التي كانت تلعبها في ساحات النزاع، إلا أن التركيبة الاجتماعية للمجتمع القطري وتحديداً وجود نسبة شيعية ضئيلة جداً وغير مؤثرة، وفي الوقت نفسه مندمجة بشكل كبير في محيطها السني، حال دون استفحال الاصطفاف الطائفي وخروجه إلى العلن، فظلت المشاحنات الطائفية محصورة بوسائل التواصل، لكن عموماً لم يكن هناك أي رصد يذكر على المستوى الرسمي أو الإعلامي لأي حالة للتمييز الطائفي على المستوى الحكومي أو على مستوى ممارسة الشعائر الدينية للأقلية الشيعية في البلد.<sup>1</sup>

يرى علي خليفة الكواري أن قطر والإمارات أكثر بعداً عن إمكانية قيام حركة إصلاحية تستجيب إلى الحوار معها، وذلك بسبب تراجع دور المواطنين وسلبية النخب عامة، وقلة حيلة المدركين لضرورات الإصلاح، إضافة إلى استعذاب الجزرة (الريع)، لذلك نجد أن قدرة الداعين للإصلاح تعجز حتى عن تقديم العرائض العامة، وتقديم طلبات تأسيس جمعيات أهلية في قطر على سبيل المثال، وهذا مؤشر على غياب الفرصة وتدني القدرة على مخاطبة السلطة والهيبة منها، فما بالك الحوار معها.<sup>2</sup>

يسيطر الخوف من الاستغلال الأجنبي على النظرة للمكونات الطائفية، حتى في ظل الرفاه الاقتصادي والفرص المتساوية في الوصول إلى العديد من المناصب الإدارية والمنافسة الاقتصادية، وحرية الممارسة الدينية مقارنة بباقي دول الخليج، تتنامي هذه النظرة في ظل تعثر مشروع الإصلاح، وعدم وجود أي مؤشر على رغبة النظم بالانفتاح السياسي، والدفع نحو تحرير الممارسة السياسية والسماح بنشاط حقوقي وسياسي ولو محدود.

1 - عمر هشام الشهابي، مرجع سابق، ص 179.

2 - خليل علي حيدر، مرجع سابق، ص 2308.

## الفصل الثالث: الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف .. قراءة في التوجهات المشتركة

### والتمايزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون

#### خلاصة الفصل الثالث :

الظاهرة الطائفية متباينة التأثير في دول مجلس التعاون، نظرا لخصوصية السياق الداخلي، مع ما يحمله من تجربة تاريخية بين المكونات المجتمعية، والتي تؤسس لثقافة مشتركة ومصالح متقاطعة، إضافة إلى حجم الكتلة الطائفية المباينة للمجتمع، إذ كلما زاد الحجم الديمغرافي تزداد معه المطالب بفرص أكبر، وبالتالي يزداد الاحتكاك .

يلاحظ أن لسردية النشأة في كل قطر خليجي أثرها البارز في التأسيس للظاهرة الطائفية، فسياق النشأة المبني على التغلب وتعميم الذاكرة الانتصارية لمكون اجتماعي واحد، وجعل ثقافته هي ثقافة البلد، يساهم دائما في إعادة إنتاج الطائفية، ويفرض على الطوائف الانكفاء على ذاتها كممارسة دفاعية، إذا اقترنت هذه التوجهات السوسيو- سياسية بممارسات استبعادية على أسس هوياتية. تمكن البنية الانقسامية قبليا وطائفيا النظم الخليجية من توظيف سياسات الهوية، وجعل الكتل المجتمعية متنافسة حول القرب من مركز السلطة والتأثير، وبالتالي تصرف الضغط المطالب بالإصلاح نحو التنافس المجتمعي .

لم تفلح التجربة الديمقراطية المحدودة في بعض أقطار المجلس في تجاوز الحاجة لتوظيف الانتماءات الفرعية، وهذا بفعل العوائد السياسية والاجتماعية لممارسة الطائفية، وقيادة الكتل الهوياتية، وأيضا بفعل انعدام الإرادة الجادة للسلط الحاكمة في استكمال مسار التحول الديمقراطي. يلاحظ أن الاندماج الاقتصادي وارتفاع مستوى المعيشة، والسماح بحرية الممارسة الدينية والشعائر الطقوسية يقلل من الاحتقان الطائفي وتفاعلاته السلبية، ويجعل الطوائف مندمجة أكثر.

آثار السلطوية وسياسات المشيخة لا تقتصر على المكونات الطائفية، فانعكاساتها السلبية تمس الجميع. كما أن المطالب الإصلاحية والإدماجية هي مطالب جميع المكونات، لكن غياب مجتمع مدني فاعل وهيئات مدنية قوية جعل هذه المطالب نضالات فردية أو مرتبطة بتشكيلات فرعية .

## الفصل الرابع :

التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار  
الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل  
الدولة في الخليج

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

### توطئة :

بعد التعرض لتفاعلات المسألة الطائفية وإدارة النظم الخليجية لمكوناتها الهوياتية في سياقها الداخلي، تنتقل الدراسة للبحث في دور الطائفية ضمن الاستراتيجيات الإقليمية المتنافسة، وفي ظل تنامي الاستقطاب الإقليمي والاصطفافات السياسية والتحالفات على أسس طائفية، وعليه يشتبك الداخل بالخارج، ليصبح فهم توظيف الظاهرة الطائفية في السياسة الخارجية، ضرورة لفهم نظم عملها في السياسة الداخلية، ويزداد التأثير بفعل الترابط السيسولوجي والامتداد الجغرافي للانتماءات الفرعية، وهذا ما أثبتته التأثيرات المركبة للأزمات السياسية الطائفية في العراق وسوريا والبحرين، وتأثيراتها في المحيط العربي والخليجي .

كما يستعرض الفصل مسارات الخروج من الأزمة الطائفية وتحديد آثارها السلبية، ويبحث في الحلول الممكنة لمواجهة تداعياتها الداخلية والإقليمية، في ظل التحديات المختلفة التي تواجه مستقبل الدولة والمجتمع في منطقة الخليج، وفي ظل إمكانات وحدود البنية التقليدية اجتماعيا وثقافيا وسياسيا .

- **المبحث الأول:** الأبعاد الطائفية للاستراتيجيات المتنافسة في الأزمات الإقليمية

- **المبحث الثاني :** الدولة الخليجية ومسارات الخروج من الأزمة الطائفية: الحلول الممكنة

ومآلاتها المستقبلية

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

### المبحث الأول : الأبعاد الطائفية للاستراتيجيات المتنافسة في الأزمات الإقليمية .

أضحت الطائفية إستراتيجية إقليمية في الشرق الأوسط، حيث زاد توظيفها في التحالفات الإقليمية، والمصالح المتنافسة منذ احتلال العراق وتداعياته الإقليمية وما رافقه من تمدد للدور الإيراني، ليزداد موقع الطائفية في السياسة الخارجية مع الأزمات الناجمة عن الانتفاضات العربية، والتي خلّفت صراعا طائفا مسلحا، امتدت تداعياته حتى إلى الدول التي لم تشارك فيه، بفعل التشابكات الطائفية.

إن الهويات عموما يمكن أن توظّف في الصراعات بين الدول، إلا أن ما يجب أن ننتبه له هو أن النزعة العصبوية في الهويات بوجه عام لا تبقى متقدة كل الوقت، بل إنها تصحو وتخف وفق معطيات الداخل والخارج، أو أحيانا من دونهما. أو وفق الحالة السياسية الداخلية أو الخارجية وشعاراتها المرفوعة، وهي لحظة تستدعي تعبئة موارد وإمكانات الداخل نحو عدو داخلي أو خارجي يحمل هوية معينة، يستشعر السياق السياسي لحظتها أنه مصدر التهديد. الأمر الذي يتطلب: تضخيما لها أي الهوية العدو، وتوظيفا للهوية المضادة، أي استحداث هوية جديدة أو توظيف إحدى الهويات القائمة أو ما يمكن تسميته بهوية التوازن<sup>1</sup>. ومنه تقابل هوية طائفية بأخرى، وهوية قبلية بهوية مماثلة، وينتقل أثر الصراع من الخارج إلى الداخل أو العكس.

تُعد التأثيرات المتجاوزة الحدود، واستخدام البعد المذهبي ورقتين في السياسة الخارجية لعدد من الدول، وأحد أهم مصادر حفز الانتماءات الطائفية، غير أن التشديد المفرط على هذا البعد يعرض الباحثين لإشكاليتين أساسيتين<sup>2</sup> :

- أولاهما صرف الانتباه عن الفاعلين المحليين، وإهمال السياقات الوطنية التي يتفاعل ضمنها، وهو ما قد يؤدي إلى الإخفاق في تمييز استجابة المنتمين للأقلية المذهبية في دول مختلفة.
- ثانيهما أن مثل هذا التركيز يخفق في تفسير أصول تشكّل الطائفة لكونه يتخذها معطى في التحليل.

<sup>1</sup> - باقر سلمان النجار ، الهوية وصراعات الإقليم في الخليج العربي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد 484 ، يونيو 2019 ، ص 131.

<sup>2</sup> - أحمد سعد العوفي ، مرجع سابق، ص519.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

تأجيج الطائفية يحصل بفضل تسييس المذهب من قبل التيارات الدينية، وبفضل مذهب السياسة من قبل السلطة، فيتحول التمايز الثقافي بين الأقلية والأغلبية إلى حرب إلغاء ونكران للحق في التعبير عن خصوصيته الدينية والثقافية. ومما يزيد المشكلة تعقيدا هو التفكير في تحالفات خارجية يُتأمل منها تقديم الحماية للأقلية في حين تُحدث العكس. عندها تبدأ السلطة المستبدة تبرر اعتصابها للسلطة السياسية وتهميشها للآخرين ثقافيا ودينيا بحجة حماية الأكثرية من التدخل الخارجي.<sup>1</sup>

هناك هويات تدخل فيما يمكن تسميته "الهويات المُصطنعة"، إذ تلجأ بعض الدول في صراعها مع الدول أو القوى الأخرى إلى أن تصنع لها نمطا من أنماط الخطاب، الذي يتحول في خطاب هذه الدول إلى هوية قد يُحشد لها داخليا وخارجيا. وهي هويات باتت تأخذ بحكم الصراع القائم بعدا إقليميا ودوليا<sup>2</sup>. وتصوغ التحالفات بين الدول والكيانات الطائفية المساندة لها، كما أصبح الانتشار الجغرافي للانتماءات الطائفية، يحدد مناطق النفوذ.

تقوم الإستراتيجية الطائفية في الخارج على فكرة ضمان ولاء السكان السنة للحكام الخليجيين، ولو مؤقتا، كما تعمل على منع السنة والشيعية الخليجيين في الوقت عينه من الاتحاد للمطالبة بإصلاحات سياسية في الدول الخليجية<sup>3</sup>. فوجود عدو خارجي يحمل هوية "طائفية" معادية أو مناقضة، ويوظفها في صراعه يستدعي مواجهته بهوية مقابلة، وعليه تتوحد الجبهة الداخلية وتترجع مطالب الإصلاح، وتُستهدف المكونات الطائفية الداخلية باعتبارها تشكيلات اجتماعية متعاونة مع عدو أجنبي.

أدت حالة التفكك والاحتراب التي أعقبت الانتفاضات العربية إلى خلق فرص للقوى الإقليمية، والدولية للمشاركة في السياسة المحلية والتورط في الصراع بالوكالة، في محاولة لممارسة النفوذ، وهو ما أفرز معضلة أمنية، بحيث تدفع هذه الحالة الهوبزية حتى الدول التي ليس لها أهداف توسعية للتدخل، خوفا من أن يستفيد خصومها من الوضع، خاصة في ظل وجود وكلاء محليين مستعدين للتحالف مع القوى الأجنبية، وتتقاطع بعض أهدافهم مع استراتيجيات إقليمية. لذلك عمق انبعاث الهويات الطائفية من

1- بدر الإبراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 45

2- باقر سلمان النجار ، مرجع سابق ، ص 132.

3- توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص 162.



## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

هذه الأزمة، التي رسمت خرائط التطلعات الجيو-استراتيجية من خلال العلاقات الطائفية<sup>1</sup>. وأصبحت الحدود الطائفية بين المناطق والجماعات تعبر عن حدود المصالح والنفوذ والتحالفات .

يمكن القول هنا: إن هناك ثلاثة عوامل أسهمت في إحياء الظاهرة الشيعية في منطقة الشرق الأوسط، وهي: أولاً: تقوية الشيعة في لبنان والعراق، وثانياً: تقوية الشيعة الآخرين في السعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة، وثالثاً: صعود إيران السياسي والمذهبي. هذه العوامل الثلاثة عززت القوة الشيعية في الشرق الأوسط، إذ أصبحت هناك علاقة منفعة متبادلة بين صعود مكانة إيران السياسية، وأدوار حلفائها، وهو ما عزز مكانة الهوية الشيعية في الساحة السياسية الإقليمية والدولية<sup>2</sup>.

يرى توفيق السيف أن مطالب المجتمع الشيعي، لم تكن في الأصل مرتبطة بأي ظرف سياسي. لكن السياسة هي حراك اجتماعي يتأثر بنفس العوامل التي تؤثر في الظاهرة الاجتماعية، ومن بينها الأجواء العامة في العالم والإقليم وإيحاءاته وكذلك الشعور الداخلي بإمكانية الحصول على بعض المطالب، فضلاً عن تحولات سياسة الدولة التي تتأثر هي الأخرى بالتحولات الإقليمية والدولية. فهم هذه العوامل مهم للتحقق من المُحرك الرئيس للمجتمع، ويجب أن لا نخطئ بين احتمالين مختلفين تماماً: كون الطرف الخارجي خالفاً وحيداً أو رئيسياً لحراك الداخل، أو كونه مشجعاً لحراك موجود ضمن نطاق أضيق<sup>3</sup>.

تحولت إيران ودول الخليج أطرافاً إقليمية فاعلة، في ظل تراجع القوى العربية التقليدية، كما أن الهويات ما فوق الوطنية لا زالت تلعب دوراً في السياسة الإقليمية، لكنها شهدت تراجع القومية لصالح الطائفية، التي أصبحت أكثر تأثيراً، حيث وفرت وكلاء محليين للصراعات الإقليمية<sup>4</sup>. مذهب الصراع السياسي مع إيران، وبروز أشكال من الصراعات الطائفية في العراق وسوريا ألقى بظلاله على الحالة الخليجية، وبالتالي دفع الأفراد نحو الاحتماء بالدين بصورة أكبر، ومنع أي إمكانيات لتحولات سياسية مهمة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - Simon Mabon and Marc Lynch, introductions , In Sectarianism and international relations, Institute for middle east studies, New York , 2020, p04.

<sup>2</sup> - فراس إلياس، مرجع سابق.

<sup>3</sup> - مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور توفيق السيف .

<sup>4</sup> - Eliza Friederichs, The Middle East : Thinking about and beyond security and stability, The istituto Affari Internazionali, Rome. March 2019, P07.

<sup>5</sup> - برنامج محاور، مع الدكتور باقر النجار، لماذا تتعثر الحداثة في الخليج؟، قناة فرانس 24، تاريخ البث : 2018/11/18، متوفر على الرابط التالي : <https://www.youtube.com/watch?v=b8MTiqX51xY>

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

للعوامل الخارجية دور بارز في إنكفاء المسألة الطائفية، وتوظيفها في السياسات الخارجية للقوى الإقليمية، ويظهر هذا خاصة في اتجاهات العلاقات مع إيران، حيث أنه كلما زاد التوتر برزت الطائفية بشكل أكبر. ورغم أهمية العامل الخارجي، إلا أنه ليس مؤثراً بقدر المتغيرات الداخلية، كما تعتمد السلطات تهويل المؤثر الخارجي لاستهداف فئات معينة، أو تبرير توجهات سياسية داخلية وخارجية.<sup>1</sup> تعتمد الأنظمة الشرق أوسطية التلاعب بالهويات الطائفية، كاستراتيجية لصرف المطالب بالتغيير السياسي وإدامة سلطتها. هذا السياق المناهض للديمقراطية ضروري لفهم الصراع الطائفي في المجتمعات الإسلامية اليوم، خاصة التي تحوي تنوعاً طائفيًا، وبناءً على مقولة الاستراتيجي الألماني كارل فون كلاوسوفيتش "Clawsewitz" أن الحرب استمرار للسياسة بوسائل أخرى"، فإن الصراع الطائفي هو استمرار للحكم السياسي عبر تعبئة الهوية.<sup>2</sup>

وهو ما وظفته النظم الخليجية داخليا بعرقلة مطالب الإصلاح والتشكيك فيها باعتبارها مرتبطة بالخارج، والتخويف منها بحكم أنها ستمكن للطوائف، أو ستؤدي إلى القضاء عليها باعتبار السلطة الراهنة الضامن الوحيد لبقائها. وخارجيا باستخدامها كاستراتيجية لحشد الحلفاء والتمدد وحماية المصالح .

### المطلب الأول: الطائفية في الإستراتيجية الإيرانية وتفاعلاتها في الجيوبوليتك الشيعي .

منذ الثورة الإيرانية عرفت السياسة الإيرانية والدور الاستراتيجي الإيراني تحولات من حيث التصور والخلفية والمبررات، لم تتغير أهمية إيران كدولة محورية في الإقليم الخليجي، لكن تغيرت التصورات وشبكة التحالفات، بفعل تصدّر المحدد الشيعي في توجهات السياسة الإيرانية إقليميا، فمن خلال مبدأ تصدير الثورة والترابط الإيديولوجي مع أتباع الولي الفقيه، وتصوير إيران باعتبارها دولة شيعية، استطاعت تكوين تحالفات وإنشاء جماعات مرتبطة بسياستها في المشرق العربي.

إيران هي البلد الوحيد الذي استقر فيه التشيع كدين للدولة، فالثورة الإيرانية وثيقة الارتباط بالتشيع، لا كمذهب وعقيدة، وإنما كتاريخ. فالتماهي بين التشيع وإيران يتأتى من سيرورة تاريخية تمت في حقتين زمنيتين: الأولى تشييع إيران على يد الصفويين في القرن السادس عشر، والثانية أيرنة الأقليات الشيعية

<sup>1</sup> - مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور عبد الله باعبود ، باحث في شؤون الخليج والشرق الأوسط وأستاذ زائر بجامعة واسيدا، طوكيو ، اليابان، عبر مراسلات إلكترونية بتاريخ : 2020/10/13.

<sup>2</sup> - Nader Hashemi and Danny Postel, op. cit, P03.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

الأجنبية، عبر إنشاء إكليروس، مركزي ومتراتب يغلب فيه العنصر الإيراني<sup>1</sup>. فتم فرض التشيع في إطار التنافس الاستراتيجي بين الدولة الصفوية والعثمانية، حين كان التشيع سرديّة طائفية قادرة على الحشد في مقابل السردية السنية. وتمت أيرنة التشيع بعد الثورة الإيرانية بتحجيم المرجعيات العربية .

بفعل الثورة الإيرانية ظهرت تأثيرات جيوسياسية أضافت فيها إيران بعدا دينيا لدورها، إذ صُبغت السياسات الإيرانية بما يمكن تسميته بـ " الجغرافيا السياسية للإسلام " Geopolitics of Islam، مع ما استتبع هذا المحدد من سياسات تصدير الثورة والتشيع السياسي عبر ولاية الفقيه، وهو ما أحدث توترات إقليمية مع المحيط الخليجي<sup>2</sup>. أصبح المخطط الاستراتيجي في إيران يدرُس الحدود الجغرافية المحيطة بإيران وأبعادها المختلفة قراءة جيو-مذهبية تُمكنه من تحقيق أهداف الأمن الإيراني، في بناء مركزية شيعية إيرانية في، الذي يشهد اليوم منافسة بين العديد من القوى الإقليمية الممثلة لمذاهب وأفكار إسلامية تختلف وتتفق مع الجيوبوليتيك الشيعي من حيث الأهداف والوسائل. وبالتوافق مع ما تم ذكره أعلاه، وجدت إيران نفسها ملزمة بالقيام بدور مركزي لإعادة صياغة الجغرافيا المذهبية، انطلاقاً من الأسس التي يقوم عليها الجيوبوليتيك الشيعي، بهدف بناء المجال الحيوي الشيعي الذي ستُشكّل إيران مركز القلب فيه، والمجتمعات الشيعية تشكل الأطراف<sup>3</sup>. هذا المركز هو نواة الأيديولوجيا، وأيضاً مصدر الدعم.

التشيع بالنسبة لإيران آلية وأداة أكثر منه غاية والتزام، فالتشيع منذ القرن السادس عشر، وقدم الصفويين للحكم في تبريز هو وسيلة تجيش ضد الدولة العثمانية (السنية). الاعتبار الجيوسياسي هنا هو (قومي فارسي)، لذا انحاز الصفويون دائماً إلى قُوم على حساب النجف كمرجعية للعموم الشيعي في العالم، وحتى في النجف حرصت إيران على أن يكون (السيستاني\*) وهو إيراني فارسي هو المرجع وليس أحداً من بيت الحكيم أو الصدر أو كاشف الغطاء<sup>4</sup>. رغم أن هذا من الصعب إثباته، إلا أن

1 - أوليفيه روا، تجربة الإسلام السياسي، دار الساقي، بيروت، ط2، 1996، ص 161.

2 - Anoushiravan Ehtishami, The Foreign policy of Iran in the Foreign policies of middle east states , Lynne Rinnes, 2002, p287.

3- فراس الياس، مرجع سابق.

\* علي الحسيني السيستاني ولد في سنة 1930 في مشهد بإيران، وينسب لسيستان التي سكنها جده في الحقبة الصفوية، له أصول عربية، ويقوم في النجف منذ أكثر من ستين سنة، وهو القائم على مرجعيتها بعد الخوئي، للمزيد حول الموضوع أنظر: الموقع الرسمي لمكتب آية الله السيستاني: <https://www.sistani.org/arabic/data/1/>

4 - عبد الله النفيسي، مقدمة الطبعة الثالثة، المشروع الإيراني في المنطقة العربية، مصر، دار البشير للنشر والتوزيع، ط2015، ص3، 17.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

تهميش المرجعيات العربية والتضييق على مراجعها الذين خالفوا التوجهات الإيرانية مثل آية الله محمد حسين فضل الله ومحمد مهدي شمس الدين، قد يدل على هذه التوجهات الإيرانية.

إن الجيوبوليتيك الشيعي\*\* هو تعبير عن الجغرافيا الشيعية المؤثرة في علاقات القوة الدولية، عن طريق الدفع بالمجتمعات الشيعية إلى الارتباط بالمركزية الإيرانية، ومن ثم تشكيل قوة دولية صاعدة، فهو بالأساس مشروع جيو- استراتيجي إيراني، يعكس طبيعة الافتراضات التي نادى بها المفكر الاستراتيجي، هالفورد جون ماكيندر (Halford John Mackinder) في نظريته الجيو- إستراتيجية: (قلب الأرض (The Heartland Theory)، وهي فكرة استعارتها إيران لتشكيل مركزية شيعية، تستند بالأساس لاعتبارها "دولة أم القرى"<sup>1</sup>. حاولت السياسة الإيرانية أن تحول إيران إلى مركز الإسلام أو الحركات الإسلامية، لكن الصبغة المذهبية وتداعيات فكر تصدير الثورة أوجد تحديات في قبول هذه الأهداف، فسعت لتكون مركز العالم الشيعي وحركاته .

تمارس إيران نفوذها تبعاً للجغرافيا الدينية في المناطق الإثني عشرية، لأن تأثيرها ضعيف في المناطق الإسماعيلية. أما من وجهة النظر الجغرافية فهذا العامل ليس حيادياً. ذلك أن المسؤولين في طهران يعتبرون شيعة المنطقة في خدمة إيران، لأن إيران في خدمة الشيعة، أي الإسلام الحقيقي. إنها حركة دائمة في الاتجاهين<sup>2</sup>. لا يمكن القطع بالمقاصد الأيديولوجية لتوجهات إيران وسياساتها، التي أثبتت براغماتيتها وقدرتها على تجاوز العوائق الأيديولوجية لتحقيق مصالحها.

كشفت الانتفاضات العربية، خاصة الأزمة السورية والبحرينية، عن المستوى العالي من البراغماتية الإيرانية، حيث كانت سياساتها تتصادم مع خطاباتها الأيديولوجية حول المستضعفين، وقد حاولت احتواء الربيع العربي، واعتباره امتداداً لثورتها، لكن عندما تعارضت توجهاته مع مصالحها، انحازت إلى

<sup>1</sup>- فراس الياس ، مرجع سابق.

\*\* وفيما يتعلق بمفهوم الجيوبوليتيك الشيعي، نلاحظ أن الباحث الفرنسي، فرانسوا توال (Francois Thuau)، هو أول من استخدم هذا المفهوم عندما نشر كتابه باللغة الفرنسية بعنوان "الجيوبوليتيك الشيعي"، في عام 1995، وتمت ترجمته إلى الفارسية ونُشر ثلاث مرات في إيران، إذ أشار إلى أن المذهب الشيعي مفهوم ذو طبيعة جيوبوليتيكية، على اعتبار أن مجالات الشيعة الجغرافية تؤثر على علاقات القوة في جميع أنحاء العالم. فعلى سبيل المثال. للمزيد حول الموضوع، أنظر : فراس الياس ، الجيوبوليتيك الشيعي والمخيلة الجيوستراتيجية الإيرانية : مجالات التأثير وبناء النفوذ متوفر على الرابط التالي: <https://2u.pw/Mw7bp>

<sup>2</sup> - فرانسوا تويال ، الشيعة في العالم : صحوة المستعبدين وإستراتيجيتهم ، ترجمة : نسيب عون ، بيروت ، دار الفارابي ، ط1، 2007 ، ص ص 68-69.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

المصالح الوطنية، على اعتبار أن التغيير في خارطة تحالفاتها ونفوذها سيؤدي إلى تقويض مصالحها، وانكماش دورها، ويمكن أن تمتد حركات الاحتجاج إلى داخلها، مما يهدد نظام ولاية الفقيه برمته.<sup>1</sup> باختراقها الجماعات الشيعية، التي تحولت إلى كيانات مرتبطة بإيران، استطاعت الأخيرة أن تلتف على القومية العربية، وأن تحاول زعزعة الحكومات المحافظة في الشرق الأوسط، وأن تُجند مناضلين خُصًا للقيام بعمليات لا تستطيع دولة - أيا كانت - أن تعلن مسؤوليتها عنها.<sup>2</sup> وهذا يتيح لإيران تأثير استراتيجي غير مكلف عبر الفواعل ما دون الدولة، ويجعلها موجودة في كل جغرافيا الأزمان.

تعد المسألة الشيعية في دول الخليج العربي واحدة من تلك الوقائع المؤكدة على ضلوع الهويات الفرعية في رسم السياسات الإستراتيجية لدول المنطقة، ولأطراف الدولية المعنية بتفاعلات الدولة والمجتمع في الخليج. فمنذ الصعود الحديث للشيعية في إيران بعد انتصار الثورة، تحول الاهتمام بالجماعات الشيعية من مجال البحث التاريخي والعقائدي المقارن، إلى حيز مجال السياسات الهيكلية والأدوار التي يمكن للهويات الفرعية أن تمارسها، في ظل هيمنة هوية أخرى مختلفة محمية بنظام سياسي قائم يمتلك الكثير من القدرة والقوة، مثل الأنظمة الريعانية في الخليج.<sup>3</sup> وعليه، مثلت البنية السياسية والاجتماعية، والفشل في دمج المكونات الطائفية في مشروع الدولة الخليجية، وما خلفه هذا من ممارسات استبعادية انعكست على إدراك هذه الجماعات لانتمائها، فرصة لإيران من أجل التأثير عبر تفعيل الروابط الطائفية، التي استُخدمت للتمييز ضد هذه التشكيلات. واستطاعت تكوين جماعات سياسية وعنيفة مرتبطة بسياساتها.

من بين هذه التنظيمات، حزب الله الحجاز، الذي تعود نشأته -باعتباره تنظيمًا عسكريًا- إلى رغبة الحرس الثوري في إيجاد موطنٍ قدم في السعودية، خاصة بعد أحداث الحج عام 1987 (1407هـ) التي راح ضحيتها أكثر من 400 غالبيتهم حجاج إيرانيون، وتشكل الحزب من مجموعة من المنشقين عن منظمة الثورة الإسلامية التي رفضت العمل المسلح.<sup>4</sup> في الفترة التي تراجعت فيها أهمية الخطاب

1 - محمد المهدي شنين، السياسة الخارجية الإيرانية: التحولات الأيديولوجية والثوابت البراغماتية.. محاولة للفهم، مجال الواحات، جامعة غرداية، المجلد التاسع، العدد 2، ديسمبر 2016، ص 152.

2 - أوليفيه روا، مرجع سابق، ص 176.

3 - عباس المرشد، نماذج السياسات الخليجية تجاه الشيعة، متوفر على الرابط التالي: <https://gulfhhouse.org/posts/3692>

4 - بدر الإبراهيم و محمد الصادق، مرجع سابق، ص ص 161 ، 162.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

الأيديولوجي داخليا وخارجيا، بما يعنيه من سياسة تصدير الثورة، استمرت إيران في استخدام العامل الديني كقوة ناعمة لخلق بيئات حاضنة تتقبل وتؤيد طرحها ومشروعها في العالم العربي، وانعكس ذلك في شكل دعمها للشيعة في الخليج العربي<sup>1</sup>. وظهر ذلك جليا بعد الثورة الإيرانية، وفي ظل الحرب مع العراق ما أسبغ عليها من خطابات طائفية وقومية.

كان لانتهاج الحرب العراقية - الإيرانية ولتوجهات حكومة رفسنجاني أثرها على الحركات الشيعية في الخليج ولعل من أبرزها حركة الطلائع الرساليين التي خرجت من إيران، وبدأت في مسار التفكك ومراجعة منهج المعارضة بالسعي أكثر نحو البراغماتية<sup>2</sup>. نظرا لتوقف الدعم الإيراني، وما رافقه من سياسات حاولت الابتعاد عن ارتباطات الثورة إلى توجهات أكثر براغماتية، وأيضا بسبب فشل النهج الراديكالي لهذه التنظيمات في إحداث اختراقات تحسّن من وضع الشيعة، علاوة على رفض شرائح كبيرة من المجتمع الشيعي لهذه التوجهات وانعكاساتها.

العلاقات مع دول الخليج ارتبطت بتوجه الطرف المسيطر على السلطة، وحتى عندما يأتي إلى منصب رئيس الجمهورية من ينتمي إلى الاتجاه المعتدل، فإنه دائما ما يواجه أزمة في إدارة العلاقة مع دول الخليج وفق رؤيته واتجاهه، نظرا لنفوذ القوى الراديكالية ومحدودية صلاحياته. استندت رؤية الاتجاه المحافظ إلى الإيمان بالتفوق الطائفي والإقليمي، والتمسك بمطامح الهيمنة على المنطقة، خاصة منطقة الخليج، والدفاع عن الشيعة الذين يمثلون كتلة معتبرة من سكان الخليج<sup>3</sup>.

برزت قوة الجيوبوليتيك الشيعي بعد احتلال العراق عام 2003، وصمود حزب الله في 2006، وتصاعد الأحداث الداخلية البحرينية عام 2011، والانغماس العسكري في الأزمته العراقية والسورية. مما أثار مخاوف العديد من القوى العربية وعلى رأسها السعودية انطلاقاً من شواهد تاريخية وحديثة، فقد أظهرت إيران وعبر علاقاتها الإستراتيجية-المذهبية قدرة فعلية على فتح عدة جبهات إقليمية في آن واحد، فضلاً عن إعطاء نظامها السياسي فرصة التخلص من الضغوط الداخلية، عن طريق إعادة ترجمة وإنتاج هذه الضغوط على شكل إستراتيجية تدخلية تخدم مشروعها التوسعي في إطار المجال الحيوي

1 - نجلاء مكاوي وآخرون، الإستراتيجية الإيرانية في الخليج العربي، مركز صناعة الفكر للدراسات، بيروت، 2015، ص 100.

2 - بدر الإبراهيم ومحمد الصادق، مرجع سابق، ص 158.

3 - نجلاء مكاوي وآخرون، مرجع سابق، ص 69.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

الإيراني<sup>1</sup>. وعليه وقّرت الروابط الطائفية قدرة على خلق علاقات إستراتيجية تمكّن إيران من تنويع خياراتها في ظل البيئة الإقليمية المعادية والحصار الدولي، وهو ما يجعلها جزءا من الحل في عديد الأزمات، التي تتحكم بها عبر حلفاءها الطائفيين .

تُصنّف السلطة الكويتية إيران كمصدر تهديد خطير لاستقرارها، بسبب نفوذها المتصور على شيعة البلد، علاوة على قدراتها العسكرية المتنامية. كما تستشعر البحرين ذات التهديد، وإن بصورة أكبر، بسبب وجود الأغلبية الشيعية الساخطة على الأسرة الحاكمة. وما يرافق هذه العلاقة من توترات أمنية متصاعدة، وهو ما دفع البحرين لتعزيز علاقاتها الأمنية مع الولايات المتحدة عبر القواعد العسكرية على غرار باقي دول الخليج<sup>2</sup>. وجعل الإستراتيجية الأمنية للنظام البحريني مرتبطة أكثر بمتغيرات خارجية، خاصة منها الدعم السعودي لموازنة الدور الإيراني، وهو ما دلت عليه الأزمة الأخيرة في 2011.

إن الإدراك المتباين بين حكام دولة الإمارات حول دور إيران، انعكس على نهج الدولة في التعامل مع إيران. حيث تؤثر مسألة الاحتلال الإيراني للجزر الإماراتية على علاقات البلدين، باستثناء دبي، التي تحافظ على علاقات إيجابية مع إيران، بسبب الشبكات المالية والتجارية المشتركة، علاوة على الجالية الإيرانية الكبيرة والنافذة في الإمارة<sup>3</sup>.

تعتبر السعودية الملف الشيعي الداخلي جزءا من الملف الإقليمي، ولذلك تتوتر العلاقة مع الشيعة أو تتحسن تبعا لموقف الدولة من إيران تحديدا، فبعد أن كانت العلاقة مع إيران إيجابية وأسهم هذا في انفتاح الدولة على الشيعة، عادت العلاقات إلى التوتر مع التصادم السعودي-الإيراني في العراق ولبنان، والانزعاج السعودي من تزايد النفوذ الإيراني، وعليه صار الشيعة متهمون بالولاء لإيران، ويجب عليهم نفي هذا الاتهام باستمرار، وهو ما جعل الانفتاح يتراجع<sup>4</sup>. لا يمكن تحميل الدور الإيراني مسؤولية كل الإخفاقات في العلاقات مع الشيعة، فهي تجد موردها في متغيرات داخلية تاريخية ومجتمعية واقتصادية،

<sup>1</sup> - فراس الياس ، مرجع سابق.

<sup>2</sup> - Marissa Allison, US and Iranian strategic competition: Saudi Arabia and The Gulf states. Center for strategic and international studies, Washington, 2010, PP07-14.

<sup>3</sup> - ibid. p14.

<sup>4</sup> - بدر الابراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 257.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

أكثر من المتغيرات الخارجية، إلا أنه لا يمكن تجاوز التأثير الإيراني عبر المجموعات المرتبطة بالحرس الثوري، إضافة إلى التأثير السريع للوضع الطائفي بالأزمات الطائفية الإقليمية.

إن القول بأن أزمة الشيعة في المملكة - وربما الخليج عموماً - بدأت منذ انتصار الثورة في إيران خاطئ من زوايا عديدة، أولها أن المشكلة بين الشيعة والسلطة السياسية السعودية مثلاً ابتدأت منذ قيام السلطة، بسبب التمييز الطائفي. ومن جهة ثانية، فإن تحسّن العلاقات الإيرانية السعودية لم يغير واقع الحال، فيجب أن ينظر إلى المشكل في بعده المحلي<sup>1</sup>. لذلك فإن عدم التوجه نحو إصلاحات تستهدف تصفية الأزمة الطائفية من جذورها، ستوفر دائماً إمكانات توظيفية للظاهرة في الصراع الإقليمي مع المملكة .

إن الشكل / المذهبي الطائفي الذي تشكل منذ 1979 والمتزايد منذ 2003 يقوم على أسس سياسية قوامها تشتيت التحول الديمقراطي وعرقلة من جهة، وتنفيذاً استراتيجياً لمتطلبات الحرب الباردة بين أقطاب القوة في العالم العربي وهم إيران والسعودية والولايات المتحدة الأمريكية. وبالتالي فإن الصراع إن وجد فهو صراع جماعات سياسية تحتمي بالمذهبية وتوظف أنساقها الاجتماعية والمعرفية لتوسيع حصتها من السلطة والقوة، أو تمنع بها تمدد وتوسع الجماعات السياسية الأخرى<sup>2</sup>.

إن التهديد الذي تشكله إيران على المملكة، لا يتعلق بقدرتها على إثارة المعارضة بين شيعة السعودية - بالرغم من قدرتها على ذلك - لكن مكنم الخطر هو نفوذ إيران الجيوسياسي الممتد في الجوار السعودي، والذي يخل بميزان القوى، أكثر من كونه تهديداً للأمن الداخلي وهوية المملكة، التي ترى في الجهادية السلفية، وربما في الإخوان المسلمين التهديد الأكبر على الأمن<sup>3</sup>. فالسلطة السعودية تستفيد من الخطر الشيعي المتصور داخلياً وخارجياً من أجل مواجهة قضايا الإصلاح، وصيانة اللحمة "السنية" المتصورة ضد الآخر الطائفي. أما التهديد الحقيقي لشرعية السلطة فمصدره الجماعات غير الشيعية التي تملك التأثير الأكبر في المجتمع السعودي .

1- حمزة الحسن ، علاقة شيعة السعودية الخارجية مذهبياً وسياسياً ، مرجع سابق.

2- عباس المرشد ، الطائفية الجديدة والتحريك المذهبي في البحرين، مرجع سابق.

3 - Grogory Gause, Saudi Arabia and Sectarianism in middle east. In Sectarianism and international relations, Institute for middle east studies, New York , 2020, P15.



## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

إن الوجود الشيعي في بلد معين، لا يعني بالضرورة أن هناك احتمالية للتأثير الإيراني، فالهوية الشيعية رغم أهميتها، ليست المتغير الوحيد المحدد للنفوذ الإيراني، فلا يمكننا التحدث عن نفوذ إيراني في أذربيجان، حيث هناك أسبقية للهوية القومية على الهوية الطائفية. بينما التأثير الإيراني في سوريا ليس فقط بسبب الانتماء الطائفي للأقلية العلوية، بل له علاقة بالاعتبارات الجيوسياسية بين البلدين<sup>1</sup>.  
تمكنت إيران من تطويع الظاهرة الطائفية وتوظيفها لخلق روابط إستراتيجية ممتدة جغرافيا، أهلتها للتأثير في الأزمات الإقليمية العديدة. مستفيدة تفاعلات البنية السوسيو-سياسية، لذلك فمقومات هذا الدور الإيراني ليست فقط في المحدد الطائفي، بل ترجع إلى انعكاسات التوجهات السياسية التي تستثمر في عملية التطييف داخليا. إن سبيل مواجهة الدور الإيراني وتأثيره في الجماعات الشيعية يبدأ من السياسات الإدماجية، والإصلاح السياسي والاقتصادي.

### المطلب الثاني: الانبعاث الطائفي بعد احتلال العراق بين التوظيف الاستراتيجي والتداعيات الأمنية .

مثلت التداعيات المركبة والممتدة لاحتلال العراق أحد أكبر الدوافع لتصدر الأزمة الطائفية في المشرق العربي عموما، وفي الخليج خصوصا بحكم الجوار والمجتمع الشيعي الكبير والممتد، والخلافات الانقسامية داخل هذه الدول. ساهم هذا الاحتلال في تمكّن الشيعة من العملية السياسية بدعم أمريكي - إيراني، باعتبارهم حلفاء في إسقاط النظام السابق. وعليه تأسست العملية السياسية لتعبّر عن التركيبة الطائفية في شكل محاصصي، أصبحت الطائفية هي محركه، وعليه شهد العراق موجة عنف طائفي أدت لتغيرات ديمغرافية في بغداد ومحيطها.

ساهم احتلال العراق في اكتمال الطوق الاستراتيجي الشيعي المرتبط بإيران مرورا بالعراق فسوريا وصولا للبنان، وهو ما عبّر عنه بالهلال الشيعي، حيث تم التأسيس لشبكة نفوذ واسعة يرتبط فيها السياسي بالعسكري بالاقتصادي، وظهرت أهمية هذه التحالفات بعد الأزمة السورية، وأيضا مع أحداث الموصل، عبر التشكيلات العسكرية الكثيرة والمسلحة المرتبطة بإيران. استطاعت إيران عبر تفعيل

<sup>1</sup> - Cenap çakmak, The Arab Spring and The Shiit crescent: Does ongoing change serve Iranian interests? . The Review Of faith and international affairs, V 13 , N° 02, Summer 2015, P54.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

الروابط الطائفية وتوظيفها استغلال التحول في العراق، وإعادة تشكيله بما يجعله عمقا استراتيجيا لمصالحها.

سياسة الولايات المتحدة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، مهدت الطريق أمام تحول كبير في الظرف السياسي للشعبة، وموقعهم ضمن المعادلات القائمة في المنطقة والعالم. وزاد هذا التحول بعد اجتياح العراق. وهو ما فتح الباب أمام تحول رئيسي آخر في الثقافة الشيعية في العراق وخارجه، مما ساهم في صعود فهم للسياسة بعيدا عن الدوغمائية القديمة<sup>1</sup>.

تؤرخ لحظة سقوط بغداد لتأسيس نظام نيوباتريمونيالي، حيث كانت خطوط الولاء تتقاطع مع خطوط التقسيم الطائفي، استمرت الدولة في إعادة إنتاج البنى ما قبل الدولية، ولم يكن ممكنا احتكار طائفة/عصبية ما للسلطة، ولا سيما مع تضافر هذا الوضع بغياب العدالة التوزيعية للسلطة والثروة، ومن ثم الإحساس بالحرمان النسبي، أكان هذا الحرمان حقيقيا أو متصورا، إلا أن يسحب وراءه عصبيات طائفية أخرى جرى الحط من شأنها لاستعادة السيطرة على الدولة وإخضاعها لمصالحها<sup>2</sup>. تم التعامل مع الدولة باعتبارها غنيمة مستحقة بعد صراع اجتماعي، تم كسبه عبر تحالفات براغماتية. وعليه تم التأسيس لمنظومة تعبر عن هذه التوجهات، حيث كان لعلاقات ما قبل الدولة دورها المركزي في تحريكها.

أطلقت التجربة العراقية تفاعلا متسلسلا، وهذا التفاعل سيشتغل على نحو مغاير في لبنان والبحرين والمملكة العربية السعودية. لكن الحصيلة الإجمالية ستكون من دون أدنى شك قوة شيعية أكبر ومزيذا من الصلات الثقافية والعرى الدينية الظاهرة بجلاء على امتداد الهلال الممتد من لبنان إلى باكستان<sup>3</sup>. يتحدث فالي نصر عن العملية السياسية في بدايتها في 2003، دون التعرض لمستقبل التنافس الإيراني الأمريكي بعد تأسيس العملية السياسية في العراق، والذي يمكن أن يغير من حسابات المرجعيات، التي لم تدخل في مواجهة مع القوة الأمريكية، لكنها تتحالف مع إيران في حالة أي صراع.

1- توفيق السيف ، أن تكون شيعيا في السعودية، مرجع سابق ، ص 74.

2 - أشرف عثمان محمد الحسن ، مرجع سابق ، ص 218.

3 - ولي نصر، صحوة الشيعة: الصراعات داخل الإسلام وكيف سترسم مستقبل الشرق الأوسط، دار الكتاب العربي، بيروت 2007، ص169.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

يعتقد والي نصر Vali Nasr أن قرار احتلال العراق وإسقاط حكومة صدام حسين، ساهم في بعث نهوض شيعي، سيخلخل التوازن الطائفي -ليس في العراق وحسب- بل في الشرق الأوسط برمته.<sup>1</sup> إذ أصبح العراق بعد 2003 ذا إمكانية أن يكون دومينو شيعيا، بدلا من أن يكون دومينو ديمقراطيا في الشرق الأوسط. وأن تأثير وصول الشيعة إلى الحكم في العراق لم يقتصر على توازن القوى الطائفي هناك، وإنما شمل أرجاء المنطقة كلها.<sup>2</sup> وهو ما عبرت عنه المطالب الإصلاحية والعراض المطالبية التي ظهرت في الخليج العربي بفعل التأثير العراقي، واستجابت النظم لبعضه تكتيكيا .

هيأت سياسات الولايات المتحدة البيئة الإقليمية للانبعث الشيعي، من خلال تدخلها في أفغانستان ، ومن ثم تبنيها سياسة التوزيع الطائفي والعرقى للسلطة في العراق بعد 2003، وهو ما أدكى الطابع الطائفي في كل المنطقة، سواء في ما يتعلق بالتفاعلات الداخلية على مستوى كل دولة على حدة، أو في ما يتعلق بالتفاعلات الداخلية على مستوى علاقات الدول ببعضها. عبر تشكيل تحالفات في الشرق الأوسط وفق اعتبارات مذهبية<sup>3</sup>.

لقد أتاح انهيار النظام العراقي، إمكانية نسج روابط مختلفة بين القوى الشيعية في الشرق الأوسط، حيث أصبح المجال مفتوحا أمام الشيعة من لبنان حتى باكستان لزيارة العتبات الشيعية المقدسة في العراق، وهو ما أوجد شبكة من المساجد والحسينيات والمدارس ورجال الدين، الذين يربطون شيعة العراق بالشيعة في الدول الأخرى، بما فيها إيران<sup>4</sup>. وما ينجر عن هذا من تشكّل وعي شيعي طائفي مشترك بفعل الاحتكاك والتلاقح الذي ينجم عنه انتماء جماعي لهذه الكتلة الطائفية. ظهرت أهمية هذا المتغير في التشكيلات العسكرية العقديّة التي شاركت في الأزمة السورية من شيعة أفغانستان والهند وباكستان إضافة إلى إيران والعراق ولبنان، عبّرت عن شخصية شيعية عبر وطنية .

إن النزعة الانفصالية التي رافقت اجتياح العراق، فتحت باب الأزمات للكثير من الدول العربية، لاسيما تلك التي تخشى الحكم اللامركزي، حيث سترغب الكثير من المجموعات بالتفرد بمنطقة مستقلة،

<sup>1</sup>-Vali Nasr, When the Shiites Rise , the site : <https://cutt.us/zD8Un>

<sup>2</sup> - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 252.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص 258.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه ، ص 253.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

ومثال على ذلك شيعة المنطقة الشرقية في العربية السعودية، وكذلك توجد مجموعات في كل دولة في الشرق الأوسط مستعدة لإبراز قضية الاستقلال، وربما شجعتهم التغيرات التي حدثت في العراق.<sup>1</sup> الخيارات السياسية أمام دول الخليج ليست جيدة في كل الحالات، فإذا كان العراق ضعيفا، فإن خطر الحرب الأهلية وانتشار الإرهاب والحرب الطائفية والإثنية يتزايد. أما إذا كان قويا، فإن خطر نشوب حروب أو هيمنة إقليمية يتزايد أيضا، بفعل سعي العراق لاستعادة نفوذه.<sup>2</sup> وهذا ما أثبتته التجربة التاريخية قبل وبعد احتلال العراق. لكن دول المجلس فشلت في التأسيس لتوجه استراتيجي مشترك بإمكانه احتواء العراق ومنافسة النفوذ الإيراني، وهو ما جعلها المتأثر الأكبر سلبا بهذا التحول الاستراتيجي.

كان للغياب العربي في العراق دوره في تثبيت النفوذ الإيراني، فإيران ومنذ اللحظات الأولى للغزو عملت على دعم القوى الشيعية الصاعدة إلى الحكم، وهي قوى حليفة لإيران، وقد نسجت إيران علاقاتها مع هذه القوى منذ الحرب العراقية - الإيرانية. ومن المؤكد أن هذه الإستراتيجية الإيرانية المركبة ضاعفت من مخاوف الأنظمة العربية، لأنها أضحت شريكة للولايات المتحدة في النفوذ والتأثير في العراق، بدون أن تتحمل عبء الاحتلال وتواجد قواتها العسكرية.<sup>3</sup>

دخل التشيع في عملية إنتاج السلطة السياسية في العراق، وهذه نقلة تاريخية خطيرة ما كان لها أن تحدث لولا رعاية إيران لها، وهذه الإستراتيجية تمارس بشكل نشيط في الحوزة الجغرافية القريبة من إيران.<sup>4</sup> حيث استخدم التشيع للهندسة السياسية في العراق، وقد يستخدم كذلك في سوريا، مترافقا مع الهندسة الاجتماعية التي حدثت في العراق وسوريا عبر تفكيك التجمعات السنية من خلال التهجير القسري لإحداث تطهير طائفي، يمكن من تكوين مجتمع مترابط طائفيا مؤهل ليكون امتداد استراتيجي لإيران وحلفاءها دون تحديات.

1 - ديورا أموس، مرجع سابق، ص 97.

2 - Judith. S. yaphe, The united states and Iran in Iraq: Risks and Opportunities. In Iran's Foreign policy: From Khatami to Ahmadi Nejad, Ithaca press. UK. P50.

3 - محمد محفوظ، المسألة الإيرانية في العقل السياسي العربي، في العلاقات العربية الإيرانية في منطقة الخليج، منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة، 2015، ص 38.

4 - عبد الله النفيسي، مرجع سابق، ص 35.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

لم تستطع الحرب العراقية - الإيرانية في الثمانينات أن تحيي الصراع بين السنة والشيعة رغم الجهود المبذولة من جانب الطرفين. لكن النزاعات في العراق بعد الاحتلال تمكنت من ذلك، وهكذا يمكن القول أن الصراع الناشب بين السنة والشيعة حتى اليوم، والذي تتواجه فيه التنظيمات التي شكلتها إيران في البلاد العربية مع الموجة الثانية من موجات الجهادية السنية، هو من بين أهم تداعيات الاحتلال، وقد قسّم بلدانا ومجتمعات في المشرق العربي والخليج ولا تزال مآلاته غير واضحة المصائر والنهائيات<sup>1</sup>.

الدولة العربية الحديثة - ربما - لم تواجه ظاهرة التشيع بوصفها تحديا كبيرا مثلما حدث بعد سنة 2003، ومع أن الهاجس الطائفي لم يغادر الدول العربية عبر تاريخها. فإن الكم المطرد من التوترات الطائفية الذي حدث في المنطقة منذ تلك السنة يوحي بأن هذه الدول كانت تواجه المسألة الشيعية للمرة الأولى، وضمن مؤشرات التحول ما حدث في ديسمبر 2004، عندما أطلق الملك الأردني عبد الله بن الحسين تحذيره مما أسماه هلالا شيعيا<sup>2</sup>. بعدما استشعرت الأنظمة حجم التهديد، وامتداد الدور الإيراني عبر الروابط الطائفية ليشكل طوقا استراتيجيا بأدوات طائفية .

إذا كانت "المسألة الشيعية" قد طُرحت بقوة في المشهد العربي العام بعد 2003، فإنها كانت أكثر بروزا وتقيدا في منطقة الخليج، أولا لأن التحول الأكبر الذي حدث لصالح الشيعة في بلد خليجي هو العراق، وثانيا لأن الخليج يضم الكتلة البشرية الأكبر في المنطقة العربية والعالم، وثالثا لأن هناك دولة خليجية تتخذ من التشيع نظرية للسياسة والحكم هي إيران، التي سعت وتسعى إلى تصديرها إلى الخارج<sup>3</sup>.

حاجة دول الخليج للأمن باعتبارها دولا صغيرة، تحيط بها قوى إقليمية، تجعلها تلجأ لقوى دولية تاريخية كبريطانيا أو الولايات المتحدة، التي بشكل أو بآخر أمنت الاستقرار لفترات. إلا أن الخوف من التقلبات التي قد تأتي من التغيرات داخل السياق الأمريكي، وضعف بعض الدول العربية التي كانت تستمد منها قدرا من الأمان، يعقد الوضع الأمني الخليجي<sup>4</sup>. وهو ما دفع دول مجلس التعاون للدخول في اتفاقيات أمنية ثنائية مع قوى إقليمية ودولية، من أجل التأسيس لواقع أمني يحميها من تقلبات السياسة

1 - ديورا أموس، أفول أهل السنة: التهجير الطائفي وميليشيات الموت وحياة المنفى بعد الغزو الأمريكي للعراق، ترجمة: محمد فاضل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2014. ص 96.

2 - حيدر سعيد، المسألة الشيعية في المخيال السياسي العربي، مجلة آفاق المستقبل، الإمارات، العدد 8 نوفمبر/ ديسمبر 2010، ص 08.

3 - شحاتة محمد ناصر، سياسات النظم الحاكمة في البحرين والكويت والعربية السعودية في التعامل مع المطالب الشيعية (2003-2008) : دراسة مقارنة، مجلة المستقبل العربي، مرجع سابق، ص 33.

4 - برنامج محاور، مع الدكتور باقر النجار، لماذا تتعثر الحداثة في الخليج؟ مرجع سابق.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

الأمريكية، خاصة وأن هذه النظم أسست واقعها الأمني على متغيرات خارج الحدود، وهو واقع ينم عن أزمة.

تُجمع السعودية وإيران على محورية الهوية الإسلامية، مما أبرز الطائفة التي يمثلها كل طرف كتعبير ثقافي لتفسير تضارب مصالحهما. وقد احتد الصراع بين هذين الطرفين بعد أن اختل توازن القوى في المنطقة، عبر خلق فراغ سياسي في العراق<sup>1</sup>. كلا الدولتين توظف السردية الطائفية، وتستفيد من الحدود المجتمعية بين الكتل لتأكيد مجال نفوذها. فبعد تراجع القومية برزت الحاجة للطائفية أو رمزية تمثيل الإسلام، وهو ما تتنافس عليه السعودية وإيران، وتعتبر مناطق النفوذ وساحات صراعه عن هذا التنافس .

عملت مآلات التجربة العراقية وما انجر عنها من عنف طائفي وفشل سياسي على تقوية موقع السُّلط الخليجية، التي تراجعت عن مشاريع الإصلاح، بعدما دفعت لبعض الانفتاح بفعل السياق الإقليمي الضاغط، واستفادت من سياق الاستقطاب الطائفي لعرقلة فكرة الديمقراطية، داخليا على اعتبار أنها ستمكن الشيعة، وخارجيا على اعتبار أنها ستمكن الإسلاميين .

### المطلب الثالث: التطيف والانتفاضات العربية.. الاستراتيجيات المتضاربة .

مثل الربيع العربي وما خلفه من أزمات، التجلي الحقيقي لتشابك الداخل بالخارج في الأزمات العربية، وأوضح القدرة التوظيفية والتدميرية لصراعات الهوية، وإمكاناتها في الاستقطاب العبر قومي. فأصبح الصراع الطائفي في دول أخرى يؤثر على العلاقات الطائفية في الوحدات المجاورة، وأخذت المصالح حدود الطوائف، في ظل تصاعد الدور الإيراني والسعودي مع حملتهما الطائفية. بعد التعرض لاستجابة بعض النظم الخليجية لتحديات الربيع العربي من خلال سياسات التطيف لتجاوز مطالب الإصلاح، يسعى هذا المطلب لتتبع المتغير الطائفي في صراع الأدوار الإقليمية بعد الربيع العربي.

بقدر ما كانت الطائفية نتاج الانقسام الداخلي التاريخي، ولا سيما بين السلطة والمجتمع، كانت تتعمق بفعل العامل الخارجي - الإقليمي، لتظهر بشكلها الجديد كأداة للانقسام المجتمعي وتساوقا مع

1 - عمر هشام الشهابي وآخرون، مرجع سابق ، ص 57.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

الانقسام الإقليمي ومصالحة الأيديولوجية والقومية (السياسية والاقتصادية والمذهبية) ، بل أصبحت وسيلة احتراق إقليمية وليست داخلية فحسب.<sup>1</sup>

النزاعات الأهلية العربية على المستوى القطري، تبدأ في كثير من الأحيان، من التنازع الأهلي داخل القطر الواحد، حيث يتم الهرب منها إلى افتعال الصراع مع الأقطار المجاورة. فالأوطان التي لا تنعم بالسلم الأهلي في داخلها لا تستطيع أن تمارس السلم القومي مع الأشقاء أو السلم الإقليمي مع الجيران. ومن المحال تصور "وطن" في تنازعه مع ذاته يستطيع التعايش بسلام مع غيره.<sup>2</sup> بل سيصدر الأزمات، خاصة إذا كانت البنى السيسولوجية مترابطة، والواقع السياسي والاقتصادي مشابه. كما في الحالة البحرينية، التي أصبحت تحدياً أمنياً وسياسياً وحتى وجودياً للأسر الحاكمة في مجلس التعاون .

أدت الطبيعة المذهبية المتزايدة للحرب الأهلية في سورية، ودعم إيران للنظام، في ظهور نزعة مذهبية أكثر في السياسات السعودية الداخلية<sup>3</sup>. كذلك فعلت الأزمة البحرينية، خاصة في ظل دعم شيعي من إيران والعراق ولبنان واليمن للمحتجين، في مقابل دعم خليجي رسمي وعسكري للأسرة الحاكمة، نتج عنه تدخل مباشر بقوات على الأرض ساهمت في قمع الاحتجاجات، أضف إلى ذلك تداعيات الحالة اليمنية، وما انجر عنها من استقطاب طائفي.

يُمثل الانتماء الطائفي شكلاً من أشكال القوة الناعمة، حيث يرفع الطرف السعودي المصالح السنّية ضد الطرف الإيراني الراعي للشيعة، بحسب السرد الطائفي. لكن علينا الإشارة إلى أن القوة الناعمة لا تستدعي بالضرورة تغريض الثقافة لخدمة أهداف سياسية بشكل متعمد وواع، بل ربما لا يشارك صناع القرار في صياغة السردية الطائفية، إلا أنهم قد يستفيدون من وجودها، لأنها تقدم تبريرات ثقافية تحاكي واقع الناس من جهة، وتخدم مصالح الدولة من جهة أخرى<sup>4</sup>. تزداد الحاجة لسياسات الهوية في ظل نظم سلطوية قائمة على فكرة الانتماء العصبوي بين التشكيلات المجتمعية، ولا تتأس على فكرة المنافسة

1 - عبد الحسين شعبان ، الطائفية وأدلجة الهوية ، في عشر سنوات هزت العالم : عقد على احتلال العراق 2003-2013 ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة ، ط1، 2015، ص 99.

2 - محمد جابر الأنصاري ، مرجع سابق ، ص 40.

3 - بول آرتس و كالفولين رولانتس ، العربية السعودية : مملكة في مواجهة المخاطر (ترجمة : ابتسام الخضرا) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 2016 ، ص 125.

4 - عمر هشام الشهابي وآخرون، مرجع سابق ، ص 59.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

الديمقراطية، فمصالح السلطة والعائلة واستمرار وجودها يقتضي أحيانا توظيف الهوية الطائفية، في إطار السياسة الداخلية، القائمة على صراع العصب الهوياتية، وحتى خارجيا بأهداف داخلية.

إن انبعاث الطائفية في الخليج عائد جزئيا إلى تداعيات محلية متصلة بمجموعة حوادث إقليمية كبيرة، مثل الثورة الإيرانية والحرب الأهلية في العراق التي أعقبت الغزو الأمريكي في 2003، فضلا عن المنافسة السعودية - الإيرانية، لكنه رد فعل مختلف على الربيع العربي، يأخذ شكل تلاعب مقصود وخطر بالهويات الطائفية من جانب الأسر الحاكمة ضمنا لبقائها السياسي<sup>1</sup>. حيث أتاح لها هذا التلاعب شطر المجتمع الذي توحد مطالباً بمزيد من الإصلاح، كما مكّن الأسر الحاكمة من تجديد شرعيتها، ومن تطويع الظرف الإقليمي لقمع الحركات المعارضة.

تنتهج السعودية وإيران لعبة توازن القوى في المنطقة، وعليه تستخدمان الطائفية في هذا التنافس، إلا أن دوافعهما ليست نزاعات دينية تعود لقرون من الزمن، ولكن مجرد سباق على النفوذ الإقليمي. فلا يؤكد أي طرف منهما علنا أنه منخرط في معركة طائفية، ويلقى اللوم على الطرف الآخر في حدوث الانقسام الطائفي في السياسة الإقليمية<sup>2</sup>. الطائفية جواب قصير الأجل للربيع العربي في الخليج، لكن سيتعين على الدول الخليجية التوصل إلى أجوبة عن التحديات التي تلوح في الأفق بسبب انعدام التنوع الاقتصادي، وزيادة استهلاك الطاقة، وبطالة الشباب، والمطالبات بإصلاح سياسي في حقبة وفي منطقة تفقد فيها النظم القدرة على التحكم. في ظل حراك الشباب والقوة التعبوية للانترنت والهواتف الذكية<sup>3</sup>.

أثبتت التحولات الإقليمية المتتابة منذ احتلال العراق، قوة الترابط المجتمعي والاستراتيجي، وكيف أن التأثير والتداعيات لم تعد محصورة في حدود الدول المأزومة، بل تمتد بفعل الهجرات ووسائل التواصل، وأيضا بفعل البنية المتعددة والانقسامية للدول العربية ودول الخليج، في بيئة توظف هذه الانقسامات داخليا في صراعها مع المطالب الإصلاحية السياسية والاجتماعية، وخارجيا في حماية مصالح النفوذ والتنافس مع القوى الإقليمية على الهيمنة، ولكل هذه التوجهات الإستراتيجية أعباء خطيرة على الأمن المجتمعي والإقليمي، عبرت عنه الأزمة السورية والبحرينية .

<sup>1</sup>- توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص 47.

<sup>2</sup>- غريغوري غوس ، ما وراء الطائفية : الحرب الباردة الجديدة في الشرق الأوسط ، معهد بروكسز الدوحة ، قطر ، 2014، ص 6.

<sup>3</sup>- توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص 176.



## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

#### المبحث الثاني: الدولة الخليجية ومسارات الخروج من الأزمة الطائفية: الحلول الممكنة

##### ومآلاتها المستقبلية .

المآلات الخطيرة للظاهرة الطائفية تفرض البحث عن مسارات للخروج من الأزمة، إن تداعيات المسألة الطائفية ذات نهايات مفتوحة وغير متحكم بها تنعكس على الواقع لتصوغ مستقبل الجماعات والنظم والعلاقات بين المكونات الهويةية. الخروج من الأزمة الطائفية يقتضي إصلاحات جذرية تمس الفرد والمجتمع، ومؤسسات التنشئة، وهيئات الدولة، وعقيدتها، كما تصوغ الذاكرة الوطنية بصيغة إدماجية تستوعب الجميع، إن هذا المسار حتمية مجتمعية وأمنية لأن مستقبل الدولة وبقاء مكوناتها مرتبط بتسوية الأزمات التي تمثل التهديد .

ليست الطائفية سواء كانت شعورا عدائيا لطائفة تجاه أخرى، أو إستراتيجية موازية تستخدمها بعض فئات النخبة السياسية في التنافس على السلطة، أو سياسة منهجية تتبعها سلطة معينة في سبيل تأمين قاعدة اجتماعية أو إثنية أو مذهبية تعزز مواقعها الإستراتيجية، حتمية اجتماعية أو تاريخية لا ترد<sup>1</sup>. الطائفية مسألة اجتماع إخفاق مؤسسات الدولة والاندماج الاجتماعي في الحاضر مع رواسب من الماضي. وهذه واجهت مجتمعات وشعوب أخرى وكانت من محفزات ظهور أفكار التسامح في إطار الفكر الديني، والبحث عن الحلول في مؤسسات الدولة الوطنية وتطويرها<sup>2</sup>.

لا يبدو حل المسألة الطائفية مستحيلا، والقول بوجود حتمية تاريخية لتفشي الطائفية في مجتمعاتنا، هو محاولة تبريرية لفشل الدولة والنخب الفاعلة فيها في إنتاج هوية وطنية جامعة، بل تعمدها في كثير من الأحيان إيجاد المماحكات الطائفية من أجل دوام التحكم والسيطرة، فالعودة إلى الأصل السياسي للمشكل الطائفي، والحديث عن تكوين الدولة للأمة الوطنية التي تضع السلطة السياسية أمام مسؤولياتها التاريخية في معالجة المسألة الطائفية، ليست قضية مستحيلة، فتوفر إرادة سياسية في التحديث والتطوير وإنشاء كيان وطني يجمع مواطنيه يمكنه معالجة الكثير من رواسب الطائفية في مجتمعاتنا<sup>3</sup>.

1- برهان غليون ، الطائفية في الدولة والمجتمع ، مرجع سابق .

2- عزمي بشارة، طروحات حول المسألة الطائفية: إطار نظري، مرجع سابق ، ص 61.

3- بدر الإبراهيم ومحمد الصادق، مرجع سابق ، ص 54.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

لا يمكن محاربة الطائفية بطائفية أخرى ضدها، فالطائفية هي الطائفية، والمطلوب والمهم تطويقها قانونيا ومحاربتها اجتماعيا وثقافيا وسياسيا، وإعلاء شأن المواطنة والوطنية واحترام الحقوق وعدم التمييز<sup>1</sup>. إن مواجهة التحديات الطائفية بمزيد من سياسات الهوية، لا يعمل إلا على إعادة إنتاجها وبصورة أخطر كردة فعل على السياسات الطائفية.

أدركت النظم في دول ما بعد الكولونيالية، أنها أمام فسيغساء اجتماعية إثنية وقبلية وطائفية، خطيرة ومعقدة تلاعب بها المستعمر، وسعت هي بعده لإحكام السيطرة عليها وتوظيفها، عبر أدوات منها<sup>2</sup>:

- العنف والقمع: وهو ما جعل من التضامنيات العضوية ملجأ حتميا.
- الممارسات الريعية: عبر شراء السلم الاجتماعي، تشكيل شبكة زبائنية تدافع عن مصالح النظام.
- صناعة الأعيان: أو الوكلاء عن الكتل الاجتماعية، من أجل إحكام السيطرة عبر متعهدين محليين.

إن هذه الأدوات التقليدية لا تسعى للقطيعة مع الطائفية، فهي توجهات تكتيكية توظف الطوائف والمكونات الهوية، لكنها لا تعمل على إبطال النظام الطائفي، وعليه يبقى الخطر قائما، وتزداد قوة المكونات ودورها على حساب الدولة. وهذا ما أظهرته الأزمات الأمنية التي اجتاحت المشرق العربي.

الدولة المعاصرة، لا تملك أن تجابه معضلات الانقسام العسوي والنزاعات الأهلية دون أن تتدخل تدخلا حاسما: دستوريا، وقانونيا، وحتى أمنيا، لمنع استغلال الأحزاب للعصبية في العمل السياسي، وتجريم من يقدم على ذلك بسبب ما يحمله من مخاطر جدية على الاستقرار الاجتماعي والأمن المدني<sup>3</sup>.

- إن علاج المأزق الطائفي يقتضي العمل على ثلاثة مسارات<sup>4</sup>:
- مسار سياسي قانوني: يركز على الإصلاحات الضرورية في النظام الأساسي للحكم والقانون الوطني، بغية التأسيس لأرضية قوية للمعالجات اللاحقة.

1- عبد الحسين شعبان ، مرجع سابق ، ص 112.  
2- نوري إدريس ، الدولة - الأمة : الطائفية والفضاء العمومي في العالم العربي ، في المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2017 ، ص 557-560  
3- عبد الإله بلقزيز ، دور الدولة في مواجهة النزاعات الأهلية ، مرجع سابق ، ص 80.  
4- توفيق السيف ، أن تكون شيعيا في السعودية ، مرجع سابق ، ص 199.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

- مسار اقتصادي : يركز على العدالة في التنمية وتوزيع الفرص المتوفر على المستوى الوطني، من أجل تفكيك الترابط بين مشكلات المعيشة، وإشكالات الهوية .
- مسار ثقافي يعالج ذهنية الانفصال والانقطاع التي تسم شريحة كبيرة من أبناء المجتمع، وذلك بالتركيز على تعزيز التسامح والقبول بالآخر .
- إن مواجهة الطائفية، تستلزم انتهاج سياسات إصلاحية، تؤسس لمرحلة جديدة، تقطع مع الفكرة الطائفية. وذلك عبر سياسات لعل منها :<sup>1</sup>
- التشجيع على تشكيل مجتمع مدني فاعل، يمثل فضاء مشتركاً، ويعمل على قضايا جامعة .
- العمل على تجسيد سياسات الدمج الاقتصادي والاجتماعي للمناطق المعزولة والمنقطعة والمترابطة اقتصادياً. بما يخلق فضاءات مشتركة، ومستوى معيشي عادل .
- تطهير الإعلام من خطاب الكراهية الطائفي. والتأسيس لخطاب إعلامي يشجع الحوار والتعايش .
- تحييد المحفزات الأجنبية للصراع الطائفي داخليا، سواء بالتمويل أو الأفكار أو التجنيد.

### المطلب الأول : المسارات السياسية والتشريعية لمواجهة الطائفية .

الطائفية ظاهرة سياسية في حقيقتها، فهي عملية توظيف الانتماءات الطائفية لأغراض سياسية في سياق زمني معين، تتناسب معه هذه الانتماءات. وعليه فإن أي حل لمواجهة هذه الظاهرة يستلزم العمل على إبطال مفعولها السياسي. إن هذا المسار يواجه تحديات كبيرة في دول مجلس التعاون الخليجي، باعتبارها نظاما مشيخية، متأسسة على ولاءات تقليدية.

### 1/التشريعات والقوانين :

ليس في وسع الدولة في الوطن العربي أن تلعب أي دور سياسي إيجابي في حماية الوحدة الكيانية والوطنية من النزاعات الأهلية، إن هي ظلت على تماس مع البنى العصبوية. إن دورها يبدأ من تحرير ذاتها ككيان من أي شكل من أشكال التمثيل العصبوي، سواء ما تبدى في صورة قيام للدولة على

<sup>1</sup> - Jeffrey Martini, Dalia Dassa Kaye and others, Countering Sectarian and religious conflict in the middle east. Published by the RAND Corporation, Santa Monica, California .2019. p122-124.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

عصبية ما أو حلف عسبوي، أو في صورة استناد للسلطة إلى قاعدة أهلية عصبوية تكون احتياطا اجتماعيا لها. وهذا يعني أن وظيفة حل النزاعات الأهلية لدى الدولة تبدأ من تغيير قواعد تكوين هذه الدولة نفسها. وتحرير الدولة من التمثيل العسبوي ومن ثقل النزاعات الأهلية عليها<sup>1</sup>. بحيث تصبح الدولة محايدة أمام جميع مكوناتها، وليست نتاج واقع التغلب العسبوي على باقي المكونات. وقد طُرحت العديد من الخيارات لتطبيق هذه الفكرة، في مجتمعات فيها انتماءات فرعية قوية، لعل من بينها الفدرلة .

تخلّص بعض الأطاريح إلى أن العجز عن تدبير التنوع الديني والإثني والقبلي، ضمن تعاقد مجتمعي مدني من جهة، والحوول دون تقسيم عدد من الدول العربية إلى دويلات مصغرة من جهة أخرى، يقتضيان الفدرالية بوصفها أفضل حل، وأنه ينبغي التخلي بالتدريج عن وهم الدولة الموحدة المنسجمة، التي لا تحتوي على أي تنوع أو اختلاف في مكوناتها، ففي إمكان الفدرالية أن تقدم حلولاً فاعلة لاستيعاب الانقسامات الثقافية والطائفية والإثنية<sup>2</sup>. تعمل الفدرلة على إنشاء مؤسسات وسياسات تسمح في آن واحد بحكم ذاتي ينشئ شعورا بالانتماء إلى مجموعة هوياتية والاعتزاز بها، وبحكم مشترك يوجدُ تعلقاً بمجموعة من القيم والمبادئ والمؤسسات المشتركة. والبدل الواقعي للدولة المركزية القومية هو التشكيل المتدرج لدولة لا مركزية، تستطيع في إطارها جماعات عدة التعايش بسلام<sup>3</sup>.

كما تُطرح الإثنو-فدرالية كبديل آخر، ويمكن التمييز بينها وبين الفدرالية البسيطة، في أن الأولى تتخذ من القومية والأرض أساساً في بنائها لمؤسسات الدولة. يعرف هنري هيل Henry Hale الدولة الإثنو فدرالية بأنها "الدولة التي تكون فيها وحدة قائمة على أساس إقليم مخصص عن قصد لقومية معينة". يضيف كريستا ديويكس Christa Deiwiks بأن الدولة الإثنو-فدرالية تتشكل عندما تكون الحدود الإدارية فيها تتناسق مع حدود الجماعات الإثنية<sup>4</sup>.

إن هذه الأطروحة صعبة التحقق في بيئة منقسمة وبنية سياسية ومجتمعية تقليدية ومتداخلة، فمعايير الفرز عسيرة في ظل الثنائيات المتقاطعة التي تفكك بنية الدولة الخليجية. كما أن هذا النمط قد

1 - عبد الإله بلقزيز، دور الدولة في مواجهة النزاعات الأهلية، مرجع سابق ، ص 79.

2 - محمد سعدي، أزمة دولة المواطنة بعد الحراك العربي: الفدرالية حل أم مأسسة للطائفية، في المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في

الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2017، ص 641.

3 - نفس المرجع ، نفس الصفحة

4 - جلال مصطفى حسن ، الفدرالية الإثنية وعدم الاستقرار السياسي في العراق ، في المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2017، ص 665.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

يكون ذا جدوى في مراحل التأسيس من منطلق الوحدة التشاركية التي تحافظ على كيانية الجماعات، أما أن ينطلق من دولة مركزية ليحولها إلى فدرالية بناء على انتماءاتها الهوياتية، فهذا تكريس للطائفية أو القبلية وليس حلا لها، لأنه يؤكد مآلاتها وتداعياتها ولا يعالجها. إضافة إلى أن دول مجلس التعاون دول قليلة السكان، صغيرة المساحة في أغلبها، كما أن عوامل الوحدة أكبر من عوامل الانقسام .

قد تكون الفدرالية تجليا أنيقا لمشاريع التقسيم والتفكيك، وفق خطوط إثنية ودينية، تستجيب لإعادة ترتيب الأقاليم، وتغيير خريطة الدول القائمة. وعلى المستوى الجيو-سياسي، قد تكون الفدرلة تعبيراً عن استراتيجيات تدخلية خارجية، تسعى إلى تفكيك الدول والمجتمعات، خدمة لمصالح جيوسياسية، خاصة إذا كانت المنطقة غنية بالثروات الطاقوية. وهذا المشروع سيكون له تكلفة إنسانية كبيرة، وستولد منه جغرافيا سياسية خارج الضبط، بالنظر إلى قوة السيولة الطائفية عبر الوطنية، والدخول في حروب هوياتية مزمنة<sup>1</sup>. فتنشأ من ذلك دول فاشلة، تعقد الوضع الإقليمي وتصدر الأزمات لمحيطها المجاور.

تُطرح الديمقراطية التوافقية كحل للأزمة الطائفية، بحيث يفرض السياق التاريخي لبعض الدول التي عرفت انقسامات سياسية حادة ومستدامة بين فئات الشعب، اعتماد آليات دستورية تؤدي إلى تأمين تمثيل هذه الفئات في مؤسسات الدولة، مع منحها ضمانات قانونية كي تشعر أنها على الرغم من كونها أقلية عددية، لكن النظام الدستوري المعتمد سيحميها من أي تهديد جدي لمصالحها من قبل الأغلبية<sup>2</sup>. إن هذا النموذج هو تعبير ناعم عن نظام الكوطة والمحاصصة، وحيث أنه يحفظ التنوع فهو يؤكد الاختلاف.

ظهرت نماذج التوافقية عمليا في نهاية القرن التاسع عشر، ومع بداية القرن العشرين في بلدان أوروبية، بداية في هولندا وبلجيكا وسويسرا والنمسا، أي تحديدا في الدول المتعددة القوميات واللغات، سعياً لتحقيق الاستقرار في إطار سياسي لا يحصر نفسه في ديمقراطية الأغلبية التي تهمش الأقليات الإثنية. وعلى هذه التجارب صاغ مفكرون فكرة الديمقراطية التوافقية Consociational Democracy من أبرزهم غيرهارد ليمبروخ Gerhard Lehmbruch، وغابريال ألموند Gabriel Almond، وأرينت ليههارت Arend

<sup>3</sup>.Liphart

<sup>1</sup> - محمد سعدي، مرجع سابق ، ص ص 643-645.

<sup>2</sup> - وسام اللحام، تحرير الطائفية السياسية من نظام الزعماء: كلمات لتعريف لعبة ماكيافيلية قديمة، متوفر على الرابط التالي :

<https://www.legal-agenda.com/article.php?id=6873>

<sup>3</sup> - عزمي بشارة ، الطائفة ، الطائفية، الطوائف المتخيلة، مرجع سابق ، ص 346.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

إن تجارب الديمقراطية التوافقية الإثنية القائمة على المحاصصة في الساحة العربية، لم تحقق الاستقرار، ولم تخلق نظاماً سياسياً فاعلاً، فضلاً على أنها هددت الدولة الوطنية. فالتوافقية الطائفية أثبتت عدم قدرتها على تقديم حل لمشاكل التنوع الإثني في المجتمعات العربية المتعددة، بل إنها ساهمت في زيادة الحواجز النفسية بين الإثنيات المختلفة، وعززت مشاعر عدم الثقة المتبادلة بين أطرافها. والبدائل هو الديمقراطية التكاملية، التي تقوم على أسس عدة، أهمها: المواطنة والحياد الطائفي في صنع السياسات العامة، وإيجاد مؤسسات عابرة للطائفية والإثنية، وتشكيل نظام انتخابي يسمح بالتصويت السياسي وليس الطائفي.<sup>1</sup>

بدأت التوافقية بوصفها سياسة عملية أملت الضرورة وديناميات متناسبة مع الحاجة والتجربة التاريخية والثقافة، وذلك قبل أن تصبح نموذجاً نظرياً. يقاربه البعض وكأنها النموذج الأوحده الذي يفترض أن يطبق، على الرغم من أنه في هذه الحالة سبقت الممارسة النظرية تاريخياً، ومن ثم لم يجر تطبيق نموذج حصري أصلاً، فأنماطها المختلفة ارتبطت بالبنية الاجتماعية والسياسية والثقافة السياسية السائدة في أوساط الفاعلين السياسيين في كل دولة، وبعضها أنتج توافقيات، هي بمنزلة الكارتيلات بين نخب طائفية أو إثنية. وعليه ما زال النموذج الأعم لحل قضايا الصراع على السلطة على نحو عادل هو الدولة الديمقراطية القائمة على أساس المواطنة المتساوية وسيادة القانون، وقد يتضمن ذلك أشكالاً من الإدارات الذاتية والجهوية والثقافية.<sup>2</sup>

إن الديمقراطية التوافقية عبر المحاصصة، هي في الأصل - ومن حيث المبدأ - أداة لتحقيق العيش المشترك، من خلال مراعاة التوازنات الطائفية والإثنية، والحفاظ على حقوق الأقليات. لكن المشكلة أنها تحولت إلى آلية لتأجيل الصراعات، وترحيل القضايا الخلافية حفاظاً على الاستقرار الهش للعملية السياسية.<sup>3</sup> طرح المحاصصة كحل تحت شعار الاندماج الوطني في مؤسسات الدولة، هو خيار يعزز خطوط التماس الطائفية ولا يعالج الأزمة الطائفية، بل يناقض وجود هوية مشتركة لجماعة وطنية موحدة، ويؤكد التنازع بين جماعات مذهبية على النفوذ ضمن مؤسسات الدولة.<sup>4</sup>

1 - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص ص 47-48.

2 - عزمي بشارة ، الطائفة ، الطائفية، الطوائف المتخيلة، مرجع سابق ، ص 347.

3 - محمد سعدي، مرجع سابق ، ص 649.

4 - بدر الابراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص ص 18 ، 19.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

إن تجارب المحاصصة السياسية الطائفية في العالم العربي لم تعمل إلا على تثبيت الكيانات الطائفية على حساب الدولة، هذه الأخيرة التي أصبحت أضعف في مقابل المجتمع الطائفي، الذي تحول إلى دول داخل الدولة، فكل طائفة اقتصادها ومصالحها ونفوذها وقادتها. ومنه كان النظام المحاصصي في لبنان والعراق يعمل على تدوير الطائفية لا إلغائها .

لذلك فنظام المحاصصة والديمقراطية التوافقية، قد يؤسس لنظام الزعماء وهو النقيض الكامل لأي منطق قانوني ينسجم مع الدولة الحديثة. فنظام الزعماء يقوم على تفويض منطق المؤسسات، واستبدال الحماية التي يؤمنها القانون بحماية سلطوية يمنحها الزعيم لأتباعه، عبر انتهاج سياسة زبائنية، أي أن الفرد مرغم كي يحصل على حقوقه بالمرور عبر الزعيم، لا بل القمع والترهيب<sup>1</sup>. وهذا ما يطرحه النموذج اللبناني، الذي حول نظام المحاصصة الطائفية إلى إقطاع عائلي طائفي .

المنظومة التشريعية والقانونية، وكذلك الوعي بتجريم الفعل الطائفي والممارسات الدافعة له، ضعيفة في دول مجلس التعاون، ولا تستجيب لتحديات الحالة الطائفية، وما تفرضه من أخطار، وهذا يشير إلى عدم وجود توجه لتجاوز الحالة الطائفية<sup>2</sup>. إن أي إصلاح مستقبلي في بلدان مجلس التعاون، يتطلب البدء من مواد الدساتير لإيجاد صيغة فيها توحيد واضح للمواطنة في هذه البلدان. حيث أن المشاركة ما زالت شكلية وتخضع لسقوف مختلفة تضعها الأسر الحاكمة، مما يجعل غالبية شعوب هذه البلدان تعيش في ظل مواطنة منقوصة. هذه الحكومات غير شورية، بالمعنى الإلزامي للشورى، وهي ليست كذلك قبلية بمفهوم الندية والعدالة والتدافع بين القبائل، كما أنها حكومات ظلت تتعرض للرفض ومحاولة التغيير من قبل الشعوب، وإن بتفاوت<sup>3</sup>.

مقاربة الخروج من مأزق الطائفية وتداعياتها يجب أن تشمل إعادة تشكيل دستوري تؤسس لعلاقات مدنية، تجعل الدولة محايدة أمام الانتماءات الفرعية، وتحفظ للمواطنين حقوقهم باعتبارهم مواطنين لا رعايا لقبائل وطوائف ومناطق، وتجرم الفعل الطائفي قولا وممارسة، باعتباره تهديدا لأمن المجتمع وتثويرا

1 - وسام اللحام، تحرير الطائفية السياسية من نظام الزعماء: كلمات لتعريف لعبة ماكيافيلية قديمة، متوفر على الرابط التالي :

<https://www.legal-agenda.com/article.php?id=6873>

2 - مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور عبد الله باعبود ، باحث في شؤون الخليج والشرق الأوسط وأستاذ زائر بجامعة واسيدا، طوكيو ، اليابان، عبر مراسلات إلكترونية بتاريخ : 2020/10/13.

3 - يوسف خليفة اليوسفي، مرجع سابق ، ص 30.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

للصراعات البينية. إن هذا الحل رهين بنضال مجتمعي جامع متجاوز للانتماءات ومدرك للمآلات الخطيرة لتصادم المد الطائفي، إضافة إلى إرادة سياسية تعي حتمية التحول الدستوري والإصلاح السياسي، أو إمكانية الدخول في اقتتال اجتماعي وتدخل خارجي وأزمات مفتوحة.

#### 2/ تفعيل قيم المواطنة :

إن علاقات المواطنة هي النقيض المقابل لمنطق العلاقات الطائفية، القائمة على التمييز والاستبعاد، والحقوق المشروطة بالانتماء أو الحيز الاجتماعي. إن قيم المواطنة تؤسس لحق الجميع بناء على انتماءه للوطن، دون الاعتبار لانتماءاته الفرعية.

أولى خطوات الحكم الرشيد ومداخله هي العمل على إعادة الدولة إلى المجتمع، وإدماج مكوناته في الدولة، بإحداث تغيير مهم في الأسس التي وزعت، وتوزع، في إطارها حصص القوة في المجتمع، ليكون مدخلها نصر المواطنة، التي يكون لجميع رعايا الدولة في إطارها حقوق وواجبات متساوية، في النصوص، وفي الممارسة.<sup>1</sup>

إن توظيف السلطة للحساسيات الطائفية والقبلية والجهوية، لتقوية آليات أمنية. أضعفا تماسك المجتمع وشكلاً إيذاناً بإخفاق مشروع بناء الدولة الوطنية. وبعودة الاندماج العسبوي، وذلك بفعل تدني فرص المشاركة الحقيقية للجميع في صنع خيارات النظام السياسي، أو غيابها. وفي هذا السياق بدت الدولة الموحدة ظاهرياً في صورة أداة قهر مركزي للولاءات المحلية، في سبيل إدماج وطني شكلي فحسب، فهو لم يضمن الانجاز الاقتصادي، واحترام الحريات، وتحقيق العدالة الاجتماعية. وبقيت الولاءات المحلية على درجة من المقاومة، تخبو تارة، وتظهر مع وهن الدولة وهشاشتها<sup>2</sup>. لأن اختفاء الولاءات لم يكن بفعل اندماج تضامني في مؤسسات الدولة، بل كان انزواء هروبي من البطش السلطوي، وهو مظهر خادع كشفته أزمات الربيع العربي وما خلفته من انبعاث طائفي، حتى في نظم علمانية .

لا دواء للطائفية إلا بتأسيس الدولة والاجتماع السياسي على علاقات المواطنة، وما تستجره إلى جانب الولاء للوطن من حقوق مدنية وسياسية، تعيد تعريف الناس بما هم مواطنون متساوون، لا بما هم جمهور جماعات تعرف نفسها بهوياتها الصغرى الفرعية. لا تنتهي الطائفية إلا بتحلل العصبية الأهلية

<sup>1</sup> - باقر سلمان النجار ، الدولة العربية : بين إخفاقات البناء وتعطل الاندماج ، مرجع سابق ، ص ص 51-52.

<sup>2</sup> - محمد سعدي ، مرجع سابق ، ص 633-634.



## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

الصغرى، وتكوّن عصبية كبرى جامعة، هي عصبية الانتماء الوطني<sup>1</sup>. إن تحويل الانتماء بهذه الصورة ليس مسألة يسيرة ولا هي بالسرعة المرجوة، بل تحتاج إلى تراكم التجارب وترسيخ عمل المؤسسات والمجتمع المدني الجامع، وما يستتبع ذلك من ثقافة سياسية وتنشئة اجتماعية .

إن من يدعو إلى كوتا للطائفة يقبل بأن يكون مواطننا ذا احتياجات خاصة، من دون أن يرتقي إلى فكرة المواطنة الكاملة المبنية على التعاقد على منظومة حقوقية دستورية أضمن تساوي الفرص بين الجميع، وهي المواطنة التي تعفينا من إعطاء خصوصية سياسية أو قانونية لأي فئة، بالنظر إلى ما تتسبب به هذه الخصوصية من هدم منطق الدولة لصالح سيادة الهويات الفرعية، كما أن هذه المواطنة والهوية الوطنية الجامعة، لا تمسان بالخصوصيات الثقافية والدينية للفئات المختلفة، فليس المطلوب القضاء على الهويات الفرعية، بل استيعابها ضمن الهوية الجامعة ووفق قيم المواطنة<sup>2</sup>.

إن استمرار حالة المشاركة الشيعية في العملية السياسية الخليجية، وتطويرها نحو أفق حل المعضلة الطائفية في المنطقة، ينطلق أساساً من انتقال هذا الخيار من قاعدة الطائفية إلى قاعدة المواطنة، وهو ما لن يحدث إلا بتفعيل الإصلاحات السياسية الفوقية، والاتفات بشكل أكبر إلى المشاكل الاجتماعية والاقتصادية للتجمعات الشيعية، الأمر الذي سيفتح المجال أمام خريطة سياسية في الواقع الخليجي<sup>3</sup>.

إن القضايا التي يشتكي منها الشيعة في الغالب هي قضايا تشتكي منها شرائح واسعة من المواطنين، وعليه يصبح المطلوب تغييراً في الخطاب يتناسب مع هذه المسألة، فتكون المطالبة بحقوق المواطنين لا بحقوق الطائفة، ويكون الخروج من ضيق الهوية الطائفية والمحلية إلى سعة الانتماء الوطني، وتكون مشاركة فئات أخرى من المواطنين في المطالبة بالمشارك المشترك بالمواطنة وسيادة القانون، وهو الأمر الذي لا زالت التيارات الشيعية بعيدة عنه، رغم سعي بعضها لرفع شعارات الاندماج الوطني<sup>4</sup>.

إذا كانت دول الخليج معنية حقاً بولاء رعاياها الشيعة، فعليها قبولهم كمواطنين كاملين ومتساوين، إذ تعمل سياسة الوصم الجماعي والتمييز على تنفير العديد من شيعة الخليج، وتدفع مجموعات من نشطاء

1- عبد الإله بلقزيز و آخرون ، الطائفية والتسامح و العدالة الانتقالية من الفتنة إلى دولة القانون ، مرجع سابق ، ص 81.

2 - بدر الابراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 312.

3 - أكرم الفلي ، مرجع سابق ، ص 112.

4 - بدر الابراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 313.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

المعارضة للاستسلام للنفوذ الإيراني، والذي تقلص كثيرا منذ بداية التسعينات<sup>1</sup>. هذا التصنيف راجع إلى ضعف التجربة السياسية، وانعدام الفضاء الديمقراطي التنافسي على أسس مواطنة، فمنطق العملية السياسية المفروض هو منطق الانتماءات الأولية. كما أن الحركة الشيعية تعيش تحولات تنزع أكثر نحو البراغماتية يجب التأسيس عليها وسحبها من حيز النفوذ الإيراني .

إن التأسيس لمجتمع المواطنة في بيئة تقليدية تظهر فيها نوازع العصبوية وتفوق الأعراق وتفاضل الأنساب، عدى التمايزات الطائفية وما تستجره من خطاب تفوق أو تحقير للآخر، إضافة للتقسيمات الطبقيّة المتجذرة تاريخيا في العائلات التجارية، في ظل وجود نظم سلطوية سلالية ترفض فكرة مشاركة السلطة، كلها تحديات تجعل تجسيد المواطنة مسار صعب وبطيء .

### 3/المجتمع المدني المتجاوز للانتماءات الأولية:

يمكن اعتبار المجتمع المدني البوتقة التي تصهر الكتل المجتمعية، ليس بالفرض أو القهر وإلغاء التنوع، لكن بتراكم الاحتكاك والتجارب، وتشكل ثقافة مشتركة وتوجهات جامعة، إنه الفضاء الجامع والمساحة المشتركة التي تؤسس لمصالح متشابكة. وتتيح الفرصة لاختبار حقيقة تراث الكراهية والوصم الجماعي تجاه الآخر، عبر الاحتكاك به والتواصل معه في فضاء مشترك .

ليس المطلوب أن يتحرر المجتمع المدني من عصبياته أو تضامناته الطبيعية المتعددة، الدينية والمذهبية والإثنية، التي تعكس واقع الحال، خاصة في مجتمعات تقليدية أو خارجة حديثا من التقاليد. إنما أن تتحرر النخبة السياسية من هويتها الجزئية، لتتمكن من تجسيد مثال الوطنية، وأن تُحرر معها الدولة ومؤسساتها من احتمال ارتهاؤها للعصبية الخاصة، حتى تتحول لدولة أمة، أي دولة مواطنتها<sup>2</sup>. يقدم المجتمع المدني فرصة لتجاوز مكونات ما قبل الدولة، عبر إنشاء اتحادات تعاقدية لها فكرة تأسيسية لا تتعلق بالانتماء الطائفي ولا بأي انتماء فئوي آخر، كما أنها تتحرك وفق مصالح قوى جديدة -مهنية أو فكرية أو مطلبية عامة - بما يذيب الانتماءات الفئوية، ويجعل هذه القوى مساحة للالتقاء بين أبناء الطوائف والمناطق المختلفة، ويسهم في تغيير ثقافة المنخرطين فيها، وثقافة المجتمع وطبيعة

<sup>1</sup>-Toby Matthiesen, The Sectarian Gulf Vs Arab Spring , op. cit.

<sup>2</sup>- برهان غليون ، الطائفية في الدولة و المجتمع ، مرجع سابق.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

الحركة والصراع فيه<sup>1</sup>. إن مؤسسات المجتمع المدني واهتماماتها تحيّد الانتماءات الوطنية وتتجاوز الطائفية، نظراً لأنها تستهدف النضال لتحسين الوضع العام اجتماعياً ونقائياً واقتصادياً.

تنمية المجتمع المدني أمر بالغ الأهمية، يُمكن الحركات غير الطائفية من الانفتاح على الفضاء السياسي على المستوى المحلي، حيث يُمكن أن تمثل القضايا المتجاوزة للهويات الطائفية فضاء مشتركاً للتلاقي والتفاعل الإيجابي. مثل التنمية الاقتصادية، وإصلاح التعليم، والتحديات البيئية<sup>2</sup>. وعليه تكون خطوة أولى نحو مطالب أكبر، وإصلاحات أكثر جذرية، خاصة إذا أفلحت في تحقيق نتائج إيجابية في قضايا جامعة، لكنها أقل حساسية .

تكمن أهمية استحضار المجتمع المدني في مناقشة إشكالية الطائفية والمذهبية والقبلية، في كونه المفهوم المحوري لمناقشة إشكالية الديمقراطية وبناء دولة القانون، إذ أنه المُعبر عن حاجات المجتمع المتغيرة باستمرار. فمن العسير حل المشكلة الطائفية خارج حدود الدولة - الأمة المدمجة للجميع، والمجتمع المدني ركيزة ولبنة أساسية في هذا النموذج، عبر مجموع الديناميات التي يحررها<sup>3</sup>.

تفقد الولاءات الفرعية مشروعيتها مع التكوينات المدنية الاجتماعية الحديثة، حيث تفقد التنظيمات التقليدية دورها، وتتخلى عنها للدولة، أو المجتمع المدني، وهذا يعني أن الولاء للقبيلة والعشيرة والطائفة في ظل المجتمع المدني، يشكل حالة سافرة من التعصب الخالص، وتلك هي الحالة المدمرة للمجتمع ووحدته، والمهم في هذا السياق ألا يتحول الاعتزاز بالقبيلة إلى قبلية، والاعتزاز بالطائفة إلى طائفية<sup>4</sup>. في الدولة المدنية القائمة على مؤسسات محايدة ومجتمع مدني عابر للانتماءات وموحد حول أهداف تشمل الجميع، تتغير آليات عمل النظام الاجتماعي عما كانت عنه في العلاقات التقليدية، حيث لا يمكن للهوية أن توظف كآلية للتمييز .

تغلب الصفة التقليدية على مؤسسات المجتمع المدني في الدول التي تسمح بتأسيس هذا النوع من المنظمات في دول الخليج، وهي صيغة أصبحت غير مرغوبة لدى الأجيال الشابة، لأسباب عديدة بعضها يتصل بظروف تلك المؤسسات الذاتية، من حيث تقدّم سن المتحكمين في مفاصلها، وعدم

1 - بدر الابراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 326.

2 - Jeffrey Martini, Dalia Dassa Kaye and others. Op cit . p 123.

3 - نوري إدريس، مرجع سابق ، ص 573.

4 - علي أسعد و طفة ، مرجع سابق ، ص 160.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

تشجيعهم للشباب للانخراط في التجمع بشكل فاعل، أو لأسباب موضوعية تفرضها البيئة التشريعية والإجرائية التي تحكم تأسيس هذا النوع من المنظمات الأهلية<sup>1</sup>. إن عدم اقتران هيئات المجتمع المدني ببيئة تشريعية مدنية وبنية دستورية قائمة على الندية والحقوقية، لا يجعلها فاعلة، إذ ستحول كامتداد للولاءات التقليدية، وستكون مرتبطة بالسلطة من حيث الأهداف والتمويل، ويقتصر نشاطها على أمور بسيطة لا تُمكن من خلق كتلة تؤسس لعمل مواطني، كالنشاط النقابي والطلابي الحقيقي .

تتنوع طبيعة التنظيمات المدنية الحالية في دول الخليج، إلا أنها لم تصل إلى مرحلة تعتبر من المراحل المهمة في تطور كل مجتمع مدني، ألا وهي تشكيل الأحزاب السياسية، وإن تقدمت البحرين على بقية دول الخليج العربية في هذا الجانب، عندما أقرت إنشاء جمعيات نفع عام تحمل الطابع السياسي، إلا أنها لم تسم أحزاباً سياسية بمفهومها الواسع. حتى الكويت التي لها تجربة سياسية متميزة ورائدة في منطقة الخليج لم تصل إلى مرحلة إقرار الأحزاب السياسية المبنية على أسس تنظيمية متميزة<sup>2</sup>. في النموذج البحريني، فإن أي إقرار بنشاط جمعيات أو أحزاب سيجعل المجتمع يصطف مباشرة ويتشكل بناء على الحدود المجتمعية للهويات، لأن منطق عمل السياسة في البحرين وآلياتها، هي أدوات تقسيمية توظف الهوية، وعليه تصبح الهوية عملة السياسة ولغتها. كما أن الأطر القانونية والتشريعية المنظمة لعمل هذه الهيئات في الخليج تجعلها محدودة الصلاحيات والدور، فالبيئة السياسية غير مستعدة لتقديم تنازلات أو السماح بهيئات منافسة .

تتميز المجتمعات الخليجية بميل طبيعي نحو التجمعات السياسية القائمة على الانتماء النسبي. ويعزى ذلك، أولاً، إلى البيئة السياسية المحرومة عموماً من الإعلام المفتوح، أو الأحزاب، أو المجتمع المدني المستقل. كما يفضل النظام الريعي المنافسة الفردية على الفوائد الاقتصادية التي تمنحها الدولة. وهو ما يقلل من الحوافز التي تدفع إلى العمل السياسي المشترك بين المواطنين الذين لديهم مصالح مشتركة، في حين يكبح الواقع السياسي قدرة المواطنين من ذوي الميول المشتركة على التعرف على

1 - بدر النعيمي ، بديل البديل : فرص وتحديات المواطنة لدى المجتمع المدني غير التقليدي في دول الخليج العربية ، متوفر على الرابط

التالي : <https://cutt.us/dfYcU>

2 - أنور الرشيد، المجتمع المدني في دول الخليج العربية.. رؤية من الداخل، متوفر على الرابط التالي:

[https://araa.sa/index.php?view=article&id=1570:2014-07-13-09-17-57&Itemid=172&option=com\\_content](https://araa.sa/index.php?view=article&id=1570:2014-07-13-09-17-57&Itemid=172&option=com_content)

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

بعضهم البعض والتنسيق في ما بينهم على المستوى السياسي، حتى لو رغبوا في ذلك<sup>1</sup>. وهو ما سيؤخر تكوين ثقافة سياسية واجتماعية، تتلاقى فيها الأفكار وتوحد الأهداف نحو مشروع إصلاحى مشترك. ربما ساهمت وسائل التواصل في بعض جوانبها الإيجابية في تعويض هذه الفجوات، لكن تم الالتفاف عليها بإشاعة الخطاب الطائفي والعنصري والمناطقى، لتحول بذاتها لمساحة احتراب ومنابر كراهية.

جميع دول مجلس التعاون الخليجي تتميز بضيق سبل المشاركة الرسمية، إلى حدود متفاوتة. ومن هذا المنطلق أصبح للمجتمع المدني في دول الخليج أهمية كبرى كإطار بديل عن آليات المشاركة السياسية الرسمية، وقد يكون في الكثير من الأحيان الوسيلة الرئيسية أمام المواطنين للتأثير، وإن بشكلٍ محدود أحياناً، على الدولة والمجتمع<sup>2</sup>.

بدلاً من القيام بتدابير للتصدي لمحفزات الصراع، سعت معظم دول الخليج إلى تعزيز الانقسامات الطائفية والقبلية، خشية ظهور فئات متنوعة اجتماعياً تملك قواعد دعم واسعة وقادرة على ممارسة ضغط سياسي فعّال. فعلى الرغم من أن المجالس لا تمارس أي سلطة فعلية باستثناء الكويت، وإلى حدٍ أقلّ البحرين، فإن القواعد التي تحكم الانتخابات ونتائجها تتيح فهماً أعمق للطريقة التي تنظم الدول من خلالها عملية التنافس السياسي، بطريقة تؤدي إلى الحفاظ على الوضع الراهن. وفي جميع الأحوال، ساهمت هذه المؤسسات في تعميق المنافسة بين الجماعات، وإضفاء الطابع المؤسسي عليها خلف مشاركة شكلية في السياسة الديمقراطية الحديثة<sup>3</sup>. التجربة الانتخابية على ضعف تأثيرها ومحدوديتها تتم دون أحزاب ناشطة وبرامج عمل سياسية واجتماعية، وعليه تنتزع البرامج والأهداف عبر حيز الانتماء العشائري والقبلي والطائفي، لتعويض نشاطات الأحزاب والهيئات، ومنه تصبح العملية الانتخابية عملية تغلب عصبوي، وصراع لإثبات الوجود في الحيز الاجتماعي، فيعاد تدوير الطائفية.

رغم النص في أغلب دساتير دول الخليج العربي على أحقية تأسيس الجمعيات وحق التجمع، إلا أنها جميعها أحالت تنظيم هذا الحق إلى قانون قيد هذا الحق وأفرغه من محتواه. علماً أن سلطة إصدار التشريعات في أغلب دول الخليج -عدا الكويت- لا تتم من خلال مجالس نيابية منتخبة انتخاباً حرّاً

<sup>1</sup> - Justin Gengler, The Political Economy of Sectarianism in the Gulf, Carnegie Endowment for International Peace, Washington, 2016, P07.

<sup>2</sup> - بدر النعيمي، مرجع سابق.

<sup>3</sup> - Justin Gengler, op. cit , P07

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

ومباشراً، ولا يحق للمعنيين الطعن مباشرة في القوانين الصادرة عن السلطات التنفيذية أمام المحاكم في دستورية تلك القوانين التي تنقض حقاً كرسه الدستور<sup>1</sup>. إن أي تطور للمجتمع المدني في دول الخليج العربي، يحتاج إلى بيئة تشريعية مناسبة وقوانين تتسجم مع التطور الدولي، ونظام تعليمي وتربوي مناسب، وإعلام عقلاني لنشر الوعي القانوني والمهني، ومجتمع مدني يكون شريكاً ورفيقاً وراعداً، بجاهزية فكرية ومهنية وأداء ديمقراطي مستقل، بعيداً عن الواجهات الدينية أو الطائفية أو السياسية أو العقائدية لهذا الطرف أو ذاك<sup>2</sup>.

إن مثل هذا الهدف يحتاج في بدايته لإرادة سياسية تستشعر خطر الاستمرار في السلطوية والعبث بالهويات، لأن العراقيل السياسية هي العقبة الأكبر أمام أي تطور إيجابي نحو تجاوز الطائفية، وهذا ما تثبته التشريعات الوظيفية والهيئات التي تسمح بها هذه التشريعات، إذ تعمل على إعادة إنتاج السلطة وتعميق الانقسام، لكن بواجهة مدنية .

#### 4/الإصلاح السياسي وإرادة السعي نحو التحول الديمقراطي .

الطائفية ظاهرة سياسية بأدوات اجتماعية وهوياتية، هدفها سياسي ومآلاتها سياسية بالأساس، من أجل تثبيت واقع أو تغييره لصالح مكوّن معين، كما أن أي سبيل للخروج من الأزمة الطائفية لا يمكن أن يتم دون إرادة سياسية حقيقية، تُمكن من تجاوز العقبات الأمنية والسياسية والتشريعية والاقتصادية، لأن العديد من أدوات السياسة العامة تنتج الطائفية .

التمييز الطائفي هو عمل سياسي تقوم به الدولة، وهي نقطة البدء الصحيحة في أي خطة لمعالجة المشكلة. يجب أن يتحمل السياسيون مسؤولية المشكلة التي تسببوا فيها، ويجب أن يتحملوا عبء معالجتها. إلقاء اللوم على رجال الدين، أو على التقاليد، أو على أي مشجب آخر هو مجرد تبرير للتهرب من المسؤولية<sup>3</sup>. صانع القرار السياسي هو المشرع وهو المتحكم في التوجهات الاقتصادية، وهو أيضاً من يمارس التمييز. وعليه فالسعي الحقيقي نحو معالجة الطائفية يستلزم البدء من أعلى الهرم السياسي، وتأكيد هذا التوجه بالقوانين والتشريعات والممارسة السياسية .

1 - عمر الشهابي وآخرون، مرجع سابق ، ص 31.

2 - عبد الحسين شعبان، المجتمع المدني الخليجي.. أين البداية ؟ ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/1aHVR>

3- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 201.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

المجتمعات التي تنتوع تكويناتها الاجتماعية تقتضي ديمقراطيةً ناضجةً، يمكنها أن تُعنى بالتعدّد الثقافيّ، وما يقترن به من تنوّعات اجتماعية وفكرية. لكنّ الدولة الحديثة في الوطن العربيّ لم تعمل على استيعاب الانتماءات السابقة لها، أو أن تُكامل بينها عبر الانتقال الديمقراطيّ الحقيقي<sup>1</sup>. بل عملت على إدخالها في عملية مقصودة من الصراع الاجتماعيّ بأدوات الهوية. تغريض الهويات كان لتعطيل الإصلاح، وجعل الوضع الراهن واستمرار النظام مصلحة للجميع .

يلتقي ميل الأقليات لدعم دولة علمانية مع رغبة النخبة في إبعاد الجمهور من السياسة والسلطة، وهو لا يتناقض أبداً مع محافظتها على هويتها الدينية أو الأقوامية، ولكنه يظهر كضامن لها، بينما تشعر الأغلبية أنها فقدت فيه الكثير، هكذا تتهم الأغلبية الأقليات بالتحالف مع الخارج، أو مع السلطة العصرية المحلية بهدف خدمة مصالحها الخاصة<sup>2</sup>. كثيراً ما يلتقي توجه الأقليات بالتأسيس لدولة علمانية، مع إستراتيجية سياسية غرضها تحييد الأغلبية ، أي أن هذا التوجه مبعثه فكرة الغلبة بأدوات الدولة الحديثة، حتى وإن اقتضى هذا التوجه التحالف مع مكونات أجنبية. إن أي عملية سياسية لكي تتجح وتمكّن من التأسيس لدولة الجميع يجب أن تكون محل توافق مجتمعي ولو في المستوى الأدنى، لأنها بخلاف هذا تتحول إلى مصدر جديد للتنازع. وتظهر الهويات مع أول أزمة، وهذا ما أثبتته الأزمة السورية، إذ كشفت الصورة العصبوية العائلية والطائفية لنواة النظام، رغم التوجه العلماني القومي المعلن. لا يمكن البحث عن حل للنزاعات الطائفية في الدعوة إلى العلمانية التي تدعو للمساواة، أو في الدعوة الدينية التي تؤكد على التسامح.. إلخ، ولا في القوانين التي تحدد الحقوق والواجبات لجميع المواطنين، فالقضية ليست قضية دعوة، ولا قضية إيديولوجية شكلية، إنما القضية أساساً قضية سلطة، أي علاقة أفراد المجتمع ككل بالدولة التي تبلور علاقة كل واحد منهم بالآخر، وبقدر تحول الدولة إلى دولة عصبية دينية أو علمانية حديثة أو قديمة، تتكون عصبويات مقابلة، وتتحول إلى أشباه موازية، تبدأ كمركز للدعوة الأيديولوجية، لتصبح تنظيمًا، ولتسمي فيما بعد جيشًا ومؤسسة كاملة<sup>3</sup>.

1- عباس المرشد، البحرين: معضلة الوطنية وتفجير الإثنيات الطائفية، مرجع سابق.

2- برهان غليون، الطائفية ومشكلة الأقليات، مرجع سابق، ص 32.

3- برهان غليون، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة، مرجع سابق، ص 202.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

الذي يعالج هذه الانقسامات، هو وجود مشروع وطني جاد ومتعدد الأبعاد، يأخذ على عاتقه استيعاب كل الانقسامات في بوتقة وطنية واحدة دون افتئات على خصوصية هذه الانقسامات، وفي ذات الوقت، دون السماح لها أيضا بالانحباس والتفوق الفئوي والطائفي والقبلي<sup>1</sup>. إن من أهم مسارات معالجة الإشكالية بين الدولة والطائفة، هي إخراج العلاقة من المربع الأمني، والتعامل معها بوصفها مشكلة سياسية تتطلب مبادرات وآليات سياسية لمعالجة الوضع والمشكلة<sup>2</sup>. إن الإدراك الأمني للمكونات وممارسة الاستبعاد تجاهها هو الذي يخلق رهانات أمنية ويتيح إمكانية توظيفها.

الدعوة إلى الانفصال، مع ما تحمله من مخاطر التقسيم والاحتراب الأهلي، ومع ما تقدمه من نموذج لكيان سياسي، تُبنى على هوية مذهبية، وتُعزز الحالة الطائفية في العالم العربي وتعيد إنتاج المشكلة، التي يزعم دعاة الاتجاه الانفصالي أنه بسببها يضطرون إلى تبني خيار الانفصال، وهي مشكلة الهوية المذهبية للدولة والكيان السياسي<sup>3</sup>. فإذا استمرت العملية السياسية بذات المنطق بعد الانفصال فلن تعمل سوى على التأسيس لكيان فاشل وتهديدات مستدامة، فالنضال ضمن الوحدة الوطنية ونحو إصلاحات تدريجية وجذرية على أساس توافق مجتمعي هي أحسن السبل وأقلها تكلفة .

مشكلة الأقليات في الوطن العربي لا تُحل إلا من خلال حل مشكلة الأثريات، فما دامت هذه الأثريات محرومة من حقوقها ومُستغلة ومضطهدة، فمن باب أولى أن تكون الأقليات محرومة ومُستغلة ومضطهدة بمقدار أكبر. أما التوهم بإمكانية حل مشكلة الأقليات منفردة، من خلال اللامركزية أو الحكم الذاتي وما شابهها من شعارات أو حلول، فإنه يسقط في الاختبارات الحقيقية، كما حدث في أكثر من تجربة<sup>4</sup>.

إن فتح النظام السياسي على المشاركة المتوازنة، هو الباب الرئيس للمشاركة السياسية والمشاركة الاقتصادية، خاصة في النظم الريعية، حيث تهيمن عليه الدولة. فمن دون مشاركة سياسية لا وجود لمشاركة إدارية (في أجهزة الدولة المدنية والعسكرية)، ومن دون مشاركة إدارية لا وجود لمشاركة

1- محمد محفوظ ، مرجع سابق.

2- المرجع نفسه .

3- بدر الابراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 19.

4- عبد الرحمن منيف، القومية والهوية والثورة العربية، في الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2013، ص 73.



## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

اقتصادية، ومن دون مشاركة اقتصادية لا وجود لمشاركة ثقافية. وما دامت سياسة الهوية قائمة، فإن أي اختلال في المشاركة سيكتسب طابعاً طائفياً، يعيد الصراع إلى نقطة البداية.<sup>1</sup>

هناك اعتراف من السلطة والمجتمعات بوجود نوع من الطائفية، لكن هناك سعي لتجنب مواجهة هذه المسألة لأنها حساسة في بعض المجتمعات الخليجية، ولها تبعات. لذلك تسعى الحكومات لتجاهلها دون مواجهة، أو إرادة لتسوية الأزمة<sup>2</sup>. إن معالجة الأزمة الطائفية في الخليج يقتضي أولاً الاعتراف بوجودها، وعدم نكران واقع التمييز والتفرقة في توجهات النخب السياسية في السلطة وفي المعارضة. إن استمرار نموذج الدولة الخليجية باعتبارها دولة البعض وإدارتها بمنطق الغنيمة لن يعمل إلا على تكريس سياسات الهوية لدى الجميع، رغم أن دول الخليج تتفاوت في سياسات التمييز.

تستمد النظم في الخليج شرعيتها من التقاليد الوراثية، وسلطة الأب التي قد تكون عائقاً للتحول، ويعتمد النظام على الشرعية الدولية التي تحميه من التهديدات، حيث تعيق الأسر الحاكمة عمليات التحول الديمقراطي، لأن ذلك يضمن لها حصراً الامتيازات والنفوذ<sup>3</sup>. لذلك فاستمرار السلطة ليس مرتبطاً بعلاقتها مع المجتمع بل بترتيبات فرضتها الضرورة الإستراتيجية للسياسة الدولية، حيث تتحكم فيها مصادر الطاقة ومناطق النفوذ. هذا الوضع يجعل السُّلْط الخليجية في غنى عن الشرعية المحلية. لكن استمرار السلطة بهذا النمط مرتبط بالترتيبات الدولية واستمرار تدفق الطاقة وهو أمر غير مضمون، وخاضع لتحويلات حتمية .

التحول الديمقراطي والتوجهات الإصلاحية لا زالت صعبة، في ظل بروز توجه إقليمي لمواجهة أي انفتاح أو تجربة ديمقراطية، وهذا ترك انعكاسات على عدة مستويات أهمها على مستوى القاعدة الشعبية، التي خفضت من طموحاتها الانفتاحية والإصلاحية، بفعل المآلات السلبية التي خلفتها تجربة الانتفاضات

1 - فالج عبد الجبار، بناء الدولة-الأمة ومشكلة الانشطارات الدينية/المذهبية: من التسييس إلى العسكرة مقارنة سيولوجية- سياسية (العراق أنموذجاً) ، مرجع سابق، ص 620.

2 - مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور عبد الله باعبود ، باحث في شؤون الخليج والشرق الأوسط وأستاذ زائر بجامعة واسيدا، طوكيو ، اليابان، عبر مراسلات إلكترونية بتاريخ : 2020/10/13.

3 - سيف دويدار، الانتقال الديمقراطي في دول الخليج : الفرص والتحديات، متوفر على الرابط التالي :

<https://gulfhouse.org/posts/3737/>

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

العربية، كما أن السلطة تقوت أكثر، وراكمت من إمكاناتها الرقابية، وآلياتها في السيطرة والضبط الاجتماعي<sup>1</sup>.

الإشكالية التي تمر بها بعض أقطار الخليج العربي هو أن تأخير إحداث التغيير والإصلاح فيها، قد ضاعف من مشكلات المجتمع ومؤسسات الحكم، أكثر مما ساهم في حلها<sup>2</sup>. كما أن قادة الدولة ليسوا متفقيين على إستراتيجية محددة للتعامل مع المشكل الطائفي، أو طريقة معالجته. هذا الاختلاف يفتح الباب لأطراف سياسية في الدولة والمجتمع، تسعى لاستغلال الخلاف. وجود هذه التحديات يؤكد الحاجة إلى منظور جديد، في إطار إستراتيجية أوسع لإصلاح النظام السياسي ككل<sup>3</sup>. إن أي تأخر في هذا المسار سيعمل على زيادة الكلفة الأمنية والاقتصادية على المجتمع والدولة في الخليج. إن مسار الخروج في الأزمة الطائفية هو مسار سياسي في منطلقه، وهذا لا يعني استحالة وجود الطائفية، لكن يعني تحييد مخاطرها على مستوى الدولة والمجتمع.

### المطلب الثاني: المسارات الاجتماعية والاقتصادية

الطائفية كما هي ظاهرة سياسية فهي كذلك ظاهرة اجتماعية، تأخذ هذه الصفة من كونها نتاج لممارسات تتفاعل فيها مكونات اجتماعية هي الطوائف، إضافة إلى أن الطائفية كإدراك وذهنية هي عملية تنشئة في البيت والمدرسة والشارع، أي في الحواضن الاجتماعية، وتستهدف بهذه التنشئة تشكيلات اجتماعية مقابلة، حيث توظف الذاكرة وخطاب الكراهية والتفوق الاجتماعي، لتبرير الممارسات. إن أي إرادة حقيقية لمكافحة الظاهرة الطائفية تستلزم مواجهة هذه التحديات، والعمل على تحييدها، حتى يتحول المجتمع لفضاء للتلاحق الإيجابي وتكوين شبكات المصالح والروابط الاجتماعية، وليس مساحة لإنتاج الكراهية .

مسارات الخروج من توظيف الطائفية مازالت صعبة، وبعض ذلك راجع لفكرة تقاسم الغنيمة، نظرا لأن المجتمعات ليست منتجة، بل تقوم على اقتصاديات ريعية، وعليه فكل جماعة تحاول تضخيم

1 - مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور عبد الله باعبود ، باحث في شؤون الخليج والشرق الأوسط وأستاذ زائر بجامعة واسيدا، طوكيو ، اليابان، عبر مراسلات إلكترونية بتاريخ : 2020/10/13.

2 - برنامج محاور، مع الدكتور باقر النجار، لماذا تتعثر الحداثة في الخليج؟، مرجع سابق.

3- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 139.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

مكتسباتها بشتى السبل، ومن ضمنها الطائفية، إضافة للسياسات الخارجية المستفيدة من الاستقطاب الطائفي ضمن صراع الأدوار.<sup>1</sup>

كما أن الطائفية آلية للصراع على النفوذ الاقتصادي وحيز المصالح، فكما يكون الاقتصاد مساحة للتجميع والربط بين المكونات، فإنه يخلف ميراثا تنازعا حول المصالح، إضافة إلى أن الطائفية غالبا ما تُستخدم لتبرير الاستبعاد الاجتماعي، والتباين في المستوى المعيشي. وعليه فالمتغيرات الاقتصادية وانعكاساتها المجتمعية مقارنة فعالة في تحقيق الاندماج، وتحديد ميراث التنازع والكرهية الذي يصنع تصورات ثابتة عن الآخرين .

#### 1/التعايش كتنشئة اجتماعية .

الطائفية مؤشر على تراجع في قيم التعايش بين مكونات الدولة، فالتعايش هو نقيض القيم الطائفية التي تعمل على الاستبعاد والتميط، لأن التعايش يعني القبول بوجود الآخر دون أي سعي لقلوبته، وهذا ينسحب على حقوقه باعتباره جزءا من المجتمع والدولة .

مأزق الطائفية لا يتعلق بضعف قيم التسامح الإنساني، وإنما ببنية اجتماعية تقليدية متخلفة، مما أدى إلى الاعتقاد بأن المفاهيم والمقولات النظرية المستخدمة في فهم أو تحليل المجتمع، لا ينبغي أن تطبق هي نفسها أو لا يمكن أن تنطبق على المجتمع العربي، الذي ينفرد حسب هذه النظرة دون غيره بآليات تستدعي النظر إليه من خلال مفاهيم ومقولات مشتقة من تاريخه وبنيته، وأدت هذه الفكرة إلى العودة لنظريات ابن خلدون باعتبارها المنطلق لصياغة المفاهيم والمقولات لفهم وتحليل المجتمع، لذا أصبحت الطائفية سمة بنيوية تؤكد خصوصية المجتمع العربي.<sup>2</sup>

إن نظريات ابن خلدون تفسر الواقع كما هو من حيث آليات التدافع وتسييس الهوية وتغريضها للوصول للسلطة، ولا تبحث عن حل الخروج من الحالة العصبوية. هذه الأخيرة التي ارتبطت بالواقع العربي بفعل النظم السلطوية، وارتباطاتها الكولنيالية، وليس بسبب البنية الفسيفسائية للمجتمعات، التي تعتبر متجانسة مقارنة بكثير من الوحدات الدولية المستقرة.

1 - مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور عبد الله باعبود ، باحث في شؤون الخليج والشرق الأوسط وأستاذ زائر بجامعة واسيدا، طوكيو ، اليابان، عبر مراسلات إلكترونية بتاريخ : 2020/10/13.

2- سناء سليمان، مرجع سابق ، ص 62.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

إن العصبية الاجتماعية المغلقة تجد نموذجها في الدولة المغلقة، ولا تعيش إلا بتقليد هذا النموذج والوقوف ضده في الوقت ذاته، وإذا أمكن إيجاد حل لهذه المسألة لن يبقى للتمايز الثقافي أي خطر حقيقي لأنه يفقد كل وزنه السياسي، ولا يبقى منه إلا التنوع المثمر<sup>1</sup>. إن البديل للدولة المغلقة هي الدولة المنفتحة على الجميع، والتي تستوعب كل المكونات، وتكون محايدة تجاه هوياتها .

يؤدي الاحتكاك والتفاعل بين أفراد الطوائف في الفضاءات المشتركة، في عزل الفكرة الطائفية، عبر زيادة مستويات الثقة والتواصل الاجتماعي بين الأفراد، بحيث تتغير الصورة النمطية تجاه الآخر، وهو ما يولد عبر الزمن مناعة تجاه الطائفية. في المقابل فإن الفصل والانعزال الاجتماعي على أسس طائفية، وخلق تفاوتات اقتصادية يزيد من احتمالات الانقسام الطائفي والصراع<sup>2</sup>. ويمثل بيئة مناسبة لأسطورة الآخر وحصره في صورة نمطية موحدة ومعقدة باعتبارها حقيقة مطلقة.

يحمل الاندماج كمفهوم كثيراً من المعاني والمفاهيم التي تختلف باختلاف السياق الذي توظف فيه، لعل منها إدماج الجماعات المختلفة من الناحية الثقافية والاجتماعية، بقصد تأسيس هوية وطنية موحدة. كما يرمي إلى تجسير الفجوة بين الحاكم والمحكوم لأسباب ثقافية أو اجتماعية، لتحقيق قدر من الاتساق القيمي، يكون محوره العدالة والمساواة لضمان استمرارية النظام الاجتماعي<sup>3</sup>. حين نتحدث عن الاندماج الاجتماعي في السياق الطائفي، لا نتوهم أننا قادرون على تحقيق ما يسميه البعض بـ " نموذج البوتقة " ( Melting Pot ) الصاهر للأفكار بما يقرب الثقافات بعضها من بعض، بل يكفي تحقيق "نموذج الفسيفساء" الذي يتأسس على تحقيق التعايش والتكامل على قاعدة صلابة من التنوع والتعددية والخصوصية<sup>4</sup>. وقد حاولت بعض الدراسات تقديم مداخل لتحقيق الاندماج هي :<sup>5</sup>

- الاستيعاب Assimilation : ويقصد به القدرة على تحييد المميزات الثقافية أو الدينية كشرط للانضمام إلى المجال العام .

1 - برهان غليون ، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة، مرجع سابق ، ص 204.

2 - Jeffrey Martini, Dalia Dassa Kaye and others. Op cit . p121.

3 - باقر سلمان النجار ، الدولة العربية : بين إخفاقات البناء وتعطل الاندماج ، مرجع سابق ، ص 58.

4 - عبد الله البريدي ، مرجع سابق ، ص 25.

5 - باقر سلمان النجار ، مرجع سابق ، ص ص 58-59.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

- التشریط الإثني Ethnic Hyphenation : فيقصد به احترام الخصوصيات الثقافية، من أجل الوصول إلى هوية جماعية مشتركة، في عملية تعرف بالتهجين الإثني .
- التعددية الثقافية Multi-culture : عبر اعتمادها كوسيلة للحفاظ على التعددية في إطار من الوحدة.

نجاح إستراتيجية الاندماج الوطني، رهن بقدرتها على كسر جدار العزلة، الناتج عن تحول الاختلافات الثقافية الاجتماعية، إلى مبررات للتمايز والتمييز، أي إعادة الهويات الفرعية إلى مكانها الطبيعي كعنصر تنوع، بعدما تحولت إلى خط حدود بين الأطياف الاجتماعية<sup>1</sup>. وهذا بعزل قدرتها على تقرير الحقوق والامتيازات، أو اعتمادها للعزل والتمييز، ومنه تنتفي الحاجة لدورها.

من الصعب بناء دولة من دون توفير التجانس بين المكونات الاجتماعية المختلفة. وهذا يتطلب تطوير أطر مهنية وسياسية تتجاوز الولاءات الطائفية الضيقة. عبر البحث عن الأساليب التي تساهم بشكل مباشر في الاندماج الاجتماعي والسياسي، من خلال إنشاء بوتقة مناسبة تجمع بين الولاءات الجزئية والقبلية والطائفية الأقل، وبالتالي الدفع نحو خلق التوازن الحقيقي بين الولاء المجتمعي العام اللازم لدولة حديثة من جانب واحد، ومن جهة أخرى الولاءات الأقل<sup>2</sup>.

إن هذا المقصد يحتاج لنضال ممتد وهادئ وتراكمي، لا يستعجل المراحل حتى لا تدخل المكونات في ردة فعل، فقيم المشاركة السياسية والمواطنة والعدالة الاجتماعية تواجه ممانعات في تبني هذه القيم، لأنها تستهدف المستودع التقليدي الموزع للقوة داخل المجتمع، وهي قوى تُعارض أي تغيير مهم في المجتمع الخليجي<sup>3</sup>. فالانتماءات أصيلة ومتجذرة ولها دور اجتماعي واقتصادي وحتى سياسي، وبالتالي تصبح هذه المكونات أمام منافسة جديدة حول السيطرة الاجتماعية.

إن قدرا من التنازل المتبادل والطوعي عن القوة بين الجماعات، أي أن يتخلى الأفراد/ الجماعات طوعا عن انتماءاتهم الجانبية، مقابل الانتماء الوطني، الذي يشمل كل أعضاء المجتمع بتلاوينهم المختلفة، يمثل الخطوة الأولى في تأسيس ثقافة المواطنة، وهي ولكونها مسألة مرتبطة بعلاقات القوة في

<sup>1</sup>- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 199.

<sup>2</sup> - Yagoub Yousif Al-Kandari and Ibrahim Naji Al-Hadben,op. cit. P281.

<sup>3</sup> - برنامج محاور مع باقر النجار ، لماذا تتعثر الحداثة في الخليج ؟ مرجع سابق.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

المجتمع، فإن قدرا من ذلك قد لا يكون ممكنا إلا بتحديد المتغيرات الأخرى المعيقة، أي أن تنازل الجماعات ذات الفائض في المنافع والمكاسب، للأخرى المحدودة، قد يمثل الخطوة الجوهرية لتأسيس مجتمع المواطنة<sup>1</sup>. لا توجد هناك محاولات جادة لتجاوز الحالة الطائفية، لكن السبيل الوحيد والأمن للانعقاد من هذا الواقع هو بالتعلم والتنشئة، وصناعة وعي مواطني، والأهم توجه القيادات الحاكمة نحو سياسات إدماجية<sup>2</sup>.

على المكونات الشيعية العمل ضمن الإطار الوطني، والابتعاد عن طرح المطالب الفئوية أو المذهبية الخاصة مهما يكن الإحساس بالتمييز والاضطهاد، لأن طرح المطالب المذهبية الخاصة والتحريك من المنطلق الطائفي، يؤديان إلى إثارة حفيظة السنة أو بعضهم من ناحية، ويساعد السلطة على وضع الشيعة في مواجهة السنة من ناحية أخرى، في حين يؤدي الانخراط ضمن الإطار الوطني المطلي العام إلى تقوية الجبهة المطالبة بالإصلاح، وعدم قدرة السلطة على اللعب على الخلافات المذهبية للهروب من استحقاقات التغيير<sup>3</sup>. إن تحييد الانتماءات خلال النضال المطلي لا يعني طمسها أو فرض التنازل عليها فهذا صعب تحقيقه، بل هو تقويت لإمكانية توظيف الهويات وتسييسها، واستغلالها في العملية السياسية، وعليه تصبح الاحتجاجات إصلاحية اجتماعية مدنية.

### 2/ المقاربة الاقتصادية للاستيعاب الاجتماعي :

الشعور بالاستبعاد والتمييز غالبا ما يكون مبعثه اقتصادي، يجد مورده في تباين المستوى المعيشي والتفاوت بين المناطق، وانعدام التكافؤ في الفرص التي تحدها الهوية الاجتماعية، وعليه تصبح المتغيرات الاقتصادية دافعا نحو الانكفاء للحيز الطائفي أو القبلي أو المناطقي، ومحركا للشخصية الفئوية لتتحول المطالب الاجتماعية-الاقتصادية لتعبير عن غبن الهوية ومظلوميتها.

1 - باقر النجار ، الفئات والجماعات: صراع الهوية والمواطنة في الخليج العربي، في الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر ، مرجع سابق ، ص 317.

2 - مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور عبد الله باعبود ، باحث في شؤون الخليج والشرق الأوسط وأستاذ زائر بجامعة واسيدا، طوكيو ، اليابان، عبر مراسلات إلكترونية بتاريخ : 2020/10/13.

3- شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 50.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

في مواجهة الاستبعاد برزت سياسات الاندماج أو التضمين. لذا فإن سياسات الإدماج الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، قد تنزع نحو تحقيق قدر من التوازن في علاقات القوة بين المكونات الاجتماعية المختلفة، وهي مداخل مهمة في تحقيق الاندماج للجماعات الأقل حظا في مركب القوة القائم<sup>1</sup>.

إذ يساهم التوسع الاقتصادي والثقافي للنظام الاجتماعي في تطوير حركة الاستيعاب والاندماج القومي، بما يخلفه من فرص التقرب من نموذج حياة واحدة لدى مختلف الجماعات، التي تفقد تدريجيا لهذا السبب تاريخيتها الخاصة، وتضاماناتها الذاتية، وتتحو إلى الانحلال في الجماعات الجديدة، التي تنشأ إثر إعادة تقسيم المجتمع تقسيما أفقيا<sup>2</sup>. تنوب فيه الانتماءات الهوياتية المعقدة لتقسيمات أكثر بساطة، قائمة على تدافع الطبقات، وتوحد نمط الحياة يوحد الأهداف والوعي الجماعي .

إن ترافق التطور الاقتصادي مع توسيع القاعدة الاجتماعية للنظام السياسي، والتحرك باتجاه الديمقراطية يؤدي إلى تغيير جوهري في وضع الأقليات وعلاقتها بالدولة والمجتمع الوطني. كما يساعد في فك الارتباط بين التوترات ذات المنشأ الاقتصادي وتلك المتعلقة بالهوية، سيما تقليص الآثار السلبية للتفاوت الاقتصادي على الموقف السياسي للأقليات<sup>3</sup>. فتكافؤ الفرص رهين بفكرة المواطنة وحيادية الدولة ومؤسساتها، وتعبيرها عن حاجات الجميع الأساسية، إن التفاوت ممارسة استبعادية تجعل الجماعات تبحث حول علته، وغالبا ما تجدها في التباينات الهوياتية والمناطقية. ويسود هذا المنطق في البيئة التي توظف الدولة ومؤسساتها وثرواتها باعتبارها غنيمة صراع اجتماعي .

لبرلة الاقتصاد، التي لا ترافقها عملية إعادة توزيع السلطة في المجتمع، ومؤسسات سياسية قادرة على إحداث توازن في السلطة، وقضاء مستقل يحمي الفئات الضعيفة من تداعيات اللبرلة. ستكون عاملا حاسما في أن تجعل عملية الصراع على البقاء عسيرة بالنسبة للفئات الهشة في المجتمع. وفي هذا المناخ المتأزم اقتصاديا، والمغلق سياسيا، يجد الخطاب الأصولي والطائفي صدى واسعا لتجنيد الجماعات ضد الآخر<sup>4</sup>. معالجة النزاع الطائفي يجب أن تركز على العوامل الجوهرية التي تقف وراءه، أي غياب العدالة

1 - باقر سلمان النجار ، الدولة العربية : بين إخفاقات البناء وتعطل الاندماج ، مرجع سابق ، ص ص 57-58.

2 - برهان غليون ن نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة ، مرجع سابق ، ص 34.

3- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 207.

4 - نوري إدريس ، مرجع سابق ، ص 577.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

الاجتماعية، وهذا يشير إلى حقيقة أن الدولة هي المسؤول الأول عن المشكلة، لأنها الجهة الوحيدة القادرة على وضع وتنفيذ السياسات والاستراتيجيات، التي ترسي العدالة الاجتماعية، أو العكس.<sup>1</sup> تجاوز الطائفية تُسهم فيه عوامل عدة، لعل منها إعادة نشر المنافع الخاصة المتضخمة في الجماعة الصغيرة أو تلك الأصغر، لتشمل الجماعة الوطنية الأوسع، لتتأكد من خلالها الهوية الوطنية الأكبر، وهي هوية يتم في إطارها لم وإدماج كل فئات المجتمع المختلفة في أطر جامعة مانعة للتناحر، مؤكدة وفاعلة بمبدأ الحقوق المتساوية، ومن ثم تكون المساواة في المنافع والثروة. وهذا سبيل يجعل المجتمع يتجاوز تناحر القوة بين فئاته، كما يحصن الجبهة الداخلية من التدخلات الخارجية، التي تستهدف النسيج الاجتماعي.<sup>2</sup> لا يخفى تراجع الأزمة الطائفية في دول مجلس التعاون التي تعرف مستويات عيش مرتفعة، أو حرية إقتصادية، مثل قطر والإمارات والكويت، إذ يغيب التمييز الاقتصادي على أسس طائفية، وهذا يخلق فضاءات تفاعلية مشتركة تدمج الهوية الوطنية، لأن الثروة تطل الجميع .

### المطلب الثالث : المسارت الدينية والثقافية لمواجهة المسألة الطائفية.

إن منشأ الطوائف والجماعات والفرق يعود لاختلافهم حول السردية الدينية، وعليه كان الدين دائما حجة للممارسات الطائفية ضد الآخرين، باعتبارهم ضلّال، وباعتبار الجماعة تملك الحق المطلق. قد يكون الخلاف الديني هو سبب الصراع، لكن غالبا ما يكون مبرر الصراع ليغطي على التنافس الاجتماعي والأهداف السياسية. إن تطويع النص الديني وتغريضه للأهداف السياسية، يُشيع خطاب الكراهية والانقسامية، ويبرر ثقافة التعالي والتفوق على الآخرين، ويشرع الاعتداء عليهم. إن الحل لمواجهة التحديات الطائفية يجب أن يشمل إشاعة قيم التسامح الديني، وتفعيل أخلاق التشاركية، وفهم مقاصد الشريعة التي تتأسس على حفظ مقومات الكرامة الإنسانية، بغض النظر عن الانتماءات .

### 1/ الوسطية في مواجهة التطرف وخطاب الكراهية .

يُثبت تاريخ المشرق العربي أن التدين السياسي، بغض النظر عن نشوئه، إذا وقع في مجتمعات متعددة الطوائف وتعاني أصلا عدم استقرار في هويتها الوطنية أو القومية، فإنه يؤول بالضرورة إلى

<sup>1</sup>- توفيق السيف ، مرجع سابق ، ص 198.

<sup>2</sup> - باقر النجار ، الفئات والجماعات: صراع الهوية والمواطنة في الخليج العربي، مرجع سابق ، ص331.



## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

طائفية سياسية، حاملا معه فكره السياسي الديني، أكان سلفيا أم أصوليا أم إصلاحيا، ويستخدم الطائفية في التحشيد خلفه، وتزداد خطورة هذا التوظيف لفكرة الدينية إذا اقترنت بتراجع الدولة الوطنية وضعفها، خاصة في زمن الثورات والمراحل الانتقالية<sup>1</sup>.

يقارب هذا الطرح المسألة الدينية والحضور السياسي للدين وكأنه مسألة طارئة في العالم العربي، رسخته الحركات الإسلامية. لكن الواقع أن التدين السياسي والخطاب الديني كان قرين الدولة منذ بدايات الإسلام، بغض النظر عن كونها معبرة عن قيم الإسلام، أم مطوّعة اجتهادات الفقهاء لأغراض السلطة والحكم. لا يجب التعامل مع الظاهرة الإسلامية ومكوناتها بمنطق الإقصاء، أو باعتبارها المصدر الأساسي لعملية التطييف، التي تجد روافدها في متغيرات عديدة غير دينية، بل يجب العمل على استثمار القيم الدينية التي تُمكن من التأسيس لهوية جماعية مشتركة، وتحفز على التعايش.

يذهب الباحثون الغربيون عموما إلى التركيز على غياب البنية القومية، علاوة على خصوصية الإسلام والعقيدة الإسلامية في معالجتها لثنائية الزمني والروحي، ومن ثم لمسألة الأقليات وأهل الذمة، وتسمح لهم هذه النظرة بالتوصل من المسؤولية في حدوث التوترات الطائفية، وتحميلها للبنية الاجتماعية، من خلال تأكيدهم على الطابع الانقسامي للمجتمع العربي<sup>2</sup>. وكأنه معطى مسبق غير قابل للتغيير، وكأن المجتمعات الديمقراطية في العالم هي كتل متجانسة، أو لا تعرف أزمات انقسامية وتطرف ديني.

الواقع أن لا انتماءً معيناً يسمو بشكل مطلق على الآخر. فحيث يشعر الفرد/ الأفراد بأن إيمانهم مهدد، فإن الانتماء الديني يختصر كل هويتهم، أي أن الانتماء الديني في هذه الحالة يأخذ التعبير عن الهوية، وعندما يشعر الفرد بأن وجوده المذهبي مستهدف، فإن الانتماء المذهبي يبدأ يشكل بالكامل تعبير الهوية لديه. أما إذا كانت اللغة أو القومية هي المستهدفة، فإن التعبير هنا يأخذ منحى إثنيا مقابل الآخر الإثني<sup>3</sup>. إن استهداف الأفراد في هوياتهم أيا كانت سيدفعهم للانكفاء حولها وتقديسها، والعمل على حمايتها. لذلك فالحل ليس في طمس الهويات بل في حمايتها عبر نموذج الدولة الجامعة.

1 - عزمي بشارة، طروحات حول المسألة الطائفية: إطار نظري، مرجع سابق، ص 58.

2 - سماء سليمان، مرجع سابق، ص 62.

3 - باقر النجار، الفئات والجماعات: صراع الهوية والمواطنة في الخليج العربي، مرجع سابق، ص 320.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

يتم استخدام الدين والمذهب للتعبئة الجماهيرية من قبل مختلف القوى، التي تسعى في نهاية المطاف إلى السلطة والثروة، الحل لهذا المأزق هو إعادة بناء الدولة التي تحتضن حقوق الإنسان، وسيادة القانون، لكنها تحتفظ أيضا باحتكار القوة. فالديمقراطيات أكثر قدرة على تجاوز النزاعات وبناء الأمن الجماعي، بما يعزز الانتماء للوطن<sup>1</sup>. الطائفية عموما ليست متعلقة بالدين، بل بالجماعة. وفيها المؤمن وغير المؤمن، والملتزم دينيا، وغير الملتمزم. وليست الطائفية حالة تبشيرية ودعوية، بل هي عكس ذلك، إنها تعصب لحدود الطائفة. وحين تجري الدعوة إلى اعتناق المذهب في حالة الطائفية، كما في حالات التشيع والتسلفن التي تقوم بها كل من إيران والسعودية، فهي تقوم بذلك لأسباب سياسية وليست دينية<sup>2</sup>.

من أهم سبل التغلب على الأزمة الطائفية، هو التوقف عن إرجاع الصراع الطائفي إلى الأبعاد الدينية أو الأيديولوجية، أو حتى التعرض للفتنة الكبرى في بدايات الدعوة الإسلامية. بل يجب أن نفهمها في سياقها الحديث على أنها صراع سياسي، واقتصادي، وجغرافي، واستراتيجي يمكن حله<sup>3</sup>. وأن الرجوع إلى خلافات الماضي كحجة لن تعمل إلا على إعادة إنتاج الصراع، وبالتالي يستمر الماضي التصارعي بأدوات جديدة وخطيرة، إن الأزمة الطائفية في حقيقتها ليست أزمة نص ديني، أو خلافات اجتهادية، إنها تعبير عن الفشل في التأسيس للدولة والعبث بالهويات.

إن مأزق الاندماج في الدولة العربية لا ينتهي - كما يُعتقد - بفصل الدين عن السياسة فحسب، وإنما بالقدرة الدولة على القطع مع جميع النزعات والعصبيات الدينية والقبلية والمذهبية والطائفية والعرقية. ومن دون ذلك سينظر دائما إلى الدولة بأنها، بمنافعها وامتيازاتها لمن غلب<sup>4</sup>. وهو ما أثبتته الأزمة السورية، حين كشفت اعتماد النظام على الهندسة الطائفية لأدوات النظام، رغم الطرح القومي العلماني الذي يتبناه. فالعصبية السلالية العائلية والطائفية أقوى في الدفاع عن نواة النظام، ومسألة الإصلاح فيها أصعب لأن القرار موزع بين القوى العائلية ومصالحها بين محافظين وإصلاحيين.

<sup>1</sup> - Marwan Kabalan, Sectarian Conflict In the Middle east can be resolved. The Link : <https://cutt.us/kxVu6>

<sup>2</sup> - عزمي بشارة، طروحات حول المسألة الطائفية: إطار نظري ، ، مرجع سابق ، ص 59.

<sup>3</sup> - Marwan Kabalan, op. cit.

<sup>4</sup> - باقر سلمان النجار ، الدولة العربية : بين إخفاقات البناء وتعطل الاندماج ، مرجع سابق ، ص 68.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

العلمنة كحل للظاهرة الطائفية، يجب ألا تكون أيديولوجيا سياسية جديدة تستعملها الأنظمة السلطوية مسوغا لإقصاء المنافسين، لكنها يجب أن تكون تنقية للفضاء العمومي من تلك العناصر التي يثير استعمالها حساسيات دينية وعاطفية ومذهبية وقومية، ودفعها إلى الفضاء الخاص، أو مأسستها وحمايتها بموجب القانون، من خلال إقرارها جزءا من الهوية الوطنية. وعليه تصبح المعركة السياسية معركة دنيوية ومصالحية، وليست معركة من أجل البقاء، خسارتها تعني خسارة الهوية أو المعتقد<sup>1</sup>.

هذا الطرح يحتاج لنخب مؤمنة بالقيم المدنية وفي نفس الوقت مدركة للخصوصيات الحضارية والثقافية لمجتمعاتها، ولا توظف العلمنة في الصراع السياسي. كان دائما طرح موضوع العلمانية من النخب والنظم، طرح مستفز للمكونات الاجتماعية، ويسعى إلى فرض قيم مُصادمة للتوجهات العامة للمجتمع، مع استخدام القسر والقمع، وعليه ارتبط النموذج العلماني العربي بالدولة البوليسية، وبأقليات منفصلة عن الشرائح الشعبية، بقدر ما هي مرتبطة بالخارج. وعليه فإن كانت مثل هذه النخب هي من تطرح البديل العلماني وحسب نموذجا، فهي رهان آخر وتهديد متجدد بصراع جديد يوظف الهوية ويفرز أشكال جديدة من التطرف.

يشير طلال أسد إلى أنه لا يرى شيئا أقل وجهة من الإدعاء القائل بأن العلمانية وسيلة أساسية لتجنب الصراع المدمر، ولإرساء السلام في العالم الحديث. ويشدد على أنه لا ينبغي أن ننسى أننا مدينون بنماذج القهر الأكثر فظاعة في الأزمنة الحديثة لأنظمة شمولية علمانية كالنازية والستالينية والفاشية، بحيث يتحتم علينا القول بأن قسوة الممارسة العلمانية لم تترك شيئا لوحشية الممارسات الدينية<sup>2</sup>. مثلت مسألة المرجعية وصلات المجتمع الشيعي بالمراجع والحوزات في الخارج عامل انقسام وتشكيك في ولاء المجتمعات الشيعية، نظرا لنفوذ المرجعيات وسطوة الولاء لحوزاتها. وعليه فالتشجيع على وجود مراجع تقليد شيعية محلية تُعني عن الاتجاه إلى تقليد مراجع خارج الحدود، حيث تعد نظم الحكم في البلدان الخليجية، وبشكل خاص السعودية، مسؤولة عن عدم وجود مراجع تقليد عربية خليجية محلية قوية، من خلال ملاحقتهم، بما يؤدي بهم إلى الذهاب إلى إيران. وعليه فإن السماح بمراجع تقليد خليجية مستقلة، سيعمل على تقليل سيطرة المراجع الإيرانية على الشيعة العرب، وهو ما تسعى إيران

<sup>1</sup> - نوري إدريس، مرجع سابق ، ص 572.

<sup>2</sup> - حسن أبو هنية، عن أسطورة العنف الديني ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/DmUiK>

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

أيضا لمنعه وعرقلته، خوفا من ظهور مرجع شيعي عربي كبير، يمكن أن يمثل بديلا عن المراجع الإيرانية<sup>1</sup>. وبالتالي يُزاحم الدور الإيراني وقوته الناعمة، ويُنافس في مصادر دخل للمرجعيات الإيرانية، وإيران لا تسمح بالمنافسة حتى داخل المجتمع الشيعي، لذلك تعمل على التبشير بولاية الفقيه حتى داخل المجتمعات الشيعية غير الجعفرية كاليمن .

#### 2/ تنمية ثقافة التسامح وقبول الآخر .

خطاب التسامح إذا ترافق مع تسييس الانتماء المذهبي وتعريف الذات بالهوية المذهبية سياسيا، وتفسير الأحداث والصراعات السياسية، واتخاذ المواقف منها على قاعدة الانتماء المذهبي، فإننا نسمي هذه " طائفية ناعمة"، ولا يؤدي تبني خطاب ناعم متسامح يترافق مع تسييس المذهب إلى حل أزمة الهوية الوطنية والمواطنة، بل إنه يرسم خطوط تماس بين الطوائف ويعتمد على تعايشها، الذي قد ينفجر لاحقا إذا تأثرت التسويات بين زعماء الطوائف<sup>2</sup>.

من المهم تأكيد الحالة المدنية، وعدم الدخول في مشاريع التقريب بين المذاهب أو ما شاكل، لأن هذه المشاريع تؤكد كيانية الطوائف وقيادتها في المشهد الاجتماعي والسياسي، كما أنها تنبش في الإرث التاريخي الذي ليس هو المشكلة الحقيقية، ولا يقود إلا إلى مزيد من التآزيم، كما أن الحديث عن التعايش بين الطوائف هو تأصيل لوجودها بصفتها كيانات سياسية قائمة بذاتها ترعى مصالح أبنائها في الحراك الاجتماعي والسياسي، والأصح هو طرح فكرة التعايش بين المواطنين لا بين رعايا الطوائف، وهذا التعايش يكون على أساس احترام الاختلافات والحريات العامة والخاصة بأبناء الوطن<sup>3</sup>.

لا يمكن أن تزول الهويات المذهبية-الدينية، فهي هويات ثقافية ذات عمق تاريخي، وهي محمية بمؤسسات ومنظومة طقوس وتقاليد تنتجها، وتعيد إنتاجها دوما. لكن ما يمكن أن يتغير هو حدود هذه الهويات، وطابع تسييسها، وهذا بفعل فضاء ثقافي سياسي وسطي. وهناك تيارات وسطية عابرة للطوائف والإثنيات وإن كانت ضعيفة، فإنها ليست خرساء<sup>4</sup>.

1 - شحاتة محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص 50

2- بدر الابراهيم ومحمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 14.

3 - بدر الابراهيم و محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص 225.

4 - فالح عبد الجبار ، بناء الدولة- الأمة ومشكلة الانشطارات الدينية/المذهبية: من التسييس إلى العسكرة مقارنة سييبولوجية- سياسية( العراق أنموذجا) ، مرجع سابق ، ص 620.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

القبيلية مفهوم إنحيازي غير محايد، يقوم على الإقصاء والتمييز، بينما القبيلة تعبير محايد، بما أن القبيلة قيمة اجتماعية وثقافية نشأت لضرورة معاشية وبيئية. وعليه يمكن البناء على ظواهر مثل المذهب والطائفة والشعب، ونضع قبالتها تعبيرات كالمذهبية والطائفية والشعبوية. فالخطر الذي يجب تجاوزه هو تحول الانتماء العقدي والديني والاجتماعي، من خيار معرفي وتوارث اجتماعي إلى أن يكون قيمة في حد ذاته، ويدفع إلى إعادة صياغة الوجود البشري إلى فرق لا تقبل إحداها الأخرى.<sup>1</sup>

إن الصراعات التي تُحوّل المكونات الاجتماعية إلى جماعات طائفية، وتعمل على تفعيل الانقسامية التي تفكك المشروع الوطني، لا تتعلق في جوهرها بالدين، بل بالإخفاق في الوصول إلى صيغة للأمن الثقافي، والتنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. والإخفاق يجعل المجتمعات مهددة بخطر التدمير الذاتي من الداخل، حيث يصعب كبحه أو تدارك انعكاساته كلما امتد.<sup>2</sup>

الحالة الطائفية هي مؤشر على عدم اكتمال مهمة بناء دولة الأمة، الدولة التي مضمون الرابطة الاجتماعية فيها هي مبدأ المواطنة. الطابع الديني هو شكل خارجي للمشكلة أما المضمون والجوهر فهو فكرة "الغنيمة" التي هي جوهر التفكير السياسي العربي والإسلامي (طاعة المتغلب). فكرة الغنيمة تتلخص في أن مصادر القوة حق لمن قبض عليه فقط.<sup>3</sup>

إن الحل في التنمية الثقافية على أسس المواطنة وقبول الآخر، وصوغ خطاب التسامح في مقابل خطاب التطرف، وتحويل المدرسة والمسجد ومؤسسات الدولة فضاءات للجميع وتكوين ذاكرة مشتركة، وقرأة التاريخ بناء على مقتضيات الواقع، وبقصد التجميع لا البحث عن حجج للتفسير يمكن أن توجد في أي تجمع بشري .

إن خطاب الكراهية ضد الآخرين حتى ولو أخذ الطابع المدرسي والتعليمي باعتبارها حقائق تاريخية، فإنه يرهن الحاضر لأزمات الماضي ويصيغ المستقبل بجزازات التاريخ، وآليات الجرح الثقافي التي تعيد إنتاج الصراعات، وهي معضلة مستدامة تنتج ذاتها. وعليه فإن الانعكاسات السلبية لمثل هذا الخطاب

1 - عبد الله الغدامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2009، ص ص 25-26.

2 - Hassen Mneimneh, From communitarianism to sectarianism: The trajectory of factionalism in the arab middle east, the Muslim World, V106, January , 2016, P82.

3 - مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور توفيق السيف (أكاديمي وناشط سياسي سعودي)، عبر مراسلات إلكترونية بتاريخ: 2020/08/23.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

يجب أن تُجرّم، باعتبارها تهديداً مجتمعياً. وهذا لن يتم إلا بتوفير إرادة سياسية تؤمن بحتمية التغيير وتقطع مع تسييس الهوية .

### المطلب الرابع : بين الاستمرارية والتغير: موقع المسألة الطائفية من السيناريوهات المستقبلية للدولة في الخليج.

يستلزم فهم الظواهر البحث في أصولها اللغوية والتاريخية، ومراحل تبلورها، وتفاعلاتها مع الحاضر، من أجل التمكن من توقع مآلاتها المستقبلية، لأن المستقبل هو التعبير عن الاستجابة الحاضرة لرهانات الماضي والحاضر. وكذلك الظاهرة الطائفية في تفاعلها مع سياقها المجتمعي والسياسي، هي ظاهرة تستمد مقوماتها من التاريخ وتتفاعل مع الحاضر، والأکید أن لها تأثيراً على مستقبل الدولة والمجتمع والمكونات الهوياتية في الخليج. يستهدف هذا العنصر مقارنة السيناريوهات المحتملة لمستقبل الدولة في الخليج، في ظل التحديات التي تواجهها، ومع رهانات التحول الاجتماعي المتسارع، وهذا لفهم أكبر لموقع المسألة الطائفية من هذه التحولات، وهل تملك أن تصوغ مستقبل وحدات الخليج؟ أم أنها ستظل آلية توظيفية تحت سيطرة النظم الحاكمة والنخب المعارضة؟.

وضعت دراسة أعدها المنتدى الاقتصادي العالمي، بعنوان " دول مجلس التعاون والعالم: السيناريوهات حتى 2025" سيناريوهات لمستقبل دول مجلس التعاون في ظل المؤثرات الداخلية والخارجية. وقدمت الدراسة ثلاثة سيناريوهات محتملة هي الواحة"، و"العاصفة الرملية"، و"الخليج الخصيب":<sup>1</sup>

- سيناريو الواحة: يرى أن التركيز على الإدارة التكنوقراطية، والإصلاحات المؤسسية من أعلى، ستعمل على تشكيل تعاون إقليمي، منظم ومتناسك، ومع ذلك، لا يزال هذا السيناريو يواجه تحدي القيود الناجمة عن الإفراط في القواعد التنظيمية البيروقراطية، التي تعرقل آليات العولمة.

- سيناريو العاصفة الرملية: يفيد بأن حالة عدم الاستقرار في المنطقة هي العامل الرئيسي الذي سيقوض قدرة دول مجلس التعاون الخليجي على إجراء الإصلاحات المؤسسية الضرورية، بطريقة

<sup>1</sup> - World Scenario Series, The Gulf Cooperation Council (GCC) countries and the world : Scenarios to 2025, World Economic Forum, Geneva, 2007, P07.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

فعالة. إضافة إلى أن امتداد التوترات الإقليمية إلى الداخل الخليجي، ستدفع الحكومات إلى التركيز على الحلول قصيرة الأجل، على حساب الإصلاحات الصعبة. وهو ما ينجم عنه عواقب سلبية على التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

- الخليج الخصيب: وهو نتيجة لاستفادة دول المجلس من العولمة، عبر إصلاحات جريئة مؤسسيا وسياسيا، تشجيع مسار الإصلاح تصاعديا. وهو ما سيجعل منطقة الخليج أكثر تكاملا اجتماعيا، وتنوعا اقتصاديا، بما يعزز مكانتها الدولية .

من الصعب وضع توقعات احتمالية لمستقبل دول مجلس التعاون بمجملها، نظرا للتباينات في المستوى الاقتصادي، والعلاقات الاجتماعية، خاصة منها مستوى الأزمة الطائفية، فبعض الوحدات معرض للخطر والتقسيم والتدخل الخارجي أكثر من البقية. إلا أن القواسم المشتركة التي تحملها دول المجلس تجعلها شديدة التأثر ببعض المتغيرات، كتراجع الربيع، والتهديدات الخارجية، وأيضا التحولات على مستوى وحداتها .

يمكن الإشارة إلى سيناريوهات تعاطي الدولة الخليجية مع الحالة الشيعية، تبعا لتأثير الأزمة في كل قطر، فالسياق الداخلي وعلاقة المجتمع الشيعي بالسلطة الحاكمة، وبقية المكونات، وتاريخ هذه العلاقة وفرص التمكين الاقتصادي والمنافسة، كلها متغيرات بإمكانها صياغة المآلات المستقبلية لخيارات الدولة. لذلك لا يمكن الجزم بملائمة هذه السيناريوهات لكل المكونات الخليجية :<sup>1</sup>

- قد تلح الدولة على استيعاب العناصر المقاومة الكامنة داخل الجماعة الشيعية. من خلال اعتماد الدولة لبرامج استيعاب جزئي للشيعية عبر احتضان بعضهم، ومع ذلك فإن هذا البرنامج يواجه تحديات كبيرة، كون التشيع صنع نظاما دفاعيا يصعب اختراقه. لذلك تبدو فكرة الاستيعاب صعبة في الظروف الحالية، حيث فقدت الدولة فيها جزءا كبيرا من هيمنتها وتأثيرها الثقافي .

- قد تميل الدولة إلى الهيمنة التي تعني غالبا التمييز، وتقتضي بإزالة الأقلية، وهذا ما تبرره غالبا ذريعة التدني الثقافي المتخيل للأقلية. إن واحدة من آليات الرفض تجريد الآخر من الأهلية، فالدولة حين ترفض مبدأ الاندماج تكون أحيانا قد قررت سلب الجدارة، وتاليا الحق في المشاركة السياسية .

<sup>1</sup> - فؤاد إبراهيم ، مرجع سابق ، ص ص 72-73.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

- تشكيل أيديولوجيا وطنية تعلو فوق الانتماءات الخاصة والهويات الخاصة، وترعى التنوع الثقافي، حيث المواطنة والحقوق المدنية الكاملة لا تتطلب هوية ثقافية خاصة، أو نموذجا فيدراليا غير متمركز يوفر درجة عالية من السيادة المحلية .

بناء على ما سبق يطرح البحث مقارنة احتمالية للسيناريوهات المستقبلية للدولة الخليجية، وموقع الظاهرة الطائفية من هذه المسارات، عبر سيناريوهين اثنين، يقومان على افتراض الاستعصاء الإصلاح والديمقراطي في ظل النظم الحالية، وبين مآلات التفكك والمشاريع التقسيمية التي تستهدف المنطقة، وتجد في تفاعلات سياساتها الداخلية، وتسييس الهويات مدخلا لذلك

### 1/ الاستعصاء الإصلاحي: السياق الخليجي وإعادة تدوير النموذج .

يستهدف هذا السيناريو استشراف إمكانات الإصلاح والتحول الديمقراطي في دول مجلس التعاون، باعتباره أحد مسارات الخروج من أزمة الهوية، ومن تحديات المسألة الطائفية، وإلى أي مدى تملك البنية المجتمعية وتركيبية السلطة الحالية آليات التحول. أم أن نموذج الحكم المشيخي في دول المجلس قادر على إنتاج ذاته والالتفاف على مطالب الانفتاح .

لا يمكن تجاهل وجود حركة مطلبية متنامية، ودعوات علنية للإصلاح السياسي والمشاركة في الثروة والسلطة، وهذا راجع لارتفاع مستوى التعليم والثقافة والاحتكاك. مجتمعات الخليج مجتمعات شابة، ومتفاعلة مع التكنولوجيا الحديثة ووسائل التواصل، هذه الأخيرة التي تدخلها في مقارنات تدفعها لمُراكمة الوعي الجمعي بضرورة الإصلاح. كما ظهرت حركات إصلاحية في كل دول مجلس التعاون، تدعو للإصلاح التدريجي والملكية الدستورية، وفتح أكبر للمشاركة السياسية، بتشكيل مجالس منتخبة، والتخفيف من تركيز السلطة في شريحة ضيقة.

كان تعاطي النظم الخليجية مع هذه الجماعات الإصلاحية - كما ذكرنا سابقا- بآليات تقليدية تراوحت في الانفتاح المحدود الذي فرضته تحديات السياق الخارجي، أو بمزيد من التطييف لعرقلة تشكل جبهة وطنية، والأهم بمزيد من القمع والاعتقالات، كما حدث في أغلب المشيخات الخليجية منذ 2011، حيث عرفت تراجعا ملحوظا لصالح السياسة الأمنية والاعتقالات، التي استهدفت المطالبين بالإصلاح .



## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

تشهد بلدان الخليج استخداما مفرطا للرقابة، فعلى الرغم من أن الأنظمة نجحت في خنق قنوات حرية التعبير، تعمل اليوم على نشر أحدث التكنولوجيا وأكثرها تعقيدا، وفي هذا الصدد ووفقا لنبوءة مايكل روس: لا تُستخدم الثروات الريعية الخليجية دائما لتوزيع الثروات على المواطنين، بقدر ما توظف لتمويل أجهزة أمنية قوية، مكلفة ومعقدة للغاية<sup>1</sup>. تتأسس هذه الأجهزة غالبا على عقيدة حماية "النظام" لا الدولة، وقد تُكون من الأسرة الممتدة والفئات التقليدية المتحالفة معها، أو تكون من مكونات أمنية خارجية، حيث تستمد العديد من الأسر الحاكمة مبررات وجودها وبقائها وحمايتها من تحالفات خارجية.

على الرغم من نجاح استراتيجيات البقاء الخارجية المعتمدة من قبل الممالك الخليجية سعيا وراء تثبيت مواقعها ضمن بيئة متغيرة، وإلى تعزيز مكانتها ونفوذها في دول تفوقها قوة، إلا أنها لا تزال رهينة للضغوط ونقاط الضعف المتأتية إما عن هذه العلاقات الخارجية، أو عن سوء الإدارة مع القوى المؤثرة في المنطقة. فلا تزال تعتبر أن الضمانات الأمنية الغربية التي سعت إليها وحافظت عليها، ضرورة بالنسبة إليها، في ظل خوف معظمها من أي عدوان خارجي، بل حتى فيما بينها، إلا أن هذا الوجود المتزايد لطالما كان مثار جدل داخلي، ويعمل على تجريد الأسر الحاكمة من شرعيتها، ويرجح زيادة حدة الانتقادات ضد هذه القواعد مستقبلا من طرف المعارضة، حيث يتنامى الشك في قدرة هذه البلدان في الحفاظ على مكانتها كجهات حيادية سلمية<sup>2</sup>. إن هذه الضمانات الخارجية لأمن النظم الحاكمة، تجعل سعيها نحو الإصلاح محدود، لأنه ليس قرارها وحدها، بل سيهدد مصالح القوى المتحالفة معها، والتي توفر لها الحماية الداخلية والخارجية، فأى نظام ديمقراطي أو إي إصلاح يعبر عن الإرادة الشعبية قد يجعل هذه المصالح والتحالفات محل تهديد .

ساهمت العلاقات الخارجية مع المحيط الإقليمي وبالأخص إيران من تمكين بعض النظم الخليجية من تجاوز موجة الربيع العربي المطالبة بالإصلاح، حيث عمدت على توظيف التوتر مع إيران، والرفض المتنامي لسياساتها الطائفية في مواجهة الإصلاحيين باعتبارهم امتدادا للسياسات الإيرانية. ويبدو أن توظيف هذه الآلية سيستمر في المستقبل، مع إمكاناتها التطيفية، وأيضا مع غياب أي مؤشرات على تحسّن العلاقة بين كل الدول الخليجية وإيران، حيث يوفر هذا السياق ملاذا للأسر الحاكمة للتصل من

<sup>1</sup> - كريستوفر م. ديفيدسون ، مرجع سابق ، ص 395.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص 275-288.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

مطالب الإصلاح وإشاعة جو الأمانة والتهديد الخارجي، واتهام كل المعارضين بالانضواء ضمن الاستراتيجيات المعادية.

الخطاب العدائي، والمنافسة الإقليمية بين السعودية وإيران، قد يتحول إلى حرب إقليمية، خاصة مع تنامي الشعور السعودي بالتهديد الإيراني، وقد تستغل السعودية احتمال إغلاق إيران لمضيق هرمز، كذريعة لضرب أهداف إيرانية، وهذا لن يجعلها وحيدة في هذا الصراع، بسبب حيوية المنطقة للاقتصاد العالمي<sup>1</sup>. وهذا السيناريو قد يستخدمه النظام السعودي لتثبيت السلطة، خاصة في مرحلة انتقال الأجيال التي يعيشها، وهذا بالعمل على نهج أكثر قمعية تجاه أي قوى معارضة، وخاصة الشيعية منها. وبفعل التأثير السعودي قد يمتد هذا النهج للدول المتحالفة مع القيادة السعودية، أو المرتبطة بها كالبحرين.

لم يقتصر المتغير الخارجي على علاقة بعض دول مجلس التعاون بإيران، أو بتوظيف التهديدات الخارجية وامتداد الاضطرابات إلى الداخل الخليجي، وتهديد الرفاه. بل امتد دور بعض المشيخات إلى السعي نحو عرقلة التحول الديمقراطي في الكثير من الدول العربية، عبر تعميم نموذج سلطوي ودعمه والعمل على تمكينه. وهذه مؤشرات تدل على إدراك صانع القرار في بعض دول الخليج تجاه مسار الإصلاح والمخاوف من نجاح أي عملية ديمقراطية، قد تمكّن من الانتشار الديمقراطي. وهذا يجعلنا نتوقع ردة الفعل تجاه أي انفتاح إصلاحي وديمقراطي داخل الفضاء الخليجي .

هناك حاجة لإعادة النظر بمفهوم الرعاية الأبوية، التي ارتبطت بطبيعة البنى التقليدية في المجتمعات العربية والخليجية، فالدولة الأبوية لا يمكنها أن تصمد في مقاومة التحول نحو نهج يعزز مفهوما إيجابيا للمواطنة<sup>2</sup>. إن أي عمل إصلاحي وسعي نحو الديمقراطية أو التأسيس لمنظومة تشاركية، يقتضي التعامل بندية مع المكونات المجتمعية، إلا أن الواقع الخليجي لا يفيد بالاتجاه نحو هذا النهج، بل هناك إبراز أكبر لدور القبيلة والطائفة، والتأكيد على فكرة الولاء "المطلق" أمام كل أزمة حقيقية كانت أم مفتعلة .

<sup>1</sup> - Florence Gaub and Alexandra Laban, Arab futures: Three scenarios for 2025, EU Institute for Security Studies, Paris , 2015, P46

<sup>2</sup> - برنامج محاور، علي الطراح : أي مستقبل ل دولة الرعاية في الخليج ؟ تاريخ الحلقة: 2019/03/30، متوفر على الرابط التالي : <https://www.youtube.com/watch?v=AGd5V-4F9Ts>

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

يتحدث باقر النجار عن أن تزاوج قيم البداوة والمحافظاة والتطرف الديني يضع المنطقة العربية برمتها - وليس فقط البلدان الخليجية وحدها - في صدام مع الحداثة، هذه التضامنيات تعطي الدولة قدرا من الشرعية، إلا أن تغلغلها في مؤسسات الدولة يضر بإمكانية الدولة في عمل تحول مهم في إدارة مؤسساتها، أي أن تعمل الدولة بشكل مؤسستي مستقل عن هذه التضامنيات<sup>1</sup>.

تشير مضايي الرشيد إلى إشكالية سياسية في العربية السعودية، يمكن تعميمها على بعض دول الخليج، وهي مؤشر على المسار المعقد لمشروع الإصلاح، حيث تحولت إلى ملكية بعدة رؤوس، بسبب امتداد وكبر حجم الأسرة الحاكمة، مع ما يستتبع هذا التمدد من توزيع للنفوذ. وعليه فهناك إشكال في توزيع المناصب داخل الأسرة الحاكمة الممتدة، قبل الحديث عن إشراك بقية الشعب في أي عمل سياسي مستقبلي<sup>2</sup>. كما لا يمكن تجاوز التباين بين أفراد الأسر الحاكمة تجاه مشاريع الانفتاح ، وما يعنيه هذا التباين حول المسارات المستقبلية للدولة من تحديات قد تكبح أي عمل إصلاحي.

رغم ذلك تمتد المطالبات الحقوقية والإصلاحية لتتجاوز الانتماءات الفرعية في السعودية. وبما أن الأسباب الأساسية للاحتجاجات في المنطقة الشرقية لم تعالج يرحح اندلاع مزيد من الاحتجاجات في المستقبل، فضلا عن لجوء الدولة إلى مزيد من العنف، وإذا كانت الدولة تستخدم سردية " التهديد الشيعي" لتخويف السنة، برزت أمارات على أن تنظيم الاحتجاجات للمطالبة بإطلاق سراح السجناء السياسيين والإصلاح السياسي، لم تعد مقتصرة على المحافظة الشرقية، وإنما امتدت إلى بريدة والرياض في قلب السعودية<sup>3</sup>.

كانت من بين الحجج لاستمرار السلطوية وجود قيادات تقليدية وذات مستويات تعليمية محدودة، ومتأثرة بالسياق البدوي والقبلي، إلا أن تغير القيادة في دول الخليج - أي القيادة الشابة - أو الجيل الجديد، لا يعطي مؤشرات نحو تغير في طرائق صنع القرار، لأن صندوق التفكير الذي يصنع النظام ورجالات الأسرة الحاكمة واحد لم يتغير. وعليه فطرائق التفكير لن تتغير<sup>4</sup>. أي أن البنية تعمل على

1 - برنامج الساعة الخليجية، الحداثة الممتعة في دول الخليج، لقاء مع الدكتور باقر النجار، مونت كارلو الدولية، تاريخ البث : 2018/11/06، متوفر على الرابط التالي : <https://www.youtube.com/watch?v=b0cw5gl7I28>

2 - مضايي الرشيد، حلقة حوارية حول مستقبل الحكم في السعودية ، برنامج قضايا وآراء ، قناة الحوار، 2012/06/26، متوفر على الرابط التالي : <https://www.youtube.com/watch?v=eM0jtIolXFI>

3 - توبي ماثيسن ، مرجع سابق ، ص 122 .

4 - برنامج محاور، علي الطراح : أي مستقبل لـ دولة الرعاية في الخليج ؟ مرجع سابق.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية

### وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

التكوين المتبادل، فبعد أن أسستها الأجيال الأولى على منطقتي السلطوية والأبوية والتفوق السلافي، ورفض أي مشاركة للسلطة والثروة، تمكنت هذه المنظومة وأصبحت قادرة على استمرار إنتاج النموذج، عبر إخراج قيادات شابة ولكن بنفس الثقافة السياسية، ومنه فالاستعصاء الإصلاحية مركزه في أعلى هرم السلطة.

إن النتيجة النهائية لتحقيق الاحتكار الفعال لمصادر القوة والسلطة في المجتمع، أي استئثار الأسر الحاكمة في الخليج والجزيرة العربية بالحكم والثورة هو الركود الاجتماعي والحضاري، والتجميد القسري للقوى الاجتماعية في تقسيمات عمل مفتعلة تهدف إلى المحافظة على ترتيبات وعلاقات اجتماعية قبلية- طائفية متخلفة، كما أن بناء أنظمة الحكم فيها على شرعية التسلط، بدلا من الشرعية الدستورية التي تحظى برضى السكان، وضمن السلطة الرقابية الشعبية، لا بد أن يقود إلى مزيد من الاحتكاك والعنف السياسي<sup>1</sup>.

إن أي تسوية للمسألة الطائفية وتحييد لآثارها السلبية يستلزم الدخول في إصلاحات سياسية عميقة، إلا إنه وبناء على المتغيرات السابقة، وما تحمله من مؤشرات فهذا السيناريو غير مطروح في المستقبل القريب لدول المجلس، في ظل القيادات الحالية، وأيضا في ظل الإمكانيات الانقسامية للمجتمع .

#### 2/ بين التفكيك والتركيب : الهويات الفرعية والتأسيس الجديد لمنطقة الخليج .

يقول ابن خلدون " إن الأوطان الكثيرة العصابات قل أن تستحكم فيها دولة " <sup>2</sup>

يعالج هذا السيناريو المآلات الانقسامية لدول الخليج، واحتمالات تفككها لوحدات متباينة على أسس هوياتها الفرعية، خاصة في ظل الدراسات التي تشير إلى مستقبل التفكك لدول الشرق الأوسط وفي مقدمتها دول مجلس التعاون، حيث ستأخذ الحدود بين الدول مسار الصدوع المجتمعية بين المكونات الطائفية والقبلية والعرقية. وبغض النظر عن إمكانية تحقق هذا السيناريو، إلا أن التحديات التي تواجهها دول مجلس التعاون الخليجي في الكثير منها تحديات وجودية، لا تتعلق فقط بمسائل الهوية، لكنها تعمق الانكفاء حولها.

<sup>1</sup> - خلدون النقيب، مرجع سابق ، ص ص 152-153.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن ابن خلدون، مرجع سابق ، ص 197.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

من بين السيناريوهات السلبية غير المستبعدة، هي تفكك إتحاد مجلس التعاون الخليجي، بانسحاب قطر والكويت وعمان، بسبب الخلافات الخليجية، خاصة مع السعودية، وهو ما من شأنه أن يكون انتكاسة كبيرة لجهود التكامل العربي<sup>1</sup>. مثّل اتحاد دول مجلس التعاون رغم ضعفه تجربة رائدة في العمل التكاملي، إلا أنها تجمدت بفعل الاستراتيجيات المتضاربة والسعي نحو الهيمنة، وهذا مؤشر على الثقافية السياسية الأبوية والسلطوية المستحكمة.

إن غياب الأمن الجماعي والوحدة السياسية بين الممالك الخليجية، وعجزها على حل النزاعات طويلة الأمد، وتعزيز مجلس التعاون الخليجي، ومحاولات الانقلاب المتعددة، سَتُعَرِّض هذه البلدان لتدخلات دول الجوار الخليجي بعلاقتها غير المستقرة، إضافة إلى المصالح الأجنبية الأخرى<sup>2</sup>. كما أن التركيبة السكانية تحدٍ كبير أمام بلدان الخليج، فكيف لكيانات يقل عدد المواطنين فيها عن 20% من مجمل السكان، أن تمارس سلطتها كدولة. فهذا الواقع قد يجرّ تدخلات دولية مستقبلاً، لأن الوافدين شيئاً فشيئاً، سيكونون جزء من المجتمع<sup>3</sup>.

قد يحمل المستقبل توجه العربية السعودية نحو البلقنة، ضمن مشروع انشطار البلدان العربية على أسس هوياتية. حيث أنها دولة دمجت فيها القبائل المتنافسة بالقوة، وبغطاء الدعوة الوهابية، التي وفرت المسوغ الشرعي. تبدو المملكة آمنة في ظل مظاهر الاقتصاد الريعي، لكن لا يزال لديها ثقافات متباينة، وهويات قبلية مميزة، وتوترات طائفية سنية-شيعية في المنطقة الشرقية، في ظل عملية الانتقال العسيرة للسلطة بين أجيال الأسرة الحاكمة الممتدة<sup>4</sup>.

تواجه السعودية على الأمد البعيد انقساماتها الداخلية، التي يمكن أن تظهر بينما تنتقل السلطة إلى الجيل التالي من الأمراء. ومن الممكن أن تنقسم المملكة إلى خمس مناطق كما كانت موجودة قبل بناء الدولة المعاصرة<sup>5</sup>. خاصة وأن انتماءات ما قبل الدولة مازالت حية وقوية وقادرة على تكوين سرديتها الخاصة، كما لها خصوماتها الممتدة مع السلطة الحالية. ومنه فيمكن لسياسات العبث بالهويات الفرعية،

<sup>1</sup> - Florence Gaub and Alexandra Laban, Arab futures: Three scenarios for 2025, EU Institute for Security Studies, Paris, 2015, P45.

<sup>2</sup> - كريستوفر م. ديفيدسون، مرجع سابق ص 396.

<sup>3</sup> - برنامج محاور، علي الطراح: أي مستقبل لدولة الرعاية في الخليج؟ مرجع سابق.

<sup>4</sup> - Robin Wright, Imagining a Remapped Middle East, The Link : <https://cutt.us/01ZOj>

<sup>5</sup> - ibid

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

والحوول دون تشكل مشروع وطني مدني جامع، متجاوز للانتماءات أن تحيل المملكة مع قدرتها التأثيرية إلى نهايات مفتوحة من الصعب التحكم بمآلاتها التي قد تصل للتفكك.

الشكل 05: نموذج روبين رايت لمستقبل تفكك العربية السعودية



Source : Martin W. Lewis, Robin Wright's Audacious Remapping of the Middle East , The Link :

<https://cutt.us/4PY8c>

حسب الباحثة روبين رايت فالنظام السعودي قد يكون عرضة للانهايار في ظل الانقسام الداخلي، بغض النظر سياسة الريع، إضافة إلى المزيد من استخدام التكتيكات الأمنية. تبدو المملكة هشة للغاية، وفي حال ازدياد تدهور الظروف في البحرين كما هو محتمل، فستظهر احتجاجات أكثر جدية، خاصة في المنطقة الشرقية حيث يتركز التواجد الشيعي. وفي حالة تقاوم البطالة وفجوة الثروة، وغيرها من المشاكل الاجتماعية - الاقتصادية دون رقابة، فمن المحتمل أن تمتد الاحتجاجات للمجتمع السني، ما يمنح حركة الإصلاح القدرة على اكتساب مزيد من الدعم العابر للطوائف.<sup>1</sup>

على عكس البلدان الأخرى التي يعاد رسم خرائطها، فإن العربية السعودية دولة مستقرة نسبيًا، ولا توجد تحديات خطيرة لوحدة أراضيها. علاوة على ذلك، ليس من الواضح على الإطلاق سبب تقسيم رايت للسعودية كما فعلت، حيث أن مقالها لا يشير إلى ذلك. يُفترض أن تقسيمها مبني على فكرة أن الأطراف غير الوهابية في البلاد يمكن أن تنفصل عن النواة الوهابية، مما قد يؤدي إلى ظهور دول جديدة في

<sup>1</sup> - كريستوفر م. ديفيدسون ، مرجع سابق ، ص ص 399-400.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

شمال شبه الجزيرة العربية وشرقها وجنوبها وغربها. وهو أمر غير مرجح في المستقبل القريب، وحتى إن حدث فمن المستبعد أن يكون بنفس السيناريو الذي طرحته رايت في مقالها.<sup>1</sup>

النظام السعودي يملك قوة وتجذر وقدرة على السيطرة الاجتماعية، لذلك فسيناريو التفكك وإن كان مطروحا إلا أنه صعب التحقق، خاصة مع خوف المكونات المجتمعية من مرحلة الفوضى، إضافة إلى آثارها العالمية على موارد الطاقة. لكن إن استمرت سياسات الهوية دون الانتقال لنظام أكثر انفتاحية ويهدف إلى دمج المكونات في هوية وطنية جامعة، فقد يأخذ التفكك مسار الحدود بين الجماعات، والهويات المميزة للمناطق، سواء كانت طائفية أو قبلية أو مناطقية .

من بين الممالك الست فإن مستقبل البحرين يبدو هو الأكثر تعقيدا، في ظل وجود أمل ضئيل بأن ترمم الأسرة الحاكمة شرعيتها من جديد، دون الرجوع للأحكام العرفية والمقاربة الامنية، هذه السياسية التي تتم بدعم السعودية والإمارات اللتين عليهما الاستمرار في تأمين الجنود والدعم المالي<sup>2</sup>. إن استمرار النظام الحالي في البحرين مرتبط بالدعم الخارجي وخاصة السعودي، وهناك تأثير وتأثير متبادل بين البحرين والسعودية فيما يخص المسألة الطائفية، خاصة مع التواصل الجغرافي- الديمغرافي للهوية الشيعية في البلدين، وعليه فإن أي تفكك في السعودية سيمثل نهاية لحكم أسرة آل خليفة في البحرين. وبالمثل فإن أي تفكك في البحرين، أو تمكن للمعارضة من الحكم، سيكون له تداعيات كبيرة على السعودية.

على الرغم من أن مستقبل عمان أقل تزعزا من البحرين، نظرا لعدم معاناة الدولة من المستوى عينه من الخلافات الطائفية أو التمييز، ولم تضطر لدعوة جنود من الدول المجاورة لمساعدتها في مواجهة المظاهرات، إلا أنه توجد مخاوف جدية حيال الاستقرار السياسي، وعلى غرار البحرين لدى عمان موارد محدودة، ولا يمكنها الاعتماد الدائم على خلق فرص في القطاع العام لتهدئة المظاهرات والمطالب الفئوية، إضافة إلى المساعدات الخارجية<sup>3</sup>. سيناريو التفكك في عمان غير مطروح ولا هو وارد

<sup>1</sup> -Martin W. Lewis, Robin Wright's Audacious Remapping of the Middle East , The Link: <https://cutt.us/ACQn3>

<sup>2</sup> - كريستوفر م. ديفيدسون ، مرجع سابق ، ص 397.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص 399.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

رغم الأزمة الاقتصادية وتنامي السخط الشعبي، لأن الدولة في عمان متجذرة ومستقرة، كما أنه لا توجد مطالب اجتماعية مقترنة بانتماءات الهوية، فهي نضالات مطلبية متجاوزة للانتماءات الفرعية، وهو ما قد ينشأ عنها تشكل مجموعة وطنية موحدة تضغط نحو الإصلاح، وتؤهلها بنيتها المدنية لتحقيقه .

الضغوط الداخلية ونقاط الضعف موجودة أساسا في الممالك الخليجية كافة، أو ستصبح كذلك في وقت قريب. كما أن الموارد الطبيعية المستمرة في التندي، مع ما يلوح في الأفق حول الارتفاع في نسبة الشباب، إضافة إلى التحديات المتراكمة للإعانات المالية غير المستدامة، وتأمين العمل. تؤثر مستقبلا في قدرة الأنظمة الستة على الاستمرار في توزيع الثروات وتلبية توقعات المواطنين<sup>1</sup>.

الرهانات لا تأخذ نفس المستويات، بسبب الاختلاف في التحديات الداخلية، ففي الوقت الذي تملك فيه قطر فوائض مالية تساعدها على تجاوز أي أزمة ذات طابع سياسي - اجتماعي عبر ضخ الأموال في السياسات الاجتماعية، لا تملك البحرين وعمان هذه الإمكانيات. كما أن الإمارات ليست متكافئة ماليا في دولة الإمارات العربية المتحدة، بسبب الفوارق الاقتصادية، وهذا الأمر يكشفها سياسيا في مقابل الإمارات الغنية، ويضعف قدراتها على مواجهة أي مطالب شعبية في المستقبل في حالة تراجع الفوائض الربعية .

يشكل ارتفاع استهلاك الطاقة في دول مجلس التعاون، واحدا من أهم التحديات للدول الأعضاء، إذ ازداد الاستهلاك المحلي، بمعدل 9% سنويا منذ 1973، فنما بوتيرة أسرع في المتوسط من الناتج المحلي الإجمالي. وكان استهلاك النفط الكلي في دول المجلس الست أقل من 500 ألف برميل يوميا عام 1973، ثم بلغ أكثر من أربعة ملايين برميل يوميا عام 2014. ويؤدي هذا الازدياد في الاستهلاك المحلي، من دون أن يوازيه تقدم اقتصادي إنتاجي، إلى تقليص الصادرات والريع النفطي المتأتي منها. وعليه ينبغي لدول الخليج التصدي للارتفاعات الحادة في استهلاكها المحلي للطاقة، وإلا سيتعين عليها مواجهة فقدان مواردها التصديرية التي تمثل 90% من إيراداتها.<sup>2</sup>

1 - كريستوفر م. ديفيدسون، مرجع سابق ، ص 394.

2 - رشيد البزيم، دول الخليج وتحديات التحولات في مجال الطاقة، مجلة سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة، العدد 37 ، مارس 2019، ص 106.



## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

إذا ما حافظت بلدان مجلس التعاون على إيقاع الاستهلاك نفسه، فإن الدراسات تتوقع أن يمتص الطلب المحلي جميع إنتاج الطاقة في الكويت عام 2027، والتي تعد معدلات طلب الطاقة واستهلاكها فيها من بين الأعلى في العالم. وجاء في تقرير بحثي لمجموعة سيتي جروب أن السعودية قد تتحول إلى مستورد للنفط بحلول عام 2030، إذا ما حافظت على وتيرة الاستهلاك نفسها.<sup>1</sup>

إمكانات الإصلاح عسيرة في نظم عائلية، لا تزال فيها فكرة المؤسسات والفصل بين السلطات محدودة، ورغم ذلك فهناك تحول في بعض الأقطار نحو شيء من الإصلاح المحدود والبطيء، وقد يتسارع أكثر مستقبلاً بفعل التراجع الاقتصادي وزيادة الضرائب، التي ستدفع الطبقات الشعبية للمطالبة بالرقابة والانفتاح، وعليه من الصعب القول بإمكانية تحول ديمقراطي مستقبلاً، بل إصلاحات بسيطة في بعض الأقطار، وتراجع نحو الأمنة في أخرى.<sup>2</sup>

ظهرت المشيخات الحالية لدول الخليج، بفضل الترتيبات الكولونيالية التي أدارت مناطق النفوذ عبر التحالفات المحلية وإدارة المكونات المتصارعة، واستمرت هذه البلدان بنموذج الحكم التقليدي بفضل الفوائض الربعية، التي استطاعت كبح المطالبات الاجتماعية، وتأمين الحماية الدولية. إن انحسار الربح يعني انكشاف دول مجلس التعاون الخليجي استراتيجياً، سواء في إطار علاقاتها الخارجية، وما يستتبعها من سياسات الدفاع والأمن، أو على مستوى إدارتها الداخلية لمكوناتها المجتمعية، أين ستعجز الحكومات المستقبلية عن تلبية احتياجاتها المتنامية، ما قد يؤدي للدخول في توترات .

قد يدفع التراجع الحاد في الإيرادات النفطية بالنظم الخليجية لمزيد من التوظيف والعمل على توظيف سياسات الهوية، من أجل إدخال المجتمعات في صراعات انقسامية، تمكّنها من أن تكون الطرف الأقوى في العملية السياسية والسيطرة عبر أدوات الضبط الاجتماعي، وأيضاً لتضع المكونات في معادلة أمنية طرفاها الرفاه في مقابل الفوضى. إن التوظيف قد يكون مخرج تكتيكي مؤقت من الأزمة الاقتصادية، لكنه يعني تدمير الأمن المجتمعي .

<sup>1</sup> - المرجع نفسه ، ص 107.

<sup>2</sup> - مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور عبد الله باعبود ، باحث في شؤون الخليج والشرق الأوسط وأستاذ زائر بجامعة واسيدا، طوكيو ، اليابان، عبر مراسلات إلكترونية بتاريخ : 2020/10/13.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

يطرح عبد الله العروي سيناريو تفككي لصالح الهويات الفرعية، في تراجع ونقد لأطروحاته الأصلية عن الدولة. إذ يرى أن الأزمات الراهنة في الواقع العربي أدخلت الدولة في مسار التفكك، حيث يقول أن الانتماء اليوم هو للعرق والمذهب والقبيلة وليس للدولة، ويبدو أن المستقبل هو لسلطة القبيلة أو للفدرالية الهشة، لذلك يجب البحث حول الدولة الوطنية ومعرفة هل هي مجدية أم لا؟ فإن كانت الإجابة بالسلب يجب أن نعرف ما البديل عنها؟ أهي اللا-دولة؟ أم الدولة الأممية كما تخيلها الفلاسفة الأوربيون.<sup>1</sup>

من الصعب أن تعمل الطائفية على تفكيك الدولة في الخليج نظرا لأن السلطة أصبحت قدراتها أكبر بفعل سطوتها المتنامية وآلياتها الرقابية والأمنية، كما أن هناك عزوف شعبي ورفض لفكرة الفوضى والحالة الهوبزية، التي قد تعصف بالمكتسبات الاقتصادية. لن يكون هناك تفكك بسبب الطائفية، ولا الشعوب راغبة بتغيير سريع وخطير، وغير معروف النتائج، وعليه سيستمر الوضع الراهن لفترة، مع وجود مؤشرات على استنساخ التجربة الصينية المتأسسة على الانفتاح الاقتصادي والانغلاق السياسي والرقابة الأمنية.<sup>2</sup>

سيناريوهات كثيرة مطروحة للأقطار الخليجية، لا يمكن الجزم بتعميمها على الواقع الخليجي، بفعل التوجهات المختلفة للأنظمة رغم القواسم المشتركة. إلا أن المستقبل القريب يشير إلى استمرار الوضع الراهن، في ظل استمرار الأهمية الإستراتيجية للخليج، واستمرار الفوائض الربيعية، وعجز المجتمعات عن الفكاك مع الثقافة الانقسامية.

1 - عبد الله العروي، محاضرة في جامعة الرباط في حفل افتتاح كرسي عبد الله العروي للترجمة والتأويل، بتاريخ 2020/01/09. متوفر على الرابط التالي: <https://www.youtube.com/watch?v=YQTzXwZTRX0>

2 - مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور عبد الله باعبود، باحث في شؤون الخليج والشرق الأوسط وأستاذ زائر بجامعة واسيدا، طوكيو، اليابان، عبر مراسلات إلكترونية بتاريخ: 2020/10/13.

## الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج

### خلاصة الفصل الرابع :

بفعل الارتباطات السيسولوجية والجغرافية، فإن المسألة الطائفية تملك مؤثرات خارجية تظهر في علاقات الدول ونفوذها في المجتمعات التي تتقاسم معها هويات مشتركة. وهذا ما ظهر دائما في العالم العربي وخصوصا الخليج بعد الثورة الإيرانية وأيضا منذ احتلال العراق، وزادت حدته مع التداعيات الممتدة للأزمة السورية والبحرينية، والتي خلّفت استقطابا طائفا عابر للدول .

يساهم التنافس السعودي الإيراني في زيادة حدة الانقسام الطائفي في مناطق النفوذ، وهذا راجع لما توفره الطائفية والهويات الفرعية عموما من نفوذ على الجماعات في مناطق الأزمات، وهو ما أثبتته الأزمة العراقية، وما وفرته الارتباطات الطائفية من نفوذ لإيران. كما يُمكن وجود عدو طائفي منافس إقليميا من تجاوز المطالب الإصلاحية، ويوفر الحجة لاتهام الحراك المطلبي خاصة الشيعي منه .

آفاق الإصلاح تستدعي مقاربة مركبة تنطق من الإرادة السياسية، والإصلاح الدستوري، والتأكيد على المواطنة، وتفعيل مؤسسات المجتمع المدني، إضافة إلى سياسات الدمج الاقتصادي وتكافؤ الفرص، وما توفره من تلاحم اجتماعي، كما يجب القطع مع خطاب التطرف والكراهية ومحاربهته .

السيناريوهات المستقبلية للدولة الخليجية تحمل تحديات وجودية خطيرة، إذا لم تتم معالجة الأزمة الطائفية، ورغم أن سيناريو التفكك مستبعد الحدوث في المستقبل القريب إلا أنه وارد في ظل التراجع النفطي والانفجار السكاني، وتصدر سياسات الهوية على حساب التوجه الإصلاحي .

الخاتمة

فرضت تحولات الواقع العربي والخليجي، وما نتج عنه من تسييس للهويات، وإقحامها في الصراعات السوسيو-سياسية داخليا وإقليميا ضرورة البحث في المسألة الطائفية، باعتبارها من أكثر الهويات المتفاعلة مع واقع التسييس. إن توظيف الطائفية كألية تدافع سياسي، ناجم عن إدراك واع بأهميتها وتجذرها، وقدرتها على التفكيك والتركيب، من قبل النظم الداخلية، وأيضا من طرف القوى الدولية والإقليمية.

تكن أهمية الظاهرة الطائفية في أنها تبدأ كحالة شعورية تتلبس الفرد، وتربطه بمركز الجماعة الطائفية التي يُستأسر ضمن حدودها، وتصوغ علاقته بالجماعات المقابلة، وفي هذه الحالة تتفكك البنية المجتمعية لكثل مجتمعية معقدة لها تاريخها وسرديتها ومصالحها وقياداتها، بدل أن تتأطر في بنى مدنية قائمة على فكرة المواطنة والندية والمساواة. إن الطائفية تأكيد على واقع التمايز الأفقي والعمودي داخل الطائفة، وكذلك مع الجماعات المقابلة، فهي تثبيت لقيم الاختلاف والتباين .

إن تشابك الطائفية مع الظواهر المقاربة، خاصة ذات البعد الهوياتي كالدين والمذهب، يصعب من عملية فهمها، وفصلها عن هذه الظواهر، فهي بقدر ما تتشابك معها، من خلال الاشتراك في توظيف قيم الانتماء، واستغلالها للحشد وتسوير الجماعة، بقدر ما تملك مميزات تخصها، كهوية فرعية تستهدف الجماعة ومصالحها، باعتبارها مكونا سوسيلوجيا، ولا تهتم بقيم الدين إلا بقدر ما توفره من إمكانات للحشد .

تفرض الطائفية أعباء خطيرة على الأمن المجتمعي، وتخلق معضلة أمنية مزمنة بين التشكيلات المجتمعية، بفعل إدراك التنافر والتصارع، إن هذا الواقع يستهلك الدولة ومؤسساتها، حيث تصبح ساحة للتنافس المجتمعي، وتُسَيَّر باعتبارها غنيمة، وتدار مؤسساتها كألية استيعابية. إن أخطار الأمن المجتمعي مكلفة على المستوى البعيد، وتبرز مع كل أزمة تعجز فيها السلطة عن الضبط الاجتماعي .

كشف البحث تجذّر الطائفية وتشابكاتها وتأثيرها في التاريخ والحاضر والمستقبل، كظاهرة إنسانية اجتماعية جدلية، تمتد آثارها للسياسة والاجتماع، بل حتى لإدراك الأفراد وتشبثهم. إن هذه التأثيرات

الكبيرة هي التي جعلت الطائفية مهمة في صناعة السياسات السلطوية، بما تحمله من قدرة تفكيكية للمجتمعات، حيث تُرجع مكوناتها إلى انتماءاتها الأولية، وتعيد تركيبها بتوازنات تحقق للسلطة تفوقها.

تجد الطائفية أسباب وجودها في عوامل عدة، كالدين، وتاريخ الشقاق والتنازع، وتراث التمييز والتفوق بين المجموعات، لكن الأهم، أنها بتجليها المعاصر نتيجة لتجربة الدولة ما بعد الكولونيالية في العالم العربي، حيث أنتج النموذج هذه الممارسات، بفعل سياسات الصهر القهري، واستهداف الخصوصيات الهوياتية، إضافة إلى التمييز الطائفي والوظيفي والاقتصادي، خاصة إذا اقترنت باختلاف هوياتي أو مناطقي.

إن الراهن العربي وتحولاته يدل على استراتيجيات تغريض المسألة الطائفية في إدارة السياسة الداخلية، وكذلك في تفاعلات الاستراتيجيات المتنافسة، وليس الواقع السياسي في الخليج بعيدا عن هذا، في ظل تقليدية البنية الاجتماعية وقوة تفرعاتها الهوياتية، أين حافظت عليها الدولة وسعت لإدارتها لا إلى إدماجها .

أفرز هذا الواقع رهانات على واقع الدولة الخليجية، في ظل الاتكاء على الفوائض الريعية لشراء السلم الأهلي، وعجز الإصلاحات عن الوصول لصيغة تدمج المكونات المجتمعية، وتتخلص من الاستئثار لمرحلة النشأة وانقساماتها وفكرها السياسي، إن هذا النمط من التسيير يعتمد على إدراك المكونات المجتمعية ككتل منافسة، في سياق تصارع العصب، وعليه تُستهدف التشكيلات في هوياتها طائفية كانت أو قبلية، في سبيل إضعافها، وهذا ما يدفع المكونات للانكفاء والاعتصاب دفاعا عن كيانيتها من هذه السياسات الإفتراضية، التي قد تأخذ شكل التمييز أو التصفية أو التشويه، بناء عليه تتأكد الفرضية الأولى .

إن التنوع والفسيفسائية قدر إنساني تتضمنه كل المجتمعات تقليدية كانت أم حديثة، فمن الصعب مصادفة مجتمع متجانس، أي تختفي فيه كل التمايزات، لكن في المقابل يُثبت الواقع تجارب تعايشية في إدارة مجتمعات شديدة الانقسامية، بل ذات ماضٍ تصارعي، وتمكنت من الانتقال الديمقراطي، بفعل التأسيس لمشروع جامع يُحيد الانتماءات الفرعية، ويستوعبها في نموذج الدولة. تثبت الدراسة أن ظهور

النظام الطائفي راجع لوجود القصد في توظيف سياسات الهوية، وانتفاء الإرادة في الفكك من الإدارة التقليدية التصارعية نحو التشاركية والإصلاح السياسي، بغرض تفكيك البنية المجتمعية، وإبقائها أسيرة صراعاتها. ومنه تتأكد الفرضيتان الثانية والثالثة.

تتعتمد النظم الخليجية خاصة التي تعرف انقسامًا طائفيًا حادًا كالبحرين، أو نشاطًا للحركات الشيعية كالسعودية والكويت، توظيف الهوية الطائفية، وأثبتت الأزمات السياسية الداخلية والخارجية، إضافة إلى إدارة التراجع الريعي، كيف يمكن للطائفية أن تكبح مطالب الإصلاح، وتعيق تشكيل جبهة شعبية وطنية متجاوزة للحالة الطائفية، وعليه تتأكد الفرضية الرابعة، إذ أن الأزمات المجتمعية تستهدف الجميع، وعليه فإنها تعمل على تشكيل وعي مشترك بأهمية تجاوزها، وترجمه هيئات مدنية، لكن الطائفية تفكك هذه الفضاءات.

إن هذا السياق المتناظر في البيئة الخليجية يجعلها مفككة وسهلة التوظيف في الاستراتيجيات الدولية، والأهم سريعة التأثير بالمتغيرات الخارجية، مع حجم الارتباطات المجتمعية والدينية، وهذا ما تؤكدته وتدعمه وقائع الربيع العربي، وقبلها تداعيات احتلال العراق والثورة الإيرانية. حوّلت الطائفية في ظل التنافس الإقليمي وصراع الأدوار والمصالح، إلى جزء من الإستراتيجية الخارجية، ليس بغرض الأيديولوجيا، بل من أجل التمكين للمصالح الوطنية، حيث شهدت مناطق الصراع والتنافس السعودي الإيراني حالة تأزم طائفي، إذ توزعت مصالح القوى المتنافسة عبر حدود الطوائف والكتل المجتمعية في كل من لبنان وسوريا والبحرين والعراق.

إن سبيل الخروج من الأزمة الطائفية يقضي التسليم بكونها أزمة واقعة، تستلزم الحل والتسوية الجذرية، لا السياسات التكتيكية التي تفرضها متغيرات الداخل وضغوطات الخارج. وهذا عبر مسار الإصلاح السياسي والتحول التدريجي نحو النموذج الديمقراطي المتعايش مع خصوصيات المنطقة الخليجية ومجتمعاتها، بحثًا عن تجربة استيعابية تمثل جميع مكوناتها. ومنه تتأكد الفرضية الخامسة، لأن البديل عن هذا المسار هو مزيد من التأزم، في ظل انكشاف الجبهة الداخلية وانقساميتها.

من العسير أن تعمل الطائفية على تفكيك الدول الخليجية، حيث أن الأزمة لا تأخذ ذات التأثير في كل الأقطار، التي تعرف تدرجا من التأزم الطائفي الحاد في البحرين، وصولا لحالة تعايشية فريدة في عمان. كما أن الهوية الطائفية ليست دائما بذات القدرة على الحشد والتأثير مقارنة بباقي الانتماءات الفرعية التي تزاحمها، والتي تتحدد قدرتها حسب المنطقة، وحسب السياق التاريخي والمعاصر، فهناك أقطار تبرز فيها أهمية القبيلة وانتماءاتها، وفي مناطق أخرى يبرز الانتماء المناطقي. وعليه فتحديات الدولة الخليجية لا تنأتي من الهوية الطائفية فقط .

تتحو الدولة الخليجية مع التطور التكنولوجي إلى زيادة آلياتها الرقابية، التي تعيق الكتل المجتمعية، وتكبح تشكل أي عمل إصلاحي، وهذا يعبر عن اختلال العلاقة بين الدولة والمجتمع لصالح الأولى، التي تتضخم لديها السطوة وآليات السيطرة، في مقابل بنية مفككة سهلة التأثر بالهويات الفرعية، وتستجيب سريعا لآليات التطييف. ومنه فقد يتأثر الأمن المجتمعي الخليجي بهذه الهويات التي قد تظهر بفعل الأزمات الاقتصادية الناجمة عن الفشل في إدارة الريع، لكن من الصعب أن يتغير النموذج الحالي في دول الخليج في المستقبل القريب، في ظل المؤشرات الراهنة من السلطة والمجتمع.

بناء على ما سبق يمكن استخلاص النتائج التالية:

- الطائفية ممارسة استبعادية، مبعثها بنية شعورية قوامها التميز والاختلاف عن الكتل المقابلة، تجد موردها في الدين والتاريخ وكذلك في السياسات التمييزية .
- الطائفية ظاهرة سياسية بامتياز، لأن خطورتها ليست في اختلاف المكونات أو تمايزها فهذا نظام مجتمعي طبيعي، لكن الخطر هو في تغريض الهوية الطائفية، وتوسّلها في الصراع السياسي، بغرض الحشد والتجيش، أو فرض توازنات جديدة .
- الطائفية الراهنة هي نتيجة الدولة العربية المعاصرة وتجربتها، وأيضا تركة الدولة الإمبراطورية وما نشأ عنها من تدخلات كولنيالية قسمت المصالح، وهندست معها التباينات الطائفية لتحول حدود الجماعات إلى حدود النفوذ الكولنيالي، استثمرت الدولة العربية في هذا الواقع، وفشلت في الخروج منه نحو تجربة تشاركية .



- كانت الحدود بين الطوائف والاثنيات مدخلا للسياسات الكولنيالية واقتسام مساحات النفوذ، تسعى دراسات الاستشراق الجديد لمقاربة واقع المنطقة ومستقبلها من خلال مدخل الهويات الطائفية والإثنية، لصناعة تصور جديد يعيد تأسيس دول المنطقة بناء عليه، تترجمه السياسات التدخلية، لكن هذا الهدف تيسره وتمكّن منه السياسات الاستيعادية داخليا.
- يؤدي توظيف الهويات الطائفية إلى تحول الطوائف إلى عصب متنافسة على الموارد المادية والرمزية، وهذا يهدد الأمن المجتمعي، ويشيع خطاب الكراهية، الذي يصوغ انتماءً جديداً يبتعد عن الانتماء الوطني، ويدخل الدولة في مرحلة تنازع قد تحيل إلى ضعفها في مواجهة المجتمع المفكك.
- التنوع المجتمعي حقيقة تاريخية في الخليج العربي بفعل جغرافيا المنطقة وتاريخها الحضاري، وأيضاً بفعل أهميتها الإستراتيجية. يمثل الشيعة كتلة ديمغرافية ممتدة ومنتشرة في جغرافيا الخليج، لكن يلاحظ انتشارها على مستوى الساحل الشرقي أو في الحدود والمناطق الطرفية، كما يتواجد الشيعة في مناطق حيوية لدولهم وللعالم وهذا يتيح لهم التأثير ، في أي تطور خطير نحو أزمات أمنية - مجتمعية .
- يُعبر الفكر السياسي لمشيخات دول مجلس التعاون الخليجي، على إدارة الدولة الحديثة بآليات الماضي، وامتداد دور القبيلة، رغم التحولات التي فرضها الريع، حيث أخل بالتوازن القبلي لصالح السلطة، التي ركزت الثروة والقوة، لكنها أبقّت على انتماءات ما قبل الدولة بغرض إحكام السيطرة.
- الطائفية متباينة التأثير في دول مجلس التعاون الخليجي، رغم أن السلطويات الخليجية تتشارك في بعض ملامح توجهاتها السياسية التي تقارب الهويات الفرعية، حيث أن لكل قُطر سماته الخاصة التي تؤثر فيها سردية النشأة، وتطورات التجربة السياسية داخليا، علاوة على المؤثرات الخارجية.
- لم تلح التجربة الديمقراطية المحدودة في بعض أقطار دول المجلس على تجاوز الطائفية، بل يلاحظ تكيف المكونات الهوياتية القبلية والطائفية مع آليات العمل الديمقراطي، وهذا ما قد ينذر بسطوة هذه الانتماءات على المؤسسات الديمقراطية مستقبلا، إذ لم يرافق التحول الديمقراطي إن حدث بنتشئة سياسية ومجتمعية مدنية .

قائمة المراجع

**Les Références**

أ/ باللغة العربية :

القرآن الكريم

المعاجم والموسوعات :

- عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية، ج1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1979، ص768.
- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، ج2 ، بيروت ، 1982 .

الكتب :

- 1- أحمد بيضون، للطائفية تاريخ في تشكل الطوائف وحدات سياسية، في المسألة الطائفية و صناعة الأقليات في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، ط1 ، 2017 .
- 2- أحمد سعد العوفي ، الهوية الشيعية في صيرورة تطور مجال القوة و إعادة إنتاج الهوية الشيعية في السعودية ، في المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2017.
- 3- أشرف عثمان محمد الحسن، الدولة النيوباتريمونبالية في المشرق العربي: في المنطق العصوي وإعادة إنتاج الطائفة، في المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2017.
- 4- أنور محمد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية : دراسة مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة ، مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية ، العراق ، 2007 .
- 5- أوليفيه روا، تحربة الإسلام السياسي، دار الساقى ، بيروت ، ط2، 1996.
- 6- باقر سلمان النجار ، الدولة العربية : بين إخفاقات البناء وتعطل الاندماج ، في جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي ،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، ط1 ، 2014 .
- 7- باقر سلمان النجار، الدولة العربية : بين إخفاقات البناء وتعطل الاندماج ، في جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي ،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، ط1 ، 2014 .
- 8- باقر سلمان النجار،الفئات والجماعات : صراع الهوية والمواطنة في الخليج العربي، في الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط2013، 1.
- 9- بدر الابراهيم ومحمد الصادق، الحراك الشيعي في السعودية تسييس المذهب ومذهبة السياسة ، الشبكة العربية للأبحاث ، بيروت ، ط1 ، 2013.

- 10- بدرية البشر ، وقع العولمة في مجتمعات الخليج العربي : دبي والرياض أنموذجاً ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2008 .
- 11- برنارد لويس، الإيمان و القوة : الدين و السياسة في الشرق الأوسط ، (ترجمة أشرف محمد الكيلاني) ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ط1 ، 2017.
- 12- برهان غليون ، المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط3، بيروت، 2012.
- 13- برهان غليون، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1990.
- 14- بشير ناظم حميد، الأزمة الطائفية: دراسة في علم الاجتماع ، الأردن ، دار دجلة ، ط1 ، 2017 .
- 15- بول آرتس وكالرولين رولانتس، العربية السعودية : مملكة في مواجهة المخاطر (ترجمة : ابتسام الخضرا)، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 2016 .
- 16- توبي ماثيسن ، الخليج الطائفي والربيع العربي الذي لم يكتمل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2014.
- 17- توفيق السيف ، أن تكون شعباً في السعودية : إشكالات المواطنة والهوية في مجتمع تقليدي ، الطبعة الأولى ، 2013 ، (د.م.ن)
- 18- توفيق السيف ، تفكيك الاستبداد : الاستبداد وآليات إعادة إنتاجه والسبل الممكنة لمواجهته (دراسة حالة) ، في الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 2005 ، ص 221.
- 19- توفيق السيف، المسألة الطائفية في المملكة : دعونا نتجاوز الفشل ، في محمد حامد الأحمرى ، ندوة مستقبل التعدد المذهبي في منطقة الخليج العربي ، 30 أكتوبر 01 نوفمبر 2011 ، الدوحة، الطبعة الأولى، 2013 .
- 20- ثناء فؤاد عبد الله ، الدولة والقوى الاجتماعية في الوطن العربي: علاقات التفاعل والصراع ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 2001.
- 21- جلال الدين محمد صالح، الطائفية الدينية: بواعثها واقعها مكافحتها، دار جامعة نايف للنشر، الرياض، 2016.
- 22- جلال الدين محمد صالح، ولاية الفقيه وإشكالية السلطة في الفقه الشيعي: المنطلقات الفكرية، الأسس الإستراتيجية، الآثار الأمنية، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض ، ط1 ، 2015.
- 23- جلال مصطفى حسن، الفدرالية الإثنية وعدم الاستقرار السياسي في العراق، في المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2017.
- 24- جيفري مارتيني وآخرون، مستقبل العلاقات الطائفية في الشرق الأوسط ، مؤسسة راند ، 2017 .
- 25- حسام كصاي، إشكالية الطائفية في الفكر العربي المعاصر : آليات الخروج الآمن للعرب من نفق التطرف، صفحات للنشر والتوزيع ، دمشق ، 2016 .

- 26- حسن عبد الله جوهر وحامد حافظ العبد الله، الشبيعة والمشاركة السياسية: حالة الكويت، في الشبيعة العرب المواطنة والهوية، تحرير حيدر سعيد، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة ، 2019.
- 27- حسن موسى الصفار، الطائفية بين السياسة والدين، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2009.
- 28- حسين بوقارة ، دراسة في عناصر التشخيص والاتجاهات النظرية للتحليل، دار هومة ، الجزائر ، 2012 .
- 29- حمزة الحسن ، الشبيعة في المملكة العربية السعودية، الجزء الثاني: العهد السعودي 1913-1991، بيروت، دار الساقي، ط1، 2010.
- 30- خلدون النقيب، المجتمع في الخليج والجزيرة العربية من منظور مختلف، مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي محور المجتمع والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008.
- 31- خليل علي حيدر، الحركات الإسلامية في الخليج : البحرين ، قطر ، الإمارات، في الحركات الإسلامية في الوطن العربي ، المجلد الثاني ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2013 .
- 32- ديبورا أموس، أقول أهل السنة: التهجير الطائفي وميليشيات الموت وحياة المنفى بعد الغزو الأمريكي للعراق، (ترجمة : محمد فاضل)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ، 2014.
- 33- ديتريسانغهااس ، الصدام داخل الحضارات: التفاهم بشأن الصراعات الثقافية، (ترجمة: شوقي جلال)، دار العين للنشر، القاهرة، 2008.
- 34- زين الدين خرشي، آليات إنتاج وإعادة إنتاج النظام الطائفي، في المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2017.
- 35- سابينو أكوافيفا وانزو بانثشي، علم الاجتماع الديني : الإشكالات والسياقات ، (ترجمة: عز الدين عناية) ، ط1 ، هيئة أبوظبي للثقافة ، 2011 .
- 36- سامي ناصر خليفة وحسن عبد الله جوهر ، الحالة الكويتية ، في كيف يصنع القرار في الأنظمة العربية دراسة حالة : الأردن ، الجزائر ، السعودية ، السودان ، سورية ، العراق ، الكويت ، لبنان ، مصر ، المغرب ، اليمن ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، 2010 .
- 37- ستيفان لا كروا ، زمن الصحوة : الحركات الإسلامية المعاصرة في السعودية ، (ترجمة : عبد الحق الزموري) الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ، ط1 ، 2012 .
- 38- سعد العبيدي ، دوامات المحنة ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان ، ط1 ، 2007 ، ص 137 .
- 39- سعيد الهاشمي، المواطنة المثلومة: محاولة لفهم واقع المواطنة في بلدان الخليج العربية، في الثابت والمتحول 2019: المواطنة في تيارات الخليج، مركز الخليج لسياسات التنمية، 2019.
- 40- سعيد بن سلطان الهاشمي ، الحركات الإسلامية في سلطنة عمان ، في الحركات الإسلامية في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2013 .

- 41- سكوت بورتشيل وآخرون، نظريات العلاقات الدولية، (ترجمة محمد صفار) ، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014.
- 42- سيد أحمد قوجيلي، تطور الدراسات الأمنية وعضلة التطبيق في العالم العربي ، الإمارات ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، ط1 ، 2012.
- 43- شحاتة محمد ناصر، سياسات النظم الحاكمة في البحرين والكويت والعربية السعودية في التعامل مع المطالب الشعبية (2003-2008) : دراسة مقارنة ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011.
- 44- شفيق ناظم الغبرا ، التماسك الاجتماعي في الكويت .. من التكوين إلى حراك 2011 ، في :الخليج والربيع العربي : الدين والسياسة ، مركز المسبار للدراسات والبحوث ، ط1 ، 2013 .
- 45- طه جابر العلواني ، العراق الحديث بين الثوابت والمتغيرات ، القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ، 2004.
- 46- عبد الإله بلقزيز ، دور الدولة في مواجهة النزاعات الأهلية ، في النزاعات الأهلية العربية : العوامل الداخلية والخارجية ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001.
- 47- عبد الإله بلقزيز و آخرون، الطائفية و التسامح والعدالة الانتقالية من الفتنة إلى دولة القانون، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، 2013 .
- 48- عبد الإله بلقزيز، الدين والدولة في الاجتماع العربي المعاصر : نظريا ،وتاريخيا ،واستشرافا ،في الدين والدولة في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1، 2013 .
- 49- عبد الحسين شعبان، الطائفية وأدلجة الهوية ، في عشر سنوات هزت العالم : عقد على احتلال العراق 2003-2013 ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة ، ط1، 2015.
- 50- عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق محمد الشامي ، الجزائر ، دار الكتاب الحديث ، 2016.
- 51- عبد الرحمن منيف، القومية والهوية والثورة العربية، في الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2013.
- 52- عبد العزيز بن احمد البداح، حركة التشيع في الخليج العربي : دراسة تحليلية نقدية (1971-2010) ، المركز العربي للدراسات الإنسانية، مصر ، ط1 ، 2010 .
- 53- عبد الله البريدي، السلفية الشيعية والسنية: بحث في تأثيراتها على الاندماج الاجتماعي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط2، 2014.
- 54- عبد الله العروي ، مفهوم الدولة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1981.
- 55- عبد الله الغدامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط2، 2009.

- 56- عبد الله النفيسي، المشروع الإيراني في المنطقة العربية، مقدمة الطبعة الثالثة ، مصر ، دار النشر للنشر والتوزيع ، ط3 ، 2015 .
- 57- عبد الملك الزوم ، الصورة النمطية وصناعاتها لطوائف والأقليات في بلاد الشام في كتب الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر، في المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2017.
- 58- عبد الوهاب المسيري وآخرون، إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، 1996.
- 59- عدنان السيد ، البيئة الإقليمية والدولية الضاغطة ، في النزاعات الأهلية العربية : العوامل الداخلية والخارجية ، مجموعة مؤلفين ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 1997.
- 60- عرفات علي جرغون ، العلاقات الإيرانية الخليجية : الصراع - الانفراج - التوتر ، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016.
- 61- عزمي بشارة ، الطائفة ، الطائفية ، الطوائف المتخيلة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة ، 2018.
- 62- عزمي بشارة، الطائفة، الطائفية، الطوائف المتخيلة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2018.
- 63- عزمي بشارة، طروحات حول المسألة الطائفية: إطار نظري، في المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2017.
- 64- علي أسعد بركات، الأمن الاجتماعي: دراسة حالة جامعة دمشق، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2010 .
- 65- علي أسعد وطفة، و آخرون، إشكالية الهوية و الانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة، في الهوية وقضاياها المعاصرة في الوعي العربي، تحرير و تقديم : رياض زكي قاسم ، مركز دراسات الوحدة العربية، 2013.
- 66- علي الزميع ، المواطنة الدستورية في فكر الحركات الإسلامية السنية والشعبية الخليجية، في تيارات المواطنة في الخليج ، مركز الخليج لسياسات التنمية ، الكويت 2019 .
- 67- علي الوردي، لمحات من تاريخ العراق الحديث، ج2 من سنة 1981 إلى سنة 1872 ، دار الراشد ، بيروت.
- 68- علي خليفة الكواري، الخليج العربي والديمقراطية : نحو رؤية مستقبلية لتعزيز المساعي الديمقراطية. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2002.
- 69- علي فهد الزميع ، تجربة الانتقال إلى الديمقراطية في دولة الكويت ، في لماذا انتقل الآخرون إلى الديمقراطية وتأخر العرب ؟ دراسة مقارنة لدول عربية مع دول أخرى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2009 .

- 70- علي فهد المزيح، الحركات الإسلامية السننية والشيعية في الكويت، الجزء الأول ، دار نهوض للدراسات والنشر ، (د.ت.ن).
- 71- عمر الشهابي وآخرون، الثابت والمتحول 2014: الخليج ما بين الشقاق المجتمعي وترباط المال والسلطة. مركز الخليج لسياسات التنمية، الكويت ، 2014.
- 72- عمر هشام الشهابي ، نقيض المواطنة : تاريخ نشوء الحكم المطلق في بلدان الخليج العربية ، في تيارات المواطنة في الخليج ، مركز الخليج لسياسات التنمية ، الكويت 2019 .
- 73- غوستاف لوبون ، سيكولوجيا الجماهير ، ترجمة : هاشم صالح ، دار الساقى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1991.
- 74- فالح عبد الجبار ، المشكلة الطائفية في الوطن العربي، في الطائفية والتسامح والعدالة الانتقالية من الفتنة إلى دولة القانون، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، 2013 .
- 75- فالح عبد الجبار ، بناء الدولة- الأمة ومشكلة الانشطارات الدينية/المذهبية: من التسييس إلى العسكرة مقارنة سيكولوجية- سياسية (العراق أنموذجاً) ، في المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2017.
- 76- فتحي العفيفي ، الاستعصاء اللبرالي في الخليج العربي ، في مجلس التعاون لدول الخليج العربية : تحديات الراهن وأسئلة المستقبل ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2008 .
- 77- فرانسوا تويال ، الشيعية في العالم : صحوة المستعدين وإستراتيجيتهم ، (ترجمة: نسيب عون) ، بيروت ، دار الفارابي ، ط1، 2007 .
- 78- فرانسوا تويال، الشيعية في العالم: صحوة المستعدين وإستراتيجيتهم، (ترجمة: نسيب عون) ، بيروت، دار الفارابي ، ط1، 2007 .
- 79- فرهاد إبراهيم، الطائفية والسياسة في العالم العربي: نموذج الشيعية في العراق، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996.
- 80- فلاح عبد الله المديرس ، الحركة الشيعية في الكويت ، دار قرطاس للنشر ، الكويت ، ط1، 1999.
- 81- فؤاد إبراهيم ، الشيعية في السعودية ، دار الساقى، بيروت، 2007.
- 82- فوليبب داغر ، الطائفية وحقوق الإنسان ، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان ، القاهرة ، 1995 .
- 83- كارستن فيلاند ، الدولة القومية خلافا لإرادتها ، ترجمة محمد جديد ، دمشق ، دار المدى ، 2007 .
- 84- كارين ارمسترونغ، حقول الدم: الدين وتاريخ العنف، (ترجمة: أسامة غاوجي)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2016.
- 85- كريستان كوتس أريتشن، انتفاضة البحرين: المضامين المحلية والاحتمالات الإقليمية والدولية، في الشرق الأوسط الجديد: الاحتجاج والثورة والفوضى في الوطن العربي ،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2016 .



- 86-كريستان كوتس أريتشن، انتفاضة البحرين: المضامين المحلية والاحتمالات الإقليمية والدولية، في الشرق الأوسط الجديد: الاحتجاج والثورة والفوضى في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2016 .
- 87-كريستوفر جافرلو ، الدولة في مواجهة الطوائف، (ترجمة منتصر حمادة) ، مؤمنون بلا حدود ،الرباط ، 2017 .
- 88-كريستوفر م. ديفيدسون، ما بعد الشيوخ : الانهيار المقبل للمالك الخليفة، مركز أوال للدراسات والتوثيق ، بيروت ، 2014 .
- 89-ليون ت غولدسميث ، دائرة الخوف : العلويون السوريون في الحرب والسلام ، (ترجمة: عامر شيخوني)، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، 2017 .
- 90-مارتن غريفش، خمسون مفكرا في العلاقات الدولية ، مركز الخليج للأبحاث، الإمارات، 2008 .
- 91-محمد أبو العينين، إدارة الصراعات العرقية في إفريقيا ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، 2000 .
- 92-محمد السعيد إدريس، النظام الإقليمي للخليج العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 2000 .
- 93-محمد بن المختار الشنقيطي، أثر الحروب الصليبية على العلاقات السنية الشعبية ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ، 2016 .
- 94-محمد بن صنيان ، السعودية : السياسي والقبيلة ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، 2008 .
- 95-محمد جابر الأنصاري ، إشكالية التكوين المجتمعي العربي : أقبليات أم أكثرية متعددة ؟، في النزاعات الأهلية العربية : العوامل الداخلية والخارجية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001 .
- 96-محمد جابر الأنصاري ، تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القطرية : مدخل إلى إعادة فهم الواقع العربي ، ط2 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1995 .
- 97-محمد سعدي، أزمة دولة المواطنة بعد الحراك العربي: الفدرالية حل أم مأسسة للطائفية، في المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2017 .
- 98-محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي: المفاهيم، المناهج، الاقتربات والأدوات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997 .
- 99-محمد عابد الجابري ، فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط8 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2007 .
- 100- محمد غانم الرميحي، البحرين : مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي ، دار الجديد : بيروت ، ط4 ، 1995 .

- 101- محمد مهدي عاشور، التعددية الإثنية إدارة الصراعات واستراتيجيات التسوية، المركز العلمي للدراسات السياسية، الأردن، 2002.
- 102- مصطفى الحباب وآخرون، السعوديون الشيعة : الفكرة .. والإشكالات ( رصد وتحليل) ، مركز صناعة الفكر للدراسات و الأبحاث ، بيروت ، 2015.
- 103- مصطفى عقيل الخطيب، الخليج العربي : دراسات في الأصول التاريخية والتطور السياسي، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر ، 2013.
- 104- مضاي الرشيد، المآزق الداخلية في السعودية والاستجابات الإقليمية للانتفاضات العربية، في الشرق الأوسط الجديد : الاحتجاج والثورة والفوضى في الوطن العربي ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت، ط1، 2016 .
- 105- معتز سيد عبد الله، الاتجاهات التعصبية ، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1989 ، .
- 106- مهدي عامل ، في الدولة الطائفية، دار الفارابي ، بيروت ، ط3 ، 2003 .
- 107- موسى الحسيني ، الطائفية في الوطن العربي أسبابها ومظاهرها العراق نموذجا ، القاهرة ، شمس للنشر ، 2017.
- 108- نبيل عبد الهادي ، تشكيل السلوك الاجتماعي ، دار البازوردي العلمية ، عمان ، 2016 .
- 109- نجلاء مكايي وآخرون، الإستراتيجية الإيرانية في الخليج العربي، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، بيروت، 2015.
- 110- نصر محمد عارف، إبستمولوجيا السياسة المقارنة: النموذج المعرفي، النظرية، المنهج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2002.
- 111- نوري إدريس، الدولة - الأمة : الطائفية والفضاء العمومي في العالم العربي، في المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2017.
- 112- وجيه كوثراني ، بلاد الشام في مطلع القرن العشرين: السكان والاقتصاد وفلسطين والمشروع الصهيوني، قراءة في وثائق الدبلوماسية الفرنسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ط2، 2013.
- 113- ولي نصر، صحوة الشيعة : الصراعات داخل الإسلام وكيف سترسم مستقبل الشرق الأوسط ، دار الكتاب العربي ، بيروت 2007 .
- 114- وليد عبد الحي ، نموذج قياس النزعة الانفصالية للأقليات في الوطن العربي ، في جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي ،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، ط1 ، 2014 .

- 115- يسين درويش جزائري ، الطائفية بين الهوية والسياسة الدولية، في المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2017.
- 116- يوسف الديني ، الطائفية صحوه الفتنة النائمة، مركز المسبار للدراسات و البحوث، الإمارات، ط3، 2011 .
- 117- يوسف خليفة اليوسفي، مجلس التعاون الخليجي في مثلث الوراثة والنفط والقوى الأجنبية، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2011.

الدوريات :

- 1- أحمد الإسماعيلي، التعددية الإثنية واللغوية والدينية في عمان وعلاقتها بالاستقرار السياسي، مجلة عمران، العدد 11 ، المجلد الثالث ، شتاء 2015 .
- 2- أحمد الدين ،الحاجة إلى الإصلاح في الكويت، المستقبل العربي ، العدد 402 ، أغسطس 2012.
- 3- أحمد بيضون، مصطلحا طائفة و طائفية: ترسيم لنسبهما الدلالي على نية المترجمين، مجلة بدايات ، العددان 3 و 4 خريف 2012، شتاء 2013 ، ص ص، 2-3.
- 4- أمبارك حامدي، الطائفية في اللغة و الاصطلاح، سلسلة ملفات بحثية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، الرباط، يوليو 2016، ص 87.
- 5- باقر سلمان النجار، الهوية وصراعات الإقليم في الخليج العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد 484 ، يونيو 2019 .
- 6- بدر الدين هوشاتي، انعكاسات الطائفية السياسية على الاستقرار السياسي، سلسلة ملفات بحثية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، يوليو 2016 .
- 7- حزام عبد الواحد ، البهائية هل هي فرقة أم طائفة أم عقيدة ، سلسلة ملفات بحثية ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، الرباط ، يوليو 2016 .
- 8- حميد فاضل حسن ، إشكالية الطائفية السياسية في العراق بين الاستمرارية والانكفائية ، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد 32، 2006 ، .
- 9- حيدر سعيد ، المسألة الشيعية في المخيال السياسي العربي، مجلة آفاق المستقبل، الإمارات، العدد 8 نوفمبر/ ديسمبر 2010 .
- 10- خالد المصري ، النظرية البنائية في العلاقات الدولية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية ، المجلد 30 ، العدد الثاني ، 2014 .
- 11- دانا الكرد ، قدرة الدولة وتأثيرها في الرأي العام، مجلة سياسات عربية، العدد 29 ، نوفمبر 2017.
- 12- راشد أحمد راشد إسماعيل، سياسات بلدان مجلس التعاون الخليجي تجاه تداعيات أزمة ربيع الثورات العربية : البحرين أنموذجا ، المجلة العربية للعلوم السياسية ، العدد 43-44 ، أيلول - سبتمبر 2014 .

- 13-رشيد البزيم، دول الخليج وتحديات التحولات في مجال الطاقة، مجلة سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة، العدد 37 ، مارس 2019.
- 14-سمية بلعيد، تأثير الانقسامات الطائفية على استقرار الأنظمة السياسية الخليجية، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد الثاني عشر، جانفي 2018 .
- 15-سناء سليمان ، الطائفية المفهوم وإشكالاته ومخاطره ، مجلة شؤون خليجية ، العدد 47 ، خريف 2006 ، ص 61.
- 16- السيد صدقي عابدين ، تحليل العلاقات الدولية من منظور بنائي، مجلة النهضة ، كلية الاقتصاد و العلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، العدد الأول ، أكتوبر 1999 .
- 17-شحاتة محمد ناصر، سياسات النظم الحاكمة في البحرين والكويت والعربية السعودية في التعامل مع المطالب الشيعية (2003-2008) : دراسة مقارنة ، مجلة المستقبل العربي ، العدد 387، مايو 2011 .
- 18-صلاح الدين لعريني، مفهوم الهابيتوس عند بيير بورديو، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 09، نوفمبر 2014.
- 19-عادل زقاغ، المعضلة الأمنية المجتمعية: خطاب الأمننة وصناعة السياسة العامة، مجلة دفاتر السياسة والقانون، المجلد الثالث، العدد الخامس، جوان 2011.
- 20-عبد العالي العبدولي، نقد المبنى التكويني للموجود الانجلوسكسوني المبنى الأمريكي نموذجاً، مجلة الاستغراب، العدد الأول، خريف 2015.
- 21-عبد القادر عبد الله عرابي، عرض كتاب الحركات الدينية في الخليج العربي، مجلة المستقبل العربي، المجلد 30، العدد 346، ديسمبر 2007.
- 22-عبد الله باعبود، عرض كتاب باقر سلمان النجار الحداثة الممتنعة في الخليج العربي: تحولات المجتمع والدولة، المستقبل العربي ، العدد 486، أغسطس 2019.
- 23-عبد المجيد سويلم، الطائفية من منظور مختلف، مجلة تسامح، مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، العدد 5، مارس 2007، ص 107.
- 24-عبد المحسن هلال ، الحاجة إلى الإصلاح في المملكة العربية السعودية، مجلة المستقبل العربي، العدد 402، أغسطس 2012 .
- 25-عبد النور بن عنتر، تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية، السياسة الدولية، القاهرة: مؤسسة الأهرام، العدد 160، أبريل 2005 .
- 26-عزمي بشارة ، الطائفة والطائفية: من اللفظ ودلالاته المتبدلة إلى المصطلح السيسولوجي التحليلي ، مجلة عمران ، العدد 23 ، شتاء 2018 ، ص 14.
- 27-عزمي بشارة، مدخل لفهم المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في المشرق الكبير، مجلة عمران، العدد 11، شتاء 2015، ص 08.

- 28- علي بن مبارك ، الطائفية و مقومات الخطاب الطائفي : تأملات و استشرافات ، سلسلة ملفات بحثية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، الرباط ، يوليو 2016، ص 47.
- 29- فتوح صادق ، التركيبة الطائفية في دول الخليج، مجلة شؤون خليجية ، العدد 47 ، 2006 .
- 30- فتحة طويل ، النظرية الوظيفية الجديدة وتحليل البناء الاجتماعي ، مجلة التغيير الاجتماعي ، مخبر التغيير الاجتماعي و العلاقات العامة في الجزائر ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، العدد الأول، فيفري 2018.
- 31- محمد المهدي شنين، السياسة الخارجية الإيرانية: التحولات الأيديولوجية والثوابت البراغمية.. محاولة للفهم، مجلة الواحات، جامعة غرداية، المجلد التاسع، العدد 2، ديسمبر 2016.
- 32- محمد باقر النجار، العمالة الأجنبية وقضايا الهوية في الخليج العربي، مجلة عمران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد الثالث، شتاء 2013 .
- 33- محمد فرحة وبتول حكمت محمد ، البيئاتية وأهميتها عند موريس ميرلوبونتي، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، سلسلة الآداب و العلوم الإنسانية ، ، المجلد 39 ، العدد الثالث ، 2017.
- 34- مرابط رابع ، المأزق الأمني المتعدد الأبعاد، مجلة دراسات إستراتيجية ، العدد العاشر ، مارس 2010.
- 35- المنصف عبد الجليل ، البهائية هل هي فرقة أم طائفة أم عقيدة ، سلسلة ملفات بحثية ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، الرباط ، يوليو 2016 .
- 36- موسى الحسيني ، الطائفية في الوطن العربي : تعريفها و أسباب ظهورها ، مجلة المستقبل العربي ، السنة 35 ، العدد 408 ، فبراير 2013 .
- 37- نصر الدين العياضي ، الخطاب الطائفي في الفضائيات الدينية، سلسلة ملفات بحثية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، الرباط ، يوليو 2016 .
- 38- نظام عبد الحكيم الشافعي، تطور الأحجام السكانية والقوى العاملة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين ، مجلة عمران ، العدد 16 ، ربيع 2016

#### الأطروحات الأكاديمية :

- 1 - يوسف بن بزة ، الدولة والطائفة في عصر العولمة : دراسة في بنية الدولة العربية الحديثة - لبنان أنموذجاً - ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في العلوم السياسية ، تخصص تنظيمات سياسية و إدارية ، قسم العلوم السياسية ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر ، 2012 .
- 2 منيغر أسماء ، التنوع الثقافي من منظور الأمن المجتمعي ، مذكرة ماجستير في القانون العام تخصص حقوق الإنسان و الأمن الإنساني ، قسم الحقوق، كلية الحقوق و العلوم السياسية ، جامعة سطيف 2 ، 2014 .

- 3 تباي وهيبه ، الأمن المتوسطي في إستراتيجية الحلف الأطلسي : دراسة حالة الإرهاب ، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية تخصص دراسات متوسطة و مغربية الأمن و التعاون ، قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق و العلوم السياسية ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، 2014 .
- 4 حجار عمار، "السياسة المتوسطة الجديدة للاتحاد الأوربي: إستراتيجية جديدة لاحتواء جهوي شامل".مذكرة ماجستير في تخصص علوم سياسية ، قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية،جامعة باتنة،2003.
- 5 سليم بوسكين، تحولات البيئة الإقليمية وانعكاساتها على الأمن الوطني الجزائري، مذكرة ماجستير في تخصص علاقات دولية وإستراتيجية، قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر بسكرة،2015.
- 6 محمد أمين بن جيلالي ، مشكلة بناء الدولة وفق أدبيات السياسة المقارنة ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية ، تخصص السياسات المقارنة ، كلية الحقوق و العلوم السياسية ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، 2014 .
- 7 حمد سعيد الشامسي ، العلاقات العربية - العربية في التاريخ الحديث والمعاصر : مجلس التعاون الخليجي نموذجا ، أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة بيروت العربية، 2016.

#### التقارير :

- 1- جاستن جينغلر ، فهم السياسة الطائفية في منطقة الخليج، في السياسة الطائفية في الخليج، مركز الدراسات الدولية والإقليمية، جامعة جورج تاون في قطر، 2015.
- 2- جين كننمنت، البحرين : ما وراء الجمود، المعهد الملكي للشؤون الدولية (تشاتام هاوس) ،لندن، يونيو 2012.
- 3- سلمى حمدي و آخرون ، الملل والنحل التقرير السنوي 2005 ، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، القاهرة ، 2005 .
- 4- غريغوري غوس، ما وراء الطائفية : الحرب الباردة الجديدة في الشرق الأوسط، معهد بروكز الدوحة، قطر، 2014.
- 5- كريست سميث ديوان، الفصائل الملكية والاستراتيجيات الحاكمة والطائفية في البحرين، في السياسة الطائفية في الخليج، مركز الدراسات الدولية والإقليمية، جامعة جورج تاون في قطر، 2015.
- 6- كريستوف ويكلي، الحرمان من الكرامة : التمييز المنهجي والمعاملة المتسمة بالعدوانية بحق المواطنين السعوديين من الشيعة، هيومن رايتس ووتش ، سبتمبر 2009.
- 7- لورنس ج. بوتر، مقدمة تقرير السياسة الطائفية في منطقة الخليج ، مركز الدراسات الدولية والإقليمية، جامعة جورج تاون في قطر، 2015.

- 8- لورنس لوير ، الدول والهويات الطائفية في منطقة الخليج : البحرين والمملكة العربية السعودية والكويت من منظور مقارن، في السياسة الطائفية في الخليج، مركز الدراسات الدولية والإقليمية، جامعة جورج تاون في قطر، 2015.
- 9- مجموعة الأزمات الدولية ، المسألة الشيعية في المملكة العربية السعودية ، ملخص تنفيذي . 2005/09/19 .

### الملتقيات العلمية :

- 1- إميل بدارين ، من الطائفية الاجتماعية إلى الطائفية السياسية ، الدورة الثالثة للمؤتمر السنوي الثالث في قضايا الديمقراطية ، المسألة الطائفية و صناعة الأقليات في المشرق العربي الكبير ،الدوحة، أيلول سبتمبر 2014 .
- 2- توفيق السيف ، المسألة الطائفية بحث عن تفسير خارج الصندوق المذهبي ،مؤتمر الوحدة الإسلامية وديعة محمد صلى الله عليه و سلم ، مملكة البحرين ، 28 إلى 30 ديسمبر 2007 .
- 3- عزمي بشارة ، الطائفية خطر يهدد ببناء الثورات العربية للديمقراطية ، أعمال ندوة الثورة العربية و الديمقراطية جذور النزاعات الطائفية و سبل مكافحتها ، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات ، الدوحة 28 يناير 2012.

### المواقع الكترونية :

- 1- إبراهيم الشيخ ، أزمة البحرين الطائفية .. وأداء الجمعيات الإسلامية السياسية ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/JR32C>
- 2- إسلام محمد السيد علي ، عرض لكتاب الدولة في المجتمع ، بحث مقدم ضمن مقياس نظرية السياسية المقارنة ، برنامج الدكتوراه الموسم الجامعي 2012/2011 ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/C5y3D>
- 3- إلهام محمد علي ، البدون : عندما تبث عن هوية داخل وطنك، 2016/06/28 ، متوفر على الرابط التالي : <https://www.noonpost.com/content/12582>
- 4- أماني السنوار ، مدرسة كوبنهاجن ولعبة الدكتاتوريات الأمنية ، متوفر على الرابط التالي : <https://www.sasapost.com/opinion/copenhagen>
- 5- أمل حمادة ، معادلة جديدة ؟ إعادة تشكيل العلاقة بين الدولة و المجتمع بعد الثورات العربية ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/CN6id>
- 6- أنور الجمعاوي ، الطائفة ، الطائفية ، الطوائف المتخيلة : تفنيد ابن خلدون ، متوفر على الرابط التالي : <http://cutt.us/QxvuY>

- 7- أنور الرشيد، المجتمع المدني في دول الخليج العربية.. رؤية من الداخل، متوفر على الرابط التالي: [https://araa.sa/index.php?view=article&id=1570:2014-07-13-09-17-57&Itemid=172&option=com\\_content](https://araa.sa/index.php?view=article&id=1570:2014-07-13-09-17-57&Itemid=172&option=com_content)
- 8- بدر الابراهيم ، النزاعات الطائفية في منطقة الخليج ، منتدى العلاقات العربية و الدولية ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/Bkvp3>
- 9- بدر النعيمي ، بديل البديل : فرص وتحديات المواطنة لدى المجتمع المدني غير التقليدي في دول الخليج العربية ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/dfYcU>
- 10- برنامج الساعة الخليجية، الحدائثة الممتنعة في دول الخليج، لقاء مع الدكتور باقر النجار، مونت كارلو الدولية، تاريخ البث : 2018/11/06، متوفر على الرابط التالي : <https://www.youtube.com/watch?v=b0cw5gJ7I28>
- 11- برنامج بلا حدود، لقاء مع الدكتورة مضاوي الرشيد ، تاريخ البث 2017/10/11. متوفر على الرابط التالي : <https://www.youtube.com/watch?v=ApOYEgarypl>
- 12- برنامج خليج العرب ، التعايش السلمي بين المذاهب في سلطنة عمان ، التلفزيون العربي ، تاريخ الحلقة 2018/02/02، متوفر على الرابط التالي : <https://www.youtube.com/watch?v=uU-oYpB1P-8>
- 13- برنامج في الصميم ، حوار مع حمزة الحسن ، قناة bbc تاريخ البث : 10 مارس 2009، متوفر على الرابط التالي: <https://www.youtube.com/watch?v=C67AtxLAcQs>
- 14- برنامج محاور، علي الطراح : أي مستقبل ل دولة الرعاية في الخليج ؟، تاريخ الحلقة: 2019/03/30، متوفر على الرابط التالي : <https://www.youtube.com/watch?v=AGd5V-4F9Ts>
- 15- برنامج محاور، مع الدكتور باقر النجار، لماذا تتعثر الحدائثة في الخليج ؟، قناة فرانس 24، تاريخ البث : 2018/11/18، متوفر على الرابط التالي : <https://www.youtube.com/watch?v=b8MTiqX51xY>
- 16- برهان غليون ، الطائفية في الدولة والمجتمع، متوفر على الرابط التالي : <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=73336>
- 17- برهان غليون ، نقد مفهوم الطائفية ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/3JU9k>
- 18- الجزيرة نت، الإمارات ثانية بعد الصين.. إيران تصدر منتجاتها إلى 128 دولة، متوفر على الرابط التالي: <https://cutt.us/kfWfN>
- 19- جهاز التخطيط والإحصاء ،متوفر على الرابط التالي : <https://www.psa.gov.qa/ar/Pages/default.aspx>
- 20- حسن أبو هنية، عن أسطورة العنف الديني ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/DmUik>



- 21- حسين الهالي ، الأبعاد القانونية لإثارة النعرات المذهبية والطائفية، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/mTnm5> :
- 22- حمد الغيلاني، التركيبة السكانية والعمالة في سلطنة عمان إلى أين ،متوفر على الرابط التالي <https://muwatin.net/archives/656>:
- 23- حمزة الحسن ، علاقة شيعة السعودية الخارجية مذهبيا وسياسيا ، متوفر على الرابط التالي <https://cutt.us/jJ2lz> :
- 24- الخليج أونلاين، شفاق السياسة وعناق الاقتصاد.. إيران والإمارات وعلاقة المصالح، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/NNLrm> :
- 25- دلال العكلي ، رحيل برنارد لويس ..رسم حدود الدم وجسد الشيطان ، متوفر على الرابط التالي : <https://annabaa.org/arabic/reports/15412> :
- 26- رفيق حبيب، طوائف بلا طائفية: مجتمع ما بعد التعصب، نوفمبر 2012 ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/eHMZx> :
- 27- رويتزر، خامنئي يتحكم بثروات ضخمة، متوفر على الرابط التالي : <https://ara.reuters.com/article/idARACAE9B2FR620131111> :
- 28- زينب الطحان ، قراءة في كتاب ثقافة الطائفية ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/HQs7L> :
- 29- السكان في الكويت ، متوفر على الرابط التالي : <https://fanack.com/ar/kuwait/population> :
- 30- سلامة كيلة، الطائفية والمنظور الطائفي : نقد النخب السورية ، متوفر على الرابط التالي <https://alaalam.org/ar/politics-ar/item/486-561270217>:
- 31- سيف دويدار، الانتقال الديمقراطي في دول الخليج : الفرص والتحديات، متوفر على الرابط التالي : <https://gulfhouse.org/posts/3737/> :
- 32- طه جابر العلواني، الانقسامات الطائفية وآثارها المستقبلية، متوفر على الرابط التالي : <http://www.alhiwartoday.net/node/3452> :
- 33- عادل زقاغ، إعادة صياغة مفهوم الأمن: برنامج البحث في الأمن المجتمعي ، متوفر على الرابط التالي : <http://boulemkahel.yolasite.com> :
- 34- عباس المرشد، الطائفية الجديدة والتحرك المذهبي في البحرين. متوفر على الرابط التالي: <http://www.bcsf.org.uk/arabic/?p=1358> :
- 35- عباس المرشد، البحرين: معضلة الوطنية وتفجير الإثنيات الطائفية، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/IJT7u> :
- 36- عباس المرشد، نماذج السياسات الخليجية تجاه الشيعة، متوفر على الرابط التالي : <https://gulfhouse.org/posts/3692> :

- 37- عبد الحسين شعبان، المجتمع المدني الخليجي.. أين البداية ؟ ، متوفر على الرابط التالي :  
<https://cutt.us/1aHVR>
- 38- عبد الحليم عويس، الفكر الخلدوني في العصبية والعروبة، متوفر على الرابط التالي :  
<https://www.alukah.net/culture/0/58181/#ixzz5sKQNM17t>
- 39- عبد الرزاق الشايجي ، التنوع العرقي والطائفي والاجتماعي يقود انتخابات الكويت ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/uSlzZ>
- 40- عبد اللطيف فاروق، الطائفية قراءة في المفهوم و دلالاته، متوفر على الرابط التالي:  
<http://fekr-online.com/index.php/article>
- 41- عبد الله العروي، محاضرة في جامعة الرباط في حفل افتتاح كرسي عبد الله العروي للترجمة والتأويل، بتاريخ 2020/01/09. متوفر على الرابط التالي :  
<https://www.youtube.com/watch?v=YQTzXwZTRX0>
- 42- عبد الله الغدامي، الهويات الثقافية والهويات الحضرية، متوفر على الرابط التالي :  
<https://www.youtube.com/watch?v=OheUcxJ9Os0>
- 43- عجم سلطنة عمان .. اندماج كلي ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/GGyWz>
- 44- عز الدين عناية ، عرض لكتاب الشرق الأوسط إطلالة أنثروبولوجية ، أوغو فابيتي ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/yoGS7>
- 45- عزام أمين، الطائفية الاجتماعية والطائفية السياسية في سوريا، متوفر على الرابط التالي :  
<http://cutt.us/FxA5G>
- 46- عزمي بشارة، في تركيب العصبية الخلدونية على الطائفة ، متوفر على الرابط التالي :  
<http://cutt.us/QuBTm>
- 47- علي أبو إدريس، ملخص كتاب الدولة في المجتمع : دراسة عن كيفية تحول الدول و المجتمعات بعضها البعض، ( جويل س مجدل ) ،مركز تأسيس للدراسات والنشر، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/CgRWF>
- 48- فراس الياس، الجيوبوليتيك الشعبي والمخيلة الجيوستراتيجية الإيرانية : مجالات التأثير وبناء النفوذ، متوفر على الرابط التالي :  
<https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2019/12/191205103235122.html>
- 49- فريدريك ويربي، السياسة الطائفية في الخليج منذ حرب العراق إلى الانتفاضات العربية. متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/clry3>
- 50- فريق التحرير لموقع نون بوست، آل الصباح .. جذور العائلة الحاكمة في الكويت ومستقبل الحكم، متوفر على الرابط التالي : <https://www.noonpost.com/content/35761>
- 51- مازن النجار، الاستشراق وصوره الشرق الأوسط " غير المستنير" .. من الاستعمار إلى الاستيطان ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/dBcTg>

- 52- مازن النجار، الاستشراق وصورة الشرق الأوسط " غير المستنير" . من الاستعمار إلى الاستيطان ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/dBcTg>
- 53- محمد الأمين بن عائشة، مفهوم الأمن الموسع ، متوفر على الرابط التالي : <http://www.maqalaty.com/43642.htm>
- 54- محمد عابد الجابري، العصبية والملك ..جدل الغاية والنهاية، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/IQmo5>
- 55- محمد عبد الله يونس ، استعادة الدولة : اتجاه استرداد السيادة في بعض البلدان العربية ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/YfhPz>
- 56- محمد محفوظ، المسألة الإيرانية في العقل السياسي العربي ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/Z5hxW>
- 57- محمد محفوظ، الدولة والطائفية في الخليج العربي، متوفر على الرابط التالي : <https://annabaa.org/arabic/studies/22038>
- 58- محمد نبيل الشيمي، الطائفية وآثارها التدميرية على نسيج المجتمعات عامة وكيف نعالج مسبباتها ، متوفر على الرابط التالي : <https://democraticac.de/?p=22853>
- 59- المركز الوطني للإحصاء والمعلومات ، الساعة السكانية ، متوفر على الرابط التالي : <https://ncsi.gov.om/Pages/NCSI.aspx>
- 60- مضايي الرشيد ، السعودية : حل المسألة الشيعية جزء من التغيير السياسي الشامل ، متوفر على الرابط التالي : [http://gulfpolicies.com/index.php?option=com\\_content&view=article&id=374:2011-11-20-16-09-07&catid=51:2011-04-09-07-47-31&Itemid=364](http://gulfpolicies.com/index.php?option=com_content&view=article&id=374:2011-11-20-16-09-07&catid=51:2011-04-09-07-47-31&Itemid=364)
- 61- مضايي الرشيد ، الطائفية كثورة مضادة السعودية والربيع العربي ، متوفر على الرابط التالي : <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=611499&r=0>
- 62- مضايي الرشيد، حلقة حوارية حول مستقبل الحكم في السعودية ، برنامج قضايا وآراء ، قناة الحوار ، 2012/06/26 ، متوفر على الرابط التالي : <https://www.youtube.com/watch?v=eM0jtloIXFI>
- 63- مؤسسة فنك الإعلامية ، السكان في قطر ، متوفر على الرابط التالي : <https://fanack.com/ar/qatar/population/#ethnic>
- 64- موقع الخليج الجديد ، ستراتفور: قطر والإمارات وسلطنة عمان ..لماذا أصبحت القضايا الطائفية أقل إلحاحا ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/36ckg>
- 65- موقع هيئة الإذاعة البريطانية، البحرين: تاريخ من التوتر الطائفي والسياسي، متوفر على الرابط التالي : [https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2011/03/110317\\_bahrain\\_overiew](https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2011/03/110317_bahrain_overiew)

- 66- ناصر الغزالي، النزعة الطائفية تحدياتها ودورها في المجتمع السوري، متوفر على الرابط التالي: <http://www.achr.eu/naser.tafeh.pdf>.
- 67- نجيب الخنيزي ، النشاط السياسي للشيعا في السعودية ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/Tug8o>
- 68- هيومن رايتس ووتش، سجناء الماضي : البدون في الكويت وعبء العيش بلا جنسية ، 2011/06/13 ، متوفر على الرابط التالي : <https://www.hrw.org/ar/report/2011/06/13/256219>
- 69- الهيئة الاتحادية للتنافسية والإحصاء ، متوفر على الرابط التالي : <https://cutt.us/bwBog>
- 70- الهيئة العامة للإحصاء ، متوفر على الرابط التالي : <https://www.stats.gov.sa/ar/854-0>
- 71- الهيئة العامة للمعلومات المدنية ، متوفر على الرابط التالي : <http://paci.gov.kw/>
- 72- وسام اللحام، تحرير الطائفية السياسية من نظام الزعماء: كلمات لتعريف لعبة ماكيافيلية قديمة، متوفر على الرابط التالي : <https://www.legal-agenda.com/article.php?id=6873>

ب/ باللغة الأجنبية :

### **The Books:**

- 1- Ali Akbar Rezaei , **foreign policy theories : implications for the foreign policy analysis of Iran** ; in irans foreign policy from Khatami to Ahmadi Nejad , Ithaca press , UK ,2008.
- 2- Anoushiravan Ehtishami, **The Foreign policy of Iran in the Foreign policies of middle east states** , Lynne Rinnes, 2002.
- 3- Eliza Friederichs, **The Middle East : Thinking about and beyond security and stability**, The Istituto Affari Internazionali, Rome. March 2019.
- 4- Florence Gaub and Alexandra Laban, **Arab futures: Three scenarios for 2025**, EU Institute for Security Studies, Paris , 2015.
- 5- Grogory Gause, **Saudi Arabia and Sectarianism in Middle East**. In Sectarianism and international relations, Institute for middle east studies, New York , 2020.
- 6- Joel Migdal, **Strong Societies and Weaken States: State Society Relations and State Capabilities in the Third World**, Princeton; NJ: Princeton University Press, 1988.
- 7- Marissa Allison, **US and Iranian strategic competition: Saudi Arabia and The Gulf states**. Center for strategic and international studies, Washington, 2010.
- 8- Nicholas Onuf and others , **International relations in a constructed world** , M.E.Sharp , New Yourk , 1998.
- 9- Saera R Khan and others , **Realistic Group Conflict Theory** , Encyclopedia of Social Psychology , SAGE publication , 2007.

- 10- Seong jin kim , **Concept of societal security and migration issues in central Asia and Russia** , center for far eastern studies , university of Toyama , 2008.
- 11- Simon Mabon and Marc Lynch, introductions , **In Sectarianism and international relations**, Institute for middle east studies, New York , 2020.
- 12- Toby Matthiesen and others , **Workshop Sectarianism in the Middle East** ,Policy Department, Directorate-General for External Policies ,the European Parliament's Committee on Foreign Affairs. Belgium.
- 13- Toby Matthiesen, **The Sectarian Gulf vs. the Arab Spring**, in The Politics of Sectarianism, The Project on Middle East Political Science,New York, 2013.
- 14- Verena Walther, **New political Sectarianism in times of economic hardship in Saudi Arabia** , Course The Political Economy of the Middle east and North Africa ,Kuwait Program at Sciences Po, fall 2016
- 15- Vincent Durac, **The role of Non- State actors in arab countries after the arab uprising**. Mediterranean year book, IEMed, Barcelona.
- 16- World Scenario Series, **The Gulf Cooperation Council (GCC) countries and the world : Scenarios to 2025**, World Economic Forum, Geneva, 2007.

### **The Reviews :**

- 1- Adnan Alenezi, The regional challenges affecting Kuwait's national security, **Review of Economics and Political Science**, Volume 5 Issue 1.
- 2- Ahmad khalid. Mahidyar, Is sectarian balance in the United Arab Emirates, Oman, and Qatar at risk?, **Middle Eastern Outlook** , No.6. October 2013.
- 3- Alam saleh , Broadening the concept of security : identity societal security , **Geopolitics quarterly** , volume 6 , No4 , winter 2010.
- 4- Antoine Thiard , Le Phénomène Sectaire - Mal de Fin de Siècle , **Bulletin La Jaune et la rouge** , mai 1996 , l'Association des anciens élèves de l'Ecole polytechnique .
- 5- Barry Buzan , Rethinking security after the cold war , **Cooperation and Conflict** , vol 32, London , 1997.
- 6- Cenap çakmak, The Arab Spring and The Shiit crescent: Does ongoing change serve Iranian interests? . **The Review Of faith and international affairs**, V 13 , N° 02, Summer 2015.
- 7- Hassen Mneimneh, From communitarianism to sectarianism: The Trajectory of Factionalism in the Arab Middle East, **The Muslim World**, V106, January , 2016.
- 8- Ibrahime Warde. Wagering on Sectarianism: The political economy of extremism, **The Muslim World**, V106, January 2016 .
- 9- J.E.Peterson , Oman's Diverse Society : Northern Oman , **Middle East Journal** , V58 ,NO.1,Winter 2004.
- 10- Jeffrey Martini, Dalia Dassa Kaye and others, **Countering Sectarian and religious conflict in the middle east**. Published by the RAND Corporation, Santa Monica, California .2019.
- 11- Judith. S. yaphe, **The united states and Iran in Iraq: Risks and Opportunities**. In Iran's Foreign policy: From Khatami to Ahmadi Nejad, Ithaca press. UK.

- 12- Justin Gengler, **The Political Economy of Sectarianism in the Gulf**, Carnegie Endowment for International Peace, Washington, 2016.
- 13- Madawi Al-Rasheed, Sectarianism as Counter revolution : Saudi Reponses to the arab spring, **Studies in Ethnicity and Nationalism**, Vol. 11, No. 3, 2011.
- 14- Nader Hashemi and Danny Postel, Sectarianization: Mapping the new politics of the middle east, **The review of Fath and international affairs**, V15, N°03, Fall 2017
- 15- Peter .L.Berger, The Sociological Study of Sectarianism, **Social Research**, Vol 51, Spring/Summer 1984 .
- 16- Stephen M Walt , International Relations : one world ,many theories , **foreign policy** , N° 110, spring 1998.
- 17- Yagoub Yousif Al-Kandari and Ibrahim Naji Al-Hadben Tribalism, Sectarianism, and Democracy in Kuwaiti Culture, **Digest of Middle East studies**. Volume 19, Issue 2, September 2010.
- 18- ZeynepArkan , Via Media' vs. the Critical Path:Constructivism(s) and the Case of EU Identity , **All Azimuth: A Journal of Foreign Policy & Peace** , vol 03 , N02 , Jul 2014.

### **The web Sites :**

- 1- Alba Benito Miranda, **Sectarianism in Bahrain and the New Middle East Cold War**, the link : <https://blog.realinstitutoelcano.org/en/sectarianism-in-bahrain-and-the-new-middle-east-cold-war/>
- 2- Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor , **SAUDI ARABIA 2014 INTERNATIONAL RELIGIOUS FREEDOM REPORT**, the link : <https://2009-2017.state.gov/documents/organization/238688.pdf>
- 3- Courtney Freer, **Decrypting Sectarian Myths in Bahrain and Kuwait** . the link : <https://www.ispionline.it/it/pubblicazione/decrypting-sectarian-myths-bahrain-and-kuwait-23087>
- 4- Courtney Freer, **Decrypting Sectarian Myths in Bahrain and Kuwait** . the link : <https://www.ispionline.it/it/pubblicazione/decrypting-sectarian-myths-bahrain-and-kuwait-23087>
- 5- Emin Poljarevic , **Nader Hashemi & Danny Postel, Sectarianization: Mapping the New Politics of the Middle East** , the website : <https://www.milestonesjournal.net/reviews/2018/8/17/nader-hashemi-danny-postel-sectarianization-mapping-the-new-politics-of-the-middle-east>
- 6- Forbes, **Millionaire Mullahs**, Link : <https://www.forbes.com/global/2003/0721/024.html#43ee894c4108>
- 7- James Leigh, **Shia Islam and oil geopolitics** , the site : <https://www.resilience.org/stories/2008-12-23/shia-islam-and-oil-geopolitics/>
- 8- Joost Hiltermann , **Bahrain: A New Sectarian Conflict** : <https://www.nybooks.com/daily/2012/05/08/bahrain-new-sectarian-conflict/>

- 9- Justin Gengler, **The Political Economy of sectarianism in the Gulf** , the website :<https://carnegieendowment.org/2016/08/29/political-economy-of-sectarianism-in-gulf-pub-64410>
- 10- Kylie Moore-Gilbert , **Sectarian Divide and Rule in Bahrain: A Self-Fulfilling Prophecy?**, the website :  
<https://www.mei.edu/publications/sectarian-divide-and-rule-bahrain-self-fulfilling-prophecy>
- 11- Leon Goldsmith, **Immunizing Against Sectarian “Sickness”: The Case of Oman** , The link : <https://www.mei.edu/publications/immunizing-against-sectarian-sickness-case-oman>
- 12- Lindsey Stephenson, **Ahistorical Kuwaiti sectarianism** . The link : <https://foreignpolicy.com/2011/04/29/ahistorical-kuwaiti-sectarianism/>
- 13- Lindsey Stephenson, **Ahistorical Kuwaiti sectarianism** . The link : <https://foreignpolicy.com/2011/04/29/ahistorical-kuwaiti-sectarianism/>
- 14- Madeleine Wells, **Sectarianism and authoritarianism in Kuwait**, the link :  
<https://www.washingtonpost.com/news/monkey-cage/wp/2015/04/13/sectarianism-and-authoritarianism-in-kuwait/>
- 15- Martin W. Lewis, **Robin Wright’s Audacious Remapping of the Middle East** , The Link: <http://www.geocurrents.info/geopolitics/myth-nation-state/robin-wrights-audacious-remapping-middle-east>
- 16- Marwan Kabalan, **Sectarian Conflict In the Middle east can be resolved**. The Link : <https://www.aljazeera.com/indepth/opinion/sectarian-conflicts-middle-east-resolved-181008091606196.html>
- 17- Nader Hashemi , **The politics of sectarianism: What causes sectarian conflict, and can it be undone?** , the website :<https://www.abc.net.au/religion/the-middle-east-and-the-politics-of-sectarianism/11613338>
- 18- Ralph Peters , **Blood Borders : How a better Middle east would look** , Armed Forces Journal , June 2006 , The web site :  
<http://armedforcesjournal.com/blood-borders/>
- 19- Robin Wright, **Imagining a Remapped Middle East**, The Link : <https://archive.nytimes.com/www.nytimes.com/2013/09/29/opinion/sunday/imagining-a-remapped-middle-east.html>
- 20- Simon Henderson, **The Sectarian Significance of Bahrain’s Elections**, the link : <https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/the-sectarian-significance-of-bahrains-elections>
- 21- The World Factbook , **Bahrain** , The link : <https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/ba.html>
- 22- Thomas Fibiger, **Everyday Experiences of Sectarianism in Kuwait and Bahrain**, the link : <https://thedaydan.com/2018/08/everyday-experiences-sectarianism-kuwait-bahrain/>
- 23- Toby Matthiesen, **The Sectarian Gulf Vs Arab Spring** , The link : <https://foreignpolicy.com/2013/10/08/the-sectarian-gulf-vs-the-arab-spring/>
- 24- United States Department of State , Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor , **SAUDI ARABIA 2019 International Religious Freedom Report** , the link :

- [https://www.uscirf.gov/sites/default/files/Saudi%20Arabia%202019\\_Arabic%20translation.pdf](https://www.uscirf.gov/sites/default/files/Saudi%20Arabia%202019_Arabic%20translation.pdf)
- 25- United States Department of State , Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor, **BAHRAIN 2019 International Religious Freedom Report** , the link : [https://www.uscirf.gov/sites/default/files/Tier2\\_BAHRAIN\\_2019.pdf](https://www.uscirf.gov/sites/default/files/Tier2_BAHRAIN_2019.pdf)
- 26- United States Department of State , Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor, **KUWAIT 2018 International Religious Freedom Report** , the link : <https://www.state.gov/reports/2018-report-on-international-religious-freedom/kuwait/>
- 27- United States Department of State , Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor, **OMAN 2018 International Religious Freedom Report** , the link : <https://www.state.gov/reports/2018-report-on-international-religious-freedom/oman/>
- 28- United States Department of State , Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor, **United Arab Emirates 2018 International Religious Freedom Report** , the link : <https://www.state.gov/reports/2018-report-on-international-religious-freedom/united-arab-emirates/>
- 29- Vali Nasr, **When the Shiites Rise** , the site : <https://www.foreignaffairs.com/articles/iran/2006-07-01/when-shiites-rise>



## المخلص

### الملخص :

الهوية مسألة ملازمة للظاهرة الإنسانية، كما تتجاذب الفرد هويات متقاطعة، لذلك، فتسييس الهويات يأخذ أشكالاً مختلفة يقتضيها السياق، عبر توظيف الهوية ذات العائد الأكبر. ظهرت أهمية الهوية الطائفية في الصراع السياسي بعد احتلال العراق، وأيضاً بعد الربيع العربي، وما لازمه من تطييف للاستقطاب الإقليمي، وللصراع السياسي، رغم أن الظاهرة الطائفية تجد جذورها في مراحل تاريخية عدة، إلا أنها تجد أسباب وجودها في تجربة الدولة العربية، وخصائصها السلطوية.

تسعى الدراسة للبحث في إدارة الهوية الطائفية وتفاعلها مع الواقع الخليجي في دول مجلس التعاون، وكيف ساهمت البنية المجتمعية والسياسية في توظيف الهوية الطائفية، مع السعي لكشف خصوصية الواقع الخليجي، وتمايزاته التي تظهر في كل قطر على حدة، في إدارة التنوعات الاجتماعية، والتحديات السياسية التي تتفاقم في بيئة تقليدية، كما تهدف الدراسة إلى عرض القواسم المشتركة، والخصوصيات المتباينة في النظم الخليجية في التعامل مع سياسات الهويات الفرعية عموماً، والهوية الطائفية على وجه الخصوص، في تسيير سياستها الداخلية، وفي إدارة علاقاتها الإقليمية، وصراع الأدوار والمصالح في المناطق النافذة.

أخيراً تحاول الدراسة تحسس مسارات الانعتاق من الحالة الطائفية، وآليات الفكك من الرهانات التي تفرضها البنية التقليدية على الأمن المجتمعي، وعلى وجود الدولة، وإمكانات الواقع الخليجي في السلطة والمجتمع لتطبيقها، وهذا بغرض تشكيل تصور لمستقبل الدولة والهويات الفرعية في السياق الخليجي .

### الكلمات المفتاحية :

الطائفية، الطوائف، الأمن المجتمعي، دول مجلس التعاون الخليجي، الخليج العربي، الهوية، الانتماءات الفرعية، تسييس الهوية، السياسة الطائفية، التطييف، الشيعة، السنة، إيران، الربيع العربي، احتلال العراق، الاستشراق .

## **Résumé:**

La notion de l'identité est liée au phénomène humain, où l'individu est absorbé par des identités croisées, de sorte que la politisation des identités emprunte des apparences différentes selon le contexte, et parfois à travers l'emploi de l'identité avec le rendement le plus élevé. L'influence de l'identité est émergée dans le conflit politique après l'invasion de l'Irak, et aussi après le Printemps arabe, et la nécessaire sectarisation de la polarisation régionale et du conflit politique, bien que le phénomène sectaire trouve ses racines dans plusieurs étapes historiques, par contre il trouve ses motifs de son existence dans l'expérience de l'État arabe, et ses caractéristiques autoritaires. Cette étude ambitionne à investiguer la gestion de l'identité sectaire et son interaction avec la réalité du Golfe dans les pays du Conseil de Coopération, et comment la structure communautaire et politique a contribué à l'adoption de l'identité sectaire. Et dans le but de découvrir la spécificité de la réalité du Golfe, et ses dissemblances qui apparaissent dans chaque pays séparément, et dans la gestion des diversités sociales et des défis politiques qui complètent dans un cercle traditionnel. L'étude vise également à révéler les parties communes et les diverses particularités des régimes du Golfe face aux politiques sous-identités en général, et de l'identité sectaire en particulier, au cours de la conduite de ses politiques internes, et au cours de la gestion de ses relations régionales, et le conflit des rôles et des intérêts dans les zones d'influence. Somme toute, l'étude tente d'examiner les impasses d'émancipation de la situation sectaire, et les mécanismes de soulagement des défis imposés par la structure traditionnelle à la sécurité communautaire, à l'existence de l'État, et aux capacités de la réalité du Golfe au pouvoir et à la société pour qu'ils puissent façonner, et afin de se forger une conception de l'avenir de l'État et des sous-identités dans le contexte du Golfe.

## **Les mots clés :**

Sectarisme, Sectes, Sécurité Sociétale, Pays du Conseil de Coopération du Golfe, Golfe Arabe, Identité, Sous-Affiliations, Politisation de l'identité, Politique Sectaire, Sectarisation, Chiites, Sunnites, Iran, Printemps arabe, Occupation de l'Irak, Orientalisme.

**Abstract:**

It has become flagrant that we cannot separate identity from the human phenomenon. Therefore, depending on context, manipulation of-particularly that of benefit- identity politically takes various forms. After the invasion of Iraq, the importance of ethnic identity has become crucial and also after the Arab Spring. Manipulation of identity goes hand in hand with sectorization of regional polarization, political conflict, despite the fact that manipulation of identity is grounded in different historical stages, the reasons of which are found in the political events in the Arab world. The study aims at investigating management of regional identity, with special emphasis on the Arab Gulf whose identities are dependent on each region. The management of varieties of societies, political challenges that exacerbate in a traditional environment, all form fields of interest on this study. The study also aims at accounting for commonalities and varieties of in Gulf regimes and how they deal with prominent and sub-identities, internal and regional affairs, managing regional relations, political positions and interest in areas of influence. Finally, the study aims at sensing routes of resolution of such colliding identities, and also breaking away from traditional confines that shackle social security, and also the capacity to within the reach of authorities to apply solutions in order to create a conflict-free Gulf area.

**Key words :**

Sectarianism, Sects, Societal Security, Gulf Cooperation Council Countries, The Arab Gulf, Identity, Sub-Affiliations, Politicization of identity, Sectarian politics, Sectarianization, Shiites, Sunnis, Iran, The Arab Spring, The occupation of Iraq, Orientalism.

## فهرس الأشكال والجداول

## فهرس الأشكال والجدول

### فهرس الأشكال :

الصفحة	الشكل
110	الشكل 01: النسب الإحصائية للمكونات الطائفية في الخليج والمشرق العربي لسنة 2016
111	الشكل 02: الامتداد الجغرافي للمكونات الطائفية في الخليج والمشرق العربي
114	الشكل 03: نسبة الصراعات ذات الطابع الديني من مجمل الصراعات حسب المناطق في العالم
148	الشكل 04: مكانة الاستقرار السياسي بين أولويات المواطن الخليجي
321	الشكل 05: نموذج روبين رايت لمستقبل تفكك العربية السعودية

### فهرس الجداول :

الصفحة	الجدول
112	الجدول 01: النسب المئوية للسنة والإباضية والشيعة والوافدين في دول مجلس التعاون
149	الجدول 02: العائلات الحاكمة في دول الخليج العربية

الفهرس

05.....	مقدمة .....
16.....	الفصل الأول: مقارنة مفاهيمية تاريخية نظرية للمسألة الطائفية .....
18.....	المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للمسألة الطائفية.....
18.....	المطلب الأول: الطائفة والطائفية .. في استقصاء الجذر اللغوي.....
22.....	المطلب الثاني: إيتيمولوجيا الطائفية : في تحسس الدلالة المعرفية للمفهوم.....
23.....	الطائفية كبنية شعورية مقارنة نفسية للظاهرة .....
25.....	مفهوم الطائفية كنظام .....
26.....	القراءات الاجتماعية للظاهرة الطائفية .....
27.....	المطلب الثالث : الطائفية والمفاهيم المكافئة ..فرز للدلالات المعرفية.....
27.....	في العلاقة بين الطائفة والطائفية .....
29.....	في العلاقة بين الطائفية والدين .....
31.....	في العلاقة بين المذهبية والطائفية .....
32.....	في العلاقة بين الطائفية والإثنية .....
33.....	المطلب الرابع: تجليات الطائفية: بحث في الأشكال والسمات.....
33.....	الطائفية السياسية وتسييس الهوية .....
35.....	الطائفية الدينية .....
37.....	خصائص الطائفية ومؤشرات التفكك المجتمعي .....
38.....	المبحث الثاني : مسارات التشكل: من الافتراق الاعتقادي إلى سرديات المؤسسة الطائفية.....
39.....	المطلب الأول: كيف تتشكل الطائفية ؟ .. بحث في الدواعي و الكيفيات .....



- المطلب الثاني : تداعيات الطائفية .. الانعكاسات المركبة للظاهرة على مستوى الفرد والمجتمع والدولة.....49
- المبحث الثالث : في تاريخ المسألة الطائفية: من تراكمات المسار المدرسي للفرق الكلامية إلى البنى الطائفية المستقلة.....53
- المطلب الأول: بين الدين والسياسة .. السياقات التاريخية لتبلور المسألة الطائفية .....53
- المطلب الثاني: الطائفية في الخطاب الاستشراقي .. القراءة الهوياتية للتاريخ و دورها في صياغة الواقع ..... 64
- المبحث الرابع: المقاربات النظرية وقراءاتها المعرفية للظاهرة الطائفية .....75
- المطلب الأول: نظرية العصبية وإسقاطاتها على المسألة الطائفية: بحث حول دور الاعتصاب الطائفي في إنتاج التضامن الداخلي للبنى المجتمعية.....76
- التضامن العصبوي ودينامية إنتاج الجماعة .....76
- الوظائف السوسيو-سياسية للعصبية الطائفية .....80
- المطلب الثاني : الأمن المجتمعي في ظل الانبعاث الطائفي .. إدارة الهويات وتحديات المعضلة الأمنية المجتمعية .....83
- مفهوم الأمن المجتمعي .....84
- المعضلة الأمنية المجتمعية ومأزق الوية في المجتمعات المتعددة .....86
- المطلب الثالث: البنائية والنظام الاجتماعي : حدود المصلحة ضمن حيز الهوية.....89
- المطلب الرابع : اقتراب الدولة والمجتمع : التنافس حول الضبط الاجتماعي.....93
- تحولات وظائف الدولة فيبر إلى مجادل .....93
- الدولة والمجتمع: رهان المنافسة حول السيطرة المجتمعية .....95
- خلاصة الفصل الأول .....99
- الفصل الثاني: البنية الاجتماعية والسياسية في دول مجلس التعاون: قراءة في الاتجاهات الديمغرافية وفلسفة الحكم.....100
- المبحث الأول: جيوبوليتك الطوائف: التركيبة المجتمعية وتشابكاتها في الخليج.....102

- المطلب الأول: الاتجاهات الديمغرافية في دول مجلس التعاون: توزيعها الجغرافي وامتداداتها المجتمعية ..... 102
- المطلب الثاني: الانتماءات القبلية والطائفية والمناطقية في السعودية تنوع أم انقسام؟ ..... 114
- المطلب الثالث: المجتمع البحريني: التعقيدات الإثنية والطائفية والقبلية وتحدياتها ..... 122
- المطلب الرابع: الكويت: الثنائيات الانقسامية لمجتمع الهجرات ..... 127
- المطلب الخامس: التشكيلات الاجتماعية والطائفية وتنوعاتها في عمان وقطر والإمارات ..... 131
- جغرافيا الساحل والجزيرة ودورها في تشكيل المجتمع العماني ..... 132
- الواقع الديمغرافي في قطر وتحديات الأكثرية الوافدة ..... 137
- التنوع المجتمعي في الإمارات ..... 138
- المبحث الثاني: بنية الدولة والسلطة في دول مجلس التعاون ..... 139
- المطلب الأول: الدولة كغنيمة: السلطوية التقليدية وسياسة النظم بأدوات الماضي ..... 140
- المطلب الثاني: الدولة الخليجية والعوائد السياسية للربيع بين الهندسة الاجتماعية والرعاية الكولنيالية ..... 145
- المطلب الثالث: إدارة التضامنيات: الوظائف السييسو- سياسية للتقسيمات المجتمعية في البلدان الخليجية ..... 151
- خلاصة الفصل الثاني ..... 159
- الفصل الثالث الأسر الحاكمة وإدارة الطوائف: قراءة معرفية في التوجهات المشتركة والمتميزة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون ..... 160
- المبحث الأول: التوجهات والملاح العامة للسياسة الطائفية في دول مجلس التعاون الخليجي ..... 162
- المطلب الأول: الأطر المشتركة للسياسة الخليجية تجاه الطوائف ..... 162
- الأسر الحاكمة واحتواء الحالة الشيعية: بين نموذج المشاركة ونموذج الإقصاء ..... 168
- الاستجابة الخليجية لتحديات الربيع العربي: التطييف في مواجهة الإصلاح ..... 172
- المطلب الثاني: الحالة الشيعية في الخليج العربي قراءة في التوجهات العامة ..... 174
- من الفكري إلى السياسي: الخارج وأثره في صياغة الحالة الشيعية في الخليج ..... 176

- 180..... الحوزة فوق الوطنية: استقلال المرجعية وتشابكات الديني والسياسي في الخليج
- 182..... تحولات الثقافة السياسية للحركات الشيعية .. بين المغالاة والمشاركة
- 186..... المبحث الثاني: المسألة الطائفية في السعودية : بين تحالف القوة والفكرة والمال
- 186..... المطلب الأول: سردية النشأة وانعكاساتها الطائفية.....
- 186..... الوهابية ونشأة الدولة والسعودية: في علاقة التكوين المتبادل
- 190..... المكون الشيعي والسردية الوهابية: الواقع المرتهن لمرحلة التأسيس
- 194..... المطلب الثاني: النظام والشيعية: بين التضييق والانفتاح المحدود قراءة في السياقات الناطمة.....
- 194..... سياسات النظام وسياقاتها : الثابت والمتغير
- 201..... تحولات الحركة الشيعية واستراتيجياتها تجاه الاستبعاد: بين ضرورات الداخل ومتغيرات الخارج
- 208..... المطلب الثالث: الطائفية وكبح الإصلاح.. العوائد السلطوية للتطيف.....
- 208..... الحركة الإصلاحية في مواجهة الحالة الطائفية
- 212..... الاستجابة الطائفية للربيع العربي
- 217..... المبحث الثالث: توجهات السياسة الطائفية في البحرين: بين ضغط الثنائيات الداخلية والمتغيرات الإقليمية.....
- 218..... المطلب الأول: الانفتاح المقيد: مخرجات التجربة السياسية بعد إصلاحات 2001
- 224..... المطلب الثاني: تحديات الربيع العربي: بين دعوات الإصلاح والواقع الطائفي والاستراتيجيات الإقليمية.....
- 230..... المطلب الثالث: المقاربة السلطوية: بين التطيف والقمع قراءة في الانعكاسات.....
- 234..... المبحث الرابع: المسألة الطائفية في الكويت: التوافقية وتحديات إدارة الطوائف.....
- 235..... المطلب الأول: تاريخ التشاركية والتأسيس لمجتمع الهجرات
- 235..... التوافقية الاجتماعية وتشكيل الدولة في الكويت
- 240..... أثر الثورة الإيرانية على الواقع السياسي والعلاقات الطائفية

- 243.....المطلب الثاني: واقع التجربة الديمقراطية في مجتمع منقسم.....
- 243.....التنافس القبلي والطائفي بالآليات الديمقراطية.....
- 249.....تأثيرات الربيع العربي وضغوطات الجوار .....
- 252.....المبحث الخامس: إدارة المسألة الطائفية في عمان وقطر والإمارات.....
- 252.....المطلب الأول: سياسات الهوية في عمان وصيانة الأمن المجتمعي في بنية الانتماءات المتداخلة.....
- 252.....التأسيس الجامع والسعي نحو تجاوز الانتماءات الفرعية .....
- 255.....ضغوطات الخارج والتحديات المطالبة للجبهة الداخلية .....
- 258.....المطلب الثاني: واقع المسألة الطائفية في الإمارات وقطر.....
- 258.....الحالة الطائفية في الإمارات .....
- 261.....الحالة الطائفية في قطر .....
- 263.....خلاصة الفصل الثالث .....
- 264.....الفصل الرابع: التوظيف الاستراتيجي للمسألة الطائفية في صراع الأدوار الإقليمية وبحث في سبل مواجهة آثارها على مستقبل الدولة في الخليج .....
- 266.....المبحث الأول: الأبعاد الطائفية للاستراتيجيات المتنافسة في الأزمات الإقليمية.....
- 269.....المطلب الأول: الطائفية في الإستراتيجية الإيرانية وتفاعلاتها في الجيوبوليتك الشيعي.....
- 276.....المطلب الثاني: الانبعاث الطائفي بعد احتلال العراق بين التوظيف الاستراتيجي والتداعيات الأمنية.....
- 281.....المطلب الثالث: التطييف والانتفاضات العربية.. الاستراتيجيات المتضاربة.....
- 284.....المبحث الثاني: الدولة الخليجية ومسارات الخروج من الأزمة الطائفية: الحلول الممكنة ومآلاتها المستقبلية .....
- 286.....المطلب الأول: المسارات السياسية والتشريعية.....
- 286.....التشريعات والقوانين .....

291.....	تفعيل قيم المواطنة .....
293.....	المجتمع المدني المتجاوز للانتماءات الأولية .....
297.....	الإصلاح السياسي وإرادة السعي نحو التحول الديمقراطي .....
301.....	المطلب الثاني: المسارات الاجتماعية والاقتصادية.....
302.....	التعايش كتشئة اجتماعية .....
305.....	المقاربة الاقتصادية للاستيعاب الاجتماعي .....
307.....	المطلب الثالث: المسارات الدينية والثقافية لمواجهة المسألة الطائفية.....
307.....	الوسطية في مواجهة التطرف وخطاب الكراهية .....
311.....	تنمية ثقافة التسامح وقبول الآخر .....
313.....	المطلب الرابع : بين الاستمرارية والتغير: موقع المسألة الطائفية من السيناريوهات المستقبلية للدولة في الخليج.....
315.....	الاستعصاء الإصلاحية: السياق الخليجي وإعادة تدوير النموذج .....
319.....	بين التفكيك والتركييب: الهويات الفرعية والتأسيس الجديد لمنطقة الخليج .....
326.....	خلاصة الفصل الرابع .....
327.....	الخاتمة .....
333.....	قائمة المراجع .....
356.....	الملخص .....
361.....	فهرس الأشكال والجداول .....
362.....	الفهرس .....